اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

ألاقتِبَاسُ وَ التَّضمِينُ
فِي
نَهجِ البَلاغَةِ

"دَراسَةٌ اسلوبِيَّة "

د . كاظم عبد فريح المولى الموسوي

١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((قال رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي))

صدق الله العظيم

(سورة طه الآيات :٢٥ – ٢٨)

المحتويات

الموضوع الصفحة

المقدمـة : ..... أ – د

التمهيـد : ٢– ١٢

الباب الأول:((الاقتباس فـي نـهج البلاغة))

الفصل الأول : (أنواع الاقتباس في نـهج البلاغـة)

مدخل : ١٥

المبحث الأول :(أنواع الاقتباس من القرآن الكـريم).....١٦–٦٢

المبحث الثاني:(أنواع الاقتباس من الحديث النبوي الشريف).....٦٤–٧٩

الفصل الثانـي:(وظيفة الاقتباس في نـهج البلاغة)

مدخل : ٨١

المبحث الأول :(التـــوظيف الدلالـي).....٨٢–٩٧

المبحث الثاني:(التـــوظيف الفنـــي).....٩٨–١١٩

الفصل الثـلث :(خصـــائص الاقتباس)

مدخل:.....١٢١

المبحث الأول :(الخصائص الدلاليـــة).....١٢٢–١٣٩

المبحث الثاني:(الخصائص الفنـــية).....١٤٠–١٥٧

الباب الثاني:((التضمين في نـهج البلاغة))

الفصل الأول : (أنواع التضمين في نـهج البلاغة)

مدخل : ١٦٠–١٦١

المبحث الأول :(التضميـــن الشعري).....١٦٢–١٧٣

المبحث الثاني:(تضمين المثل العربـــي).....١٧٤–١٨٢

الفصل الثاني:(وظيفة التضمين في نهج البلاغة)

مدخل : ١٨٤

المبحث الأول: (التـــــوظيف الدلالي).....١٨٥-١٩٥

المبحث الثاني: (التـــــوظيف الفني).....١٩٦-٢٠٤

الفصل الثالث :(خصائص التضمين في نهج البلاغة)

مدخل:.....٢٠٦

المبحث الأول :(الخصائص الدلاليـــة).....٢٠٧-٢١٧

المبحث الثاني:(الخصائص الفنيـــة).....٢١٨-٢٣١

مصادر المصادر : ٢٣٢- ٢٤٥

المقـَـدَمَةُ

بسم اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ لله على ما انعم،الذي علّم من البيان ما لَم نعلم،والصلاة والسلام على محمد خير مَن نَطق بالصواب،وافضَل مَن أُوتى الحكمة وفَصل الخطاب،وعلى آلهِ ملح الأرض وزخرفها،وعلى صَحبه ومِن سار على هَديه إلى يوم الدين.

كان نَهجُ البلاغةِ وما يَزال يفتح كلّ يومٍ باباً جديداً من أبوابِ الدَّلالةِ،ويمنحُ عَطاءاتٍ سخيةً من المعاني ،وهو بِمَثابَةِ ارضٍ بكرٍ تُغري الدارسين والباحثين وذلك لسَعةِ ميادينه،وتنوّع مواضيعِه.

ومع كثرة الشروح والدراسات التي الّفت فيه ظَلّ بَحرا مُتلاطما،وفضاء رحبا لا يُمكن سبر أغواره،أو الإحاطة بأبعاده،وعند تتّبع ما كتب فيه- وفي حدود علمي- يظهر أنّ اغلبها كانت شروح،أو ترجماتٍ[1]،أو دراساتٍ لموضوعٍ من مَواضيعه[2]،وعلى الرّغمِ من تَزايد الدراسات البيانيّة[3]،والنحويّة[4]،واللغويّة[5]،التاريخيّة[6] فيه ، يَبقى ما يتعلّق بموضوع (**الاقتباس والتضمين**)،أو ما هو قريب منهما مُجرّد إشاراتٍ متناثرةٍ بين سطورِ هذا الشرح،أو ذاك[7]،أو تلك الدراسة[8]،ولم يُعقد المقدّمة

لهما المباحث، أو الفصول المستقلة،بَل مَرَّ الباحثون عَليها مُرور ألكرام ،وربّما نَجد شيئا من ذلك بصورة أوضح في جهود بعض العاملين في وَضع فهارس خصِّصت لرَصد الآياتِ،والأحاديثِ،والأشعارِ التي وَردت بصورةٍ مباشرةٍ- **فقط**- في النصِّ النّهجي.

---

[1]دون اكثر من(٣٠٠) شرح،وترجمة لنهج البلاغة.

ينظر:بهج الصباغة في شرح البلاغة،الشيخ محمد تقي التستري،دار أمير كبير،طهران،١٩٩٧م،المقدمة،ص:١٥.

[2]ينظر مثلا:السلم وقضايا الحرب في نهج البلاغة،الشيخ محمد مهدي شمس الدين،بيروت،١٩٧٨م،

و:دراسات في نهج البلاغة،الشيخ محمد مهدي شمس الدين،الدار الإسلامية، ط٣، بيروت،١٩٨١.

و:شرح حكم نهج البلاغة،الشيخ عباس ألقمي ت(١٣٥٩هـ)،دار الأنصار،قم،٢٠٠٥م.

[3]ينظر مثلا:الأدوات البيانية في خطب الحرب في نهج البلاغة،نجلاء عبد الحسين الغزال،رسالة ماجستير،جامعة الكوفة،كلية الآداب،٢٠٠٢م.

و:الصورة الفنية في كلام الإمام علي،د.خالد محمد محي الدين،مجلة المنهاج،ع١٩٩٧،٥م،ص:١٥٩-١٧٢.

[4]ينظر مثلا:أساليب ألتأكيد في نهج البلاغة،أصيل محمد كاظم،رسالة ماجستير،جامعة القادسية،كلية التربية،٢٠٠٢م.

و:أساليب الطلب في نهج البلاغة،عدوية عبد الجبار كريم الشرع،رسالة ماجستير،جامعة بابل،٢٠٠٠م.

[5]ينظر مثلا:خصائص الجملة في نهج البلاغة،سمير داود سلمان،رسالة دكتوراة،جامعة البصرة،كلية الآداب،٢٠٠٣م.

[6]شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد،رؤية اعتزالية،جواد كاظم منشد،منشورات ذوي القربى،قم،١٣٨٤هـ.ق.

[7]لقد حرص شارحو النهج عبر العصور على الاشارةالى بعض الآيات،والأحاديث،والأشعار،والأمثال،وان كان في اغلبه عفويا بسيطا طارئا،إذ لم يكن هدفا في حد ذاته بقدر ماكان وسيلة من وسائل التفسير،والشرح،واختلف الشراح في مقدار السعي في ذلك،وان كان بعضهم قد تمّيز في إفراد مساحة كبيرة لذلك ،كابن أبى الحديد،وابن ميثم البحراني من القدماء،والشيخ التستري من المحدثين،وهذا ما يبّرر كثرة الاعتماد على هذه الشروح دون سواها

[8]وردت إشارات عابرة للاقتباس اوالتضمين في بعض الدراسات،تصريحا أو تلميحا.

ينظر مثلا:اسلوب التوكيد في نهج البلاغة. و:خصائص الجملة في نهج البلاغة.

و:الألفاظ القرآنية في نهج البلاغة،السيد محمد جعفر الحكيم،مجلة النجف الاشرف،١٩٧٦.

و:المثل في نهج البلاغة،الشيخ عبد الهادي الفضلي،مجلة رسالة الإسلام،كلية أصول الدين،بغداد،١٩٧٨م.

وعَلى الرّغم من ذلك كله يبقى النصُّ النهجي ليس على مستوى دراسته كقيمةٍ أدبيّةٍ بلاغيّةٍ فنيّةٍ ، ولم يأخذ نَصيبه في هذا الجانب مثلما أخذَه في الشَّرح ، مِمّا استدعى المضي في تتبّع الاقتباسات ، والتضمينات ، المباشرة وغير المباشرة والمُتناثرة في الشروحاتِ ، والدراساتِ ، وبَيان أنواعِها ، ووظائفِها ، ووخصائِصِها .

ومثّل هذا التناثر للإشارات الاقتباسية والتضمينية- بأنواعِها – وَجهَين مُتناقضين ، الأوّل منها يُمثّل صُعوبةً في تَتبّعها ، والثاني دافعاً مُغرياً للخروج بها في دَراسَةٍ أكاديميّةٍ نَهضَت في بابين مُستقلّين ، بَعد التمهيد ببَيان مُصطلحي (**الاقتباس**) و(**التضمين**) لُغةً واصطلاحاً،والمُصطلح الحَديث البديل لهُما في الدَّراسات النّقدية البلاغية الحديثة في إشارات سريعةٍ كاشفة.

لَقد نَهض الكتاب على مُقاربات نقدية بلاغية تَسعى إلى تَقصّي عَلائق النّص النهجي بالموروث الديني(**القرآن والحديث النبوي**) ، والمورُوث الأدبي(**الشعر والمثل**)، ومَعرفة مَدى تَوظِيف ذَينك الموروثين ، وخَصائِص كُلّ مِنهُما مِمّا استدعى تَصنيفهُما في بابين هُما(**الاقتباس في نهج البلاغة**) ، و(**التضمين في نهج البلاغة**).

وتَوزّع البابُ عَلى ثَلاثة فصول ، خُصِّصَ الأوّلُ لرَصد المَرجعيات الاقتباسية ، المستلهمة مِن مفردات ، وبُنى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وتَقصِّيها وبَيان أنواعها ، بدءاً من المفردة ، وانتهاء بالنَّص ، والمَقصود بالمفردة القرآنية هي المفردة التي أوجدها القرآنُ الكريم ، أو إنّ ورودها خارج الاستعمال القرآني قَليل ، ويَأخذ بعضُها خصوصية الانتساب القرآني عَلى الرَّغم من وجود تَغيير طفيف في بُنيتها الصّرفية ، وألّذي قابَلهُ اقتباسٌ لتراكيبَ اختَصَّت برسولِ الله (ص وآله)،عُرِفَت بانتسابها إليه .

والفَصلُ الثاني خُصّص لبيان اثَر تلك الإشارات ومَدى توظِيفها في النَّصِ النَّهجي ، في المستويين الدلالي ، والفنّي ، والحديث عن الجانب الدلالي لم يَكن عن العلاقات الدَلالية مِن تقديمٍ وتأخيرٍ، وتكرارٍ، ومشتركٍ لفظيٍّ، وترادفٍ ، بَل هُو حَديثٌ عَن العَطاءِ الدلالي للمفردات ، والعِباراتِ ، والتَراكيب.

والثالث جاءَ لتتبّع خَصائِص الاقتباس الدلالية والفنّية،مَع تَتبّع خَصائص كلِّ نَوع مِنهما.

المقدمة

---------- ج

وتَوزّع البابُ الثاني عَلى ثَلاثة فصول مُماثلة لسابقاتها في العَناوين ، والتَقسيمات على وُفقَ رُؤية مَنهجية دَقيقة ، ولكِن مِمَّا يَنبَغي التنبيه عَليه ، والتَنويه إليه هُو أنّ البابَ الأوَّل جاء عاكِسا لِوجود النصّ القرآني-خاصّة- والحديث النبوي الشريف في النصوص ألنهجية ، إذ شَكّلا تواجدا كبيراً ملحوظاً إذا ما قُورِن بالمساحة الأقل للموروث الأدبي مِن شِعر ونَثر ، فكان ذلك عنصرا ضاغطا للوصول إلى أمرين ،؛ الأوَّل: كبر مساحة باب الاقتباس بفصوله ، والثاني: الاضطرار إلى تكرار بَعض شواهد التضمين – في الشِّعر خاصَّة – لاسيّما المباشرة منها والّتي انحَصَرت في عَدد مَحدودٍ سيتَّضح في موضِعه ، إلاّ أنَّ الشافع لِي في ذلك- إضافةً إلى ما تقدَّم- هُو تَعدّد زَوايا النظر إليها ، على وُفقَ الرُؤى البلاغية تارةٍ ، والصوتية تارةٍ أخرى ، والنحوية ثالثة ،تَبَعاً للموضوع الذّي دُرِسَت فيه ، فضلا عن اِكتناز تلك الشَواهد بالدَّلالات ، وهو الشافع الأكبر فيما تَقدّم.

وتَلت هذين البابين خلاصة لأهمِّ نتائج البحث التي توصَّل إليها الباحث،مَع إدراج لمصادر الموضوع،ومَراجعِه التّي اِعتمَد عَليها.

وهنالك بعض التنويهات الّتي ينبَغي الالتفاف إليها،وهيَ:

أوّلا: إنّ ذكر النصّ النهجي في الدراسة كلها يُحال إلى كتاب نهج البلاغة الّذي حَقّقه محمد أبو الفضل إبراهيم[1]، وذلك لاعتماده في أغلب الدراسات الأكاديمية في نهج البلاغة.

---

[1]صدر عن مطبعة الاستقامة، مصر (د.ت).

ثانياً: لم يَكُن اعتماد بَعض الشروحات اكثر مِن غَيرها فِي بابٍ ما،أو فصلٍ ما، أو مَبحثٍ ما،إلّا لوجودِ ما يُسَوّغ ذلك ، وَبالتالي نَجدُ تنوّعاً بِتنوع الحاجةِ إلى هذا الشَّرح ،أو ذاك دُونَ غيره ، ولكِن يَبقَى الاعتمادُ المتميِّز لشَرح ابن أبى الحديد[٢]، باعتباره الشَّرح الَّذي سبَق الكثيرَ من الشّروح فيما رُمناه ،لِكثرة تكرار ما قَالهُ في كَثير منها،مِمّا يَتوجَّب اعتماد الذكر الأوَّل في هذا الشرح،وشرح ابن ميثم البحراني[٣]،لاهتمامِه بالدَّرس البلاغي في كثيرٍ منَ الأحيان .

ثالثا: تَمّت الإشارةُ في الدراسة بالرَّمز(**خ**) إلى الخطبة،والرَّمز(**ك**) إلى الكتاب،والرَّمز(**ح**) إلى الحِكمة،أو المَوعِظة.

وخِتاما،وأنا أضَع هذا الجهد المتواضع بَين يَدي أساتذتي ، آملُ مِن الله العَلي القدير أن أكُون قَد وُفِّقت في شَيء منه ، ولا ادّعِي الكَمال فيه، فالكمال لله وَحده ، راجيا مِنه تَعالى أن يَحفظنا ، ويُكَلّلنا بالسِّتر ، والعافيةِ ، والامان ، لِنَمضي قُدُماً في خِدمة العِلم ، والحفاظ عَلى تراثنا الأدبي الرَّفيع.

---

[2]صدر عن دار الساقية ، بيروت، سنة،٢٠٠١م .

[3]صدر عن دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، سنة،١٩٩٢م .

البَاحث
٢٩ / ٦ / ٢٠٠٦م

التَمهيدُ

التَمهيد: رُؤيَة لُغويّة، اصطِلاحيَّة، نَقدِيَّة .

يستمدُّ النصُّ قَوتَه،وسلطته مِن خلال تأثيره في المتلقين لَه،ويَتأتّى ذلك مِن خِلال ارتِباط النَّص بالمورُوث الأدبي،والثقافي،والنَفسي لأولئك المتلقين،والمُتَحقّق بفِعل التَفاعل،والتَداخل بَين النّصوص السابقة واللاّحِقة عَن طَريق (الاقتباس والتضمين).

ومِمّا يُدركُهُ المُتَلقّي المتَخصِّص انتظام ألمداخلات ألنَّصِّية في خِطَبِ الإمام ، وكتبه ، وحِكمِه ، ومَواعظِه بمفرداتٍ ، وتراكيب ، وجُمل ، ونُصوص مِن القرآن الكريم ، والحَديث النَبوي الشريف ، أو مِن ألشعر ، و المَثَل ، والحِكمَة، كشَذَراتٍ لتُؤدِّي مَعانيها ألّتي ابتغاها بجانِب مَبناها ألّذي لم يكُن بِمعزَلٍ عَن سدى النَّص،ولِحمَتِه .

إنَّ الإبداعَ الفني ـ الأدبي خاصة ـ لا يَحدث بشَكلٍ مَعزولٍ،أو فردي،لكنَّه نِتاجٌ لتفاعلٍ مُمتَد لما لا يُحصى من النصوص المختزنة في ذهن المُبدِع،ويتمخَّض عن هذه النصوص حين ينشأ في ذِهن الكاتب،ويَتولّد عَنه العَمل الإبداعِي ألّذي هُوَ النَصّ[1]،غير أنَّ ظاهِرة الاستعانة بالنصوص كانت ضِمنَ دائرةِ الاتّهام في تراثنا النَّقدي الأدبي القَديم لاسيَّما في الموروث الشِّعري،وبُحِثت في باب(**السَّرقات الشَّعرية**)،واتَّضح ذلك جليّا في كتابات القاضي الجر جاني ت(٣٦٦هـ)في كتابه(**الوَساطَة بَين المُتنبي وخصُومه**).

ويُعد تمظهر النّصوص بمِعزَلٍ عَن الموروث الأدبي ابتساراً،وثلمة فِي ادبيتها، قَد لا يكون هذا في اغلب النصوص،لكنَّه ـ في الأقل ـ في عَدد غير قليل منها،والاستعانة بالنّصوص بمثابة تجلٍّ مُبهر للخزين المَعرفي للمُبدِع،والرّجوع إلى الموروث الأدبي،واستدعاؤه فِي النصِّ من أكثر الظواهر فعّاليّة في أدبيَّتِهِ،حيث يقود (**التداخل**)بين النصوص إلى تشكيلاتٍ أدبيّةٍ جَديدة،بغضِّ النظر عَن دَرجة ذلك التداخل" وكلّ نصٍّ أدبيٍّ هو حالة انبثاق عَمّا سَبقَه مِن نصوص تُماثله في جِنسِه الأدبي " [2].

لاضيرَ من الإفادة النصية،أو الإشارية،أو الدلالية للموروث الأدبي مادام ذلك يُعد الأساس – أحيانا- في انبثاق التجربة الأدبية،والإبداع يَحدث مِن تَزاوجٍ،وتداخلٍ بين المخزون،والمُبتَدَع.

والأديب يَميل إلى دَعم فكرته،أو تحسينها بما يَختزنه مِن ثقافةٍ مَورُوثةٍ،وفي التراث الأدبي العربي يأتِي القرآنُ والحديثُ النبويُّ الشريفُ في مقدَّمةِ ذلك الخَزين،فضلا عن المَوروث الشِّعري ،وما يُصاحبه مِن مَثَلٍ أو حِكمَةٍ .

إنَّ استدعاء آيةٍ،أو بعضها،أو حَديث نَبوي،أو بَعضه،أو معناهُما يختلف في تسميته عَن استدعاء الشعر،أو المَثل،أو الحِكمة،وكلا هذين النوعين يَمنَح النصَّ الإبداعي بُعداً دلاليّا لمساحةٍ أوسَع،فهو استمداد دلالي يَرفد العملية الأدبية مِن خلال التفاعل بَين المُضيف والمُستَضاف،ليُنتِجا نَصّا جديداً،ويكون ذلك بوعيٍ من المُبدِع وقَصد ، أومِن دون ذلك ،فيصبح النصُّ الجديدُ نَصّا لَه ظِلّ ، لانَّ " النصَّ الحقيقي في حاجَة الى ظِلّه بشَكلٍ لازم " [1]

ولا يكون الاستدعاءُ ـ المقصود أو غير المقصود ـ مُوفّقا وفاعلا في إثراء النصِّ مالَم يكُن مُتأتّيا بطريقة تكشف قِدرة المُبدِع على استلهام الموروث المعرفي،والتعامل مَعه،فالنظم الصحيح،والمنسُوج في سياقٍ فنيٍّ صَحيح هو الضامِن لنجاح ذلك الاستدعاء ألّذي يتَّحِد فيه القديمُ والجديدُ،عند ذلك يصبح النصّ مُورقا ،قادرا على استلهام النصِّ الغائِب،واستثماره في بنية النصِّ،فينضَح دلالةً،ويتفجَّر مَعنىً.

الاقتباسُ والتضمينُ هما البوابتان الواسعتان لِتَداخل النّصوص،وتَفاعلها،والتَّزاوج بين المخزُون والمُبتَدَع .

ولابدَّ مِن التوقف عند هذين المصطلحين بوصفهما عنوانا،ومُحوراً للبحث.

---

[1] ينظر:الخطيئة والتكفير، د.عبد الله محمد الغذامي،النادي الأدبي الثقافي،جدة،المملكة العربية السعودية، ١٩٨٥م، ص : ٩.

[2] لذة النص،رولان بارت ، ترجمة فؤاد صفاء والحسين سيحان ، دار توبقال للنشر، المغرب، ١٩٨٨م، ص:٣٥

[1] المصدر السابق،ص:٢٧

الاقتباس**لُغَةً :**

القَبَسُ:الشُّعلة مِن النار[1]،ويُقال:قَبَستُ منه ناراً،اقتبس قَبَسَا فاقبَسَني:أي أعطاني مِنه قَبَسَا،وكذلك اقبَست منه نارا،واقتَبَستُ منه عِلمَا ونارَا سَواء[2]،واقبَسَهُ:اعلَمَهُ[3].

وعند البحث عن معنى(**الاقتباس**)في مَعاجم اللُغة نَراه يَنطوي على مَعانٍ عِدّة،لا تبتعدُ كَثيرا عن معناه العام وهو طَلب القَبَس:أي الشّعلة مِن نار،ثمّ استُعِير لِطَلب العِلم،وأخذِه،فالاقتباسُ لُغَةً هو الأخذُ،والاستفادةُ،وطَلب العِلم .

الاقتباسُ اصطِلاحاً :

هو أن تُدرج كلمةٌ من القرآن،أو آيةٌ منه في الكَلام تَزيينا لنَظامِه،وتَضخِيما لشَأنِه[4]،فهو تَضمين الكلام كلمةً مِن آيةٍ أو آيةً من آياتِ كتاب الله [5]،أو مِن حَديث الرسول(ص و اله)[6]

---

(1) ينظر: الصحاح،إسماعيل بن حماد الجوهري، ت(٣٩٨) هـ، تحقيق،احمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين، ط٤ ،بيروت، ١٩٩٨م،مادة (قبس)،ج٣/٩٦.

(2) ينظر: لسان العرب،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت(٧١١) هـ، دار صادر،(د.ت)، لبنان ،مادة (قبس)،ج٦/١٦٧.
وينظر: الصحاح ،مادة(قبس)،ج٣/٩٦.

(3) ينظر: القاموس المحيط،مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ت(٨١٧) هـ،دار الفكر، بيروت،١٩٨٣م، مادة(قبس) ،ج٢/٢٣٩.

(4) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الر ازي،ت(٦٠٦)هـ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، و د. محمد بركات حمدي أبو علي ،دار الفكر للنشر، عمان ١٩٨٥م، ص: ١٤٧.
وهناك تعريفات عديدة لهذا الفن في كتب البلاغة ، والأدب .
ينظر: معجم المصطلحات البلاغية،د.أحمد مطلوب وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد،١٩٨٣م، مادة(اقتباس)،ج١/٢٧٠- ٢٧٤.

(5) ينظر: معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة ، دار الجيل، لبنان،١٩٨٧م، ص:٥١٩.

(6) ينظر: حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي،ت(٧٥٢) هـ، تحقيق اكرم عثمان موسى، دار الرشيد ، بغداد، ١٩٨٠م، ص: ٣٢٣ .
ينظر:الإيضاح في علوم البلاغة،جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القز ويني ت(٧٣٩)هـ، تحقيق د. علي بو ملحم،دار ومكتبة الهلال، ،ط٢، بيروت، ١٩٩١،ص:٣٤٢.
ينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، احمد بن علي القلقشندي، ت(٨٢١) هـ، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧،ج٢/ ٣٤٢.
ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها،مادة (اقتباس)،ج١/ ٢٧١.

وإذا كان بعضُ العلماء قَصَر الاقتباسَ على القرآن الكريم وَحدَه[٧]،فان ذلك لا يُخرج حديث رسول الله(ص واله)مِن دائرته عِند كثيرٍ غيرهم،كَما هُو بَيّن في تَعاريفِهم لهذا ألفن.

واصبح تعريفهُ اصطلاحا " تضمينُ الكلام نَثرا،أو نَظما شيئً من القرآن،أو الحديثِ النبوي الشريف " [٨]،ومِن العلماء مَن زادَ في التعريفِ السابق عبارة:(**لا عَلى انّهُ مِنه**)[٩]،أو عبارة أخرى هي:(**ولا يُنبّه عَليه لِلعِلمِ بِه**)[١].

وعُرِف هذا اللون مِن الفنون البلاغية مُنذ عهد مبكّر،ولعلّ الجاحظ ت(٢٥٥)هـ،هو أوّل مَن أشار إليه[٢]،حتّى انَّهم عابُوا الخطبة التي تَخلو مِن كلامِ الله،وسَمّوا الخالية مِنَ البسملةِ بالبَتراء[٣].

ويذهب بعضُ النقّاد إلى القَول:إنَّ الاقتباسَ يدخل في مجال النثر دون الشِّعر،لانَّ"الشاعَر لا يقتبس،بَل يَعقِد، ويُضَمّن،وامّا الناثر فَهو الذي يَقتَبس كالمُنشئ والخَطيب " [٤].

مِن زاوية أخرى نجد اختلافا آخر بين العلماء،والنُّقاد في عَملية الاقتباس،أيقتصر الاقتباسُ على (**الأخذِ**)،و(**الإفادة**)من كتاب الله،وحديث رسوله(ص واله)فقط ؟،أم يَتَعدّاهما إلى فنون أخرى ؟

هناك من وَقَف به عند هذين الفنيين،واخرون تَجاوزا به ذينك الموردين،وادخلوا الشعرَ وغيره من الفنون ضِمنَ دائرتِه[٥].

واشترط السيوطي في هذا الفن ألّا يُصَرِّح الشاعر أو الناثر بقوله:قالَ اللهُ تعالى ،ونَحوه[٦].

ويرى آخرون أن(**الاقتباس**)لا يكون بالمفردة،وإذا وَرَدت في التعريف(**كلمة**)فانَّ المُراد بها الكلام المركب،وليست مُفردة في حالتها المعجمية،إلاّ إذا كانت كلمةٌ مُميَّزةً،كأن تكون مِن الأعلامِ القرآنية، أو اسم سورة،أو حروف افتتاح السور[٧].

وجَوّز البعضُ التغييرَ الطفيفَ الّذِي قَد يُصاحب عملية الاقتباس منَ القرآن الكريم[٨].

وَعُدَّ الاقتباسُ نوعاً بَديعيّا،بوصفِه واحدا من المحسِّنات البديعية [٩]،وهناك نوعٌ من الاقتباس يُدعى (**الاقتباس التوجيهي**)وهو ما أشار فيه الشاعر – على وَجه الخصوص – إلى قاعدةٍ مَشهورةٍ من العلوم النقلية أو العقلية مِن غير القرآن،والحديث، وادخلَه البلاغيون تَحت بابِ التوجيه[١٠].

---

(7) قال صاحب كتاب(أنوار الربيع):((خص الاقتباس بالقران الكريم تميزا له عن سائر الكلام))،ج٢/ ٢٣٢.

(8) التوقيف على مهمات التعاريف،محمد عبد الروؤف المناوي،تحقيق محمد رضوان الداية،دار الفكر المعاصر، دمشق،١٤١٠ه،ج٨١/٢.

(9) ينظر:الإيضاح ،ص:٣٤٢.
ينظر:التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين القز ويني،تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، بيروت،١٩٣٢م، ص:٤٢٢.

(1) ينظر:حسن التوسل، ص : ٣٢٣.
ينظر:نهاية الإرب في معرفة الأدب ، النويري ،دار الكتب، القاهرة ،١٩٢٩م،ج١٨٢/٧.

(2) البيان والتبين،أبو عثمان بحر الجاحظ ت(٢٥٥) هـ،تحقيق عبد السلام هارون،مطبعة المدى، ط٥ ،القاهرة،١٩٨٥م، ، ج١١٨/١.

(3) ينظر:معجم المصطلحات البلاغية ، وتطورها ،مادة (اقتباس)، ج٢٧٠/١.

(4) ينظر:السرقات الأدبية ، د. بدوي طبانة، دار الثقافة ، ط٣ ، بيروت، ١٩٨٦م ، ص:١٦٥.

(5) ادخل القلقشندي، وابن الأثير الشعر في (الاقتباس) .
ينظر:صبح الأعشى، ج٢/ ٣٤٢.
ينظر:المثل السائر،ضياء الدين ابن الأثير ت(٦٢٢) هـ،تحقيق د.احمد الحوفي،ود. بدوي طبانة،دار الرفاعي ط٢ ،الرياض،١٩٨٣م،ج١٥٩/١.
وعد بعضهم الإفادة من معاني أرباب الفنون المختلفة،واهل المهن والصناعات من الاقتباس
ينظر:السرقات الأدبية، ص:١٦٦.

(6) ينظر:الإتقان في علوم القران، جلال الدين السيوطي،(٩١١) هـ ، مطبعة مصطفى الحلبي، ط٢ ، مصر، ١٩٥١م ج١/ ١١١.
وهناك من اشترط أن تكو ن العبارة المقتبسة ظاهرة مشهورة معروف صاحبها، وهذا يتعلق بالتضمين اكثر منه بالاقتباس.
ينظر:السرقات الأدبية ، ص :١٦٩.

(7) ينظر:معجم آيات الاقتباس،حكمت فرج البدري،دار الرشيد للنشر،١٩٨٠م،ص:١٠.

(8) ينظر:المكان نفسه.

(9) ينظر:المصدر السابق ، ص : ٨.

وكان للفقهاء*آراؤُهُم في(**الاقتباس**)،وتعلّق الأمرُ بهم بقدر تَعلّقه بكلام الله،ورسوله(ص واله) ويقع عندهم في ثلاثةِ أقسام هي:
(**مَقبول،ومُباح، ومَردُود**).
الأوَّل :ما كان فِي الخطَب،والمَواعظ،والعُهود،ومَدح النبي(ص واله) ونَحو ذلك،.

الثاني:ويكون في الغَزَل،والرَسائل،والقَصَص.

الثالث:وله ضربان،أحدهما ما نَسبه اللهَ إلى نفسِه،ونعوذ بالله مِمَّن نقله إلى نفسِه،والآخر تضمين آية كريمة في مَعنى هَزل لا يُحسَن ذِكرُه[1].

التَضمَينُ لُغةً :

---

[10]ينظر:المصدر السابق، ص : ٢٩.

* تناول السيوطي موضوع الاقتباس عند الفقهاء في كتابه(الإتقان في علوم القران)، وافرد له فصلا سماه (في الاقتباس وما جرى مجراه)، وتحدث عنه احمد بن محمد المعري، في كتابه(نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب)، ج/ .
ينظر: الإتقان في علوم القران ، ج١/ ١١٢.
ينظر: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب،احمد بن محمد المعري، ت(١٠٤١) هـ تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ج٥/ ٢٧١.
(١) ينظر: خزانة الأدب، تقي الدين الحموي(٨٧٣) هـ، تحقيق عصام شعيتو، دار الهلال، بيروت،١٩٨٧م، ج٤٥٥/٢.
ينظر: معجم المصطلحات البلاغية ، وتطورها،مادة (اقتباس)،ج١/ ٢٧٣.
ينظر: معجم البلاغة العربية،مادة (اقتباس)،ج٥١٩/١-٥٢٠.

ضَمَّنَ الشيءُ الشيءَ:أودعه إيّاه كما تُودع الوعاءَ المتاعَ،والميتَ القبر[1]،وكلّ شيءٍ جعلته في وعاء فقد ضَمّنته إيّاه[2]، وفَهَّمته ما تضمَّنه كتابك،أي ما اشتملَ عليه، وكان في ضِمنه[3].

ومن المجاز:ضُمّن الوعاء الشيءَ ، وضَمّنته إيّاه ، وهو في ضِمنه ، يقال:ضُمِّن القبرُ الميتَ ، وضُمِّن كتابُه وكلامُه مَعنىً حَسناً ، وهذا في ضِمن كتابه ، وفي مَضمُونه ومَضامِينه[4] .

التَضمِينُ اصطِلاحاً :

للتَضمين في الاصطِلاح مَعانٍ عَدِيدَة،تختلف باختلاف العلوم ونظرتها إليه،فهو عند عُلماء العربية إيقاعُ لَفظٍ موقع لَفظٍ غَيره،ومعاملته لتضمنه معناه،واشتمالِه عَليه، ومنها أن يكون ما بَعد الفاصِلَة مُتعَلّقاً بها[5] .

وفي عِلم العَروض هُو أن " تتعلّق قافيةُ البيتِ بما بعده على وَجه لا يستقلُّ بالإفادة " [6]،أو هو " تَعلّق معنى آخر البيت بأوّل البيت الّذي يليه" [7]،أو هو" أن يكون الفَصلُ الأول مُفتقِرا إلى الفَصل الثاني،والبيت الأول مُحتاجا إلى الأخير" [8]،وحين يُضمّن الشاعرُ شيئاً من شِعر غَيره عليه أن يُشير إن لم يُكن مَشهورا[9] .

والتضمين عند البلاغيين له تعريفات كثيرة [10] ، وهي كلها تكاد تعود إلى معنى واحد ، وهـــــو : " استعار ة كَلام الأخير وإدخالِه في الكَلام الجَديد " [11].

وبتَفصيلٍ اكثر هُو: " أن يأخُذ الشاعرُ أو الناثر آيةً ، أو حديثاً ، أو حِكمةً،أو مَثَلا ، أو شَطراً، أو بَيتاً من شِعر غَيره بلفظِه ومَعناه" [12]،أو أن يُشار في فَحوى الكلام إلى مَثَل سائِر،أو شِعر نادِرٍ،أو قصّةٍ مَشهورَةٍ،مِن غَير أن يُذكر القائِل [13].

والتَضمين كالاقتباس بَدأ يَتّضِح في الكتب البلاغية منذ عَهد مُبكر[1]،حتّى دَخَل مَفهوم التَّضمين خلال السنوات ألاخيرة في**(لَسفَة اللّغة)**،ومِن ثُمّ في**(علم اللّغة)** [2].

ممّا تقدّم نُدرك الفرقَ بين هذين المصطلحين،واختصاص كلَ منهُما بمواردٍ من مواردِ الأخذِ،وكثير من البلاغيين فَرّقوا بينهُما[3].

---

(1) ينظر:لسان العرب،مادة (ضمن)،ج١٣/ ٢٥٧.

(2) ينظر:الصحاح،مادة (ضمن)،خ٦ /٢١٥٥.

(3) ينظر:المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى، وزملاؤه، مؤسسة دار الدعوة، استنبول، ١٩٨٩م، باب(ضمن)،ج٦/ ٢١٥٥.

(4) ينظر:أساس البلاغة،جار الله عمر بن احمد الزمخشري،(٥٣٨) هـ ، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت،١٩٧٩م، (ضمن)، ص:٢٧٢.
العلمية ، بيروت،١٩٩٨، ج١ / .

(5) ينظر:المعجم الوسيط، باب،مادة(ضمن) ج١/٥٤٤.

(6) ينظر:المكان نفسه.
وذكر(ابن رشيق) مثل هذا التعريف، أو قريبا منه في(العمدة) فقال:((أن تتعلق القافية،أو لفظة مما قبلها بما بعدها))
العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ، ونقده، ابن رشيق القيرواني(٤٥٦) هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل،ط٤، بيروت، ١٩٧٢، ،،ح١/١٧١.

(7) مفتاح العلوم، أبو يعقوب بن أبى بكر علي السكاكي(ت ٦٢٦) هـ ، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٣م، ص: ٥٧٦.

(8) الصناعتين،أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥) هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،علي محمد البجاوي ، مطابع عيسى البابي، مصر،(د.ت)، ص:٢٧٣.

(9) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، الشيخ عبد الرحيم بن احمد العباسي(ت ٩٦٣) هـ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٤٧م، ج٤/ ١٥٣.

(10)ينظر:معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة(تضمين) ج٢/٢٦٢- ٢٦٤.

(11)المصدر السابق، مادة(تضمين)ج٢/٢٦٣.

(12)المعجم الوسيط،ج١/٥٤٤.

(13)نهاية الإيجاز في دراية المجاز، ص: ١٤٧. وقد أدرجه الرازي تحت باب(التلميح).

(1) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها،مادة (تضمين)،ج٢/ ٢٦٣.

(2) ينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون لا ينز، ترجمة عباس صادق عبد الوهاب، دار الشوؤن الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧م،ص: ٢٢٩.

وشَهد انفصالَ المصطلحين اضطرابٌ هو بلا شك سابق لولادة الأنواع[٤]،وكان مِن جَرَّاء ذلك الاضطراب تَداخل بين هذين المصطلحين في هذه المَساحة ،أو تِلك .

وهذان الفنّان يُراد بهما أمران هما؛ الارتقاء بلُغّة النصِّ وبنيَتهِ اللَّفظية،وتَفجير طاقته الدلالية على ألّا يَصل الأمرُ بالمبدِع إلى الحدِّ الَّذي يَجعل فيه ما اقتبسه،أو ضمَّنه طاغيا على نصِّه،ومُهيمنا عليه.

ومع ما تقدَّم لم يقف المصطلحُ القديم عائقا أمام الولوج في عملية الإبداع في الأدب الحديث،وان كان الولوج يَستدعي تَغييرا في المصطلحات ،والمسمَّيات ،حتّى عَدّ بعضُ النقاد الاقتباسَ والتضمينَ فكرتين تَحملان المَلمح القَديم للمصطلح الحديث(**التناص**)[٥]،وعُدَّ التضمينُ الصَق مِن غَيره بالتناص[٦].

و(**التناصُّ**) مُصطلح نقدي كَثُر الخوض فيه بعد دخوله الآفاق النقدية العربية،فهو أحَد مُميِّزات النصِّ الأساسية التي تُحيل إلى نصوص سابقة عليه ،أو مُعاصرة له[٧].

انَّه قراءة لنصوص سابقة،وتأويل لها،واعادة كتابتها،ومُحاورتها بطرائق عِدَّة على أن يَتضمَّن النصُّ الجديد إضافة فنّية،وجمالية إلى مُكوناته السابقة التي يتكوَّن مِنها[٨].

عَرف العربُ (**التناصَّ**) ، وأسهبوا في تحليله ، وان لم يستخدموا كلمة (**تناص**)* ، ودَرسوه عِبر

ظواهر التَعامل مع نصوص الآخرين[١]،وما يَتعلَّق بها مِن تَداخل،وتَواشج ،واقتباس،وتضمين، ولعلّ في الاستعارة ما يَمدّنا بمدخلٍ مُقنعٍ لمسألة التناص وآليَّتِه[٢].

أردنا الوقوف عند مقدار التطابق بين فَنّي (**الاقتباس**) و(**التضمين**) مِن جِهة ، و (**التناصّ**) من جهة أخرى ، سوف لن يكون الأمرُ يسيراً ، لعَدم توافر آلية دقيقة لقياس ذلك ، لاسيَّما أن هذه المفاهيم الثلاثة ، مفاهيم أدبيّة تَستعصِي على الضَبط،والقِياس ، والتَحديد " إذ تَعتمِد على ثقافة المتلقّي وسعة مَعرفته ، وقدرته على التَرجيح " [٣] .

وسيسعى الباحثُ إلى بيان العوامل،والقواسم المشتركة لغَرض التعَرّف على مِقدار التقارب بين هذه الفنون،بعدما تمّ التعرّف على معانيها،للوصول إلى إثبات أنّ(التناصَّ) هو المُسمّى الجديد لفنَّي الاقتباس،والتضمين،عند ذلك يتبيّن المسار التاريخي لهذين المُصطلحين.

---

[3] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة(حسن التضمين)ج٢/ ٤٣٨.

[4] ينظر: معجم آيات الاقتباس، ص: ٩.

[5] ينظر: التناص واشاريات العمل الأدبي، صبري حافظ، مجلة ألف،ع ٤، لسنة ١٩٨٤م، ص:٢٦-٣٠.
ينظر: الليث والخراف المهضوم،دراسة في بلاغة التناص الأدبي،د.شجاع العاني،مجلة الموقف الثقافي،ع(١٧)،لسنة ١٩٨٨م،ص:٨٩.
ينظر: التناص في شعر محمود درويش،حازم هاشم منخي،رسالة ماجستير،جامعة البصرة،كلية التربية،٢٠٠٥م ،ص:١٦.

[6] ينظر: النص والتناص، د. رجاء عيد، مجلة علامات،ع ١٨،مجلد ٥، ديسمبر،١٩٩٥م ، ص:١٧٥-٢٠٨.

[7] ينظر: تناص الشكل في الرسم الحديث، كاظم وير، مجلة الموقف الثقافي،ع ٢٩،السنة الخامسة، للعام ٢٠٠٠م، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ص : ٣٦.

[8] ينظر: المصدر السابق ،ص:٤٨.

* ذكر صاحب(تاج العروس) كلمة (تناص) بمعناها اللغوي، فقال: " تناص القوم، أي أزد حموا " ،وهذا المعنى هو المنطلق للمعنى الاصطلاحي، الذي يعني ازدحام النصوص، وتفاعلها .
ينظر:تاج العروس في جواهر القاموس،محمد مرتضى الحسيني الزبيدي،ت(١٢٠٥) هـ ، تحقيق عبد الكريم الغرباوي (د. ت)، (نصص)،ج١٨/ ١٨٢.
ينظر:التناص في شعر محمود درويش،ص:١٧.

[1] ينظر: تناص الشكل في الرسم الحديث، ص:٤٧.

[2] ينظر: المكان نفسه.

[3] تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد فتاح، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت،١٩٨٥م، ص

لقد ربط بعضُ النقادِ المحدثين بين هذه الطرائق الاسلوبية ؛ (التناص) والنقد العربي القديم[٤]حيث كان(**الاقتباسُ**) و(**التضمينُ**) يمثلان فيه مُصطلحين بلاغيَّين ناضجين،مُتذكِرين ما تمثله البلاغة من موقع في النقد الأدبي العربي القديم،سنقف عند أهمِّ القواسم والمشتركات التي نَعتقد إنَّها محاولة قَد تُقنع أنَّ(**التناصَّ**)هو مُسمّى جديد لهذين الفنَّين، وهذا لا يَعني انطباقها مَع بعضها تَطابقا كامِلًا، إذ تبقى هنالك خَصائِص ينفرد بها كلُّ نَوعٍ منها ،والغرض مِن بيان تِلكَ المُشتَركات بين المصطلحين القديمين، والمصطلح الحديث(التناص)هو بَيان انتساب فَقط ، ومَعرفة أيٍّ مِنَ المُسمَّيات الحَديثة التي قَد تَمُتُّ بصِلةٍ لِهذَين الفَنَّين.

يقوم التناصُ على(تداخل النصوص) وتفاعلِها[٥]،وان كان هذا التداخل يتَخطى كونه تداخلا فقط،ويَصل إلى التفاعل بين النصوص،إلّا انَه مع ذلك يَبدأ بالتداخل بينها، ومن خلال هذا(**التداخل**) نجد أنَّ " مختلف تِلك النصوص تَتَحول إلى إشارات داخل النصِّ الذي يتضمَّنها " [٦]،وهذا ما نجده في فَنَّي الاقتباس والتضمين

فالتفاعل والتداخل – وهما عِماد الاقتباس والتضمين- أضحَيا الركيزة الأساس في مَفهوم (**التناص**) ، وتَعريفه[١]،واصبحَ النصُّ مع غيره ، وبازدياد هذا الترابط من تَفاعلٍ ، وتَداخلٍ[٢]على طريق يُوصله إلى الأدبية ، حتّى يصِل إلى ما يُعرف بتَعالِي النص.

---

(4) التناص مع الشعر العربي، عبد الواحد لؤلؤة، مجلة أقلام، عدد:١٠، ١١، ١٢، لسنة١٩٩٤م، بغداد، ص: ٢٧.

(5) باعتبار ان التناص هو " التواجد اللغوي، سواء أكان نسبيا كامل،ا أم ناقصا لنص في نص آخر" .
ينظر: مدخل لجامع النص، جيرار جينيت، ترجمة عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص:٩٠.

(6) مشكلة التناص في النقد ألادبي المعاصر، محمد ديوان،الأقلام م،ع (٤،٥،٦)، لسنة ١٩٩٥م، ص:٤٦.

(1) ينظر:النص الغائب ،تجلّيات التناص في الشعر العربي ، محمد عزام ،دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،٢٠٠١م،ص:٤٦.

(2) نلمح هذه الحقيقة تصريحاً في كثيرٍ من التعاريف، وتَضميناً في بعضٍ منها ، فَمِن الذكر الصريح ما نجده في المصادر الآتية :
المصطلح النقدي، د.عبد السلام المسدي، مطبعة كويتب، تونس،١٩٩٤م ، ص: ١١٩.
التطبيق الصرفي، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت،١٩٧٩م،ص:٣٨.
علم النص، جوليا كرستيفا، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، المغرب،١٩٩١م ، ص: ٢١.
الخطيئة والتكفير، ص: ٣٢١.
وذُكر (التفاعلُ) و(التداخلُ) ضِمناً في بعض تعريفات التناص، وتَجلّى هذا(التضمين) في مصطلحات منها :
(حوار خطابات) كما سمَّاه (تودوروف) .
ينظر:المبدأ الحواري، تزفتيان تودوروف، ترجمة فخري صالح ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٩٢م، ص: ٨
(التحويل والتمثيل) بين عِدَّة نصوص يقوم بها نصٌّ مركزي يحتفظ بريادَة النص.
ينظر: في أصول الخطاب النقدي الجديد، مجموعة مؤلفين، ترجمة احمد المديني، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٧م، ص: ١٠٨.
أو بمصطلح (**العلاقات المترابطة**)،لانَّ التناصَّ يُمثل منظومة من العلاقات العامة المترابطة في العمل الفني، وتفعل فعلها عِبر تمحورها حَول الشَّكل الجديد.
ينظر: تناص الشكل في الرسم الحديث ، ص: ٤٩.
أو من خلال (**تَحاور النصوص**) باعتبار أنَّ النصَّ هو قراءة لنصوص سابقة، وتأويل هذه النصوص، واعادة كتابتها ومحاورتها بطرائق عِدَّة.
ينظر:الليث والخراف المهضومة، ص:٨٤.
أو بتعبير (**تقاطع عبارات**) مأخوذة من نصوص أخرى.
ينظر:تناص الشكل في الرسم الحديث ، ٤٨.
أو يتجلّى في المصطلح (تَعالق النصوص)، لانَّ التناصَّ هو" الدخول في علاقة نصوص مع نصٍّ بكيفيّات مُختلفة " .
ينظر:استراتيجية التناص ، ص:١٢١.

وقد جُمعت هذه المضامينُ والمسمياتُ في : (التبديل ، التَداخل ، الاشتراكِ ، التَأثر ، المُعارضَةِ ، الإحالةِ ، الارتِباطِ ، المُعايَشةِ)[٣].

وهذه كلها – قد - تُوصِل إلى مُرتَكَزَي (**التفاعل والتداخل**)،والكلُّ يُشير بدوره إلى مُقارباتٍ من فنَّي (الاقتباس **والتضمين**) ، لانَّهما (**تفاعلٌ**)، واشتراكُ ، وتداخلٌ بين النصوص المُستَضافَة والأخرى المُستَضِيفَة.

ثم أنّ التناصَّ لمّا كان قائِما على هذين المحورين ، فأنَّه يكون شامِلا للاقتباس والتضمين ، بوصفهما مِن مَصاديق تلك العلاقات والتداخلات بين النصوص.

وهناك مُشترك آخر،هو أنَّ أقسام هذه الفنون الثلاثة تَكاد تكون واحدة،أو متشابهة على اقلّ تقدير،مُتذكرين قبل بَيان ذلك أنَّ هذه الفنون قَد تَدخل النصَّ بقَصدٍ أو مِن غير قَصد، وهو عامل مُشترك آخر،فمثلما قُسّم(**الاقتباسُ**) إلى (**ظاهرِصريحٍ ،لفظيٍّ**) و(**خَفي،مُستتِر، مَعنوي**)،قُسّم(**التناصُّ**)إلى مِثل هذه الأقسام[١].

ويَتحقق الاشتراكُ في مَساحةٍ أخرى،هي أنَّ(**الاقتباسَ**) و(**التضمينَ**)هُما إحضار نَصّ –أو بَعض نصّ-غائب في نَصٍّ حاضر،و(**التناص**)هو(**النصُّ الغائِب**)بحَسَب قول(محمد بنيس)[٢].

وإذا كان الاقتباسُ والتضمينُ يدوران حولَ محورِ التقاطع والتبادل،والتفاعل،والتداخل بين النصوص في ما يُعرف ب(**حُسن الأخذ**)كما مرَّ في ذكر المصطلحين[٣]،فانَّ التناصَّ هو الآخر عُرفَ بأنَّه" التقاطعُ والتعديلُ المتبادل بين نصوص عائِدة إلى نصوص مُختلفة " [٤]وهذه واحدةٌ من المشتَركات بين الفنون الثلاثة.

وبالعَودِ إلى إشاريَّة(**التناص**)في ضوء أحد تعريفا تِه نجده لا يعدُ كونه إشارة مقصودة،أو غير مقصودة،والاشار ة هي" الإيماء عند المُتقدِّمين " [٥]

وفي(**اللِّسان**):" إشارة إليه باليدِ: أي أومَأ " [٦].

وكذلك الحال في التضمين فهو تَلميح واشارة إلى بيتٍ مشهور أو مَثَلٍ سائر[٧]،أو أن يُشار إلى قصَّةٍ،أو شعرٍ من غَير ذكره[٨]،وبذلك يشترك التناصُّ ويتواشج مع فَن(**التضمين**)عِبر هذه المتقاطعات المُشتركَة.

ومِن القواسم،والمشتركات،أنَّ التناصَّ يَعتمد على حقيقة لا مناص منها وهي انَّه" لن يكون قائماً بمؤلّفه،ولا ينتهي عِنده وبالتالي فانَّ النصَّ هو حصيلة عقول سابقة ينقلها المتأخرُ عَن المتقدم ،وان حاول المتأخرُ أن يُضيف شيئا على ما قدّمه السابق..." [٩]،بمعنى أنَّ الاقتباسَ يَستند إلى استِرجاعيَّة النص،أو النصوص،وكذلك الحال في(**الاقتباس**) و(**التضمين**)،فهما يُنتَجان عن عودة المُبدِع،ورجوعه إلى نتاجات مُبدعين من قَبله ويُشركهم في نُصِّه،ويجعله نابضا،حيويا بما يَحتويه مِن استحضاراتٍ مباشرة،أو غير مباشرة،مَقصودة،أو غير مقصودة،نابعة من خَزينِه المعرفي،فالعَود التاريخي " **القراءة التاريخية** " [١٠]هي التَّي تضَع النصَّ في مساحةٍ مشتركةٍ بين هذه الفنون الثلاثة،ومِن ثُمَّ يَتحقّق نَوع من التطابق

---

[3] مدارات النص المغلق(من غرابة المفردة إلى تغريب النص)،عبد العزيز إبراهيم،الموقف الثقافي،ع(٢٩) ،السنة الخامسة،دار الشوؤن،بغداد،٢٠٠٠م،ص: ٦١

[1] قسم إلى(صريح) و(ظاهر) و(خفي)،.ينظر: الليث والخراف المهضومة ، ص:٩٦- ٩٧.

[2] نظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ((مقاربة بنيوية تركيبية))، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٥م ، ص :٩٨.

[3] راجع: ص : ٤.

[4] أدونيس منتحل ، كاظم جهاد، مطبعة مد بولي، ط٢، ١٩٩٣م ، ص: ٣٤.

[5] معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة (الإشارة) ج١/ ٢٠٤.

[6] لسان العرب، مادة (**أشار**).

[7] ينظر:خزانة الأدب،ج٤٠٦/١.

[8] ينظر:الإيضاح ،ج١/ ٣٨٨، وينظر:المعجم الوسيط،ج٥٤٤/١ ،وينظر: نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز،ص:١٤٧

[9] مدارات النص المغلق((من غرابة المفردة إلى تغريب النص))، ص: ٦٢.

[10] هناك قراءات متعددة تستطيع تقديم النص للمتلقي، فهناك (**قراءة جمالية**)، وأخرى (**استرجاعية**)، وثالثة (**تاريخية**) ينظر: ما هو النقد،بول هيرفادي ، ترجمة سلامة حجاوي، دار الشوؤن الثقافية، بغداد،١٩٨٩م، ص:١٤٣.

بينها،والنصُّ- بغَض النظر عن هذه المسميات- وبواسطة العَود التاريخي يُشحَن،ويُمنح حيويةً،وديناميةً مُتجدِّدة،تجعله قادراً على التأثير في المتلقي لما يبثّه من دلالات وانطباعات مُتَجدّدة.

بهذه القواسم،والمشتركات يقترب التناصُّ في بعض جوانبه مِن فنّي(**الاقتباس والتضمين**)،أو هو صورة لهما[1] لكن بثوبٍ جديد،وهو المُسمّى الجديد لهما،وان كان هناك مَن عَدّهما آليَّة تناصّية[2].

تبقى هذه الفنون مُتفاعلات نَصّية تَتنوع بين موروث ديني،أو أدبي قديم،أو أدب معاصر حديث،وتلك المرجعيات تُمثّل المساحة المشتركة التي تلتقي فيها – بمقادير- لأغراض شتّى،فيظهَر النصُّ جرّاء ذلك نَصّا آخر تَتَباين فيه القدرةُ على الإبداع تَبعا لتغاير القدرة على الإفادةِ من النصوص المُستدعاة أوَّلا،ومقدرة الأديب على نَسج تلك النصوص في سياق مُلائمٍ جديدٍ ثانياً،فيغدو النصُّ ذا مَقدرة على الإمتاع والتأثير،أو هُما جزء من عملية التناص،لانَّه يقع في ثلاثة أقسام،ويدخل ذينك الفنيين في واحد من تلك الأقسام[3].

والخلاصة،هي أن المصطلحَ الحديث لفنَّي الاقتباس والتضمين ليسَ بَديلا عنهما،أو مُواجَهَة لهُما،إنَّما هو امتدادٌ،واستمرارٌ لهما.

وبعد الوقوف عند المعنى اللغوي ،والاصطلاحي لفنَّي (الاقتباس والتضمين)،والتعرف على مُسمّاهُما الجديد ،باتَ مِنَ الضَّروري الشروع في استعراض أنواعِهما،ووظائِفِهما،وخصائصِهما في النصوص النهجية ،مِن خطب،وكتب،ومَواعظ للإمام عليٍّ(ع).

---

(1) يعتقد بعضُ الباحثين أنّ النقاد القدماء عَبّروا عن مفهوم التناص بمصطلحات أخرى كالاقتباس والتضمين.
ينظر:التناص واشاريات العمل الأدبي، ص: ٢٦.
ينظر:الليث والخراف المهضومة، ص: ٨٩.
ينظر:التناص في شعر محمود درويش، ص: ١٦.

(2) ينظر:المصدر السابق ،ص: ٢١.

(3) هذه الأقسام هي (**المَناصَّة**) و(**المُتَناصَّة**) و(**المُتانصِّية**)، ويدخل (**الاقتباسُ والتضمينُ**) في القسمِ الثاني، وهذه الأنواع الثلاثة مُتداخلةٌ فيما بينها.
ينظر:النص الغائب، تجليات النص في الشعر العربي، ص: ٤.

البَابُ الأوَّل
الاقتِباسُ فِي نَهجِ الَبلاغَةِ

ل الـأ وَّل: أنواعه .
ألفَصلُ ألثَانِي: وظِيفَته .
ألفَصلُ ألثَالِث : خَصائِصُه .

الفَصلُ الأوَّل
أنواعُ الاقتِبَاس فِي نَهجِ البَلاغَةِ

المَبحثُ الأوَّل:أنواعُ الاقتِبَاس مِـــــــــنَ القُرآن الكَريم.
المَبحثُ الثانِي:أنواعُ الاقتِبَاس مِنَ ألحَدِيث النَّبَوي الشَّريف.

مَدخَل .

تُعد ظاهرة استدعاء النّص القرآني أو معناه من الظواهر الفنية البارزة في الساحة النهجية ، التي تُؤدي إلى تَدعيم الخطاب النهجي،وتكثيف دلالته [1]، وبغضّ النظر عن المُسمَّيات واختلافها تبقى هذه الأنواع مُنضويةً تحت مَشروعيةٍ مُتعارفٍ عليها[2]، والمُتلقي لنصوص النهج يجد نفسَه إزاء هذه الأنواع الاقتباسية التي تَتَمحور حول (استحضار) مُفردةٍ، أو تركيبٍ، أو آيةٍ، أو بعضٍ منها،أو اكثر، أو استحضار لمعانيها ، أو مَبانِيها.

إنَّ للبناء الفنِّي القرآني أثَره في كَشف مَعانيه ، وتَوضيح دلالته، ،لما له مِن أثَر في توجيه النص،والبناء القرآني اقدر النصوص للقيام بذلك ،وقد اقرَّ له فصحاء قريش لما يقوم عليه من تناسب بين

---

[1] ظهرت دراسات عديدة تتقصي أثر ألقرآن ألكريم في ألنصوص ألادبية قديما وحديثا.
ينظر على سبيل المثال:
ألاقتباس من القرآن ألكريم ، أبو منصور ألثعالبي ت (٤٢٩) هـ ، تحقيق د. ابتسام مرهون ألصفار ، بغداد ، دار ألحرية،١٩٧٥م .،
أثر القرآن ألكريم في الأدب العربي في القرن الأول الهجري ، د. ابتسام مرهون ألصفار ، بغداد ، مطبعة أليرموك ، ١٩٧٤م
أثر القرآن في الشعر ألعربي ألحديث، د. شلتاغ عبود شراد ، دار المعرفة ، دمشق ، ١٩٨٧م.
اقتباس شعراء صدر الإسلام من القرآن ألكريم ، د.سامي مكي ألعاني ، مجلة آداب ألمستنصرية،ع(٢٠-٢١)،١٩٩١م.

(١) [2] ينظر: النصوص الأدبية بين السرقة والاقتباس ، غانم محمود ، مجلة آفاق ، ع (٣)،آذار، السنة الثامنة عشر بغداد ، ص: ١٣.

المفردات وتَلازم مُوسيقي وصوتي، لذلك لا عَجَب أن نَرى عليّاً (ع) - وهو ابن القران- يَقتبس بعضاً من مُفرداته، أو تَراكيبه، أو آياتِه، أو صُورِه، أو مَعانيه، حتّى صار البناءُ ألقرآني شِكلا أدائيّا شائعاً في عباراتـه .

المبحَثُ الأوَّل : أنواعُ الاقتباس مِن القرآن الكَريم .

تَنوّعت طَرائقُ الاقتباس مِن القرآن الكريم في نصوص نَهج البَلاغة ، مِنها ما كانَ اقتباساً لمفرَدَةٍ قرآنِيَّة ٍ، أولِتَركيبٍ مِن مُفرَدَتَين أو اكثر ، أو ما كانَ اقتباساً لآيَةٍ قرآنِيَّةٍ أو بَعضٍ مِنها كَما سَيتبَيَّن وفقَ التَّقسيماتِ ، والتفريعاتِ الآتية :

أوَّلا - اقتباسُ المفرداتِ القُرآنيّة :

حَفلت نتاجات الأدباء بأنواعها بوجود الأثَر القرآني بصُوَرِه، أوتَراكِيبه، أومَعانيه،ابتغاءً لما يحمله من إفاضات دلالية، وفنيّة، لها قدرة البَث الدلالي ،والفنِّي .

ولم يكن النصُّ النهجي بَعيدا من ذلك،إذ دَخل كثيرٌ منه ضِمن دائرة(الاقتباس)القرآني سَواء أكان ذلك باقتباس المفردة،أم التركيب،فالنصُّ القرآني له حضوره،وتجلّى بمظاهر عدّة،يأتي في مقدمتها اقتباس المفردة القرآنية والتي تبدو إشارة مُركّزة لنصّ غائب قَد تَكفي المفردة لاستحضار فاعليته .

وللمفردةِ أثرُها في بنية النصِّ وقيمته الدلالية مِن جِهة؛وفي نَفس المتلقي مِن جِهةٍ أخرى، وأدرك النقادُ والبلاغيون العرب القدامى هذا الأمر، فتناوله كثيرٌ منهم في باب(الفَصاحة)[1] .

وهي أساس الصياغة الشكلية للمعاني والهيكل البنائي في العمل الأدبي، فالمعاني أفكارٌ مجرّدة تُخرجها المفرداتُ إلى عالم الوجود،وتَنتشلها من عالم المفاهيم إلى عالم المَصاديق،وليست كلّ مفردة تصلح للقيام بهذا الدور ما لَم يَتَصرف بها مبدعٌ له من القدرة والإبداع حظٌ كبير،وما لَم تُوضَع بموجب تلك القدرة في سياقها الصحيح ،فتختلق صُورا أدبية تُحقّق الإمتاع- ومن قبله الإفهام- للمتلقي،من هنا أخذت العناية بها – لاسيّما المفردة القرآنية – تزداد،وأفرزَت لها المؤلفاتُ المُتخَصِّصة[2] عند النقاد المحدثين،بعد أن كانت تُبحث في الكلام عن الفصاحة، والإعجاز،والسياق، والنَظم عند القدماء .

ولها أهميتها في النقد الغربي الحديث،حتّى أنَّ بعض النقاد الغربيين جَعلها محورا لِعِلـم الدَّلالة[3]،وأصبحت مُنطلقاً للبحث الدلالي عندهم،ويرى ناقدٌ آخر – ستيفن- انَّها أهم نواقل المعنى[4].

---

(1) لتعلّق الفصاحة بالمفردة، والبلاغة بالجملة عند كثير من البلاغيين .
ينظر مثلا: سرّ الفصاحة،ص:٤٩،المثل السائر،ج١/١٤١-١٤٩.
والبحث في الفصاحة بحث في الألفاظ،ودخلت يعدئذ فيما عرف بقضية اللفظ،والمعنى،وهي من القضايا التي عنى بها النقاد العرب ،ثم البلاغيون منذ وقت مبكر يمتد إلى العصر الجاهلي.
ينظر: علم المعاني،قصي سالم علوان، مطبعة جامعة البصرة،١٩٨٥م،ص:٥٠.
ينظر: معجم المصطلحات البلاغية،وتطورها، مادة(فصح) .

(2) توزّعت هذه الدراسات بين تاريخية، ولغوية، وفنية، ومن تلك الدراسات:
- (جمّاليات المفردة القرآنية)،د.احمد يا سوف، دار المكتبي ، ط٢، سورية، ١٩٩٩م ،
- (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني)،د.فاضل السامرائي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٠م.
- (من كنوز القران)،محمد السيد الداوودي، دار المعارف، مصر،١٣٩١ه – ١٩٧٣م.
- (في ظلال القران)، سيد قطب،دار الشروق،ط٣٥، القاهرة،١٤٢٥هـ ،٢٠٠٥م

(3) هذا ما يراه (غيرو) . ينظر: علم الدلالة، ترجمة انطوان أبو زيد،منشورات عويدات، بيروت،١٩٨٦م، ص: ٧٠

(4) ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة د. كمال محمد بشير مكتبة الشباب، ط٣، القاهرة،١٩٧٣م،ص:٤٣

إنَّ السياق الصحيح والرصف الناجح للمفردة هو الدافع لولادة دَلالاتٍ ومعانٍ جديدة،ويجعلها قادرة على مَنح إشارات دالّة، ومُحيلة إلى معانٍ مُختزلة،ولا فَضيلة للمفردات ما لَم يُحسن رصفها مع ما يجاورها من مفردات ،لذلك يرى الشيخ عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧٤،٤٧١)هـ،أنَّ الفضيلة وخلافها في ملازمة اللفظة لمعنى التي تليها[١]،إذ هناك دلالات ومعان مشتركة بين كثير من الناس،والسياق وحده هو القادر على تشخيص بَعض الدلالات دون سواها .

وذهب(راسل)برأيه بَعيدا،فهو يرى أن " الاستعمال يأتي أوَّلا، وحينئذ يَتقَطّر المعنى"[٢]،غير أنَّ السياق اللفظي– أحيانا– ليس بقادر على تَفجير الطاقة الدلالية للنص،ما لَم يكُن مَشفوعا بسياق الحال، ليكشف الضوءَ المُسلَّط عليه ، ويبدو هذا جَليّا في فَهم المُراد لكثيرٍ من الآيات من خلال معرفة أسباب النزول،التي تُعَد مِصداقا من مصاديق سياق الحال[٣]،فاللغة ظاهرة اجتماعية لا يُمكن فصلها عن المجتمع،والسياق الاجتماعي،وهي نشاط اجتماعي من حيث إنَّها استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس جميعا[٤] .

إنَّ سياق المقال،وسياق الحال بمثابة أضواءٍ تتواشج في كشف دلالات النص،إذ لا يُمكن الاعتماد دوما على المعاني المُعجمية في استنطاق المعاني المرادة للمفردات، والسياق قد لا يَقِف عند حدود كشف الدلالات ورَفدِها بَل يتعدّاها إلى المقدرة على التأثير في النفوس،بما لها من إيقاعٍ وجَرسٍ ناتجين بفضل رَصف هذه المفردات بَعضها مع بعض بنَسَقٍ فنّي .

ولكلِّ مُبدِع لغته ، ومفرداته التي تكون مُعجَمَه الخاص به ، اعتمادا على حَوزتِه لمفردات تأثر بها،ووعاها ، فشكّلت مَخزونه المعرفي ، وركيزته الثقافية وشكّل القرآنُ الكريم بمفرداتِه ، وتراكيبه ، ومعانيه أهمَّ رَكائز الإمام (ع) التي استقى منها كثيراً من المفردات ، والمعاني .

إنَّ تمثيل المفردة القرآنية ومعانيها لم يكن بمقدور جميع مَن أراد ذلك،أو مَن قَرأ القرآنَ وحفظه أنَّها عملية مُستعصية إلّا لِمَن مَلك زمام اللغة،وأحسَن استخدام أدواتها .

لقد استعان الإمام(ع)بالمفردة القرآنية– وهو القادر على التصرّف بها– لتوسيع دائرة الضوء الدلالي فيما قاله أو كتبه،فهي تَحمل إضاءاتٍ كاشفةٍ للمتلقي،لذلك عَمد إلى مُفردات بحسب حاجته إليها،

وكثيرا ما ازدانَت خطب الإمام(ع)وكتبه وحكَمَه بالمفردات القرآنية،أو بمقارباتها العائِدة في اصلِها إلى الانتماء القرآني ،مَع شيءٍ مِنَ الزيادة، أوالنقصان،أوبهما معا،أو التغيير في البنية الصرفية ،وهذا برمّته لا يَبتعد بها كثيرا عَن انتماءاتها القرآنية.

وأورد الإمام (ع) تلك المفردات ، ومقارباتها من خلال استدعاءٍ عفويّ، واستدعاء بنائي وظيفي ، فجاءت كإشاراتٍ باثّةٍ يَستشعِرها المتلقي في ظِلالٍ وارفَةٍ من الدلالات ، والمعاني .

وتَلوّنت المفردةُ القرآنية في نصوص النَّهج ، فَمِنها الأسماء ، والأفعال، وقد تَنوّع كلٌّ منهما،فمن الأسماء نَجد اسمَ الفاعل ، واسمَ المفعول ، واسمَ الزمان والمكان والصِفة ، ومن الأفعال اقتبسَ الفعلَ الماضي، والمضارع، والأمر .

من المفردات القرآنية المباشرة نجد على سبيل المثال: (وَليجَة ، مُزدَجَر ، أجَاج ،ضَغث ، أمشَاج ، ناشِئة ، نَجوى ، هارٍ ، الأجَداث ، مُوزَعُون ، مَثابَة ، لَغُوب ، نَصَب ، قَارِعَة ، الأجَل ، أطبَاق ، ذِكر، قِسط ، مُنكَر)(١).

ينظر: علم الدلالة،احمد مختار عمر،مكتبة العروبة، الكويت،١٩٨٢م، ص: ٣٣.

[1] ينظر: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤م / ص:٤٦.

[2] علم الدلالة ، ص : ٧٢ .

[3] تنّبه الزركشي (ت٧٩٤) هـ إلى أهمية السياق باعتباره اعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم.
ينظر:البرهان في علوم القران، تحقيق مصطفى عبد القادر،دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م،ج٣٦/١.
وبرز منهج تفسيري جديد يعتمد السياق في استقراء معاني النصوص القرآنية، ويعدّ(التفسير البنائي) للدكتور محمود البستاني واحدا من ابرز هذه الجهود .
ينظر:التفسير البنائي للقران الكريم، مؤسّسة الأستانة الرضوية، قم ،١٤٢٢ هـ .

[4] ينظر:المدخل الى علم الدلالة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ،١٩٨٠م ، ص:١٢٨ .

[1] ينظر: نهج البلاغة، شرح محمد عبدة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، مصر ، (د.ت).

ومن المقاربات للمفردة القرآنية التي تمركزت في بعض المفردات نجد: (السَدَنة ، ناكِس، الأجَل ، الضَلالة ، رَاكِن ، مَقمُوع ، وَبِق ، اكنَان ، الإمَامَة ، الأئمّة ، يَبُور، الاستِغفَار، وَلائِج ، الاستكبار، مَأمُوم ، راكِس ، أغلَف)[٢].

تلك التغييرات في المقاربات القرآنية لا تَبتعد بها عَن مَرجعيتِها القرآنية لانطلاقها مِن جَذر قرآني مَعروف، سرعان ما يَحظر أمام المتلقي .

قَد تتآلف بعضُ المفردات لتُعطي تركيباً من جُملةٍ أو شِبه جملة عُرِفَت بانتمائها القرآني كما في قوله(ع)في إحدى خطبه:((عالِم السِّرِّ مِن ضَمائِر المُضمرين،ونَجوَى المُتَخافِتين،وَخَواطِر رَجمِ الظُّنُون، وعُقَدِ عَزيماتِ اليَقين،ومَسارق إيمَاضِ الجُفُون، وما ضَمِنَتهُ اكنَانُ القُلُوبِ،وغَياباتُ الغُيُوبِ، وما أصغَت لاستِراقِهِ مَصَائخ الأسماع ، ومَصائِف الذَّرِّ، ومشاتِي الهَوام ،ورَجع الحَنين مِن المُولِهاتِ، وهَمس الإقدام ، ومُنفَسَح الثَّمرةِ مِن وَلائِج غُلُفِ الأكمام ، وَمُنقَمَع الوُحُوش مِن غِيرَان الجِبال، وأوديَتِها ومُختَبَأ البَعُوض بينَ سُوق الأشجار وألحِيَتِها،ومَغرَز الأوراق منَ الافنان،ومَحطّ الأمشاج من مَسارب الأصلابِ، وناشِئَةِ الغُيُوم ومُتَلاحِمِها، وَدُرُور قطر السَّحاب في مُتراكِمِها، وما تَسفِي الأعاصيرُ بذيولها وتَعفُو الأمطارُ بسُيولِها،وعَوم نَباتِ الأرض في كُثبان الرِّمال...))[٣] .

يزخر النصُّ بالمفردات القرآنية،أو المُنبَثقة عنها، وتَوزّعت فيه حتَّى غَدت من نسيجه وسُداه، ومثّلت لبنات أساسية لما تتمتّع به من قدرة على العطاء الدلالي،و قوّة الحَثّ لاستحضار المعنى عند المتلقي،ولتفرّدها ببعض المعاني المُكثّفة .

والمفردات(النَّجوى ، رَجم ، اكنان ، وغَيابَة ، استِراق ، وَلائِج ، غُلُف ، الأمشَاج ، نَاشِئة)لها مرجعيات قرآنية [١]، مفردات متوافقة الدلالة ، لأنها تشير إلى ما هو خَفي ، وغير ظاهر، استحضرها(ع) ، وجَعلها قادرةً على إثراء القيمة الفنيّة للنص .

(النَجوى) كلمة مفردة سَبَقها (مُضاف ومُضاف إليه):(عالم السِّر) ثم تلتها سلسلة من المضافات: (نَجوى المُتخافتِين ، رَجم الظنون.....) وأوحت هذه المضافات بالدقّة التي أراد الإمام(ع) بيانها بانَّ الله ليس عالما للسِّر فقط ، بَل هو عالم السرِّ في ضمائر المضمرين ، ونَجوى المُتخافِتين .....على ما في هذه المواطن من دقّة وخصوصية ، والذي عَزّز هذا الادعاء هو نَوع المُفردة المُمَهّدة لذلك: (نَجوى) من(ناجيته): أي ساورته[٢] ، وهي من(المُساورة)[٣].

وعلم الله لا يقف عند حدّ،علم بكلِّ دقائق التساور، والتخافت،وهو العالم برجم الظنون، وعَقد عزيمات اليقين،التي عَقد القلبَ عليها،وما تَسترقه الأبصارَ حين تُومض[٤]، ويعلم بما(ضَمِنَته اكنانُ القلوب) ،و(اكنان) مفردة قرآنية ، مفردها(كن)هو:(ما يُحفَظ فيه الشيء)[٥]، أو(كنان)وهو:الغطاء[٦]،أي أنَّ الله عالم بما هو مَحفوظ ، ومُغطى ، وما لم يَطّلع عليه أحد .

:خ(٧)،ج١/ ٨ ،خ(٩)،ج١/ ٥٣ ، خ(٣١)،ج١/ ٧٥ ،خ(٤٩)،ج١/ ٩٥، خ(٨٧)،ج١/ ١٩٧، خ(٨٧)،ج١/ ١٧٩،خ(١٠١)،ج١/ ٢٠١،خ(١٠٦)،ج١/ ٢١٩،خ(١٢١)،ج٢/ ٨ ، ك(١٣٠)،ج٢/ ٢٥.

[3] ينظر على سبيل المثال المصدر السابق: خ(١)ج١/ ١٩،١٨،١٣،خ(١٤٦)،ج٢/ ٤٩،خ(٣١)،ج١/ ١٧٣،٧٥، خ(٨٧)،ج١/ ١٧٨،خ (١٣٩)،ج٢/ ٣٥،خ(١٩١)،ج٢/ ٩٦.

(٣) ينظر:المصدر السابق،خ(٨٧) ،ج١/ ١٧٨- ١٨٠.

[1] ينظر : سورة الإسراء/ ٤٧، طه / ٦٢ ، الأنبياء/ ٣ ، المجادلة / ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، الكهف/ ٢٢ ، ٥٧، الإسراء/ ٤، الأنعام/ ٢٥، يوسف/ ١٠، ١٥، الحجر/ ١٨، التوبة/ ١٦/ البقرة/ ٥٥، الإنسان/ ٢، المزمل/ ٦.

[2] ينظر: مفردات ألفاظ القران،الراغب الأصفهاني(ت٤٢٥) هـ ، تحقيق صفوان عدنان داو ودي، دار القلم ، ط٣ ، دمشق ،١٩٨٣م، ص: ٧٩٢.

[3] ينظر: لسان العرب / مادة(نجا) ،

[4] ينظر: شرح نهج البلاغة،ابن أبى الحديد ت(٦٥٦) هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار الساقية،بيروت، ٢٠٠١م،ج٧/ ٢٠ .

[5] لسان العرب ،مادة (كن) ، وينظر: مفردات ألفاظ القران، ص : ٧٢٦- ٧٢٧.

و العالم بـ(غَيابات الغُيوب)،و(غَيابات)هي جمع(غَيابة)،أي قعر البئر،ومُنهبط في الأرض[٧].

الذي يتأمل هذه السلسلة من المضافات،يجد نفسه إزاء تراكيب انتظمت في(شُبه جمل) قصيرة محبوكة البناء،ومُنسجمة مع السياق ،أفلتت المفردات مِن قيدها القاموسي إلى فَضاء رَحب تَتزوَّد فيه بالمعاني الجديدة،والمتكونة بفعل هذه السياقات الجديدة.

الوَلائج:جمع وَليجة وهي مفردة قرآنية، والوليجة في اللغة لها معانٍ عدَّة:(البطانة من المشركين، بطانة الرجل ودخلاؤه ، وخاصَّته ، والدخول)[٨]وهي الدخول في مَضيق[٩]

و(غُلُف):جمع أغلف، وقلب أغلف: بين الغلفة،كأنَّه غشي بغلاف فهو لا يَعي شيئا[١٠].

هاتان اللفظتان ساهمتا في إكمال الصورة البيانية المُراد بها بيان عظيم معرفة الله،فالتزاحم اللفظي للمفردات القرآنية لم يأتِ عَبَثا،أو فَرضاً بقَدرِ ما هو استدعاء سَلِس عَفوي لوظيفة بنائية،ويزداد هنا الإدراك إذا أتممنا قراءة النص،أنها مفردات تسعى لتشكيل بنية كلية تآلفت من صور جزئية مترابطة،متتابعة،متقاربة،وهي في اغلبها من معمولات قوله(ع):(عالم السِّر) .

ومن خلال النظم المتميز والتواشج الجميل بين هذه المفردات القرآنية[١] تِتجلّى المقدرة الفنية في بناء أكثر تميزا،وفَرادة ليصُب أخيرا في فَيض من المعاني والدلالات في صور ناطقة متحركة تستحضرها تلك المفردات معها لتكون آنئذ أمام نَصّ مُكتنز الدلالة .

ومن قوله تعالى: (وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً)[٢]،اقتبس المفردة(الوَبِق) بتغير بسيط من اسم المكان إلى اسم الصِّفة،غير أنَّ هذا لا يُخرجها من كونها مفردة قرآنية لرجوعها في ذِهن المتلقي إلى أصلها القرآني،فقال(عليه السلام)في وصف النبي(ص واله):وذمّ الدنيا:((بعَثه حين لا عَلَمٌ قائم ، ولا مَنَارٌ ساطِعٌ ، ولا مَنهَجٌ واضِحٌ ، أوصيكَم عِبادَ الله بتقوى الله ، وأحَذِّرُكُم الدُّنيا فأنَّها دارُ شُخُوصٍ ، ومَحَلَّةُ تَنغيصٍ ، ساكِنُها ظاعِن ، وقاطِنُها بائِنٌ ، تَميد بأهلِها مَيَدانِ السفينة ، تَقصفُها العواصِفُ في لُجَجِ البحار، فمنهم الغَرِقُ الوبق ، ومِنهُمُ النَّاجِي عَلى بُطُون الأمواجِ ، تَحفُزُهُ الرياحُ بأذيالِها ، وتَحمَلُهُ على أهوالِها ، فَما غَرِقَ مِنها فَليسَ بمُستَدرَكٍ ، وما نَجا مِنها فإلى مَهلَكٍ...))[٣] .

---

(6) ينظر: لسان العرب، مادة (كن)، وينظر: مفردات ألفاظ القران، ص: ٧٢٧.

(7) ينظر: لسان العرب، مادة (غُلف)، وينظر: مفردات ألفاظ القران، ص: ٦١٧.

(8) ينظر: لسان العرب، مادة (ولج)، وينظر: مفردات ألفاظ القران، ص: ٨٨٢.

(9) ينظر: لسان العرب، مادة (ولج)، وينظر: مفردات ألفاظ القران، ص: ٨٨٢- ٨٨٣.

(10) ينظر: لسان العرب، مادة (غلف)، وينظر: مفردات القران، ص : ٦١٢

(1) قال تعالى:(**وَمِنْهُم مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**) . الأنعام/ ٢٥.

(2) سورة الكهف/ ٥٢.

(3) نهج البلاغة،خ(١٩١)،ج١٩٥/٢-١٩٦.

بَعث الله نبيَّه المصطفى(ص واله)حين خَلت الأرضُ مِن عَلَمٍ قائم،و مَنارٍ ساطِع،وهما استعارتان تصريحتان أراد الإمام(ع)عِبرهن أن يُعبّر عن مقدار الظلمة والضَّياع قُبَيل المَبعث النبوي الشريف،ثم ينتقل الإمام بحديثه مع المتلقين بصورة مباشرة ليُوصِيهم بتقوى الله،والحَذر من الدنيا،فأنَّها ليست بدارِ المستقر بل هي دارُ شخوص،ما دام ساكنُها ظاعن،وقاطنُها بائِن .

والمفردتان(ساكِن، ظاعِن)تمثلان ترادفا لغويا له مَغزى يفيد التوكيد وجاء بالتشبيه للدنيا وعدم استقرارها بأهلها بميدان السفينة في تشبيه بليغٍ حُذفَت فيه أداة التشبيه،ولزيادة توكيد المعنى جاء بإضافة(تعصفها العواصفُ في لُجَج البحار)،ولمّا كانت الحياة كالسفينة فالناس- بحسب أعمالهم- بين(غَرق،وبَق)أو ناجٍ على بطون الأمواج،تحفزه الرياحُ بأذيالِها،وتحمله على أهوالها،فالذي غَرق لَن يُدركه أحدٌ(فليس بمستدرك)والناجي فنجاته مؤقتة،لانَّ مصيرَه الهلاك وما دامت الدنيا بهذا الشكل، فينبغي الاستعداد لها، والحذر منها .

إنَّ تقديم هذه الصورة الحركية بأحداثها وأصواتها، وألوانها،إنّما أراد الإمام بها استحضار الخوفَ في قلب المتلقي وَحَثّه على العمل والاستعداد لدار المقام،هي صورة مُركَّبة مِن صور عِدَّة،نُسجت إحداها بالتشبيه،والأخرى بالاستعارة المكنية،وكانت المفردة القرآنية(وَبِق)مُحورا لهذه الصورة المتحركة .

والمفردة(وَبِق)بمعنى:إذا تَثبَّط فهلك،كما ذكرها(الراغب)في مفرداته القرآنية[1]، قال تعالى: (أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ)[2]،ولعلّ إيثار لفظ(وبق)على غيره من الألفاظ أنسب لمقتضى الحال،فهي لها القدرة على تركيز الدلالة في فاعلية التغير،وجعل النص أكثر فاعليّة عند المتلقي،فأصبحت بِمثابة رَمزٍ مُكثَّفٍ،مُكتنز الدلالة، والتعبير عن المعنى بأبلغ صورةٍ بيانيةٍ، لا سيّما بعد أن صحبها فنا التشبيه والاستعارة، مع فن بديعي بالمفردات (شخوص ، تنغيص) ،(ظاعن ، بائن) فشكّل سَجعا جميلا بجوار فنِّ الطباق المتحقق بالمفردات: (غارِق،ناجِي)،(غَرق، نّجا).

وللوصف نصيبٌ مِمّا اقتبس الإمام، من صفة،واسم الفاعل واسم المفعول ، واسمي المكان والزمان،سَواء أكان استحضارا مباشرا أم غير مباشر، من الصفات جاءت المفردة(بورا)التي أخذها من قوله تعالى:(..... وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً)[3]،في إحدى خطبه الوعظية لأصحابه: ((أما رأيتم الذين يُؤَمِّلون بَعِيداً، ويَبنُون مَشِيداً،ويَجمَعون كَثيراً،كيف أصبحَت بيوتُهم قُبُوراً،وما جَمَعوا بُورا ،وصارت أموالُهُم للوارثينَ ،وأزواجُهُم لقومٍ آخَرين ،لا في حَسَنَةٍ يَزيدون،ولا مِن سَيِّئَةٍ يَستَعتِبُون))[4].

إنَّ في كلامه(ع)عِظة وتذكيرا لسامعيه بمَن كانوا قبلهم ، إذ كانوا يبنون ويجمعون ، حتّى جاءهُم الموتُ بُغتة، فتركوا ما بنوه ، وفارقوا ما جَمَعوه ، فأضحت قصورُهم قبورا ، وتحوَّلت أموالُهم بُورا ، والبَوار: فَرط الكَساد[1]، وبُورا:أي هَلكى[2]، وقِيل بل هو مَصدر يُوصَف به الواحد والجمع، فيقال:رجل بور، وقَوم بور[3]،وبُورا:(خالِيَة، هالِكا ، كَساداً)[4] .

ولربما انتخب الإمام(ع)هذه المفردة دون سواها ليصف بها ما تركوه من أموال وحيوان:من خيل وابل وغنم،وهي التي كانت تشكّل مَصدر الثروة والغِنى آنذاك،من هنا ندرك دِقّة اقتباس هذه

---

(1) ينظر: لسان العرب، مادة(وبق)، وينظر: مفردات ألفاظ القران، ص : ٨٥٢.

(2) الشورى / ٣٤.

(3) الفرقان / ١٨.

ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،الميرزا حبيب الله الخوئي،المكتبة الإسلامية،ط٤،طهران،١٤٠٥هـ، ج٨/٢٩٥.

وقال تعالى :﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً ﴾. الفتح / ١٢.

(4) نهج البلاغة ، خ(١٢٨) ، ج٢/ ٢١.

(1) ينظر: مفردات ألفاظ القران ، ص: ١٥٢.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة (بور).

ينظر: منهاج لبراعة في نهج البلاغة،قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي،مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم،١٤٠٦هـ،ج٨/٢٩٥.

ينظر: منهاج البراعة ،للراوندي،ج٢/٥٣.

(3) ينظر:المصدر السابق، ص: ١٥٢.

(4) ينظر:لسان العرب، مادة (بور) .

المفردة،وأصبحت جزء من النص ،وبنائه،لا سيّما بعد أن مَهّد لها بجمل مسجوعة تَشدّ السامعَ، وتُبهره،من خلال المفردات:(بَعيدا، مَشِيدا، كَثِيرا، قُبوراً، بُوراً) ثم اتبعها بلون أخر من السَجع تَحقق بالألفاظ (وارثِين ،آخرين، يَزيدون، يَستَعتِبوُن)، وبالجناس الناقص في المفردتين(قُبُوراً، بُوراً)،ولمَّا قدَّم الإمام(ع)حديثه عن البناء أردفه بالحديث عمّا جمعوا ليُبَيِّن حال ما بنوه،ومآل ما جمعوه،فما بنوه،إنّما بنُوه قبراً لهُم،وما جمعوه إنما أصبح كساداً وتالِفا، ولو عُدنا إلى قوله تعالى:" وكنتم قوما بورا " سنجد أن اقتباس هذه المفردة كان في مَبناها وفي مَعناها الذي دلّ عليه السياق،باعتبار أنَّهم قَد ذهبوا أمواتا،وتركوا ما جمعوه خَلف ظهورهم كساداً تالفا ، لا شكَّ أنَّ تَيقُّن الإمام(ع)من معرفة المتلقي لهذه الدلالة هو الذي دعاه إلى اختيار هذه المفردة، دون سواها، وله(ع)كلام أخر في مثل هذا المعنى[٥] .

وكذلك قوله(ع):((أيُّها الناس؛استصبحُوا من شِعلَةِ مِصباحِ واعِظٍ مُتّعِظ، وامتاحُوا من صَفوِ عَينٍ قد رُوِّقَت من الكَدَر،عباد الله لا تَركِنوا إلى جَهالتِكم،ولا تَنقادوا إلى أهوائِكُم فأنَّ النّازلَ بهذا المنزل نازل بشفى جُرُفٍ هارٍ،ينفُلُ الرَّدى على ظَهره من مَوضِعٍ إلى مَوضِعٍ،لرأي يُحدِثُهُ بعد رأي يُريد أن يُلصِق ما لا يَلتَصِق،ويُقَرِّب ما لا يَتقارَب،فالله الله أن تشكو إلى مَن يُشكي شَجوَكُم،ولا يَنفُضُ برأيه ما قَد أُبرِمَ لكُم))[٦] .

يبدأ النصُّ باستعارة تصريحيه في دعوته أصحابه إلى أن يسرجوا مصابيحهم من شعلة مِصباح واعظٍ،مُتّعظ،في قوله:(استصبحوا)،إنها استعارة للمفردة(تبصّروا)بجامع التمكُّن من الاهتداء،وكذلك في قوله(ع):(مِن شعلةِ مِصباح)إشارة إلى وصاياه ومواعظه لهم التي تشبه المصباح ليتمكنوا من الرؤية الواضحة للحياة،وهكذا في(امتاحوا)أي:(تزوّدوا)مِن ينبوع معرفته الصافي من كلِّ كَدَر،إنَّها استعارات تصريحيه تصويرية مُتَجاورة ،وبإضافته(واعظٍ مُتَّعِظ)إشارة إلى كونه واعظا للناس،ومُتَّعِظا أيضا(لانَّ مَن لم يَتَّعظ في نفسه فبعيد أن يّتَّعظ به غيره،وذلك لان القبول لا يحصل منه،والأنفس تكون نافرة عنه، ويكون داخلا في حيز قوله تعالى:(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ)[١]،وهُم حينذاك يأخذون(من عين صافية)،وقوله(امتاحوا)و(عين صافية)استعارتان تصريحيتان جليتان،لذلك يجب عليهم ألا يَركنوا إلى جهالتهم، وألّا ينقادوا إلى أهوائهم،والذي يعمل ذلك إنّما يكون على(شفا جُرُفٍ هارٍ)،وسيكون كالذي يحمل الرَّدى على ظهره،أو كالسّاعي في ضَلال فلا سبيل له ولا نِصرة،انَّه تلوين صُوَري مُتكاتِف يُؤدِّي في النهاية إلى صورة مركّبة كلية .

وقوله(ع):(بشفا جُرُفٍ هارٍ)،يعود بذاكرتنا إلى قوله تعال: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين)[٢]،والشفا:الجرف[٣]، ومنه (...إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا...)[٤] .

المُعادلة الظاهرة هي أنَّ الذي يعتمد الجهالة، والهوى سيعاني،ويكابد من حِملٍ ثقيل في حياته،ويتحّمل وِزرَه بعد مَماتِه،بسبب نزوله بشفا جُرُفٍ هارٍ .

ومن المفردات التي وردت بصيغة اسم الفاعل نجد المفردة(ناكِسا)في قوله(ع):((فأعملوا والعمل يُرفَع،والتّوبة تَنفع،والدُّعاء يُسمع،والحال هادِئة،والأقلامُ جارية،وبادروا بالأعمال عُمراً ناكِساً،أو مَرضاً حابِساً،أو مَوتاً خالِساً))[٥] .

---

[5] جاء في إحدى خطبه قوله:**((وأصبحت مَساكنُ هم أجداثاً، وأموالُهم مِيراثاً،لا يعرفون مَن أتاهُ م ولا يحملُون مَن بَاهُ م،ولا يَجيبون مَن عَاهُ م)).**

ينظر:نهج البلاغة،خ(٢٢٥)ج٢/٢٥٢ .

[6] نهج البلاغة،خ(١٠١)ج١/٢٠١ .

[1] ينظر :شرح ابن أبي الحديد ،ج٢/١٣٧ .

[2] سورة التوبة/١٠٩ . ينظر:منهاج البراعة،للخوئي،ج٧/٢٤٨.

[3] ينظر :لسان العرب،مادة (شف) .

[4] سورة آل عمران/١٠٣ .

[5] نهج البلاغة،خ(٢٢٥)،ج٢/ ٢٥٠ .

الخطبة في مَقام الوعظ والإرشاد،والتذكير بالموت،والدعوة إلى العمل والتوبة، والدعاء، ما دامت هناك عافية،وفُسحة من الوقت ينبغي مُبادرة الأعمال،و عُمرا ناكسا،و(ناكسا)مفردة قرآنية تعود بنا إلى قوله تعالى:(وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ)[٦]،أوردها الأصفهاني في مفرداته وهي عنده من(النكس):وهو قلب الشيء على رأسه[٧]،والنَّكس في المَرض ان يعودَه بعد إفاقَتِه[٨] .

وننكّسه في الخلق:نقلبه إلى عكس ما كان قبله،أي: نُعيده ضَعيف الجسم والعقل كما كان أوّل مرّة ،وتعوذ الرسول(ص وآله)من أن يُردَّ إلى أرذل العمر[١] .

وعُمرا ناكسا:أي عمرا مَنكوسا،وهو مجاز مرسل علاقته الفاعلية،والمراد منه المفعولية،ويبدو انه جاء بصيغة الفاعلية للدلالية على أن الإنسان هو الذي استنفد عمره،فهو الفاعل وهذا واقع الحال .

أو مرضا حابسا،أي:مانِعا ، وقعت الاستعارة التصريحية في (حابسا) ، والجامع بين المستعار منه(حابسا) و(مانعا)هو عَدم القدرة على الفعل بإرادة ويُسر، وقد تكون استعارة مكنية ، جسَّم فيها المرض ، وأصبح كائنا بشريا محذوفا ، وهذا الكائن– المحذوف– مع بقاء إحدى خصائصه هو القادر على (الحبس) والمنع ، كذلك الموت الذي يأتي خلسة، فهو خالس ، وهذه استعارة تقبل أن تكون تصريحيه أو مكنية ، جسّمت الموت من خلال القول (خالسا) ، والمفردة (خالسا)تحمل من الدلالة ما يوحي بالقدرة على المبادرة ، والخَتل ، والمباغتة .

إن هاتين الاستعارتين أضافتا حركة واضحة،نكاد نحس بها ونراها مع شيء من التساوق الموسيقي المتحقق بالجمل القصيرة المسجوعة بأسجاع متنوعة بالمفردات(يرفع،تنفع،يسمع)،(هادئة، جارية)،(ناكسا،حابسا،خالسا) .

اسم الفاعل(راكس)،اقتبسه الإمام(ع)من قوله تعالى:(فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً)[٢]،فأورده الإمام(ع)في كتاب له إلى أهل الأمصار يقصّ فيه ما جرى بينه،وبين أصحاب صفّين،فقال:((فلما ضَرَّستنا وإيّاهُم،وَوَضَعت مخالبها فينا وفِيهم،أجابوا عند ذلك إلى الّذي دعوناهُم إليه فأجبناهم إلى ما دَعَوا،وسارعنا إلى ما طَلِبوا،حَتّى استبانَت عليهم الحجّةُ،وانقطعت منهُم المعذِرةُ،فَمِن ثَمَّ على ذلك مِنهُم فهو الذي أنقَذَه الله من الهَلَكة،ومن لجَّ وتمادى فهو الرّاكس الّذي رانَ الله على قَلبه،وصارَت دائرةُ السَّوءِ على رَأسِه))[٣]،إن وحدة الأصل بين(راكس) و(أركسهم)تسمح بمقولة الاقتباس القرآني،ولا بدَّ من تتبّع المعنى للوصول إلى المفردة لمعرفة أثرها في النص، لقد وردت في مواضع قرآنية أُخـــر [٤]،وسنجدها كانت بمَحَلِّ القِطب من الرَّحى فبعد أن دعا الإمام(ع)أصحاب صِفّين إلى جادَّة الحق،رفضوا،فجنحت الحرب،ووقدت نيرانها– كناية عن اشتدادها– ثم عَضّت بأضراسها، بعد أن وصلت بهم الحرب إلى هذا المقدار من الضّرر استجابوا لدعوته(ع)، فسارعناهم إلى ما طلبوا) ، لقد استبانت الحجّة وانقطعت المقدرة، فمن تمّ له

---

[6] يبس/٦٨ .

[7] (نكس) في لسان العرب لها معان عديدة : (قلب الشيء على رأسه،طأطأة الشيء من ذلّ،الرجل الضعيف، العود في المرض) .

ينظر :لسان العرب،مادة(نكس) .

[8] ينظر :مفردات ألفاظ القران، ص:٨٢٤ .

[1] ينظر :من كنوز القران، ص:٤٦ .

[2] سورة النساء/٨٨ .

[3] نهج البلاغة، ك (٥٨)ج٣/١٢٥ – ١٢٧ .

[4] قال تعالى :(**سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا**) . النساء/٩١ .

ذلك(فهو الذي أنقذه اللهُ من الهَلَكة)،ومَن لجّ،وتمادى فهو(الراكس):مَركوس،وهو مجاز مرسل علاقته الفاعلية،وقد يكون وروده بصيغة الفاعل للدلالة على أنهم القائمون بالفعل، باختيارهم،وإرادتهم،ولم يكونوا مرغمين ، (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[1]،فهم ظالمون،غير مظلومين،راكسون،غير مركوسين.

والرّكس: قلب الشيء على رأسه،ورَدّ أوَّلِه إلى أخره، يقال:أركَسته فَركس، وارتكَس في أمره، قال تعالى:" والله أر كسهم بما كسبوا:أي ردَّهم إلى كفرهم[2]،وهي عند(ابن عباس) بمعنى:(حَبسَهم)[3]

وازداد المعنى الدلالي للمفردة بإضافة صِفةٍ أخرى، وهي(ران) إنَّها مفردة قرآنية[4]،جاءت كناية عَن عَمى القلوب واليأس من هداها،بعد أن عَلا الرَّين قلوبَهم،أي:صار ذلك كصدأ على جلاء قلوبهم،فعَمِي عليهم معرفة الخير من الشر[5]،هم فوق ركوسهم في الباطل مَسَح اللهُ على قلوبهم، فدارت دائرة السَّوءِ على رؤوسِهم، وهذه مفردات قرآنية تشكَّلت في تركيب قرآني استحضره الإمام(ع) للتخصيص بعد أن قدّم(دائرة السوء)على(الجار والمجرور)[6] .

والمفردة(راكس)تُوحي بهول الصدمة،وعظيم الخطر،فغَدت رمزا دالّا،استطاع الإمامُ من خلالها توجيه النص،والسير به إلى المراد الدلالي المقصود ،وجَعل منها شحنة دلالية عميقة تعود بالمتلقي إلى المعاني المرتكزة في ذهنه،والسياق الذي اقترنت به.

وردت(راكس،ران)في الآيتين بالجمع؛(أركسهم،كسبوا)،(قلوبهم) في حين أوردها الإمام(ع) للمفرد،وربما في ذلك إشارة واضحة إلى معاوية،باعتباره قائد جمع صفين،والذي كان سبَباً في الحرب

من اسم المفعول اقتبس المفردة(مقموع)قوله(ع):((وبَقِي رِجالٌ غَضّ أبصارَهُم ذِكرُ المَرجِع، وأراقَ دُموعَهم خوفُ المحشر،فهُم بين شريدٍ نادٍّ،وخائفٍ مَقموعٍ،وساكِتٍ مَكعُوم،وداعٍ مُخلِص،وثَكلان مُوجَع،قد اخمَلتهُم التقيّةُ وشملَتهُم الذِلّةُ،فهُم في بَحرٍ أُجاج،أفواهُهُم ضامِرة،وقلوبُهُم قَرِحةٌ قد وَعَظُوا حتَّى مَلُّوا،وقُهِرُوا حتَّى ذَلُّوا وقُتِلُوا حتَّى قَلّوا))[1]،وهم بين شَريد،وخائِف،وساكِت- بالقوَّة – وبين داعٍ، ومُخلِص،بدرجات تُوافق قدراتهم،وعزائمهم،فالخائف منهم(مَقموع)،وهذه مفردة قرآنية كما في قوله تعالى:((وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ)[2] ، وجِيء بالمفردة(مَقموع)لوصفِ هؤلاء،و(مقموع)من(مَقمَع)وهو ما يُضرب به،ويُذلّل، لذلك يقال: قَمَعتَه فانقمع، أي كففته فكف[3]،وجاءت بمعنى الدَّليل[4]،والمقهور[5] في النص النهجي ،وهو قريب من معناها القرآني.

---

(1) سورة النحل/١١٨.

(2) ينظر: مفردات ألفاظ القران،ص :٣٦٤ .

ينظر: تفسير الثعالبي،عبد الرحمن بن محمد الثعالبي ت(٨٧٥)هـ،تحقيق د. عبد الفتاح أبو سلمة وزملاؤه،دار إحياء التراث العربي،بيروت،١٤١٨هـ،ج٢/٢٧٥.

ينظر: تفسير فتح القدير،محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت(١٢٥٠)هـ،عالم الكتب،بيروت،(د.ت)،ج١/٤٩٥.

(3) ينظر: الأعجاز البياني في القران الكريم ومسائل ابن الأزرق،د.عائشة عبد الرحمن،دار المعارف ،ط٣ مصر، ١٩٨٤م، ص:٤٧٨.

(4) قال تعالى: (**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**) المطففين/١٤ .

(5) ينظر: مفردات ألفاظ القران، ص:٣٧٣ ، وفي القاموس،الرَّين الطَبع والدَنس، ينظر:مادة (ران) .

(6) قال تعالى: (**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**) . الفتح:٦

(1) نهج البلاغة،خ(٣١)، ج١/ ٧٤- ٧٥.

(2) الحج/٢١ .

(3) ينظر:مفردات ألفاظ القران، ص:٦٨٤ .

(4) ينظر: أعلام نهج البلاغة ، علي ناصر خسرو، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والارشاد، طهران ، ج١/٦٥.

(5) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٧٢م،ج١/٢١٦.

وتحمل المفردة(مقموع) دلالة على مقدار ما لاقاه هؤلاء بسبب نِصرتهم للحق حتى الساكن منهم فهو(مكعوم) ، اضطر لذلك على الرغم منه مع ذلك نجد منهم من بقي داعيا ، مخلصا ، وآخرين ثكلوا ، والثكل يقال للمرأة حين تفقد ولدها ، وكأن هؤلاء قد فقدوا اعزّ ما يَملكون فشبههم الإمام(ع) في حزنهم بالمرأة الثكلى،فقهروا وذلّوا،حتى أصبحوا في بحرٍ من الضيم ، والقهر، أفواههم ضامرة ، وقلوبهم قرحة ، وهذا انزياحات تحمل دلالات شتّى جيء بها لبيان سوء حالهم ، وما حلّ بهم ، ومع هذا كله لم يكفُّوا ، بَل وَعَظوا حتَّى(مَلُّوا) ، وقُهروا حتَّى ذلّوا ، فكثر القتلُ فيهم حتَّى قلّ عددُهُم .

ومع كثافة المعنى نجد انسيابية لغوية من خلال الألفاظ:(مَلّوا،ذلّوا،قلّوا)جعلت النص مفتوحا أمام كل التصورات التي تستتبع هذه الصور في ذهن المتلقي،ممّا جعل المفردة(مَقموع)مُنسجمة في سياق النص هو وجود المفردات(مَكعوم،مُخلص، مُوجع) .

بجانب ما تقدّم من أسماء تطلّ علينا مفردات لأفعال قرآنية أو ما هو مشتق منها؛بسبب اللواحق، والنواقص التي حلّت في تلك الأفعال،وأصبح من العسير جدا أن نفصل بين هذه الأفعال وما تعلق بها نتيجة لتغيير أزمنتها،والضمائر التي اتصلت بها،إلاّ أن الأصل في هذه الأفعال يبقى حامِلا إشارة تعود به إلى أصله القرآني .

ومن هذه الأفعال على سبيل المثال:(سَجَد ، اصطفى، فَلق ، برأ،خَشَع ، ، ،هَدى، ابتلى، يَؤده ، بَوَّأ ، تُؤفكون ، يَجرمَنّكُم ، تَركِنوا ،قَنَط ، يَتوُب ، يَمحَق ، يُولِج ، ، أصليهم ، ذرأ، نَكَص، يَسومونَكم ، يَستفِزنّكم ، ، يبسلون ، يُوحِس ، يَعمهون ، ابتدع ، صَدَع ، ، ألحَف، أجئتَهُم ، تأوّل)[٦] .

منها قوله(ع) لابن عباس(رض)عند خروجه لقتال الناكثين في لبصرة ،لما دخل عليه (ابن عباس)(رض)،وهو يخصف نعله،فقال له:(ما قيمةُ هذه النعل؟)،فقال ابن عباس:لا قيمة لها ،فقال(ع):((والله لهيَ أحبّ إليَّ من إمرَتِكم إلّا أن أقيم حقّاً،أو أدفع باطلًا، ثم خرج فخطب الناس فقال:إنَّ الله بعث مُحمدا صلى اللهُ عليه وآله،وليس أحدٌ من العَربِ يَقرأ كِتاباً، ولا يَدَّعِي نُبُوّةً، فساق الناسَ حتَّى بَوّأهم مَحَلَّتَهُم،وبَلّغَهُم مَنجاتَهم، فاستقامت قناتُهُم واطمَأنّت صَفَاتُهم))[١] .

إذ وقع الاقتباس في الفعل (بوّأ) من القرآن الكريم ، والذي ورد في آيات عِدّة ، وبصيغ عِـــديدة[٢]، و(بَوأ): باء إلى الشيء ، يَبوء بَوء: رجع[٣]، وأباءهُ منزلا وبوَّأه إيّاه وبوّأه له ، وبوّأه فيه ، بمعنى هَيّأه له ، وأنزَلَه ومَكّن لهُ فِيه[٤] .

و(بَوّأ) من (باء) ، وهي بمعنى مساواة الأجزاء في المكان ، خلاف (النبو) ، الذي هو منافاة الأجزاء....، وبَوّأت له مكانا : سَوّيته[٥] .

فالرسول(ص وآله)بَوّأ الأمة منزلتها(فساق الناسَ حتَى بَوّأهم)وفي هذا تصوير استعاري،وفيه دلالةعلىانه(ص وآله)هاديا للأمة، حين جمعهم بعد تشتّتهم،وأمنهم بعد خوفهم، وأوصلهم مَأمنهم،حينئذ

---

[6] ينظر :نهج البلاغة،مثلا خ(١)،ج١/٥،خ(١٢٩)،ج٢/ ٢٢،خ(٨٠)،ج٢/١٤٠،خ (١،ج١/٦،خ(١)ج١/٣١، خ(١)،ج١/١٨،خ(٢٤)،ج١/٦٠،خ،(١٥١)،ج٢/٦٠،خ(١)،ج١/١٨ .

[1] المصدر السابق،خ(٣٢)،ج١/ ٧٧ .

[2] قال تعالى:**(ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صـــــدق)** يونس/٩٣ .

(وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا ....) يونس/٨٧ .

(وبوأكم في الأرض تتخذون مــن سهولها قصورا) الأعراف/٧٤ .

(وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعـد القتال)آل عمران/١٢١ .

(وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...) الحشر/٩ .

[3] ينظر :لسان العرب،مادة (بوأ) .

[4] ينظر :المصدر نفسه،

[5] ينظر :مفردات ألفاظ القران،ص: ١٥٨ .

(بوّأهم منزلتهم)،وبفضل هذه المفردة تنكشف للمتلقي محورية النص،ودلالته المركزة والمعنى العام،وهو بيان عظيم فضل على العَرب حين أرسل إليهم من أخرَجَهم من حالٍ إلى حالٍ.

وبعد أن تَبوّؤا منزلتهم ، استقامت قناتهم ، والمراد بالقناة: القوَّة والغلبة ، وهذا مجاز مرسل ، علاقته السببية ، فالقناة – الرمح – سبب للقوة ، والشدّة ، ومعنى إسناد الاستقامة إليها ، انتظام قهرهم ، ودولتهم[٦]، ويرى ابن أبى الحديد إن استقامة قناتهم " بعد أن كانت معوجّة قبل الإســـــلام "[٧] ، أو انَّها إشارة إلى اطمئنان البال ، واستقرار حالهم[٨].

وتجري عملية الاقتباس في أكثر من مفردة واحدة ، مثلما نجد في اقتباس المفردات: (أجئتم،نكصتم)في إحدى خطب الإمام(ع)التي ذمّ فيها أصحابه ، بعد نكوصهم ، وتراخيهم في الحرب((أحمَد الله على ما قَضِي مِن أمر، وقَدّر مِن فعل ، وعلى ابتلائي بكم أيَّتها الفِرقة الثَّي إذا أمَرت لم تُطِع ، وإذا دَعوتُ لم تُجِب ، وان أُمهلتُم خُضتم،وان حُوربتُم خُرتُم ، وان اجتمَعَ الناسُ على إمامٍ طعَنتُم،وان أُجئتُم إلى مشاقةٍ نَكَصتُم،لا أبا لغيركُم ما تنتظرون بنَصركم،والجهاد على حَقّكم،الموتَ أو الذلّ لكم،فوالله لئِن جاء يَومي– وَلَيَأتِيَنَّي– لَيُفَرِّقَنَّ بيني وبينكم،وأنا لكم قالٍ،وبكُم غيرُ كَثِير))[١] .

جاءت هذه المفردات في قوله تعالى: (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً)[٢]،وفي قوله تعالى:(وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[٣] .

النص في معرض بيان هؤلاء الذين ابتلى الإمام (ع) ، فهو كان يأمرهم فلا يُطيعون ، ويدعوهم فلا يجيبون ، مثلما كان يناديهم فلا يُجيبون ، ويُناجيهم فلا يأتمنون ، وإذا تركهم خاضوا في الباطل ، فشبّه الباطلَ في البحر اللجِّي العميق من خلال هذه الاستعارة المكنية ، والدالّ على مثل هذا التشبيه هو القرينة ، والخصّيصة (يخوضون)، وإذا حُوربُوا (خاروا) : أي ضعفوا ، وانكسروا[٤]،أو صاحوا كما يخور الثور[٥]، ويعود بنا هذا النص إلى قوله تعالى:(فأخرَجَ لهُم عِجلًا جَسدا لهُ خوار)[٦]

إذا كان هذا هو معناها في نص الإمام(ع)،فهي داخلة في باب المجاز المرسل علاقته (المسببية)،لأنه ذكر(المسبّب)،وأراد(السبب)وهو الخوف والإمام(ع)جاء بهذه الاستعارة ،وهذا المجاز المرسل لتفعيل المضمون الدلالي لكلامه(ع) ، وبفعل الانتخاب المقصود لهذه المفردات القرآنية اصبح النصّ يشعّ بالحياة،لأنها مفردات ناطقة،ومعبّرة،وموحية،ثم يمضي الإمام(ع)في وصفهم،أنهم إذا اجتمع الناس على إمام طعنوا فيه ، وخالفوا الجماعة،وفي هذا إشارة لما وقع له حين بيعته وان(ألجئوا)إلى الحرب نكصوا(وان أجئتم إلى مشاقة نكصتم)، والمشاقة:الحرب،وهذا مجاز مرسل علاقته المسببية أيضا،لأنه(ع) ذكر(المسبب)،وأراد (السبب) ، وهو الحرب التي من مسبباتها المشقة ، فالحرب مشاقة ، والمرء يضطر إليها كرها لا اختيارا لقوله تعالى: (كُتِبَ عليكم القتالُ وهو كرهٌ لكُم)[٧] .

والنكوص هو الإحجام من الشيء[٨]، والرجوع قهقرى[٩]، وجاءت في مواضع عديدة مـن

---

(6) ينظر:أساليب البيان في القران، سيد جعفر الحسني،مؤسسة الطباعة والنشر، ط٢،قم ١٤١٣ هـ ، ق، ص:٣٩٤ .

(7) شرح ابن أبى الحديد،ج٢/ ١٤٨.

(8) ينظر: نفحات الولاية،مكارم الشيرازي، مطبعة سليمان زادة، قم،١٤٢٦هـ،ج١٩١/٢.

(1) نهج البلاغة،خ(١٧٥)،ج١٢١/٢– ١٢٢ .

(2) مريم/٢٣ .

(3) الأنفال/٤٨ .

(4) ينظر: أعلام نهج البلاغة ، ج١٦٨/١.

(5) ينظر: شرح ابن أبي الحديد،ج٥٥/١ . وينظر: منهاج البر اعة ، للراوندي ، ج١٧٥/٢.

(6) سورة طه/٨٨ . وينظر: منهاج البراعة، للراوندي ، ج١٧٥/٢.

(7) البقرة/٢١٦ .

(8) ينظر: مفردات ألفاظ القران،ص:٨٢٤ .

(9) ينظر: التبيان في تفسير القران،أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت(٤٦٠)هـ،تحقيق احمد حبيب قصير العاملي،مطبعة الإعلام الإسلامي،قم ،١٤٠٩هـ،ج١٣٤/٥

كتاب الله[1]،كما أنها وردت في موضع أخر في نصوص النهج[2]،وفيه إشارة ودلالة إلى الارتداد .

من المعطى الدلالي للمفردة (نَكَصتم) يفهم المتلقي أن هؤلاء لم يكونوا متثاقلين فقط، بل كانوا يَحجِمون،وينقلبون على أعقابِهم ، لذلك ذمَّهم الإمام(ع)بقوله: (لا أبا لكم) ، ومضى يسأل مُوبِّخا: (ما تنتظرون بنصركم ؟ والجهاد على حقكم؟) وكأنه(ع) أراد القول أن لا احد غيركم ينصركم،أو يجاهد عن حقكم،لأنّكم أولى الناس بذلك ، فانتظمت هذه المفردات المقتبسة في عِقد دلالي، حاملة معها ظلالها المعنوية، كما وردت في كتاب الله[3]،في نَسَقٍ لفظي جميل مُنسجم،خاصة مع مثل هذه النهايات السجعية في المفردات:(خُضتُم ، خُرتُم ، طَعنتُم ، نَكصتُم) وما سبقها من مفردات أخرى (أهمِلتُم، حُوربتُم ، أجِبتُم) فأكتمل وقعها في ذهن المتلقي وسمعه .

ومن الأفعال المضارع مثلا نجد الأفعال : (يجرمَنّكم ، تَركنوا ، يُورثُها ، أصليهُم ، يَسومنّكم ، تَعثُوا ، يؤده، يستفزنَّكم ، يَمحق ، تَركنوا ، يُلامِس ، تَعمهون ، يوزَعون) .قال الإمام (ع) مقتبسا الفعل (يجرمنكم) : ((أيُّها الناس لا يجرمنّكم شَقاقِي ، ولا يستهوِيَنّكم عِصياني ولا تتراموا بالأبصار عند ما تسمعونه منّي، فوالذي فَلَق الحبَّة وبَرأ النَّسمة ، إنَّ الذي أُنبِئُكم به عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم،ما كذَب المُبلِّغ ، ولا جَهلَ السامعُ ، ولكنّي انظرُ إلى ضِلّيلٍ قَد نَعَقَ بالشام ، وفَحَصَ برايَاتِه ضَواحِي كُوفان ، فإذا فَغَرَت فاغِرَتُه ، واشتَدّت شَكيمَتُه ، وتَفْلت في الأرض وَطأتُهُ ، عَضَّت الفِتنَةُ أبنائَها بأنيابها ، وماجَت الحربُ بأمواجِها))[4].

إنَّ قوله:(لا يَجرمَنّكُم شَقاقِي)يعود بنا إلى الأصل القرآني،في قوله تعالى:(ولا يجرمنّكم شَنئآن قومٍ على ألّا تَعدِلوا)[1]،المعنى هو(لا يَحملنَّكم)[2]،أو لا يَكسِبَنّكم[3]،أو لا يَدخِلنّكم في الجُرم[4]، (ويَجرمَنّكم)

ينظر: مجمع البيان في تفسير القران ،ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت(٥٦٠)هـ،تحقيق لجنة من العلماء والمحققين،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت،١٤١٥هـ،ج٤/٤٧٨.

ينظر: الجامع لاحكام القران،أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي ت(٦٧١)هـ،دار إحياء التراث العربي،بيروت، ١٤٠٥هـ،ج٨/٢٦.

[1] قال تعالى:(**.فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**)الأنفال/٤٨ .

وقوله تعالى: (**قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ** ○) . المؤمنون:٦٦

[2] ينظر :نهج البلاغة،خ(٦٣)،ج١/١١١،ك(٣٢)،ج٣/٦٤،ك(٣٦)،ج٣/٦٧-٦٨،ك(٥٠)،ج٣/٨٩.

[3] (خرتم) جاءت بمعناها القرآني في قوله تعالى: (**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ**) لأعراف/١٤٨، للدلالة على عدم النفع،سوى هذا الضجيج الصادر عن جسد من غير روح،وقد ارتبطت في السياق القرآني بالفتنة كما في بعض التفاسير ،وهذا ما أراده الإمام(ع) .

ينظر :تفسير مجمع البيان، للطبرسي،ج٤/٣٦٠. وينظر: تفسير الجامع لاحكام القران، للقرطبي،ج٧/٢٨٥.

ينظر :تفسير القران الكريم،أبو الفداء اسماعيل بن كثير ت(٧٧٤)هـ،دار المعرفة،بيروت،(د.ت)،ج٣/١٥٩.

(أجئتم) جاءت أيضا بمعناها القرآني كما في قوله تعالى: (**فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّا**) مريم/٢٣ ، دلالة على الاضطرار،كما اضطر المخاض مريم (ع) إلى جذع النخلة (نكصتم) تدل على التراجع كما في قوله تعالى:(**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ○) أ لأنفال/٤٨، للدلالة على التراجع والتخاذل، وهذا ما أراده الإمام(ع) .

[4] نهج البلاغة،خ(٩٧)،ج١/١٩٤-١٩٥. .

[1] المائدة/٨ .

[2] ينظر :تفسيرالكشاف،الزمخشري ت(٥٣٨)هـ ، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة،بيروت،٢٠٠٢م، ص:٢٨١.

ينظر :مجمع البيان، للطبرسي،ج٣/٢٦٣.

من الجَرم،واصل الجَرم: قطع الثمرة من الشجرة، والجَرامَة: رَديء التَّمر المَجُروم ، وأجرم : صار ذا جرم نحو:أثمر وألبن،واستعير ذلك لكلِّ اكتساب مَكروه[٥]،وإذا استحضرنا المعنى القرآني،يكون معنى قوله(ع)هو:لا يَحمِلنّكم خِلافي على تَكذيبي،وهو ما أكّده(ابن أبي الحديد)بقوله: " في الكلام محذوف وتقديره " لا يَجرِمنَّكم شقاقي على أن تكذّبوني" والمفعول فضله،وحذفه كثير،نحو قوله تعالى: (والله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر)[٦] .

الإمام(ع)لما قدّم لهم هذه النصيحة،لأنه سيلقي عليهم كلاما قد يحملهم شقاقهم وخلافهم مع الإمام(ع)إلى عدم تصديقه،فهم قد اخذ ينظر بعضهم إلى بعض وكأنهم يتغامزون فيما بينهم كما اخبر الإمام(ع)في كلامه لهم،لذلك اقسَم لهم قَسما بالذي(فلق الحبَّة وبَرأ النَّسمَة)إن حديثه هذا أخذه عن الرسول(ص وآله)،الذي لا ينطق عن الهوى،إن هو إلّا وَحيٌ يُوحى .

ثم يمضي الإمام(ع)ليحدثهم عن(ضِلّيل)– وهي صيغة مبالغة للإشارة إلى كثرة ضَلالته،وإضلالِه – ظهر في الشام،ومن خلال الاستعارة قبح صورة هذا الضِلّيل حين شبَّهه بالغراب(المحذوف)على سبيل الاستعارة المكنية التي حذف فيها(المشبه به) الغراب،وبقيت إحدى لوازمه وهي(نعق)فالنعيق هو صوت الغراب، والجامع بين(الغراب)و(الضلّيل)هو الشُّؤوم،والدمار والخراب،فالغراب لا يسكن إلّا في البيوت الخربة والمنازل المهجورة الموحشة،وقد يكون الجامع بينهما هو(القُبح المعنوي)ويرى(ابن أبي الحديد) أن(نَعَقَ)هو صوت الرَّاعي بغنَمِه[٧].

(ضِلّيل)نَكرة،والمقام الذي ترد فيه هو الذي يصفها،ويجدّد معناها[٨]،وهنا أراد الإمام به(الذمّ والتحقير)،وللدلالة على انه ليس ضلّيلا..... واحدا،بل هو ضِلّيّل مُتعدِّد في كل زمان ومكان،فأعطى بذلك عمقا دلاليّا في الفكرة المقصودة،وصيغة المبالغة هنا تدلُّ على مقدار ضلالته للناس،وحين ينشر راياته– سلطانه – على كوفان،تَفغر الفاغرة،وتَشتدّ الشكيمةُ،ويثقل ظلمه على الناس،فتَّعضّ الفتنةُ هؤلاء الناس بأنيابها،وتَموجُ الحربُ بأمواجِها،وتبدو من الأيّام كلوحها،ومن الليالي كدوحها .

إنها رصف استعاري جميل، يجعل المتلقي نفسه إزاء صور متحرّكة، تمنح فيها(الفتنة) الحياة ، فتغدو قادرة على العطاء ، وقد شُفِعَت هذه الصور البيانية المجسِّمة بفنون بديعة جاورتها وأسهمت معها في إكمال المشهد الصوري المتحرك ، فالألفاظ (الأيام ، الليالي) شكلت فنّا طباقيّا والمفردات (كلوحها ، كدوحها) كونت جناسا ناقصا ، والفعل (يَجرِمَنّكُم) هو النواة التي دارت حوله تلك الفنون في بنية النص.

---

[3] ينظر:مجمع البيان، للطبرسي،ج٢٦٧/٣.
ينظر:تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي ت(٩١١)هـ،دار المعرفة، بيروت،(د.ت)،ص: ١٣٥.

[4] ينظر:مجمع البيان، للطبرسي،ج٢٩١/٣. وينظر: الجامع لاحكام القران،القرطبي،ج١١٠/٦.

[5] ينظر:مفردات ألفاظ القرآن، ص:١٩٢ . وينظر: لسان العرب،مادة (جرم) .

[6] شرح ابن أبي الحديد،ج٨١/٧ .

[7] المصدر السابق،ج١٨٠/٧ .

[8] ينظر:من بلاغة القران، د. احمد احمد بدوي،دار النهضة للطبع والنشر، ط٣، مصر،١٩٥٠م، ص :١٢٨.

ثانيا: اقتباس التراكيب القرآنية .

وقد يتعدّى الاقتباس إلى التراكيب التي تَتألف من مفردتين أو ثلاث في شبه جمل،أو في جمل اسمية،أو فعلية بسيطة،وبغض النظر عن عدد المفردات،ونوع التركيب تظل إشارات قرآنية متعارف عليها بين الناس،تسهل الإشارة إلى مرجعيتها القرآنية في كثير من الأحايين،ويجري استحضار تلك التراكيب لتوسيع دلالة النص،وتعزيزه،ومن هذه التراكيب:(أنّى يُؤفَكون ، لات حين مناص ، سبع سموات،زينة الكواكب،العَمل الصالح ، فَصلُ الخِطاب ، غَيابة الجُبّ ، مِثقال كلِّ ذرَّة ، عالِم السِّرِّ، الموعِظة الحَسِنة ، ظِلّا مَمُدود ، مَداحِر الشَّيطان ، لِباس شِعار الخَوف ، قَرارٍ مَكِين ، دائِرَة السَّوء،صِلة الرَّحم ، استَجلِب خَيله ، تَقطعُون أرحامَكم ، تَجلبَبوا السَّكينَة ، دَعا إلى الحِكمَةِ والمَوعِظة ، آتِه الوَسِيلة ، يَجلِب عَليكُم ، واجلِبَ خَيله ، كَظم الغَيظ ، انبذ إليهم ، يَبسِط يَدَه)[1].

ومن قوله تعالى:(وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً)[2] اقتبس تركيب(اجلب عليهم)بصيغ عدّة كما مرّ بنا،ومن هذه الصيغ ما جاء في قوله(ع)((أيُّها الناس إنَّا قَد أصبحنا في دَهرٍ عَنودٍ،وزَمَنٍ كَنوُد يُعَدُّ فيه المُحسِن مُسِيئاً،ويَزدادُ الظالمُ فيهِ عُتُوّا،لا نَنتفِع بما عَلِمنا،ولا نَسأل عَمّا جَهِلنا،ولا نَتَخوَّف قارِعَةٌ حتَّى تُحِلّ بنا،فالناسُ عَلى أربعةِ أصنافٍ مِنهُم مَن لا يمنعُهُم الفسادُ إلّا مَهانةُ نَفسِه،وكَلالةُ حدِّه،ونَضيضُ وفرِه،ومنهُم المُصلِت بَسيفِهِ ، والمُعلِن بِشَرّهِ،والمُجلِب بِخَيلِه،ورجِلِه،قد اشرَطَ نفسَه واوبَقَ دِينَه لحطامٍ يَنتَهزُهُ،أو مِقنَبٍ يَقودُهُ،أو مِنبَرٍ يَفرَعُه،ولَبئسَ المَتجَر أن تَرى الدّنيا لِنَفسِكَ ثَمَناً،وَمِمّا لك عِندَ اللهِ عِوَضاً))[3]، وأصل الجلب: سَوق الشيء ، ويُقال: جَلبت جَلبا، وأجلبت عليه: صِحت عليه بقهر[4]،إنها في مقام المجاز،وبهذا المعنى استحضرها الإمام(ع) في نصّه .

وخطبته في وصف هذا الدهر العَنود : الجائِر ، والزَّمن الكَنود : البَخيل [5]،و(عَنود ، كَنود) لفظتان فيهما من الدلالة ما فيهما لبيان الزمن الذي استشعره الإمام (ع) بسبب الفتن بين الناس ، وعدَّ ابن أبي الحديد المفردة ، (شديد) مفردة قرآنية[6]، فالدهر قسي عليهم حتى عُدّ المُحسِن فيه مُسِيئا ، وازداد الظالم

---

(1) ينظر:نهج البلاغة،مثلا خ(١٠٤)ج١/٢٠٨،خ(١٨٦) ج/١٦٠خ(١)ج١/١٢،خ(٢٢) ج١/٦،خ(٨)ج١/١٣٢،خ(٨٧)ج١/١٧٨،خ(٨٧)ج/١٧٨،خ(١٩١)ج١/١٨٧.

(2) الإسراء/٦٤ .

ينظر: منهاج البراعة،للخوئي،ج٤/٥٠.

(3) نهج البلاغة،خ(٣١)ج١/٧٣ .

(4) ينظر : لسان العرب،مادة (جلب)،وينظر:مفردات ألفاظ القران، ص:١٩٨ .

(5) ينظر : شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد،ج٢/١٤٠ .

(6) " قوله [ع] وزمن شديد:أي بخيل،ومنه قوله تعالى: (**وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**) أي:وانه لبخيل لأجل حب

فيه عُتوّا ، فلا ينتفع العالم آنئذ بعلمه ولا يسأل الجاهل فيه عمّا يجهل ، ولا يتخوّف الناس من قارعة حتّى تحلّ بهم،وهذا يحمل دلالة على هول ما هم فيه مِن مِحَن وشدائِد ، حتى أنّهم لا يُبالون بما سيحصل لهم لفداحة ما هم فيه ،وقوله (ع): (دَهرٌ عَنود ، وزمن كَنود)يمنح المتلقي مجازا عقليا علاقته الزمانية ، أو لغويا باعتبارهما استعارتين مكنيتين ، مُجسمتين للدهر ، والزمن ، وهما مِمّا لا يدرك .

إن النظرة المتمعنة في قول الإمام(ع):(يُعدّ فيه المحسن مُسيئا،ويزداد الظالم فيه عُتوّا)تظهر لنا تقديم(فيه)على(المحسن)،في حين لم يجر ذلك في الجملة الثانية؛إذ لم يقل الإمام(ع):(ويزداد فيه الظالم عُتوّا)، لعلّ سبب ذلك يعود – في الجملة الأولى – إلى توكيد المعنى عند المتلقي،و هو إن الحديث عن الدهر ،والزمن، لذلك تقدم الظرف(فيه)،وفي هذا نوع من تخصيص الكلام بما تقدّم .

أما في الجملة الثانية(ويزداد فيه عتوا)فأن العلّة في التأخير هي عينها في الجملة الأولى،لان الحديث عن الدهر العنود،والزمن الشديد إنّما كان بسبب ما حلَّ فيهما من ظلم ،وما جرّ ذلك من سفك للدماء ،لذا قدَّم الحديث عن الظالم،باعتباره الفاعل الرئيس في الحدث ، فهو تقديم تخصيص ، وتوكيد.

والناس في هذا الدهر أربعة أصناف فمنهم من لا يمنعه الفساد الّا مَهانة بنفسه وضعفا بقوته– المشار إليه بكلالة الحد – وقلّة في ماله– نقيض وفره - .

والصنف الأخر هو المصلت بسيفه ، والمُعلِن بشرِّه ، والمُجلِب بخيله ورجله ، وهذا من ألفاظ الكتاب العزيز،(واجلب عليهم بخيلك ورجلك)[1]،" قد اشترط نفسه ": أي هيّأها للفساد في الأرض ، واوبق دينه أي: أهلكه ، مِن اجل حطام الدين،يختلسه اختلاسا ، أو من اجل إمارة على بضعة رجال ، وقد أشار إليها الإمام(ع)بقوله : " أو مِقنبٍ يقوده "، والمِقنب: خيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، أومن اجل مِنبر يقرعه ، أي: يعلوه[2]، وهي كناية عن حبِّ السلطان ، وإذا كان الأمر كذلك فلبئس التجارة التي تكون النفس ثمنها فما عند الله عوض ((مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ...)[3] .

وحين الرجوع إلى قوله تعالى:(وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ)، نجدها خطابا مع الشيطان،وفي نصّ الإمام(ع)نجدها إشارة إلى هذا الصنف في الناس الذي اعدّ عدّته،وهيّأ نفسَه للفساد في الأرض،بعد أن اهلك دينه من اجل حطام الدنيا،فالمعنى والمخاطب أو المشار إليه تكاد تتقارب،لذا يُمكن القول إنَّها اقتباس للحال والمقال معا .

ومن التراكيب القرآنية التي جاءت بصيغة(مضاف ومضاف إليه)قوله(ع):" لباس الخوف" التي اقتبسها من قوله تعالى:(...فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ..)[4] فقال (ع) واصفا مَبعث الرسول(ص وآله)،((أرسلهُ على حين فَترةٍ منَ الرُّسل،وطول هَجعَةٍ من الأمم،وانتقاضٍ من المُبرَم،فجاءهُم بتصديق الَّذي بينَ يديه،والنور المُقتَدى به،ذلك القرآنُ فاستَنطِقوُه ولن ينطِق،ولكن أُخبركُم عنه،ألا أنَّ فيه عِلم ما يأتي،والحديث عن الماضي، ودواءَ دائِكُم ، ونَظم مابَينَكُم)،ثم يقول: فعند ذلك لا يبقى بيت مَدَرٍ،ولا وَبَر إلّا وادخله الظلمة تُرحةً، وأولجوا فيه نقمةً،فيومئذٍ لا يبقى لكُم في السماء عاذرٌ،ولا في الأرض ناصِر،أصفيتُم بالأمرَ غير أهلِه،وأوردتموه غير موردِهِ وسينتقم اللهُ مِمّن ظلم: مأكلًا بمأكل،ومَشرباً بمشرَب:مِن مَطاعِم العَلقم،ومَشارب الصَّبر المِقِر،ولباس شعارِ الخَوف ودِثارِ السَّيف،وإنّما هُم مَطايا الخطيئات،وزوامل الآثام،فأقسِم ثمَّ أقسِم لَينخُمَنَّها أمَيَّةٌ مِن بعدي كما تُلفِظُ النخامةُ ثمَّ لا تَذوقها ولا تطعم بطعمها أبداً ماكرَّ الجديدان))[1]

الخير: " المال " ،هذا في رواية:(**وزمن شديد**)،التي أوردها ابن أبى الحديد في شرحه.

شرح ابن أبي الحديد،ج١٣٩/٢ – ١٤٠ .

[1] ينظر:المصدر السابق، ج١٤٠/٢ .

ينظر:منهاج البراعة، للخوئي،ج٥٠/٤.

[2] ينظر:المصدر نفسه .

[3] النحل/٩٦ .

[4] النحل/١١٢ .

[1] نهج البلاغة،خ(١٥٣)،ج٦٩/٢ – ٧٠ .

في قوله(ع):" أرسله على حين فترة من الرسل" إشارة إلى قوله تعالى:" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ....." (٢)،والفترة هي ما بين رسولين من رسل الله،[٣]،أو انقطاع الرسالة والوحي كما يرى الشيخ التستري[٤]

وقوله(ع):(وطول هَجعَةٍ من الأمم) أي: بَعد نومه ، وغَفلة[٥]، والأمم لا تَنام إلّا من خلال الاستعارات المكنية التي تَهب الحياة لمن لا حياة له ، فالأمة هنا كائن حي– محذوف – بقرينة(هجعة) ، ويجوز أن تكون تصريحيه ، استعيرت فيها(هجعة) للمدة التي انقطعت فيها الرسل والأنبياء ، بجامع الغفلة ، وهكذا في قوله(ع): (وانتقاض من المبرم) وهي إشارة بيانية استعارية لانتقاض الشرائع – بسبب ترك العمل بها – والتي شبهها بالحبل – لقوَّته – وقد انتقض .

ينتقل بعد ذلك إلى بيان ما سيصيب الناس بعد موت رسول الله(ص وآله)ومجيء بني أمية ، إذ ستدخل الأحزانُ كلَّ بيت،في الحضر والبوادي(كلَّ مَدَرٍ أو وَبَرٍ) دلالة على انتشار الفساد في عموم ديار المسلمين ،وسيدخلون في كل بيت نقمة،إن دلالة قوله(ع) : (وأولجوا فيه نقمة) دلالة على إدخال هذه النقم عنوة في ديار المسلمين لما يُصاحِب الولوج من إكراه ، وحَشر بالقوة،وحينئذ–باستفحال ظلمهم –لن يكون للظلمة هؤلاء عاذر ولا ناصر ، إشارة إلى زوال مُلكهم ، ووَقع الاقتباسُ لألفاظ قريبة من هذه التراكيب في مواضع أخرى في نصوص النهج ، مثل(استَشعِروا الخَشيَة ، وتجلبَبوا السَّكينَة)[٦]، وفي كلا الموضعين نجد تجسيما للخوف والسكينة .

وهناك تجسيم أخر للتقوى التي جعلها لباسا[١]،وهو مأخوذ من قوله تعالى:(يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)[٢].

والأمر الجلي هو أنّ الإمام(ع)ربط لباسَ الخوفِ بالطَّعام والشراب مثلما ربطت الآية الكريمة بينهما من خلال(فأذاقها) .

---

(2) المائدة/١٩ .

(3) ينظر: منهاج البراعة، للخوئي ،ج٦/٢٦٠.

(4) ينظر:بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد تقي التستري ، دار امير كبير ، بيروت،١٩٧٨ ،ج٢/٢٧٢.

(5) ينظر: منهاج البراعة، للراوندي ،ج١/٣٧٠.

(6) ينظر :نهج البلاغة،خ(٦٣)،ج١/١١٠ .

وجاء في شرح البحراني: ((واستشعروا الخشية،وتجلببوا السكينة،استشعروا الخشية:اتخذوه شعارا وهو ما يلي الجسد من الثياب،والجلباب:الملحفة،أي:اجعلوا الخشية أُول لباس لكم،ثم أرد فوه بالسكينة،وهنا استعارتان تؤكّان على ضرورة التحلّي بالخشية،والسكينة)) . شرح ابن ميثم البحراني،ح١/٣٣٣ .

وينظر :منهاج البراعة،للخوئي،ج٥/٢٣.

(1) ينظر :نهج البلاغة ،خطبة(١٩٣)ج٢/١٩٨–١٩٩ .

(2) الأعراف/٢٦ .

ثالثا : اقتباسُ الُجملةِ القرآنية المُباشِر:

يُمثل النص القرآني المباشر مرجعية فنية،فكرية،ثقافية عند الخطيب،والشاعر،على حَدّ سواء لاسيّما في عصر صدر الإسلام،ومن أرضيته الصلبة ينطلق الناثر والشاعر للتعبير عمّا ينبغي وليرفد نصه بأدبية النص القرآني العالية،وبما يحمله من دلالات وجمالية،وتأثير في نفوس المتلقين،ليحقق لهم عنصري الإفهام والإمتاع وسُميّ الاقتباس المباشر بالاقتباس النصي،أو الحَرفي تميزا له عن الاقتباس غير المباشر الذي عُرف بالاقتباس الإشاري[1]أو الدلالي،وعُرف الأولُ بالظاهر تميزا له عن الكامن،أو هو اقتباس الصياغة تفريقا له عن اقتباس المعاني،وتارة يُدعى بالتأثر الكلي مقابلا للتأثر المعنوي، ويُدعى بالاقتباس اللفظي تفريقا له عن المعنوي[2].

لقد شهد الاقتباس تعددا يعكس صعوبة الاتفاق على مُسمَّياتِه وتنوّعت تلك المسميات عند الباحثين تَبَعا لزاوية النظر،والرؤية التي يقف عندها الباحث،وكلها تضعه في نوعين لا ثالث لهما .

اعتمد كثير من النصوص النهجية في بناء صورهِ، ومعانيهِ ظاهرةَ الاقتباس المباشر،مِمّا يؤكد أهمية استحضار النص القرآني،وأثره في النص الأدبي العربي القديم .

وإذا كان(التناص) و (التضمين) يتصلان بالنص الأدبي على وَجه الخصوص ، فأن اتصال (الاقتباس) بالنص القرآني له خصوصيته وفرادته ، وتَمظهرت تلك العلاقة بصُوَر شتّى ، كان الاقتباسُ المباشر مِن أجلى تلك الصور[3].

سنقف عند النصوص التي استضافت النص القرآني المباشر لكي نستجلي جوانبه ا، وأهميتها في بناء تلك النصوص ، إذ كثيرا ما يتعاطى الإمام(ع) في نصوصه الأخذ من النص القرآني المباشر ، فشكّلت مساحة كبيرة في بنية نصوصه توجب التوقف عندها .

هذا اللون من الاقتباس له خصوصيته ، وتميزه بوصفه يمثل مركز الاقتباس ، فبالعود إلى تعاريف النقاد ، والبلاغيين لفن الاقتباس نجدها– في كثير منها – تنطبق على هذا النوع ، وان كان بعض منها يدخل في باب الاستشهاد *.

---

[1] (الاقتباس النصّي)وهو الذي لا يغّير الشاعر أو الناثر في لفظ النص المقتبس،و(الاقتباس الإشاري)هو الذي يغّير فيه الشاعر لفظ النص وتركيبه .

ينظر: معجم آيات الاقتباس، ص: ١٢ .

[2] ينظر:المصدر نفسه،ص:١٥ .

[3] يرى صاحب كتاب (معجم آيات الاقتباس) إن الاقتباس النصي – المباشر – هو الاقتباس الحقيقي.

ينظر: المصدر نفسه، ص:١٢. .

* اشترط النقاد والبلاغيون في عملية الاقتباس بقولهم " على أن يكون منه " ،وبذلك يخرج استجلاب النص القرآني في دائرة الاقتباس حين التصريح بالقول: قال الله تعالى، اوماشابه ذلك كما في كثير من خطب الإمام،وكتبه،ومواعظه

ازدحمت به ساحة النص النهجي ، وتوزعت النصوص القرآنية بحرفيتها بين ثنايا النصوص[1] ، لتؤدي وظائفها المبتغاة .

ومن الآيات التي اقتبسها؛آية من سورة فصلت،وأخرى من سورة الأنبياء في خطبة له محذّرا من الدنيا وزخرفها: ((فَبِئسَت الدار لِمَن لم يَتّهمها ، ولم يكن فيها على وَجَلٍ منها ، فأعلَموا – وانتُم تعلمون – بأنَّكم تاركوها ، وظاعِنون عَنها ، واتّعظُوا فيها بالذين قالوا: " مَن اشدّ منّا قوّة " حُمِلوا إلى قبورِهِم فلا يُدعَون رُكبانا ، وأُنزِلُوا الأجداثَ فلا يُدعَونَ ضِيفاناً ، وجُعِل لَهُم مِن الصَّفيح أجنانٌ ، ومِن التُّراب أكفانٌ ، ومِنَ الرُّفاتِ جِيرانٌ ، فهم جِيرةٌ لا يُجِيبُون داعيا ، ولا يمنَعون ضَيماً،ولا يُبالُون مَندَبة ؛ إن جِيدُوا لم يَفرحوا وان قُحِطُوا لم يَقنِطُوا ، جميعٌ وهُم آحاد،وجِيرةٌ وهُم أبعادٌ ، مُتدانون لا يَتَزاوَرون ، وقَريبُون لا يَتقارَبُون،حُلماء قد ذَهبَت اضغانُهم ، وجُهَلاءُ قد ماتَت أحقادُهُم ، لا يُخشى فَجعَهُم،ولا يُرجى دَفعَهُم ، استَبدَلُوا بظهر الأرض بَطناً ، وبالسَّعةِ ضِيقاً ، وبالأهلِ غُربَةً ، وبالنور ظُلمةً ، فَجاؤها كَما فارَقُوها ، حُفاةً عُراةً ، قَد ظَعَنوا عنها بأعمالِهم إلى الحياةِ الدائِمةِ))[2].

يبدأ النصُّ بالذمِّ الصريح(بئس)،للدنيا،(فبئست الدار لِمَن لم يتّهمها..)أي:لِمَن اعتمد بصحتها،وإنّها مقصودة بالذات فرَكن إليها[3]،ما دام الإنسان مُفارقا لها،وقول الذين ركنوا إليها من قبل وقالوا:(مَن اشد ّمنا قوة)[4]، يثبت ذلك،فهم قد حُمِلوا إلى قبورهِم،وتركوها ،مَع مالهم مِن قوّة مَزعومة .

وقولهم هذا الذي اقتبسه الإمام (ع) بنَصّه القرآني جاء حلقة من حلقات السرد وفقرة من فقراته ، نصّ الآية يتحدث بلسان هؤلاء وهو متناسب مع قول الإمام (ع) : (واتّعظوا فيها بالذين قالوا) ، فأصبحت الآيةُ استمرارا لكلامه (ع) لا سيّما بعد قوله (ع):(فأعلموا – وانتم تعلمون-)،فالجملة الاعتراضية جاءت للتوكيد[5]،وان كان لا محلَّ لها من الإعراب[1] ،الا أنّها لا تكون إلا مُقيّدة[2]، وبمجيء الآية جزء من السرد الخبري تكون قد أضافت إضاءة داخلية لما تحمله من معنى موجز مكتنز .

الآية المقتبسة شكّلت ركيزة أساسية في نص الإمام(ع)،وأوردها كسؤال ليأتي الجواب عليه،في جمل تتراصف فيما بينها فتبني نصّا يوصل المتلقي إلى صورة نابضة بالحياة تكشف عن معان عدة،منها نبذ الدار الدنيا، والحَثّ على الاستعداد للآخرة،وان الدنيا ليست دار قرارٍ،وسرعان ما يأتي الموت،فتتبدل الأحوال،وحينئذ لا ينفع مال ولا بنون وان الدنيا لو كانت من حَقِّ أحَدٍ،لدامت لأولئك الذين هُم اشدّ قوّة،والحياة الدائمة هي الحياة الآخرة التي يرحل الناس إليها بعد موتهم،وتركهم لها .

---

(1) ينظر مثلا: سورة البقرة/٣٤، نهج البلاغة، خ(١) ج١/١٥، سورة ص/٨٠ –٨١ خ(١) ج١/١٦ ، الأنعام/٣٨،خ(١٧)،ج١/٥١،الكهف/٤٥،خ(١٠٧)،ج١/٢١٦،القصص/٢٤،خ(١٥٥)،ج٢/٧٣، البقرة/٢٤٥،خ(١٨٧)،ج٢/١٣٦،الشعراء/١٥٧،خ(١٩٦)،ج٢/٢٠٧،الحج/١١،ك(٣)،ج٣/٦، آل عمران/١٩٨،ك(٢٣)،ج٣/٢٥،هود/٨٣،ك(٢٨)،ج٣/٣٩،النحل/٩٠،ق(٢٣١)،ج٣/٢٠٤، الأعراف/٩٩،ق(٢٧٧)،ج٣/٢٤٥،الحديد/٢٣،ق(٤٣٩)،ج٣/٢٥٨.

(2) نهج البلاغة،خ(١٧٠)،ج١/ ٢١٨–٢١٩ .

(3) ينظر :شرح نهج البلاغة،ابن ميثم البحراني،ج١/٥٣٢ .

(4) فصلت/١٥ .

(5) قال ابن جني ت (٢٢٣)هـ ،متحدثا عن الجملة الاعتراضية: " وهو جار عند العرب مجرى التوكيد " . الخصائص، تحقيق:محمد علي النجار،مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة ،١٩٥٢،ج١/٣٣٥.

(1) ينظر :الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها،ابن فارس ت(٣٩٥) هـ ، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة، بيروت،١٩٦٤م،ص: ٢٤٧ .

(2) أكد ابن جني أن الاعتراض دال على فصاحة المتكلم، وقوة نفسه. ينظر :الخصائص،ج١/٣٤١ .

وفي قوله(ع)في المنافقين: ((...يَتَوصّلون إلى الطَّمع باليأس ليُقِيموا به أسواقهم ، ويُنفِقُوا به اعلاقَهم؛يقولون فَيُشبِّهُون ، وَيصِفُون فَيُوَهِّمُون، قد هَوّنوا الطريقَ ، وأضلّعوا المَضيقَ؛فهم لُمّة الشيطان ، وحُمّة النيران،" أولئك حزب الشيطان ، ألا إنَّ حِزبَ الشَّيطانِ هُمُ الخاسِرون))[٣]،اقتبس أية من سورة المجادلة: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [٤] .

من صفات المنافقين التي ذكرها الإمام(ع)أنهم(يتوصّلون إلى الطَّمع باليأس ليقيموا به أسواقهم)،أي:لتنفق سلعتهم[٥]،و(ينفقوا به اعلاقهم)،أي:سلعهم الثمينة[٦]،وهما استعارتان تصريحيتان واضحتا الدلالة،وهم (يقولون فيشبهون)،أي: يوقعون الشبه في القلوب[٧].

وقوله(ع):(ويَصِفُون فَيُوَهِّمُون)أي: يصفون الله – بالتشبيه – فَيُوَهِّمُون الناسَ،لذلك فقد هوّنوا الطريق،طريق الضلالة،و(أضلعوا المضيق)أي:مالوه وجعلوه ضَلِعاً،مُعوَجاً،أي :جعلوا المَسلك الضّيق معوجا بكلامهم،وتلبيسهم،فإذا اسلكوه أنسانا اعوجّ لاعوجاجه[٨]،بعد وصفهم بمثل هذه الصفات،لم يجد الإمام(ع)أنسب من قوله تعالى:(أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)، أنهم ليسوا حزبا للشيطان فقط،بل هم خاسرون ، لا سيّما بعد أن وصفهم بلمّة الشيطان، أي: جماعته[٩]، وبأنهم (حُمَّة النيران)،والحُمّة: السُمّ[١]،واجتماع السمّ،(المُدرَك بالتَّذوق)،والنيران(المُدرَكة باللّمس) يُوصل إلى(تَراسل الحواس)، وتَداخلها .

وعَدَّ ابن أبي الحديد(حُمّة النيران)كناية[٢]،ويرى البحراني إنها استعارة، وهي ليست واحدة من هذين الفنين،فبمجرد النظر إلى قوله(ع)، ندرك أن أصل الكلام:(هم كَلُمّة الشيطان، وكَحُمّة النيران) فيكون من السهل ان نقول انه تشبيه بليغ ،لوجود المشبه والمشبه به،فلا تكون حينئذ استعارة.

وفي خطبة له(ع)يصف فيها أهل القبور قال:((.... وكيف يكون بينَهُم تَزاوُرٌ،وقَد طَحَنَهُم بِكَلكَلِهِ البِلى،وأكلتهُم الجَنادل والثَّرى؟وكأن قَد صِرتُم إلى ما صاروا إليه، وارتهَنَكُم ذلك المضطجَع،وضَمّكم ذلك المُستودَع،فكيف بكم لو تناهت بكم الأمورُ وبُعثرت القبورُ؟ " هنالك تبلو كلّ نفس ما أسلفت"))[٣].

انظر في قوله(ع) ، ثم انظر في قوله تعالى: (هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)، يتبين كيف انه استقى كلامه من كلام الله ، والذي جاء مناسبا لمقام الحال ، والمقال ، فتجلت مقدرته(ع) في استثمار هذه الآية ، وامكانية الانتقال بها إلى تساؤلات خرجت إلى غرض مجازي ،وهو(الاستبعاد) ، فلا يَحسّ المتلقي بوعورة ذلك الانتقال من كلامه إلى الآية المباركة ،للوصول به إلى الوَعظِ غير المباشر

واورَد الاستفهامات بصحبة فنٍّ بلاغيٍّ مجازيٍ أخر،حين اسنَدَ(الطحنَ،والأكلَ)،إلى(البلى والجَنادل،والثرى)،والمعروف أن الطَّحن والبلى ليسا من خَصائص ما أُسنِد إليه في النص،لكنه(ع)جنح بالتعبير من الحقيقة إلى المجاز،فرسم صورة بيانية لها أثرها ألذهني وألنفسي ألكبيرين على المتلقي ،لما

---

(3) نهج البلاغة، ،خ(١٨٩)،ج١٩٢/٢ .

(4) المجادلة/١٩ .

(5) شرح ابن أبي الحديد،ج١٣٣/١٠ .

(6) أعلاق، جمع (علق)، وهو السلعة الثمينة، ينظر:المصدر نفسه .

(7) ينظر:المكان نفسه .

(8) ينظر:المكان نفسه .

(9) ينظر:شرح نهج البلاغة،ابن ميثم البحراني،ج٦٩/٢ .

(1) ينظر: منهاج البراعة،للراوندي،ج٢٨٥/٢.
وحمّ النيران بمعنى: معظم حرّها. ينظر: منهاج البراعة،للخوئي،ج١٧١/٢.
أو هي: إبرة العقرب،كما يرى الشيخ مغنية. ينظر: في ظلال نهج البلاغة،ج١٧٤/٣.

(2) ينظر: شرح ابن أبي الحديد،ج١٣٣/١٠ .

(3) نهج البلاغة،خ(٢٢١)،ج٢٤٧/٢ .

في المجاز من" تلوين للأفكار،وتوليد للصور،وبَعثٌ للإيحاء بما هو ملائم لطبيعة المعانـي"[٤]، وأردف هذين الاستفهامين، بآخرين أراد بهما(التهويل)،والقول: كيف بكم لو تناهت بكم الأمور؟ وبعثرت القبور؟،بعد هذا ألحشد المجازي تأتي الآية حاملة معها أفقا واسعا أمام المتلقي،ليتصور ذلك كله في جوّ من ألرّهبة ،وألخوف،وهذا ما أراده (ع).

واقتبس قوله تعالى:(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ)[٥]،في كتاب له إلى شريح بن الحارث،قاضي الإمام(ع)،لما بلغه انه اشترى دارا بثمانين دينارا، فكتب له((...اشترى هذا المُغتَرُّ بالأمل مِن هذا المُزعَج بالأجَل ، هذه الدار بالخُرُوج من عزّ القَناعَة ، والدُّخول في ذِلِّ الطّلَبِ والضَّراعَةِ، فما أدرَك هذا المشتري فيما اشتَرى مِنهُ من دَرَكٍ فعلى مُبَلبَل أجسامِ المُلُوكِ، وسالِبُ نُفُوسِ الجَبابِرة ، ومُزيلِ مُلكِ الفَراعِنَة ، مثل كِسرى ، وقَيصر، وتُبَّع وحِميَر،ومَن جَمعَ المالَ على المالِ فأكثَرَ، ومَن بَنى وَشَيَّد ، وزخرَف ، ونَجَّد ، وادَّخَرَ، واعتقد، ونظر بزَعمِه للوَلَد ؛ أشخاصُهُم جميعا إلى موقفِ العَرضِ والحِسابِ ، ومَوضع الثَّوابِ والعِقاب،إذا وقَعَ الأمرُ بِفَصل القَضاء" **وخَسِر هُنالِكَ المُبطِلُون**" شَهد على ذلك العقلُ إذا خَرَجَ مِن اسرِ الهَوَى،وسَلِمَ مِن عَلائِق الدُّنيا))[١] .

في جَوٍّ من الرهبة والتذكير يطلق الإمام(ع) كلماته منسابة للتذكير بما اعترى ملوك الأمم السابقة بفعل الموت، مع مالهم من عِزّ وشوكة،ليقف بسامعيه عند موضع الثواب والعقاب في يوم الحساب.

إنها نقلة من الماضي البعيد إلى المستقبل الموعود،ليقف المخاطب المخصوص آنئذ(شريح بن الحارث)وكل المتلقين للنص عند حقيقة مفادها أن التحصيل الحقيقي،والمُلك المضمون هو ما سنلقاه أمامنا،وما نملكه في الدنيا فانه إلى زوال،وان لم يكن كذلك فنحن الزائلون،فلا ينفع ما بنيناه،وما شيّدناه،وزخرفناه،ومن ظنَّ عكس ذلك،سيكون من الخاسرين(وخسر هنالك المبطلون) فمن المناسب قوله(ع):(أين مَن سَعى وأجتَهَد،وجَمَع ، وعَدَّد وزَخرَفَ وبَنَى وشَيَّد) فأتبَعَ كلَّ لفظةٍ ما يُشاكلها .

جاءت الآية الكريمة في موقعها،ولولا ذكرها لبقي الكلام ناقصا ومثلوما وأوصلت السامع إلى ساحة الاعتبار،والتفكر،وجعلته على مشارف نجدين،كلاهما يدعوه ألّا يكون من الخاسرين .

وفي اسم الإشارة(هنالك)إحالة إلى المكان البعيد للدلالة على البعد الزماني الناتج من الإشارة إلى البعد المكاني،لان الكلام عن يوم القيامة .

ولمّا كان الإمام(ع)في مقام الدعوة إلى التذكير،والتقريع،والترهيب،لزم استحضار آية تزيد من هذا كله،فكانت شديدة الوقع على النفس،لا يرادها بصورة مفاجئة،فادّت غَرَضَها

وأورد قوله تعالى:(... ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)[٢]في قوله (ع) لمن سأله" أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟ فقال(ع):((ويحك!لعلّك ظَنَنتَ قَضاءً لازماً وقَدَراً حاتماً، ولو كان ذلك كذلك لبطُلَ الثوابُ،والعقاب،وسقَطَ الوَعدُ والوَعِيد،إنَّ الله سبحانه أمَر عِبادَه تَخييرا ونَهاهُم تَحذيراً،وكَلَّف يسيراً،ولم يُكلّف عَسيراً،وأعطى على القَليل كَثيراً،ولم يُعصَ مَغلوباً،ولم يُطع مُكرَهاً،ولم يُرسِل الأنبياء لَعِباً،ولم يُنزِل الكتابَ للعبادِ عَبَثاً،ولا خَلَق السمواتِ والأرضَ وما بينهما باطلا و" **ذلك ظَنُّ الَّذين كَفَرُوا،فويلٌ للَّذين كَفَرُوا مِنَ النَّار**"))[٣].

ظنّ السائلُ أنَّ الإنسان مسير،فسأل:أكان مسيرنا إلى الشام بقضاءٍ من الله وقَدَر؟فعلم الإمام(ع)بذلك ، وبهذا الظنّ والاعتقاد يبطل الثواب والعقاب ويسقط الوعد والوعيد،ولأصبح أمر الله لعباده لَهوا وعَبَثا ، وإرسال الأنبياء والرسل لَعِبَا ، وعبادة الناس إكراها ، وعصيانهم غلبة لله سبحانه

من هنا يبدأ الإمام(ع)بقوله للسائل:(ويحك)ويختمه بالآية المباركة التي بها نمت دلالة النص عند نقطة التماس بالنص القرآني،وتغدو هناك صلة عضوية بينهما تدفع بنص الإمام(ع)إلى ساحة الفهم

---

[4] المجاز وأثره في الدرس اللغوي،ص:١٤٣ .

[5] غافر/٧٨ .

[1] نهج البلاغة، ك (٣)،ج ٣ / ٦ .

[2] ص/٢٧ .

[3] نهج البلاغة،ق (٧٨)ج٣/ ١٦٧ .

ومن الناحية النفسية نجح النصُّ في دحض ذلك الاعتقاد ، حين نَفَّرَ من اعتقاد ذلك[١].

وقد يقتبس الإمام(ع)آيتين في قول قصير لإحساسه أن القول يستدعي ذلك،كما في إحدى حكمه:((لا تامنن على خير هذه الأمة عذاب الله لقوله تعالى: " فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ "،ولاتياسن لشر هذه الأمة من روح الله لقوله تعالى:" إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ "))[٢].

على الرغم من قصر النصّ فَأَنَّهُ احتَوى اقتباسَين قرآنيين جاء بهما(ع)كوسيلتين من وسائل الإقناع للسامع،لاتأمننّ على خير هذه الأمة عذاب الله بدليل قوله تعالى في ألآية الأولى[٣]،وبالمقابل لا تيأسن هذه الأمة من روح الله بدليل قوله تعالى في الآية الثانية[٤].

إنها معادلة عقائدية يراد بها الإقناع بالدليل العقلي،والنقلي بالنص القرآني الواضح والصريح،لذا ندرك أهمية اقتباس هاتين الآيتين،فالمقتبس القرآني شكل محور النص ومرتكزه الأساس، وأمكن الوصول إلى معنى كلامه (ع)بهما.

قال(ع)في موضع آخر من النهج:((الزهد كله بين كلمتين من القران،قال سبحانه:" لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ "،ومن لم يأس على الماضي،ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد بطرفيه))[٥]،حدّدت الآية طرفي الزهد،وجعلته بين كلمتين،لاتاسوا،ولا تفرحوا على شيء فات،أو أتى، كن بين هاتين الكلمتين تكن من الزاهدين،ومن أراد الزهد فليمسك بطرفيه المحددين بالآية المباركة التي أصبحت روح النص .

إن اقتباس النص لم يتأت بسبب الإيجاز فقط، بقدرما تحمله من دلالات لتضع بصمات الشحن الاستدلالي في النص، والأمران المذكوران في الآية غايتان في الزهد والإعراض عن الدنيا في قوة خاصة تلزم الزهد،ونبه عليها لتعريفه بها[٦]

رابعاً : اقتباسُ الجملةِ القرآنيّةِ غير المباشر(القريب) :

لا يقتصر الاقتباسُ القرآني على الأخذ المباشر فقط،إنّما امتدَّ ليشمل نوعاً أخر،يُدرَك من خلال وجود النص القرآني في التشكيل البياني للنصوص،وقد يبتعد قليلا،فَيَدخل مَساحة الاقتباس غير المباشر البعيد،وكلاهما يُعَدُّ اقتباسا غير مباشر للقران الكريم،وهما بحاجة إلى تأمّل ومعاودة للكشف عنه،وقد يحتاج إلى قراءة أو أكثر– في النوع الأول– أو إلى قراءة تسندها ثقافة قرآنية تُعِين المتلقي على الرجوع إلى النصوص القرآنية التي تحمل المعاني المقتبسة كما في النوع الثاني.

من الصعوبة بمكان أن يحدّد المتلقي المواضع التي جرى فيها الاقتباس القرآني غير المباشر لا سيما في النوع الثاني ،والبلاغيون بإجازتهم للنقل والتغير بالنص المقتبس ادخلوا هذا النوع في الاقتباس[١]،وهذا ما أجازه كثير من البلاغيين والنقاد[٢].

ويرى بعض النقاد انه لا يدخل في باب الاقتباس،إذ على الناقل أن يكون أمينا بالحفاظ على النص ولا بأس بعدئذ بما لم يكُن قَصَد به الاقتباس[٣].

---

(1) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني،ج٢/٥٢١ .

(2) نهج البلاغة، ق(٤٣٩)،ج٣/٤٥.

(3) الأعراف/ ٩٧- ٩٩.

(4) يوسف/ ٨٧.

(5) نهج البلاغة، ق(٤٣٩)،ج٣ /٢٥٨.

(6) شرح ابن ميثم البحراني،ج٢/٦٣٨.

(1) ينظر :معجم آيات الاقتباس،ص:١٥ .

(2) ينظر :المثل السائر ، ج١/١٦١-٢٠٢ ،٢٢٢ ، تحرير التحبير ، ص :١٤٠، خزانة الأدب ، ج٢/٤٥٦ .

(3) هذا ما يراه الباحث (حكمت فرج البدري) في كتابه (معجم آيات الاقتباس)ذلك هو يُ خرج كتاب أبي منصور الثعالبي– (ألاقتباس من القرآن ألكريم)الضخم ،إ لّا أبيات لا تخرج عن أصابع اليد الواحدة – مِمّا هو اقتباس في نظره ، لأنّها اقتباساتٌ غير مباشرة فألف كتابَه المَذكور، وجمع فيه الاقتباسات المباشرة(ألنصية) للنص القرآني في

إنَ التعاملَ مع النص القرآني هنا يكون بمعزَلٍ عن التداخل البنائي مع النص،ويصبح اختلاطا معنويا في بعض جوانبه .

ونستطيع أن نزعم إن هذا النوع من الاقتباس هو الاقتباس الحقيقي لان الاقتباس يشترط بـه أن " يراد به غير القران" وُفقَ مُقتَضياتِه وضروریاته .

إنَّ الإمامَ(ع)حين يترك النصَّ دون الإشارة إلى الآية المقتبسة،يفترض أن المتلقي يدرك جميع تلك الإشارات،والتضمينات القرآنية،وهو فرض له ما يُعضّده،باعتبار أن المتلقي آنذاك كان قريب عهد من كتاب الله،و من المفترض أن توجد معرفة تستوعب التراث القرآني في صدور المسلمين .

يمتلك النصُّ– عادة باعتباره ظاهرة أدبية – طاقةً داخليةً كامنةً لإنتاج دلالةٍ ما، ولكلِّ أديب قدرته على استخراج هذه الطاقة،وبَثّها لتَشعّ منه الدلالات المتعددة، والاستعانة بالنصِّ القرآني غير المباشر القريب واحدة من اوجه إظهار طاقة النص .

اقتبس الإمام(ع)قوله تعالى:(وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْأِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ)[1]،وقوله تعالى:(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً)[2]،وقولـه تعالى: (قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) [3]، و: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[4]،و: (وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً)[5]،بصورة غير مباشرة في خطبة طويلة له(ع) يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض،وخلق آدم(ع) فقال:((الحمدُ لله الذَّي لا يَبلُغ مِدحَتَه القائلون،ولا يُحصِي نِعماءَه العادُّون،ولا يُؤدّي حَقّه المُجتَهدون؛الذي لا يُدرِكُه بُعد الهِمَم،ولا يَنالُهُ غَوصُ الفِطَن الذَّي ليس لِصِفَتِه حَدّ مَحدُود،ولا نَعتٌ مَوجود،ولا وَقتٌ مَعدُود،ولا أجَلٌ مَمدُود،فَطَر الخلائِقَ بِقدرَتِه،ونَشَر الرِّياحَ برَحمَتِهِ، وَوَتَدَ بالصخُور مَيَدانَ أرضِه))[6].

صاغ الإمام(ع)معانيه في النص مِن معاني تلك الآيات في قوالب لفظية جديدة،وحين يَتلقَّاها المتلقي تُحِيلُه إلى المَنابع القرآنية التَّي استقى مِنها تلك المعاني .

في البدء نجد صلة الموصول- الذي - تكشف لنا قدرة الله جل شأنه، وعظمته،فسياق الموصول وصلته في محل بيان تعظيم الله تعالى فلا يبلغ مِدحته القائلون،أو يُحصي نِعماءَه العادُّون،آو يؤدِّي حقَّه المُجتَهدُون.

الشعر، ولم يتطرق إلى ألجانب ألبلاغي إلاّ في وقوفه عند ألمصطلح ، في حين جمع ألثعالبي في كتابه الاقتباسات غير المباشرة(ألاشاري) بنوعيه القريب والبعيد ، والتغيِّر الجائز عند صاحب ألبدري(معجم آيات الاقتباس) هو ما كان طلَاً بلً للوزن المناسب للشعر فقط .

ينظر :معجم آيات الاقتباس ، ص:١٥-١٦.

[1] إبراهيم/٣٤ .

[2] طه/١١٠ .

[3] الشعراء/٢٤ .

[4] الأعراف/٥٧ .

[5] النبأ/٧ .

[6] نهج البلاغة،خ (١)،ج١/٧ .

ويرى الراوندي،والشيخ مغنية أن قوله(ع):(**لا يُحصي نِعماءَه العادّون**))،من قوله تعالى:**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ...) .النحل/١٨ . ينظر: منهاج البراعة،ج١٢٦/٢. وينظر: في ظلال نهج البلاغة ، ج١٦/١

إنَّ هيمنة النفي في النصِّ ،أفادت مهمة التصريح بالعجز التام عن الوصول إلى المَدح،أو الإحصاء،أو أداء حقّ الله،مِن جهة، أو إدراك،أونَيلِهِ بِهمَّة أو فِطنَة من جهة أخرى،كما أفاد توكيد المعنى،وتركيزه في ذهن المتلقي.

وبالرجوع إلى الآية المباركة نجد(نعمة)بصيغة المفرد(إن تعدّوا نِعمَة الله لا تُحصُوها) وفي كلام الإمام(ع)(نعم)بصيغة الجمع،لان السياق سياق جمع(عادّون،مجتهدون،همم، فطن)وصيغة الجمع تدل على عظيم فضل الله،أو كما قال(الراوندي) في تفسيره:" وفي إيراد لفظ النعمة مفردا في كلام الله ،وعلى لفظ الجمع في كلام أمير المؤمنين(ع) سرّ عجيب،وهو أن الله دل عباده على الآية العظام،بان قال نعمة واحدة منها لا يمكنكم عَدّ وجوه كونها هذا حقيقة،وإلّا فالشيء الواحد لا يُمكن عَدَّه،وقِيل المراد به الجنس،وانّما ذكر علي عليه السلام نعمائه،ونعمة على الجمع في الروايتين،إشعارا أن أصول نِعَمِهِ لا تُحصى لكثرتها،فكيف تُعَد وجوه فروع نعمائه " [1]،وحين وصل إلى الحديث عن الله،جاءت صيغ المفردات:(صِفَته ،حَدّ ،نَعت ،اجَل) ، وبالرجوع إلى بيان فضله على العباد ،عاد الحديث بصيغة الجمع (خَلائِق ، رِياح ، صُخُور) ، وبهذا يكون(ع) قد ولّد من الآيات حالةً جديدةً تَسترفِد المعنى الذي قام عليه النصُّ المستضاف .

وضَمّن قوله تعالى:(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)[2]،وقوله تعالى:(فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى)[3]،في خطبة جاء فيها:((بِنا اهتَديتُم في الظلماءِ،وتَسنَّمتُم العلياءَ ، وبِنا انفَجَرتُم عن السَّرار،وقُرِعَ سَمعٌ لم يَفقَه الواعية ، وكيف يُراعِي النَّبأة مَن أصمَّتهُ الصَّيحَةُ،رَبَطَ جَنانٌ لم يُفارِقهُ الخَفَقان،مازِلتُ انتَظرُ بِكُم عواقِبَ الغَدرِ،واتوسّمُكُم بحَلِيَة المِغتَرِّين،سَتَرني عَنكُم جِلبابَ الدِّين، وبَصَّرنيكُم صِدقُ النِّيَّة ، أقَمت لكُم على سَنَن الحَقِّ في جَوادِّ المَضلَّة ؛ حيثُ تَلتَقون ولا دَلِيل، وتَحتَفِرون ولا تُمِيهون ، اليومَ أنطِقُ لكُم العَجماءَ ذاتَ البَيان ، غَرَب رَأيُ أمرئٍ تَخلَّف عَنِّي ما شَكَكتُ في الحَقِّ مُذ أُريتُهُ ، لَم يُوجِس مُوسى عليهِ السلامُ خِيفَةً عَلى نَفسِه ، أشفَقَ مِن غَلَبةِ الجُهَّال ودُوَل الضَّلال،اليومَ تَواقفنا عَلى سَبيلِ الحَقِّ والباطِلِ ، مَن وَثِقَ بماءٍ لَم يَظمَأ))[4]،وأصل الكلام:اهتديتُم بنا في الظَّلماء،فايقاع المُسند إليه أوّل الكلام يجعل السامع مُتَلهِّفاً إلى سَماع الخَبَر،واتمامه،ويكون مُهَيّئا لقبوله فإذا ذُكِر ازداد قوَّة،وتَمكُّنا ، ومع هذا التقديم تأتي الاستعارة في تشبيه أل البيت(عليهم السلام)بالنور بجامع الهداية في كلّ،والظلماء استعارة تصريحيه أخرى للجاهلية بجامع عَدم الاهتداء،انَّه سياق استبدالي تَحقق بالاستعارة،وهو سِياق انزياحي لعموم المَجاز من باب الخصوص والعُموم فقط كَما يُسمِّيه(كوهين)[5].

وتَتبَع هاتين الاستعارتين ، أخرى ثالثة جَسَّم العلياءَ فيها ، فأصبحت لها ذروة (وتَسنّمتم العلياءَ) ، وصَل المسلمون إليها بِفضل أل البيت (عليهم السلام) بعد ذِلّ الجاهلية وهَوانِها ،وتَسنَّمتم العلياءَ جاء لبيان علوّ مَكانتِهم ،وعَظيمِ شَانَهم.

واستحضرت تلك الاستعارات صُورا مَرسومة بالألوان،وكلٌّ منها غَنية في مكوناتها المعنوية الرافدة للنص بشحنة دلالية زَوَّدت القارئ برؤيةٍ عميقةٍ،واضِحَةٍ .

وفي قوله(ع):(وبِنا انفجرتُم عَن السّرار)أي:دخلتم في الفجر بعد ليلٍ مُظلم فالسَّرار:الليلة والليلتان يَستتِر فيهما القمرُ في أخر الشهر فلا يظهر[1]،وهذا توكيد للمعنى الأول،فَهمُ بمنزلة النور الذي اخرج الُله به الناس من الظلمات إلى النور .

---

[1] منهاج البراعة، ج٢/٢٦.

[2] إبراهيم/٥ ،وهناك عدّة آيات في هذا المعنى؛ (البقرة/ ٢٥٧، المائدة/ ١٦، إبراهيم/ ١ ،الطلاق/١١) .

[3] طه/٦٧ .

[4] نهج البلاغة،خ (٣)،ج١/٣٣ – ٣٥ .

[5] ينظر: بنية اللغة الشعرية، جان كوهين ، ترجمة محمد الولي،ومحمد العمري ، دار توبقال،المغرب ، ص:١١١

[1] ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد،ج/١٧٧ .

(وُقِرَ سَمعٌ)دعاء على السمع الّذي لم يَفقَه الواعية بالثقل والصَمَم،وهذا تمهيد لقوله (ع):(كيف يُراعي النبأةَ مَن أصمتَهُ الصَّيحةُ)،وهو مَثَلٌ أراد به أنّ مَن لم ينتَفِع بالعِبرَة الجَلِيَّة الظاهِرة،لم ينتفع بالعِبرة الضعيفة،وهو استفهام خَرج إلى النفي؛أي لا تَنفع العِبرةُ الصغيرةُ مَن لا تَنفعه العِبرةُ الكبيرةُ .

فانطق لهم العجماء كناية عن بيان الحجة لذلك نجده(ع)يقول بعدها مباشرة:(غَرَبَ رأيُ أمرئٍ تخلَّف عَنِّي)أي:بَعُدَ وخاب[٢]،ويحتمل أن يكون قوله هذا إخبارا أو دعاء،على حَدِّ قول ابن أبي الحديد[٣]،وهو إلى الإخبار اقرَب بمقتَضى السياق،ولما يَسبقها مِن جُمَلٍ إخباريَّةٍ .

ووقع اقتباس قوله تعالى:(فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى)[٤]، في قوله(ع):(لم يُوجِس موسى خِيفَةً على نفسه)،وأراد به:أن خَوفَه على الأمة،لا عَلى نفسِه،كَخوفِ موسى(ع)مِنَ الفتنة والشّبهَةِ الداخلة على المُكلفين عند إلقاء السَحَرةِ عِصِيِّهم[٥]، وقوله:(اليوم توافقت على سبيل الحق والباطل) من قوله تعالى:(وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)[٦]،أي: تواقف القوم على الطريق،وقفوا كلهم عليها، واتّضح الحق والباطل[٧]، وقوله(ع):(من وثق بماء لم يظمأ) أراد به أن من تبعه اطمأن،وهدى كما يطمئن من أصابه عطش،ومعه الماء .

وتمثّل قوله تعالى:(وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ)[٨]،وقوله تعالى: (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً)[١]،في خطبة له في استنفار الناس إلى أهل الشام جاء فيها: ((افٍّ لكُم!لقد سَئِمتُ عِتابَكُم، أرَضِيتُم بالحَياةِ الدُنيا مِنَ الآخِرةِ عِوَضاً؟وبالذُلِّ مِنَ العِزّ خَلَفاً؟إذا دَعوتُكُم إلى جِهاد عَدُوِّكُم دارَت أعيُنُكَم كأنَّكُم مِنَ المَوتِ فِي غَمرةٍ،ومِنَ الذَّهول فِي سَكرةٍ،يُرتِج عَليكُم حِواري فتَعمهُون فَكأنَّ قلوبَكُم مَألوسَة،فأنتمُ لا تَعقِلُون،ما انتُم لي بِثِقَةِ سَجِيس اللَّيالِي،وما انتُم بِرُكنٍ يُمالُ بِكمُ،ولا زَوافُرَ عِزٍّ يُفتَقر إليكُم،ما أنتمُ إلّا كإبِلٍ ضَلَّ رُعاتُها،فَكُلَّما جُمِعَت مِن جانب،انتَشَرت في آخر..))[٢].

خاطب الإمام(ع)أصحابه بَعد توانيهم،وتقاعسهم،عن ردِّ اعتداءات جند معاوية،وابتدأ كلامه بالتبرّم والضَجَر منهم،وتساءل مُوَبّخا: أرضيتم بالدنيا بَدَلا من الأخرة؟وبالذلّ خَلَفا عن العزّ؟ ،بعد أن وصلت بهم سَكرتهم إلى الحدّ الذي يُرتَج عليهم ، فيتَحيَّرون ، ويَتردُّدون ، وكأنَّ قلوبهم مألوسة ،أي:دخلها

---

[2] ينظر:المصدر السابق، ج/١٧٩ .

[3] ينظر:المكان نفسه .

[4] طه/٦٧ .

[5] ينظر: شرح ابن أبى الحديد ، ج١/١٧٩ .

ينظر:التبيان في تفسير القران ، الطوسي،ج٧/١٨٦. وينظر: مجمع البيان ، الطبرسي ، ج٧/٣٩.

ينظر:جامع البيان ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت(٣١٠)هـ ،تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ ،ج٩/٢٨.

ينظر: تفسير الجلالين ، السيوطي ، ص: ٤١١.

[6] البلد/١٠ .

[7] ينظر: شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ،ج١/١٧٩ .

[8] محمد/٢٠ .

[1] الأحزاب/١٩ .

[2] نهج البلاغة ، خ(٣٣)،ج١/٧٨– ٧٩ .

الجنون[٣]، وهو مجاز عقلي أسند الجنون فيه إلى غير ما هو حقه،فأصبحوا عند الإمام(ع)غير ذِي ثقة (سَجِيس الليالي) أي : أيد الدهر، فهم ليسوا بركن يُطمئن إليه، لا هُم بالزَّوافر : الأنصار[٤].

وبوصفهم بالإبل المتفرقة التي غابَ عنها صاحبُها،أراد القول أنهم أصبحوا كذلك لغياب الصواب عن عقولهم،لقد اُرتِج عليهم فلا يميزون بين الحق والباطل،أو لأنهم في سَكرةٍ،وغَمرةٍ،وكلما جُمِعُوا من جانب انتشروا مِن جانب أخر .

النصّ يزخر بالتشبيهات التي تضع المتلقي أمام صور متحركة واضحة وبمجيء" الكاف " يظهر التساوق مع" الكاف " في الآيتين .

وعند المقارنة بين الآيتين،وقول الإمام(ع) : (كأنّكم مِن المِوت في غَمرة) نجد تقديم الموت في كلامه، وتأخيره في الآيتين:(المغشيّ عليه من المَوت) و(.. يغشى عليه من الموت)،ويبدو– والله اعلم – أن الإمام(ع) قدَّم الموتَ إنَّما أراد تقديم السَبب الذي جعلهم يُفضِّلون الدنيا على الآخرة، ورضوا بالذلِّ عوضا عن العّز ،فهم قد نَسوا الموتَ،وتَناسوه

إن ترابط الآيتين في النص وتداخلهما للخروج بهذا المعنى التشبيهي الجميل والمعبر يَدلّ على مقدرة فنيّة عالية،مَنحت قوله(ع)قُوَّة،وجمالية .

ولا تَخفى العلاقة بين قوله تعالى:(إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ)[٥]،وقوله(ع): (وان كانت تبوء بآثامها)في خطبة له،وقد استبَطأ أصحابُه إذنَه في القتال بصفين،فقال: ((أما قَولكُم:أكُلُّ ذلك كراهِيَة المَوت! فوالله ما اُبالي؛أدَخلتُ إلى الموتِ،أم خَرج الموتُ إليَّ، وأمَّا قولكم شَكًّا في أهلِ الشام!فوالله ما دَفعتُ الحربَ يَوماً،إلّا وأنا أطمَعُ أن تَلحقَ بي طائفةٌ فتَهتدِي بي،وتعشُو إلى ضَوئِي،وذلك أحبُّ إليّ مِن أن اقتُلَها على ضَلالِها،وان كانت تَبُوءُ بآثامِها))[١].

وظنّ البعض أن الإمام(ع) تأخر في إذنه لأصحابه بالقتال كَراهة منه للموت ، فبادر(ع)من فوره إلى دحض ظنِّهم ، فأخذ بعرض أقوالهم والردّ عليها ، أما قولهم انَّ تأخره كراهة الموت ، فكان الردّ عليهم بصورة بيانيَّة استعارية بقوله(ع) انَّه لا يُبالي وسَواء عنده أدَخَل على الموت أم خَرج الموتُ إليه ، أخرَجَ الإمامُ(ع) الموتَ من عالَم المعنويات إلى عالَم المحسُوسات ، بهيئة كائن حي له القدرة على الحركة، لوجود إحدى خصائصه ، وهي المقدرة على الخروج .

قَدّم دخوله على الموت،قبل خروج الموتِ إليه ، للدلالة على عَدَم خَوفِه من الموت،فجعل المبادرةَ له قبل أن تكون من الموت،فكان استخدام الاستعارة هنا استخداماً مُبدعاً للغة يُزوِّد المتلقي بقدرةٍ عاليةٍ للنفاذ إلى حقيقة الأشياء .

ويبدو من سياق كلامه(ع)أن للقوم قولا آخر،يظنون فيه انَّه تأخر– بالإضافة إلى كراهته للموت – شَكًا في أمره مع أهل الشام وحَربه معهم ، تَوضّح ذلك من قوله:(وأمّا قولكم شكًا في أهل الشام)، لذلك جاء بالقسم ليقول:(والله ما دفعتُ الحربَ يوما ...)

ثم ذكر إنما يفعل ذلك بغية أن تلتحق به طائفة من جند معاوية فتهتدي به، فللتأخير ما يبرره عند الإمام(ع) ، والقسم من ضروب الإنشاء الطلبي*،و تكرار القسم يظهر انّ كلامه مع منكرين،أو مترددين، وعبّر عن اهتدائهم بالقول:(وتعشو إلى ضوئي)،ليخرجوا من ظلمة الجهالة إلى نور الحق .

جاء استحضار الآية بصورة غير مباشرة للدلالة على مَظلوميته (ع) مع هؤلاء الذين تَقَوَّلوا عليه،وظلموه ، إن حاله معهم كَحال (هابيل) مع (قابيل)،إذ ظَلمه أخوه ، وَباءَ بإثمه ، وإثم أخيه، وبهذا

---

[3] ينظر: شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ج/١٥٢ .

[4] ينظر: المكان نفسه .

[5] المائدة/٢٩ .

[1] نهج البلاغة،خ(٥٤)،ج١/٩٩-١٠٠ .

* وقد جعله ابن جني ت (٣٩٢) هـ من ضروب الخبر حين قال:" أن القسم ضرب من الخبر يذكر ليؤكد به خبرا أخر " .

اللمع في العربية،أبو الفتح ابن جني،تحقيق:أحمد الحوفي،وبدوي طبانة،منشورات الرفاعي،الرياض،ط٢،١٩٨٣م ص:٢٥٥ .

أضفى النصّ القرآني الغائب ألحاضر أجواءً داخليةً وخارجيةً ساهمت في إذكاء دلالية النصّ بما يمتلكه من غِنى وثَراء دلالي.

وقال واعظا في إحدى خطبه:((. . فاستَدرِكوا بَقِيّة أيَّامِكُم واصبِروا لها ا نفُسَكم ، فأنَّها قليلٌ في كثيرِ الأيَّام الَّتي تكون مِنكُم فيها الغَفلة ، والتَّشاغُلُ عن المَوعِظة ، ولا تُرَخِّصوا لا نفُسِكُم ! فَتذهَب بِكُم الرُّخَصُ مَذاهِب الظَّلَمةِ ، ولا تُداهِنوا فَيَهجُم بكُم الادهانُ على المُصيبةِ.))[٢]

بدأت الخطبة بالنصح ، والإرشاد تارة،وبالأمر أخرى: (الله الله أيّها الناس) ، (فاستَدرِكوا بقيّة أيَّامكم)،(عباد الله) ، (اعلموا أنَّ يسيرَ الرِّياء شرك) ، (جانِبوا الكَذب) ، (لا تَحاسَدوا) ، وشَكّل الاقتباس واحدا منها،فاستَهَلّ به (فاصبِروا لها أنفسَكم) ، ولم يقل: (صَبِّروا) ، أو(عليها)عِوضا من(لها)،وعند الرجوع إلى قوله تعالى:(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ.)[١]،ندرك انه من الواضح البين أن ثَمّة تشابهاً ظاهرياً بين الآية،والمعنى المُقتَبس،وندرك قوله(ع):(اصبِروا لها)بدلا من(اصبِروا عليها)،فالأيام متحركة،وليست ثابتة،فلا يَصحّ التَصَبُّر عليها،بل لها ، لنكون معها في دورة الزمن بمرضاة الله،وحتّى لا نكون في غَفلة وتشاغل حينئذ نرخِص لأنفسنا،فتقودنا – تذهب بنا – إلى مَسالك الضَلال .

وقوله(ع):(ولا تُداهنوا فيهجم بكم الادهانُ على المُصِيبَة) يرتبط بعلاقة تناص مع قوله تعالى:(وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)[٢] فالأمر بتركه مأخوذ من قوله تعالى انف الذكر ، والمُداهنة؛هي النفاق ، والمصانعة ، وهو باب من أبواب المعصية المنهي عنه، فجاء تعبيره بالمجاز عبر استعارة مكنية تظهر المداهنة إلى حَيِّز الوجود المادي ، من خلال فعلها (تَهجم بِكم) وأراد به الإمام(ع) ، (تدفعكم دفعا) عنوة ، نحو المعصية .

وقال(ع)متحدثا عن رسول الله(ص وآله): ((فَبعثَ مُحمداً صلَى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم بالحَقِّ، لِيُخرِجَ عِبادَه من عِبادةِ الأوثانِ إلى عِبادتِهِ ، ومِن طاعةِ الشَّيطانِ إلى طاعَتِهِ ، بقرآنٍ قَد بَيَّنهُ وأحكَمهُ لِيعلَم العِبادُ رَبَّهم إذ جَهَلوه ، ولِيُقِرّوا به بَعد إذ جَحَدوه،ولِيُثبِتوه بَعد إذ أنكَرُوه ، فَتَجلّى لَهم سُبحانه في كتابهِ مِن غَيرِ أن يَكونُوا رَأوه، بِما أراهُم مِن قُدرتِهِ، وخَوّفَهُم مِن سَطوتِه،وكيف مَحَق مَن مَحَق بالمَثُلاتِ،واحتَصَدَ مَن اِحتَصَد بالنقِماتِ))[٣]، في النصّ مُعادلتان تقودان إلى قوله تعالى:(الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)[٤]،الغاية من مَبعث الرسول المصطفى إخراج الناس من ظلمات الجاهلية ، وعِبادة الأوثان ، إلى نور الإسلام وعِبادة الرَّحمن ، وتلك معادلة بين (الظلمات والنور) ، و(الجاهلية والإسلام) ، و(الشيطان والرحمن) ، إنّ معرفة الله تعني الدخول في طاعته، وجحوده يعني الخروج منها والدخول في ساحةِ الشَّيطان

وقوله(ع):(فتجلّى لهم سبحانه في كتابهِ من غير أن يكونوا رأوه بما أراهُم من قدرتِه)وهذه إشارة تناصّية تُحيل إلى قوله تعالى:(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[٥].

وخَوّفهم من سطوته بالآيات الزاجرات،وبما أراهُم مِن مَحق الكافرين وديارهم بالعقوباتِ،وأراد بالمَثُلاتِ:العُقوبات [٦]،ربطت الآية بين ما تقدّم عليها،وما تأخَّر،ربطاً فنياً حين ألقَت اضاءاتِها على النص، لتصبح العلاقةُ بين مفردات النصِّ،والتوجّه بها إلى معنى واحد هو بَيان عَظمةِ دور الرسول(ص وآله) .

---

(2) نهج البلاغة،خ،(٨٢)،ج١/ ١٤٨.

(1) الكهف/٢٨ .

(2) القلم/ ٩.

(3) نهج البلاغة،خ(١٤٢)،ج٢/٤٠-٤١ .

(4) إبراهيم/١ .

(5) فصلت/٥٣ .

(6) شرح ابن أبى الحديد،ج١٤٧/٩،وينظر:شرح محمد عبدة،ج٤١/٢

" وتَتَنامى الفكرةُ في ذهن قائلها ثم يَتفنَّن صاحبُها في وسيلة إعلانها إلى الناس،وبقدر ما يُوافق بين مَدلول الفكرة،ومستوى المتلقي،تكون الفكرةُ واضحةً مقبولةً،وبخلاف ذلك تكون غامضةً،وغير مُفيدة"[1]،من هنا ندرك استِعانة المبدع بوسائل شَتّى لتُسَهِّل له إيصال،ما يُريد إلى المتلقين،وهذا ما فَعله الإمامُ(ع)بالاقتباساتِ غير المباشرة لآيٍ مِن القرآن الكَريم .

وفي خِطبةٍ له قال:((أمرُهُ قَضاءٌ وحِكمةٌ ، ورِضاهُ أمانٌ ورحمةٌ،يَقضي بِعلمٍ ، ويَعفو بِحلمٍ،اللّهم لكَ الحمدِ على ما تأخذ،وتَعطي ، وعَلى ما تُعافي وتَبتلي ؛ حَمداً يكون أرضى الحمدِ لكَ ، وأحَبَّ الحمدَ إليك ، وأفضلَ الحمدِ عِندك ، حَمداً يَملأ ما خَلقتَ ، ويبلُغ ما أردت ؛ حَمداً لا يُحجَبُ عَنك ، ولا يقصُرُ دونَك ، حَمداً لا ينقَطِعُ عَددُه ، ولا يَفنى مَدَدُه ، فَلسنا نعلمُ كُنهَ عَظمتِك ، ألّا أنّا نعلمُ انَّكَ حيٌّ قَيُّومٌ ، لا تَأخُذُك سِنَةٌ ولا نَومٌ ، لم يَنتَهِ إليكَ نظرٌ ، ولم يُدركْكَ بَصَرٌ، أدركتَ الأبصارَ ، وأحصَيتَ الأعمارَ ، وأخذتَ بالنَّواصي والأقدام..))[2].

بِلباسٍ بديعيٍّ مُتنوع،خرج النصُّ زاخرا بالاقتباسات القرآنية،قد يكون من اليسير إحالة بعضها إلى مَرجعياتِها في الاقتباس أحيانا،ومِن العسير في غيرها أحيانا أخرى .

عند قراءة النص يَتذكّرُ المتلقي قوله تعالى:(اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ)[3]، وقوله تعالى:(لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[4]،وقوله تعالى:(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)[5]، و(يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ)[6].

يُدرك المتلقي عند قراءة الآيات،إنَّها تتكلم عن قدرة الله،وصفاتِه بصيغةِ الغائبِ:(هو الحيُّ)،(لا تأخذهُ)،(لا تُدركُه)،إلّا قوله تعالى:(أحصَيناهُ) و(أخذ بالنَّواصي) في حين يأتي النصُّ بصيغةِ المخاطب (انَّك حيّ قَيُّوم) ، (لا تأخذك سِنَةٌ ولا نَوم) ، (لم ينتهِ إليك نظَرٌ) ، (لم يدركك بصرٌ) ، (أدركتَ الأبصارَ) ، (أحصيتَ الأعمالَ) ، (أخذت بالنَّواصي والأقدام).

لعلّ السبب يَعود إلى افتتاح الخطبة بالدعاء،والثناء،وألذي يَتطلَّب خِطابا مباشرا مع الله جلّ علاه،ليس الكلام(عَنِ الله) كما في الآيات،انَّه كلام (مَع الله) ما جعل تلك الاقتباسات مُنسجمةً مَعنويا،وسياقياً مع النصّ،لقوله(ع) : (لكَ الحمدُ ، أرضى الحمدُ لك ، الحمدُ إليك ، الحمدُ عندك ، ما أردتَ ، يُحجب عنك ، دونَك ، عظمتك، ...) .

ويَحسّ المتلقي بالالتفات مِن (الغَيبةِ) : (أمرُه قضاء) إلى الحاضر:(اللّهم لكَ)،والذي تمثل بالدعاء المباشر، بشوقِ دفع الإمام(ع) للعدول من الحديث عن الله إلى الحديث معه .

وقوله:(وأخذت بالنواصي والأقدام)إشارة منه(ع) إلى بيان فضل الله ،ورحمته،وعنايته بسائر مخلوقاته ، فهو جلّ عُلاه آخذٌ بنواصي الجَّميع*.

---

(1) من الأدب والبيان، د. محمد بركات، حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع،عمان،١٩٨٤م، ص: ٢٥.

(2) نهج البلاغة،خ٢(١٥٥)ج١/٧٠-٧١ .

(3) البقرة/٢٥٥ .

(4) الأنعام/ ١٠٣.

(5) يس/١٢ .

(6) الرحمن/٤١ .

* قال الخوئي،قوله(ع):(وأخذت بالنواصي والأقدام) إشارة إلى قوله عزَّ وجَل: **(يُ عرف المُجرِمون بِسيماهُ م فيُ ؤخَ ذ بالنّ واصي والأقدام)** . الرحمن/٤١ . وأشار التستري إلى انه إشارة إلى قوله تعالى:**(ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إنّ ربّي على صراط مستقيم)**. هود/٥٦. ويبدو أنّ إشارة التستري اقرب إلى الصواب،لانّ كلامه(ع)في معرض استظهار رحمة الله، وفضلِه وهذا ما يَتلاَءم مع الآية الثانية.

ينظر :منهاج البراعة،ج٧/٣٦.

وينظر:نهج الصباغة، التستري،ج١/٣٧٨.

لقد نجح الإمام(ع)في جمع الآيات في نسيجٍ فنّي دالٍّ أخّاذٍ، بموسيقاه ، مِمّا يَترك الأثر في نفس المتلقي بجوّ عرفاني، مع ما في النص من وَمَضاتٍ فكريةٍ تلوح في قوله(ع):(لم يَنتهِ إليكَ نظرٌ،ولم يُدركْكَ بَصرٌ) من قوله تعالى : (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[1]،إلا انه(ع)قدم(عدم درك الأبصار) له على(درك الله الأبصار) كما في الآية،وأورد المعنى الأول في صيغتين مترادفتين دلالة على التوكيد فيما يبدو .

وكذلك الأمرُ في خطبة له(ع) في الكوفة ، وهو قائم على حجارة نصَبها له(جعدة بن هبيرة) المخزومي ، وحَمائل سيفِه ليف وفي رجليه نَعلان مِن ليفٍ ،وكأنَّ جبينَه ثَفنَة بَعير ، ومِمّا جاء فيها بعد حمد الله، والثّناء عليه:((لم يُولَد سُبحانه فَيكون فِي العِزّ مُشارَكا،ولم يَلِد فَيكُون مُورِثاً هالِكاً ،ولم يَتَقدَّمهُ وقتٌ ولا زَمانٌ ، ولَم يَتعاوَره زِيادَةٌ،لا نُقصان ، بَل ظَهر للعُقول بِما أرَانا مِن علاماتِ التَدبيرِ المُتقَنِ ، والقَضاءِ المُبرَمِ ، ومِن شَواهدِ خلقَةِ خَلقُ السَمواتِ مُوَطَّداتٍ بَلا عَمَدٍ ، قائماتٍ بَلا سَنَدٍ دَعاهُنّ فأجَبنَ طائِعاتٍ ، مُذعِنات ، غَير مُتَلكِّئاتٍ ، ولا مُبطِئاتٍ ، ولولا إقرارُهُنَّ لَهُ بِالربوبيَّةِ وإذعانَهُنَّ بالطَّواعِيَّةِ ، لِما جَعَلَهُنَّ مَوضِعاً لِعَرشِه ، ولامَسكَناً لِمَلائِكَتِهِ ولا مَصعَداً لِلكَلِمِ الطَّيِّبِ ، والعَمَلِ الصالِحِ مِن خلقِه))[2] .

وكما في النص السابق،إذ بِمُجرد الانتهاء مِن قراءة النصِّ أو سَماعه تَتَراءى للمُتلقّي الآيات المُبارَكات التي استقى منها الإمام(ع) اقتباساته كقوله تعالى:(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)[3]،وقوله تعالى:(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ)[4]،(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)[1]،وقوله تعالى:(إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)[2].

قوله تعالى:(لم يَلد ولم يُولد) جاء بها الإمام(ع)ليَصِل إلى نتيجتين هما؛إنَّ اللهَ لم يُولد،لذلك لم يشاركه بالعِزّ أحدٌ،إذ لم يسبقه بالوجود أحدٌ،وإنَّه جلّ عُلاه لم يَلِد،لذلك لم يكن مَورُوثاً من قِبَل مَن وَلَد*

وهاتان حقيقتان تقودان إلى نتيجتين هما،إنَّ الله لم يُسبق بالوجود وانَّه ليس بهالكٍ،لذا أعقَب كلامَه بقوله:(ولم يَتقدّمه وقتٌ ولا زمانٌ ولم يَتعاوَرهُ زيادةٌ ولا نقصان).

وقوله(ع):(بل ظَهر للعُقول بِما أرانا مِن عَلامات التَدبيرِ المُتقَن)فيه إشارة خَفيَّةٌ إلى معنى قوله تعالى:(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[3].

ويجري التغييرُ أحيانا في صِيغة الجمع إلى المفرد،أو العكس بِحَسَب مُقتضى الحال، كقوله(ع):(وإذا حُيِّيت بتحية فَحيِّ بأحسنَ مِنها،وإذا أُسدِيَت اليك يَدٌ فكافِئها بِما يُربي عليها ،والفَضلُ مع ذلك للبادي)[4]، الآية المباركة بصيغة الجمع: (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً)[5]،ولان الكلام مُوجَّهٌ لابنه الحسن(ع)أجرى الآية – بعد اقتباسها – بصيغة المفرد،لتنسجم مع سياق المقال .

---

(1) الأنعام/١٠٣ .

(2) نهج البلاغة،خ(١٧٧)،ج ٢/١٢٥_١٢٦ .

(3) الإخلاص/٣ .

(4) لقمان/١٠ .

(1) فصلت/١١ .

(2) فاطر/١٠ .

* أ شار إلى هذا ا لمعنى في موضع ا خر في نهج البلاغة

ينظر: شرح نهج ا لبلاغة،ا بن أبي الحديد،١٣/ ٦٣ .

(3) فصلت/٥٣ .

(4) نهج البلاغة،حكمة(٦٠) ج٣/٦٢ .

(5) النساء/٨٦. .

وتتشظّى عملية الاقتباس إلى أجزاء متناثرة،يقود جمعُها إلى الجذر القرآني الذي انبثقت منها،كما في قوله(ع)في وصيَّةٍ له لابنه الحسن(ع)بعد انصرافه من صِفِّين:((...واعلم أنّك إنَّما خُلِقتَ للآخرةِ لا للدنيا،وللفَناءِ لا للبَقاءِ،وللمَوتِ لا لِلحَياةِ،وانّك في مَنزلِ قُلعَةٍ،ودارِ بلغَةٍ،وطَريقٍ إلى الآخرَةِ،وإنَّكَ طَريدُ الموتِ الَّذي لا يَنجو هاربُه،ولا يفوتُه طالبُه،ولا بُدَّ أنّهُ مُدركُه،فَكُن مِنهُ على حَذَرٍ إن يُدرِكَكَ وأنتَ على حالٍ سَيِّئَةٍ، قد كُنتَ تُحدِّث نَفسَك مِنها بالتَّوبةِ،فيحولُ بينَك،وبَينَ ذلك فإذا أنتَ قَد أهلَكتَ نفسَك))[٦].

قوله تعالى:(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً)[٧]،توزع في قوله(ع) : (وانَّكَ طَريدُ الموت + لا يَنجُو هاربُهُ + لا يَفوتُهُ طالِبُه) ، لأنَّه مُدرِكُه، والضَّمير (الهاء) يعود إلى الموت في(هاربه،طالبه،انَّه) ، ومجموع هذا كله يُوصل إلى (يُدرككم الموتُ) ، وهي جميعها مُتفرِّعة من الكلمة القرآنية (يُدرككم) ، لانَّ كلمة (يُدرك) تتضمّن (يُطارِد) ومن ثم لا ينجو هاربُه ، ولا يفوته طالبُه ، ولا بُدّ انّه مُدرِكُه .

ونجد أصداء قوله تعالى:(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ)[١]،وقوله تعالى:(إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)[٢]،في قوله(ع)لعبد الله بن عباس:((أمَّا بعد،فأنَّك لستَ بسابقٍ أجلَك، ولا مَرزوقٍ ما ليسَ لك،واعلم بأنَّ الدهرَ يَومان:يومٌ لك،ويومٌ عَليك،وانَّ الدنيا دارُ دُوَل، فَما كان منها لكَ أتاكَ على ضَعفِك،وما كان منها عَليكَ لم تَدفعه بِقوَّتِك))[٣].

(وتلكَ الأيَّامُ نداولها بَينَ النَّاس) تعبيرٌ قرآنيٌّ،والتعبير المقابل لها بَعد الاقتباس(وانَّ الدنيا دارُ دُوَل)يُلاحظ فارق بينهما هو(الأيام)التي حَلّ مَحلّها(الدنيا)ولا فارق بين المعنى في ذِهن السَّامِع،وان كان التعبيرُ القرآني لا يَرقى إليهِ أيُّ كَلامٍ .

خامسا :اقتِباس الجملة ألقرآنِيَّة غَير المُباشِر البَعيد(المعنوي) .

---

[6] نهج البلاغة،(٣١) ج٣/٥٤-٥٥ .

[7] النساء/٧٨.

[1] الأعراف/٣٤.

[2] آل عمران/١٤٠.

[3] نهج البلاغة،ك(٧٢)،ج٣/١٤٦.

يتفرّد الاقتباس في هذا النوع بخِصِّيصة التَّعالق المعنوي بين النصّ القرآني،والنصّ النهجي،فيصبح من العَسير على المتلقي أن يَفصل بينهما،أو الرجوع إلى المَورد القرآني الذي استَقى منه الإمام،فيغدو غائِبا في شَكله،حاضراً في معناه.

وهو بِمثابة استجلابات لمعاني النصوص بصورة مقصودة أو غير مقصودة ، وهو تأثر بالمَحفوظ القرآني ، ويأخذ بُعداً يتجاوز فيه الاقتباس الإشاري لانَّ (الاقتباسَ الإشاري) ما أشار إليه الشاعر[أو الناثر] ، من الآيات مِن غَير أن يلتزم بلفظها وتركيبها ، أو هو مِمّا عُرِف فيه أنَّ الشاعَر[أو الناثر] يُشير إلى آيةٍ من الآيات القرآنية[1] ، أما المعنوي فيذهب إلى ابعد من ذلك ويتعلق بالمعنى فقط

وعُرِف هذا اللون من الاقتباس ، وأُفرِدَت له مُصنَّفات عند كِبار العلماء ومنذ عَهد مُبكر[2]،ولمّا جَوَّز بعضُ البلاغين التغيير في المُقتَبس أو نَقلهِ عَن معناه الوارد فيه[3]،عُدّ هذا اللون من الاقتباس مِصداقاً مِن مَصاديق الاقتباس ، ويَلِجُ هذا النوع في النصوص بسهولة،ويسر،غير انَّه يَعكس صعوبة الإمساك به في أحايينَ كثيرة،نتيجة ذوبانِه في بنية النَّص،وان كانت بمثابة مَناراتٍ مُضيئة وكاشفة عن معاني النص،ودلالاته

نصوص(النهج)كثيرا ما استضافت المعاني القرآنية،وكثيرا ما نجد النصوص(النهجية)تدور في فلك تلك المعاني،أو تكون هي محورا لها،فللقران امتداداته المعنوية الكثيرة في كلام الإمام(ع)،ممّا يجعل الإحاطة بها أمرا عسيرا فيضطر الباحثون إلى الإشارة لما تيسر من نماذجه .

ومن نماذج هذا اللون من الاقتباس،قوله(ع)في إحدى خطبه:((ولَم يُخلِ سُبحانَه خَلقَه مِن نَبي مُرسَل،أو كِتاب مُنزَل،أو حُجَّةٍ لازمَة،أو مَحَجَّةٍ قائِمةٍ:رُسُلٌ لا تُقَصِّر بِهم قِلّة عَدَدِهِم،ولا كَثرةَ المُكَذِّبِينَ لَهُم،من سابق سُمِّيَ لَهُ مَن بَعدَهُ))[4]،إذ استوحى(ع)معنى قوله تعالى:(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ)[5]،والمعنى واضحٌ وجليٌّ،فالنبي المُرسَل هو النَّذيرُ كما في الآية المباركة،ويأتي بكتابٍ مُنزَل وحُجَّةٍ لازمَة،ومَحَجّةٍ قائِمَةٍ،وأولئك الأنبياء لا يُؤَثِّر بِهم قلّة عَددهم،ولا كِثرة المُكذِّبين لهم .

وقوله(ع):(مِن سابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَن بَعدَهُ)تضمَّن معنى قولِه تعالى:(... وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ...)[1]،وقد تكرّر ذِكر مَبعث الرسول المصطفى في كلام الإمام (ع) في نصوص النهج[2].

على ذلك سَلفت القرونُ،ومضَت الدهورُ،وسَلفَت الآباءُ،وخُلِقَت الأبناءُ إلى أن بعث الله سبحانه محمداً(ص وآله)لإنجاز عِدَتِه،وتَمامِ نُبُوَّتِه،وهذا المعنى مَأخوذ من قوله تعالى:(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ

---

(1) معجم آيات الاقتباس، ص : ١٩ .

(2) ينظر:معجم المصطلحات البلاغية،وتطورها،مادة(اقتباس) .

ويُعدّ كتاب " ألاقتباس من ألقرآن ألكريم " للثعالبي ، مِن أقدم المصنفات التي أفرِدت لهذا النوع من الاقتباس.

ومن المؤلفات الحديثة نجد أنّ الباحث أحمد غنيم تناول في جانب من دراسة – عناصر الإبداع الفني في شعرأحمد مطر – هذا اللون من الاقتباس وخَصَّصَ لهمُساحةً ملحوظةً .

ينظر:عناصر الإبداع الفّني في شعر أحمد مطر، كمال احمد غنيم ، مطبعة ستارة ، قم ،٢٠٠٤م

(3) جَوّز ابنُالأثير أخذ معنى والحديث النبوي الشريف والخبر، فيُكسى لفظاً غير لَفظِه،

ينظر:المثل السائر،ج١/٢٢٢-٢٤٢ .

(4) نهج البلاغة،خ(١)ج١/١٨ – ١٩ .

(5) فاطر/٢٤ .

(1) الصف/٦ .

(2) ينظر:خ (٣٢)ج/٧٧، خ(٨٥)ج/١٥٥، خ(٩١)ج/٨٦،خ(١٠١)ج/٢٠٠،خ(١٩١) ج/٩٥،خ(٢٠٨)ج٢/ ٢١٩ .

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[٣]،وقوله تعالى:(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)[٤]،

هذا النبي الذي يَعرف النبيون أمرَه،وسِماتِه،ونَسبَه،وأولئك الرسل والأنبياء أرسلهم اللهُ حتَّى لا تكون للناس على الله حجّة " رُسُلًا مُبَشِّرين ومُنذِرين لئَلّا تكون للناسِ على الله حجّة بَعد الرُّسُل" [٥]، وفي ذلك دلالة على عَظيم عِناية اللهِ بالعباد،ورحمتِهِ بهم .

واستحضر معنى قوله تعالى:(وليحملنّ أثقالَهُم وأثقالًا معَ أثقالِهم ...) [٦]،في خطبة له(ع)يصف فيها من يتصدى للحكم بين الأمة،وليس لذلك أهل فقال:((إنّ ابغضَ الخَلائِقِ إلى اللهِ رَجلان:رجلٌ وكَلَهُ اللهُ إلى نفسِه فهو جائِرٌ عَن قَصدِ السَّبيلِ،مَشغوفٌ بكلامٍ بِدعَةٍ،ودُعاءِ ضَلالَةٍ،فهو فِتنَةٌ لِمَن افتَتَنَ بِهِ،ضالٌ عن هَدي مَن كان قَبلَه،مُضِلٌّ لِمَن اقتدى بِهِ في حَياتِه،وبعد وَفاتِهِ، حَمّال خَطايا غَيرِهِ،رَهنٌ بِخَطيئَتِهِ...)) [٧].

مَن وكَلَه اللهُ إلى نفسه:أي تَركه ونفسه[٨]،خَرج مِن ساحةِ رَحمةِ الله فيصبح جائراً: (ضَالّ عادل عن الطريق)[٩]،مَشغوفاً بكلام بدعَة،مِن دعاة الضَّلال وفتنةٌ لِمَن اقتدى بِهِ، بَعدَ أن ضَلّ،وهَوى عَن هَدي مَن سَبقه سيكون مُضِلاً لمن اقتدى بِهِ،فيدخل في مصداق قول الرسول(ص وآله):((مَن سنّ سِنَّةً حَسنَةً فَلهُ أجرُها واجرُ مَن عَمِل بها إلى يَوم القيامة، ومَن سَنّ سِنّةً سَيِّئَةً فَعليهِ وزرُها وَوِزرِ مَن عَمِلَ بها إلى يَومِ القِيامة))[١]،لذلك فهو– هذا المُضِلّ– سيكون(حَمَّال)خَطايا غَيره،وصيغة المبالغة(فَعَّال)تدلّ على كثرة ما يحمله من ذنوب،باعتبار تزايد ما ستحمل من ذنوب الناس الذين ضَلّوا بِسَبَبِهِ، كما إنها– صيغة المبالغة – تحمل من التوكيد،كما في الآية حيث نجد" وليَحملنَّ " المؤكدة بالنون الثقيلة .

وهذا المعنى يعودُ بنا إلى الآيةِ المشار إليها،والى قوله تعالى:(لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ)[٢].

أعطت الآيةُ حقيقة هي أنَّ هؤلاء يَحملون أوزاراً فوق أوزارِهِم،وكلامه(ع)أوصلنا إلى هذه الحقيقة،بعد أن بَيَّن مُقدَّمَتِها،فالإنسان إذا خَرجَ عَن طريقِ الهداية،واقتفى أثراً معوَجّا،وتَبعه بعضٌ الناس،سيتحمَّل أوزارَهم .

وفي قوله(ع):((إنَّ اللهَ بعثَ مُحمَّداً صلى الله عليه وآله ،وليس أحدٌ مِنَ العَرَبِ يَقرأُ كِتاباً،ولا يَدَّعِي نُبُوَّةً،فساقَ الناسَ حتَّى بَوّأهُم مَحِلَّتَهُم،وبَلَّغهُم مَنجاتَهم، فاستقامَت قَناتُهُم،واطمَأنّت صَفاتُهُم،أما والله إن كِنتُ لفي ساقَتِها،حتَّى وَلّت بِحذافِيرِها، ما ضَعَفتُ ولا جَبنتُ،وان مَسِيري هذا لِمِثلِها؛فلانقُبَنّ الباطلَ حتَّى يَخرُجَ الحقُّ مِن جَنبه،مالي ولقريش،لقَد قاتلتَهُم كافِرين،ولاقاتِلَنّهُم مَفتُونين))[٣].

---

(3) المائدة/١٩.

(4) الأحزاب/٤٠ .

(5) النساء/١٦٥ .

(6) العنكبوت /١٣ .

(7) نهج البلاغة،خ(١٦)،ج/ ٤٧ .

(8) شرح ابن أبي الحديد،ج١/٢٤٠ .

(9) المكان نفسه .

(1) ورد الحديث الشريف بصيغ عدة،ينظر:
بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي ت(١١١١)هـ، مؤسسة الوفاء، ط٢، بيروت،١٩٨٣م،ج٢٥٧/٦٨.
صحيح البخاري،الأمام محمد بن إسماعيل ألبخاري ت(٢٥٦)هـ،دار الفكر،بيروت،عن طبعة بالأوفست صادرة عن دار الطباعة العامرة،استنبول،١٩٨١م،ج١٥١/٨.
مسند الأمام أحمد، أحمد بن جنبل ت(٢٤١)هـ، دار صادر، بيروت،(د.ت)ج٥٠٥/٢.

(2) النحل/٢٥

(3) نهج البلاغة،خ (٣٢)ج١/ ٧٧ .

نجد معنى قوله تعالى:(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[٤]،يطالعنا في مستهل النصّ الذي تكلم فيه عن بعثة النبي(ص وآله)[٥].

وفي نهاية النصّ اقتبس معنى قوله:(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)[٦]، فضمنه قوله:(فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه)،صاغ المعنى القرآني في جملة فعلية،هَيمَنت فيها الأصواتُ الشَّديدةُ والقويةُ التي تُعبِّر عَن انفعالٍ شعوري،يعتصر قلبَ الإمام(ع)،ويَنِمّ عن غَضَبٍ وتصميمٍ على دَحرِ الظلم،والانتصار للحق،وإخراجه مِن بطنِ الباطل الذَّي شَبَّهَهُ" بحيوان ابتلعَ جوهراً ثمينا أعَزّ مِنه قيمةً وأتَمّ فايدةً فاحتِيج إلى شَقِّ بَطنِه في استخلاص ما ابتَلَع" [١].

ومن الواضح أنَّ ثَمّة سِمَةٍ استرجاعيةٍ في استعارة الإمام(ع)هذه تَمثَّلت فِي إعادة تَشكِيل استعارات مُسبَقة في القران الكريم،في الآية المذكورة أنَّ الله قويٌّ قادِرٌ فضرب الباطلَ بالحقِّ فزهق والإمام(ع)سعى جاهدا لإنقاذ الحق بقوله:(لأنقبنّ) وسياق كلام الإمام(ع)يُوحِي إلى ضياع الحقِّ وقيام الباطل،وفي هذا التعبير إشارة جليّة لما عليه الناس مِن فِتَن واضطراب حتَّى أنّهم لم يعودوا قادرين على رؤية الحق وأتباعه،مِمّا اضطر الإمام(ع)إلى إخراجه وإظهاره إلى الناس ليلقي الحجة عليهم .

نحن إذن أمام استعارة " تناصّية " لارتباطها بالاستعارة القرآنية، تصوير استعاري يُدهِش المتلقي ويستوقفه طويلا،ويَمنحه المقدرة على تَخَيّل صُوَرٍ يَكاد يَراها، انَّه تصويرٌ نابضٌ بالدلالة،حين جسّم ما خَفِي ودَقّ،وأخرجه إلى عالم الوجود،وحَوَّل المعنى الذهني إلى مُدرَكٍ مادّي[٢].

حَمل التصويرُ الاستعاري دلالاتٍ عِدّة،منها إظهار الباطل بصورة حيوانية،وأخرى تُظهر قيمة الحق عند الإمام(ع)فأستدعى ذلك خَوض غِمار الحرب من اجله،وثالثة تُبَيَّن المشقة والمعاناة التي واجهها الإمام(ع)في إخراجه،وإقراره وتثبيته،ورابعة تُظهر علو الباطل،وطغيانه،واستِتار الحق للدلالة على كثرة الفتن التي واجهها الإمام(ع)آنذاك[٣] مع قريش، بدليل قوله(ع):(مالي ولقريش)،وهو استفهام على سبيل الإنكار لما بَينه وبينهم مِمّا يُوجِب الاختلاف ، وجحد فضيلته،وحَسم لأعذارهم في حَربه[٤].

أراد القول انَّ الباطلَ امتزجَ مع الحقّ ، فأستَتَرَ وضاع ، وهنا تكون الشُّبهة،عند التباس الحَقِّ بالباطِل تختلط الأمور على الناس ، وينخدعوا بكلِّ ناعِقٍ وضلِيل ، حين يختلط الحقُ بالباطل يسهل خداع

---

(4) الجمعة/٢ .

(5) وينظر أيضا :نهج البلاغة،خ(١٤٠) ج/٣٦،خ(١٤٣) ج/٤٠،خ(١٥٣)ج٢/٦٩، (١٥٥) ج ٢/٧١،خ(١٥٦) ج/٧٧ ،خ(١٦٤) ج/٩٩ ،خ(١٦٨)ج/١٠٤، ك(٦٢) ج٣/١٣٠ .

(6) الأنبياء/١٨ .

(1) شرح ابن ميثم البحراني، ج١/ ٢٦٦ .

(2) وله(ع) تصوير استعاري أخر جسم فيه الباطل،وهو قوله:((**الدافع جيشات الباطل**))وقوله((**ولقد ضَربتُ انفَ هذا الأمر وعَينَه**))، ينظر:نهج البلاغة،خ(٤٩)ج١/٩٥،خ(٦٦)ج٣/١٣٩ .

ويرى صاحب(شرح نهج البلاغة)إنها كناية " أراد بها(ع)انه سيقاتل أهل الباطل حتى يهتدوا الى ما هو عليه من الحق وبذلك يموت الباطل،ويتخلص الحق مما يشوبه من هذا الباطل ".

شرح نهج البلاغة،السيد عباس علي الموسوي،بيروت،دار الرسول،والمحجة البيضاء،١٤١٨هـ،ج٢/١٨٦

(3) في قوله(ع) :((**فقأتُ عينَ الفتنَة**))، يرى التستري في تفسيره إنها فِتنة الجمل،وصفِّين والنهروان ،ويرى الراوندي إنَّها استعارة لفتنة الجَمَل، ويرى السيد حسين الشيرازي إنها استعارة أراد بها قِتَةَ الخَوارِج.

ينظر : بهج الصباغة، للتستري، ج٥/٣٧٢ . وينظر: منهاج البراعة، للراوندي ، ج٢/٤٢٤.

وينظر:توضيح نهج البلاغة،حسين الشيرازي، دار تراث الشيعة، طهران ، (د.ت) ، ج٢/٩٤.

(4) شرح ابن ميثم البحراني، ج١/٢٦٦ .

الناس ، مِمّا دعا الإمام (ع) إلى التنبيه على هذا الأمر مرارا في كلامه[1]، وأكّد هذا الأمر بقوله: (وإنَّما سُمِّيَت الشّبهة شُبهة لأنَّها تَشبَه الحَق)[2].

وله(ع)قولٌ أخر ضَمّنه معنىً قرآنياً،فنلمح فيه صَداه،حيث قال:((فما يَنجو مِنَ الموتِ مَن خافَه،ولا يُعطى البقاءُ مَن أحَبّه))[3]،حملت هذا المعنى عِدّة آيات مباركات كقوله تعالى:(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً)[4]،وقوله تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ)[5]،كل أمريء لاقٍ ما يَفرّ مِنه في فِراره،والأجل مساق النفس،والهرب منه موافاته[6]،والأجل جنّة حصينة[7]،هكذا هي فلسفة الموت عند علي(ع)لا الخوفَ يُنجي منه ولا التقرُّب إليه يَمنَح البقاء، فالهروب مِنهُ هو هُروبٌ إليه،لا بروج تمنعهُ، ولا حصون، ويتسلّل إليهم دون مانع له إلاّ الأجَل، وهو مَنعٌ إلى حِين .

تَصدّرت النصُّ جملتان منفيتان : (ما يَنجُ) ، (لا يُعطى) ، فأصبحتا جملتين منفيتين ، تَوحّد فيهما السجعُ، والطباقُ في المفردتين:(خافَه)و(أحَبَّه)،فنتج عن ذلك التوحّد،والتلازم تَمام المعنى، والتناغم الصوتي ، وَوَفَّر متعةً مُضاعَفَةً تَمثّلت في وُضوح المعنى ، وسَلامة العبارة .

ولا تخفي الصلةُ بينَ قوله تعالى:(مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[8]،وقوله تعالى:(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)[9]من جهة،وقوله(ع):((الحمدُ للهِ الذّي لا يَفرُهُ المنعُ والجمود،ولا يكدِيه الإعطاءُ والجودُ إذ كلُّ مُعطٍ مُنتَقَص سِواه،وكلُّ مانِعٍ مَذمومٍ ما خَلاه،وهو المَنّان بفَوائِدِ النِّعَم، وعَوائِدِ المزيدِ والقِسَم،عِيالُهُ الخَلق،ضَمِن أرزاقَهُم،وقَدّر أقواتَهم،ونَهجَ سَبيلَ الرَّاغِبين إليهِ،والطَّالِبينَ ما لَدَيه))[10].

(لا يفرُهُ المَنعُ):لا يزيد في مالِهِ المَنعُ[1]،(ولا يُكدِيه الإعطاءُ):لا يفقره ولا ينفد خَزائِنُهُ[2]،و (كلّ مَعطٍ مُنتَقِصٌ سِواه)،و(كلّ مانع مَذموم ما خَلاه)، (سواه،ماخلاه) أداتان استثنائيتان مُتَّصِلتان بالضَّمير العائد لله جَلَّ ذكرُه " والجملة عِلّةٌ لقولِه(لا يفرُهُ المنعُ):اي ليس منعه بُخلاً فيستحق الذمّ،بَل حكمة فيستحق الحمد أيضا لأنَّه مَنَع ظاهِرا، وأعطى في الحقيقة والمعنى " ولو بَسَط الُ الرِّزقَ لعِبادِه لبَغوا في الأرض ولكن ينزل بِقَدر ما يشاء انَّه بِعبادِه خَبيرٌ بَصيرٌ "[3].

والخبر(المنّان)صيغة مُبالغة للدلالة على كثرة المَنّ على العباد،مع كثرة عطائه لعباده لا يفتقر ولا تَنقُص خزائِنُه " وما عندكم يَنفَد وما عِند الله باق " ، تَتَجلّى عظمة خزائن الله،بعدم نفادِها مع كلِّ هذا المَنّ والعَطاءِ والجودِ للخلائق، والكائنات مع كثرة عِياله " وما مِن دابّة في الأرض إلّا عَلى الله رزقها،ويَعلم مُستقرّها، ومُستودعها كلٌّ في كِتابٍ مُبين "

---

[1] قال (ع):((**فلو أنّ الباطلَ خَلُصَ على مزاج الحقّلم يـُ خَف عَلى المُرتادين ...**)) .

ينظر :نهج البلاغة،خ(٤٩)،ج/٩٥ .

[2] ينظر: نهج البلاغة،خ(٣٧)ج١/٨٥ .

[3] المكان نفسه .

[4] النساء/٧٨ .

[5] الأعراف/٣٤ .

[6] ينظر :نهج البلاغة،خ(١٤٥)،ج٢/٤٥ .

[7] ينظر :نهج البلاغة،خ(١٢٠)،ج٢/٥ -٦ .

[8] النحل/٩٦ .

[9] هود/٦ .

[10] نهج البلاغة،خ(٨٧)،ج/١٥٩ .

[1] شرح ابن أبي الحديد،ج٦/١١٧ . وينظر: منهاج البراعة، للخوئي،ج٦/٢٨٨.وينظر:في ظلال نهج البلاغة،ج٢/٦.

[2] المكان نفسه .وفي رواية (الراوندي):((**لا يضرُّه المنع**)). منهاج البراعة، للراوندي ،ج١/٣٧٨.

[3] نهج الصباغة، التستري،ج١/٢٠١ -٢٠٢ .

ويَرى ابنُ أبي الحديد أن قوله(ع):((اللهم أيّما عبدٍ مِن عبادِك سمع مَقالتِنا العادِلة غَير الجائِرة،والمُصلِحة غَير المُفسِدة في الدين والدنيا، فأبى بَعدَ سمعِهِ لها إلاّ النكوص عَن نِصرتِك والإبطاءِ عَن إعزازِ دينك، فأنا نَستشهدُك عَليه يا أكثر الشاهِدين شَهادةً،ونستشهد عليه جَميع مَن أسكَنتَهُ أرضَك وسمواتِك ثم أنت بَعده المُغنِي عَن نَصرِه،والآخذ لَهُ بذَنبِه...))[٤].

قريب من قوله تعالى:(... وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)[٥]، قال (ع) : ((ثم أنت بعده المغني عن نصره))[٦]، والأظهر من ذلك الصلة بين قوله تعالى:(قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ .....)[٧]،وقوله (ع):(إنّا نستشهدك عليه يا اكبر الشاهدين شهادةً) .

لقد تَمظهر النصّ بأسلوبِ الدعاء الإنشائي المُطلّ على المتلقي بالدعاء(اللهم)،وبه يدعو الإمام(ع)بالاستغناء عَن نصرة كلّ من سمع مقالة أهل البيت(ع)،وأبى إلاّ النكوص:التأخر[٨]،واستشهد على ذلك ربَّ العالمين،وهو اكبرَ الشاهدين،واشهَد جميعَ ما اسكَنَهُ اللهُ الأرضَ والسماواتِ .

إنَّ استحضار الاسم الموصول " ما "(جميع ما أسكنته) للدلالة على شمول جميع خلق الله من كائنات حَيّة وجمادات بالشهادة،ولو قال(مَن أسكَنتَه)لاستَوجَبَ ذلك تَخصيص العاقل دونَ سِواه،أراد الإمام(ع)العموم مِن خلال اسم الموصول(ما) لتكون الشهادةُ عامَّةً كبيرةً.

وعَكس معنى قوله تعالى:(الر كتب انزلنه إليكَ لتخرج الناسَ من الظلماتِ إلى النورِ بإذنِ رَبّهم إلى صراطٍ مُستقيم)[١] في قوله(ع):((أرسَله بالضّياءِ،وقدّمهُ في الاصطفاءِ، فرتَقَ بهِ المفاتِق،وساوَرَ بهِ المغالب،وذلّل بهِ الصعوبة،وسَهّل بهِ الحُزُونة،حتّى سَرّحَ الضلالَ عن يَمينٍ وشِمال))[٢].

(أرسلَه،وقدَّمه،ورتَقَ بهِ،وساورَ بهِ،وذلّلَ بهِ،وسهّل بهِ)الضمير فيها يعود إلى الرسول (ص وآله)،ومع ما رافقها من سَجع شكّلت مقاطع صوتية متناغمة أضفت بُعدا موسيقيا على النص .

أرسله بالضِّياء:أي القرآن،وهو تعبيرٌ استعاريٌّ قرآنيٌّ جلي، والاصطفاء هو الاختيار[٣]،حيث كان الرسول مُقدَّما على الأنبياء حتَّى صار المُصطفى عَلَماً لهُ[٤]، و(قدّمه بالاصطفاءِ)يعود بنا إلى قوله تعالى:(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)[٥]،مع أن الآية جاءت حديثا مباشرا مع الرسول(ص وآله)وكلام الإمام(ع)ورد بصيغةِ الحديث عن الماضي،وانصراف المضارع إلى الماضي لغرضِ استحضار سيرةٍ أخلاقيَّةٍ،وتربويةٍ ليَقتدِي بِها المُتلقّي .

وتَتابَعت الصُورُ البيانية في النص،(رتق به المفاتق)استعارة تعني:اصلحَ بهِ المَفاسِد[٦]، في الجملة استعارتان مُتلاصِقتان تمثلتا في(رَتَقَ) وهي استعارة للفعل أصلح بجامع (النَّفع)، وفي(المَفاتِق) وهي استعارة للمفاسِد بجامع (التَّلف)، وكذلك الحال في(ساورَ بهِ المَغالِب)أي:واثَبَ به الصِّعاب[٧].

وقوله(ع):(وسهَّل بهِ الحُزُونةِ) وَصفٌ استعاريٌّ رفد بهِ النصّ ، فالحزن ما غلظ من الأرض، والسَّهل: ما لانَ منها،واستُعيرَ لغير الأرض كالأخلاق ونحوِها[٨].

---

[4] نهج البلاغة،خ(٢٠٧)ج٢/٢١٩ .

[5] محمد/٣٨ .

[6] شرح ابن أبي الحديد،ج/٢١٩ .

[7] الأنعام/١٩ .

[8] شرح ابن أبي الحديد،ج١١/٤٨ .

[1] إبراهيم/١ .

[2] نهج البلاغة،خ (٢٠٨)ج٢/٢٢٠ .

[3] نهج الصباغة، التستري،ج٢/٢٥٧

[4] المكان نفسه

[5] الحج/٧٥ .

[6] شرح ابن أبي الحديد،ج١١/٥١ .

[7] المكان نفسه .

[8] المكان نفسه .

حتَّى سرّحَ بهِ الضَلال:أي طَردَهُ وأسرعَ بهِ ذهابا[9]،وعزّزت هذه الاستعارةُ قوله:(أرسله بالضِّياء)،فأرسله بالضِّياء مُقدمة لطرد الضّلال،فيصبح المعنى أكثر رسوخا في نفس المتلقي،لانَّ النفس آنس بما هو مُدرَك بالحَواس وبنور الكتاب الساطع تَفَرق الضّلالُ ،وانهزمَ عن يمينٍ وشمال في صورةٍ استعارية مُتحرِّكةٍ .

أثر النص الغائب في ثنايا نصِّ الإمام(ع)واضح جليّ،استطاع الإمام(ع)تذويبه في نصّه إلى الحدِّ الذي لا يستطيع المتلقي فَصلَه عن كلامِ الإمام(ع)فأصبح نسيجاً مغايراً جديدا مُتعدِّد الدلالات .

إنّ إرسال المصطفى بالضياء- الإسلام- ترتّب عليه اثر خاص هو ذهاب ما يقابله من الظلام،وهو الكفر،فتصبّ عبارة(أرسله بالضياء)مُنطوية على دلالة عميقةٍ،انّه ليس إرسال فقط،بل ذهاب نقيضه.

وقال(ع)في وصية له لقادة جنده:((.. فأن عادوا إلى ظِلّ الطاعَةِ ، فذاك الذي نُحِبُّ، وان توافت الأمورُ بالقومِ إلى الشِّقاق والعِصيان،فأنهَد بِمَن طاعَك إلى مَن عصاك، واستَغنِ بِمَن انقادَ مَعَك عَمّن تقاعسَ عَنك، فأنَّ المُتكارهَ مغيبُهُ خيرٌ مِن مَشهدِهِ،وقُعُودُهُ أغنى مِن نهوضِهِ))[1].

وبالعَودِ إلى قوله تعالى:(لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)[2] نجد معناها في قوله(ع):(فأن المُتكاره مَغيبُهُ خيرٌ من مَشهدهِ وقعودُه أغنى عن نهوضِه) .

إنَّ التقاربَ واضحٌ وجليّ بينَ النصِّ القرآني ونصِّ الإمام(ع)مِن حيث المعنى مِن خلال التناص ، غير أنَّ التغاير بينهما بالصِّيَغ ؛ الآية بصيغةِ الجمع وكلامُ الإمام (ع) بصيغةِ المفرد (مَغيبهُ، مَشهدهُ ، قعودهُ نهوضِه) وبجملٍ خبريَّةٍ مُؤكّدة ، واشتركا بالجانب الوَعظي .

ومِمّا جاء في وصيته لابنه الإمام الحَسَن(عليهما السلام):((ما أقبحَ الخُضُوع عِندَ الحاجَةِ ، والجفاء عندَ الغِنَى)) [3].

وندرك أنَّ ثَمَّة ارتباطا معنويا لهذا الكلام بقوله تعالى:(... حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ..)[4]،وبآيات أخر تحمل المعنى نفسه[5].

النصّ في معرض الحديث عن الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند انتهائها ، وإذا كان هذا الأمر قبيحا بين العباد وعلاقتهم ببعضِهم ، فهو أشدّ قبحاً في علاقتهم معَ الله ، الذي تَجِب طاعته والإقرار بفضلِهِ في السَّراءِ والضرَّاء ، وعند الوقوف عند معاني الآيات المباركات نصِل إلى هذه الصفة من صفات المنافقين ، وعَبَّر الإمامُ(ع)عنه بأساليب متنوعة[6]، وإذا رفعنا الذم(ما أقبح)نجد فنَّين بديعيَّن تَمثَّلا في الموازنةِ في الجملتين: (**الخضوع عِند الحاجَة=الجفاء عِند الغِنى**)والطباق الظاهر في المفردات (خضوع ، جفاء) ، (حاجة ، غنى) ، ويكاد حرف العين في(أقبح ، حاجة عند) يُفصح عن الألم واللوعةِ والحرقةِ التي تَعتري صَدرَ الإمام.

وقال(ع):((إذا وصلت إليكُم أطرافُ النِّعَم فلا تُنَفِّروا أقصاها بِقلَّةِ الشَّكر))[1]،وتكرّر مثل هذا المعنى[2]،وكثيرا ما ارتبط دوام النعم بالشكر في كتاب الله كقوله تعالى:(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ

---

[9] المكان نفسه .

[1] نهج البلاغة، ك(٤)ج٣/٦ –٧ .

[2] التوبة/٤٧ .

[3] نهج البلاغة،ك(٣١)ج٣/ ٦١ .

[4] يونس/٢٢ – ٢٣ .

[5] العنكبوت/٦٥، الفجر/١٥ – ١٦ ، النحل/٥٣،الإسراء/ ٦٧ .

[6] قال(ع) في هذا المعنى:((**إن صَحّ أمن لاهياً ، يعجب بنفسه إذا عوفي ، وَيقنط إذا ابتلى،وان أصابَه بَلاء دعا مُضَطَرّاً ، وان نالَه رخاء أعرضَ وغَفَلَ**) . نهج البلاغة، ق(١٥٠)ج٣/ ١٨٩ .

[1] نهج البلاغة،خ(١٢)ج٣/ ٥٤ . وقال(ع) : ((**احذروا نفار النّعم فما كلّ شارد بمردود**)) .

ينظر :خ(٢٤٦) ج٣/ ٢٠٧

لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)[٣]،(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ)[٤]،و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)[٥].

ارتبط الشكرُ بالزيادةِ في الآية الأولى، وبالعبادة في الثانية،وبالعبادة في الثالثة دلالة على منزلة الشكر عند الله،وهذا ما عكسه الإمام(ع)في قولهِ آنفِ الذّكر،وفي غَيرِهِ منَ الأحاديث في غير موضع كما مَرّ،غير انّ اللّافت للنظر عند السامع هو تشبيه النِّعمِ بالأنعامِ التي يُنفّرها الجحودُ في صُورَةٍ بيانيَّةٍ واضحةِ المَعالم .

إنَّ قوله(ع):(لا تنفّروا)خِصّيصةٌ من خصائص الاستعارة المكينة التي جَسّمت النِّعم وشبَّهتها بالأنعامِ،وحفلت بغير قليلٍ من الدلالاتِ؛منها التعبير عن النِّعم بالأنعامِ،وما تَدرّه هذه الحيوانات من خيرٍ وطعام،وللدلالة على كثرتها ، ولارتباط بَقائِها بكثرةِ الشّكرِ،إذ أنَّها تَنفر،وتَهرب عند قِلّتهِ،إنَّها صورة حيّة متحركة .

إنَّ بقائَها مشروطٌ بوافر الشكر،وهذا الشرط أخذه الإمام(ع)من الشرط القرآني الواضح:" لَئِن شَكَرتُم لأزيدَنّكم"،لم يستخدم الإمام(ع)الأمر المباشر،بل حَبَّبَه إلينا بأسلوبٍ بعيدٍ عن صيغتهِ الاستعلائية

قال تعالى في الحديث عن وليّ الدم: (وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً)[٦]،فأقتبس الإمام(ع)هذا المعنى وصاغه بقوله:((أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة))[٧].

وتَجلّى قوله تعالى:(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)[٨]،في قوله(ع):((عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار))[٩].وقوله تعالى:(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[١]،في قوله(ع):((رب عالم قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه))[٢].

تتعطل آليةُ فهمِ النص ما لَم نستحضر النص القرآني الذي استَقى منهُ الإمامُ(ع)معناه ،ولابدّ للمتلقي مِن إدامة التدبر في النصِّ ليقف عند القاسم المشترك بينهما .

وفي قوله(ع):((للظالم البادي غدا بكفه عظة))[٣]،اقتباس معنوي لقوله تعالى:(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً)[٤].

جملةٌ فعليةٌ – مضارعة – اتّكأت على الأسلوب الكنائي، لتكشف لنا حالةً مِن ندمٍ على ضَياعِ العمر ظلما للنفسِ ، ولغيرهِ ، فعبَّر الإمام(ع)عن الحسرة بعَضِّ اليد ، وتكرّرت هذه الصورة الكنائية في غير موضع من المواصع النهجية كقوله:((يَعضّ يدَه ندامةً على ما اصحَر له عند الموت من أمرهِ))[٥]،إنّها كنايةٌ وفق المنظورِ البلاغي القديم،ورمزٌ بحسبِ المصطلح النقدي الحديث ليُعبّر عن الغَيظ والنَدمِ

---

[2] قال (ع):((**والله مستأديكم شكره**)) .ينظر:نهج البلاغة،خ(٢٣٦)ج٢/٢٦١ .

[3] إبراهيم/٧ .

[4] البقرة/١٥٢ .

[5] البقرة/١٧٢ .

[6] الإسراء/٣٣ .

[7] نهج البلاغة،خ(٥٢)،ج٣/ ١٦٤ .

[8] الأنفال/٣٣ .

[9] نهج البلاغة،خ(٨٧)،ج٣/١٦٩ .

[1] الجمعة/٥ .

[2] نهج البلاغة،خ(١٠٧)،ج٣/١٧٥ .

[3] نهج البلاغة،ح(١٨٦)،ج٣/١٩٥ .

[4] الفرقان/٢٧ .

[5] نهج البلاغة،خ(١٠٥)ج١/٢١٢ .

الشديدين على ما عَمِلوا مِن شرّ أو على ما لَم يعملوا مِن خَير،ونَجح الإمام(ع)في جعل هذه الصورة قادرةً على بَثِّ دلالاتِها .

ومهما كانت النصوص القرآنية متوارية في نصوص الإمام(ع)- في هذا النوع من الاقتباس تحديدا – إلّا انَّه يترك أثراً في ذهن المتلقي يساعد على الوصول إليه،ومَثَّلت حضورا مَرِناً طَوعِيا لا استحضارا قَسرِيَّاً .

وكذلك اقتبسَ معنى قوله تعالى:(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين)[٦]،وضمّنه قوله(ع):((من لان عوده كثفت أغصانه))[٧]،وهو اقتباس معنى معكوس لدلالة معكوسة،إذ هو نتيجة عكسية للآية المباركة،فالآية دعوة إلى ترك الفظاظة والغلاظة،حتى لا ينفض الناس من حوله (ص واله) ، وفي كلام الإمام دعوة إلى اللين ليكثر الاتباع والمريدين:

لا تكُن غليظاً فينفر عنك الناس = كُن ليّنا يكثر الناسُ مِن حَولِك.

وللإمام(ع)اقتباسات عديدة من هذا النوع في النصوص النهجية قامت بتعجيل إنزال معاني النصوص إلى ساحة فهم المتلقي[٨]،وتثبيتها في ذهنه.

---

[6] آل عمران/١٥٩ .

[7] نهج البلاغة،ح(٢١٤)ج٣/٢٠١ .

[8] ينظر مثلا: نهج البلاغة،خ(٢٤)،ج٣/١٥٦،خ(٤٦)،ج٣/١٦٣،خ(٦٧)،ج٣/١٦٥،خ(١٥٨)،ج٣/١٩٢، خ(١٧٤)،ج٣/١٩٤،خ(٢٦٠)،ج٣/٢١٠.

المبحثُ الثاني:أنواعُ الاقتباس مِن الحديث النبوي الشريف .

يُعدّ الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم ومصداقا من مصاديق السنة النبوية*،ومثل مرجعية فكرية،لغوية،ادبية مهمة عند المسلمين،ومن ثم فانّ العودة اليه تعني الانتهال من مَعينٍ لاينضب لاسيّما بعد الدراسات اللغوية،والادبية،والبلاغية منها على وجه الخصوص،وتعني ايضا منح مصداقية متميّزة للنتاجات اللغوية، والادبية انطلاقاً من مصداقيّة حديث النبي المصطفى(ص واله).

وكما مَرّ بنا ـ في تعريف الاقتباس ـ انَّ الاخذ من الحديث النبوي الشريف نوعٌ من انواع الاقتباس ولِقرب الامام(ع)من النبي(ص واله)[1]،والتصاقهِ بهِ،استطاع الافادَةِ من كلامهِ فضمّنه خطبه، وكتبه،وحكمه،ومواعظه،فتداخل كلامُه بكلام رسول الله(ص واله)حتّى اصبح " ككلام رسول الله (ص واله)لانّ مُستقاهما مِن قَليبٍ ومفرغهما مِن ذَنوب "[2].

لقد تنوع اقتباسه من الحديث النبوي،من تراكيبه،ونصوصه وكثيرا ما كان يوشح كلامه به،مثلما وشحه بمفردات من القران الكريم وآياته،وانفتح على كلام رسول الله كانفتاحه على كتاب الله ،فجريا على لسانه في خطبه،وكتبه،ومواعظه،وسسيسلط الضوء على انواع هذه الاقتباسات،وتتبعها في نصوص الامام(ع) .

أوَّلًا: اقتباسُ ألتَّركِيب مِنَ الحَدِيثِ النَّبَوي الشَّرِيف .

صحيح انَّ حضور تراكيبِ الحديثِ النَّبوي الشَّريف لم يَكُن مِثل حضور المفردة القرآنية ، الّا انَّه كان حضوراً فاعلًا ، وباثّاً للدلةِ في النص النَّهجي ومِن امثلةِ ذلك اقتباسهِ للتركيب المتألّف مِن المُفردَتَين المُتَلاحِقَتَين(حُلوَةٌ نَضِرةٌ)، قوله(ع):((امّا بعد ، فَانّي أُحذّركم الدنيا فِانَّها حُلوةٌ خَضِرةٌ ، حُفّت بالشهواتِ، وتَحبّبت بالعاجلةِ، وراقت بالقليل ، وتحلّت بالآمال ، وتزيّنت بالغَرور ، لاتدوم حَبرتُها ، ولاتُؤمَن فَجعتُها ، غَرّارةٌ ضَرّارةٌ ، حائِلةٌ زائِلةٌ ، نافِذةٌ بائِدةٌ ، أكّالةٌ غوّالةٌ...))[1]واوردها في خطبة قبلها ، والتي قال

---

* باعتبار تقسيمها الى حديث الرسول(ص واله)وعمله،وقراره .

(1) تربّى الامام في حِجر النبي(ص واله)،وحامى عنه،ونَصَره عند ظهور الاسلام قبل غَيرهِ من قريش، وبني هاشم، ثم ماكان بينهما مِنَ المصاهرة التي افضت الى النسل الاطهر دون غيرهِ من الاصهار . ينظر:مناقب علي بن ابي طالب،علي بن محمد الشافعي ابن المغازلي ت(٤٨٣)هـ ،تحقيق:محمد باقر البهبوري،المكتبة الاسلامية،طهران،١٣٩٤ هـ ،ص:٤٠٤،مطالب السؤال في مناقب ال الرسول، كمال الدين ابوسالم محمد بن طلحة الشافعي ت(٦٥٢) هـ ،النجف الاشرف،(د.ت)،ص:٣٠ . ينظر:شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي رؤية اعتزاليةعن الامام(ع)جود كاظم منشد،دراسة دكتوراه كلية الاداب،جامعة البصرة،منشورات ذوي القربى،قم،١٣٨٤ هـ،ص:٤٠٥ .

(2) هذا قول الشريف الرضي تعقيبا على قوله(ع):((**الحَجَرُ الغَصب فِي الدارِ هَنٌ على خرابِها**))،كما نقله ابن ابي الحديد.
ينظر: شرح ابن ابي الحديد.ج١٩/٦٦.

(1) نهج البلاغة،خ(١٠٧)،ح١/٢١٦ .

فيها:((الحمد لله غير مقنوطس من رحمتهِ ، ولا مُستكنَفٍ من عبادتِهِ ، الذي لاتبرَح منهُ رحمةٌ ولا تُفقَد لـه نِعمـةٌ ، والـدُّنيا دارٌ مُنـيَ لهـا الفنـاءُ ، ولاهلِهـا منهـا الجـلاءُ ، وهـي حُلـوةٌ خَضِـرةٌ ، وقـد عَجلـت للطالـبِ ، والتَبسَت بقلبِ النَّاظِرِ...))[٢].

وقعت هاتـان المفردتـان كثيـرا فـي وصـف الرسـول (ص وآلـه) للدنيا بانهـا (حُلـوَةٌ خَضـِـــرَةٌ)[٣]، ووصفها تارة اخرى (خَضِرةٌ حُلوةٌ)[٤].

في قوله (ص وآله):(انَّ الدنيا حُلـوةٌ نَضِرةٌ)،وفـي قولـه(ع):(انّـي أُحذِّركُم ألدنيا فانّها حلوة نضـرة) كلاهما جاء بالتوكيد ،غير انّ كلام الرسول(ص وآله)هو اخبار عَنِ الدّنيا ، وفي قول الامـام(ع)تحـذيرمنها ، واحاط تحذيره هذا باداتين توكيدتين (فانّي، فانّها) ، ثم علّل سبب تحذيره منهـا بيـان صفاتها من خـلال جمل وصفية قصيرة متناسقة بحروفها،واسجاعها،وللامعان في التحذير منهـا، ستحضر صيغ المبالغـة فـي (غرّارة ضـرّارة) ، (اكّالـة غوّالـة)بنسق سـجعي صـاحبه فنٌّ بـديعيٌ هو الجنـاس ، والمتحَقّق بـالمفردات : (غَرّارة ضَرّارة ، حائِلة زائِلة ، نافِدة بائِدة).

جاء هذا كله بعد ان مَهّد بوصفِها ـ المُقتَبَس ـ (حُلوة خَضِرة)،منها لفظتان تحملان دلالة واضحة تلقي بظلالها في النص،انّهما لفظتان مُكنتزتان،في الخطبـة الاولى،بدأ كلامـه بـذمّ الـدنيا والتحـذير منهـا، وحـافظ على حديثه عنها في معظمها ثم ذكر مآل المغتربها،والمخدوع فيها،بعد أن يعودوا الـى القبـور حُفـاة عُراة [١] وسيعودون ليوم الحساب(كما بدأنا اوّل خلقٍ نعيده وعداً علينا،انّا كُنّا فاعلِين)[٢].

ختم بهذه الاية التي تنتهي بالتوكيد،مثلما بدأ به خطبته الاخرى – مورد الشاهد – فقد بدأها بحمد الله وتعظيمه بصفات عِدّة ثم عَرج الى ذكر الدنيا فوصفها بتعبيرِ رسولِ الله

ومن ذلك اقتباسه للتركيب(الفئـةِ الباغيـة) ، فـي قولـه(ع)فـي طلحـة والزبيـر: ((والله مـا انكـروا علـيّ مُنكرا ، ولا جَعلوا بيني وبينهُم نَصَفاً ، وانَّهم ليطلبون حقّا هُم تَرَكوه ، ودَماً هم سَفَكُوه ، فأن كُنتَ شريكَهم فيه فأنَّ لهُم نصيبهم منهُ ، وان كانوا وُلُّوه دوني فما الطَّلبةُ الّا قِبَلَهُم ، وانّ اوَّل عَدلِهِم للحكمِ علـى انفسِهِم ، وانّ مَعي بصيرَتِي : ما لَبَّستُ ولا لُبِّسَ عليَّ ، انَّها للفِئَةِ الباغية فيها الحَما والحُمَّةُ ، والشُّبهَةُ المُغدِقةُ))[٣]

(الفِئةُ الباغِيـةُ)مُفردتـان وردتـا فـي قولِ المصـطفى(ص وآلـه) لعَمّـار بـن ياسر((يـا عَمّـار تقتلك الفئـةُ الباغِيَةُ))[٤]أو في اخباره عن مقتل عمّار بأنّه((تقتله الفئـةُ الباغيـةُ))[٥]وجاءتا بالمعـاني المتراكبـة،وأراد ان يُوجِز بهما صفات مَن تكلّم عنهم،و بيان والتوكيد والايجاز عِبرَهُما ،وقَد تَمّ له ذلك .

---

[2] المصدر السابق،خ(٤٤)،ح٩١/١ .

[3] ينظر:صحيح مسلم ابي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ت(٢٦١)هـ، دار الفكر ،بيروت،ج٨٩/٨.

و:سنن ابن ماجة ،الحافظ ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت(٢٧٥)هـ،تحقيق محمد فؤاد ،دار الفكر ،بيروت،ص:٣٢٥.

و:السنن الكبرى،احمد بن الحسين بن علي البيهقي ت(٤٥٨)هـ،دار الفكر ،بيروت،ص:٥٥٢.

[4] ينظر:مسند احمد ،ج٧/٣،ج٦٨/٦.

و:سنن الدارمي،عبد الله بن بهرام الدارمي ت(٢٥٥)هـ،مطبعة الاعتدال،دمشق،(د.ت)،ح١٠/٢

و:صحيح البخاري،ح٢/ ١٢٧، ح٢١٤/٣،

سنن الترمذي،محمد بن عيسى الترمذي ت(٢٧٩)هـ،تحقيق عبد الرحمن عثمان،ط٣،دار الفكر،١٤٠٣هـ، ح٣٢٧/٣ .

[1] ينظر:نهج البلاغة ، ح٢١٩/١ .

[2] سورة الانبياء/ ١٠٤ .

[3] نهج البلاغة،خ(١٣٣) ، ج٢/ ٢٧ .

[4] مسند أحمد ج١٦١/٢، سنن الترمذي، ج٣٣٣/٥،

الكافي،الشيخ الكليني ت(٣٢٩)هـ،تحقيق علي اكبر غفاري ،مطبعة الحيدري،ط٣،طهران،١٣٨٨. ج٢٢/٢٥،

المعجم الوسيط ، سليمان بن احمد الطبراني، تحقيق ابراهيم الحسيني، دار الحرمين،١٩٩٥ م،ج٢٩١/٧.

وتواجدت بعضُ التراكيب الدالة على أثرِ الحديثِ الشريفِ حيثما وُجِدَت وهي وان كانت قليلة الّا انَّها تبوح بمرجعيتها في أقوال المصطفى (ص وآله) مثل التراكيب: (حظائر القدس)[٦]،(وَعثاء السَّفَر)[٧]، و (طُوبى لمن) ،وهذا ألاخير له اكثر مِن موقع في نصوصِ الامام ، فتأتي تارةً ضِمنَ حديث مُباشرٍ[٨]،وأخري بتَغيير طفِيف ،كما في اقوالهِ(ع):

١- ((فطُوبى لِذِي قَلبٍ سَليمٍ اطاعَ مَن يهديه))[١].
٢- ((طُوبى لنفسٍ أدّت الى ربِها فرضَها))[٢].
٣- ((طُوبى لمن ذكَرَ المعادَ،وعمل للحسابِ،وقنَعَ بالكفافِ،ورضي عَن الله))[٣].
٤- ((طُوبى للزاهِدين في الدّنيا الراغبين في ألآخرةِ...))[٤].
٥- ((ما قالَ الناسُ لشيءٍ " طُوبى له " الّا وقد خبّأ له الدهرُ يومَ سُوء))[٥].

مع النظر الى اقتران هذه المفردة بحرف الجر(اللّام) كما وردت في الحديث النبوي:((طوبى لِمَن شغله عيبُه عن عيوبِ الناس))[٦].

ومن ذلك اقتباس التركيب:(بادروا بالاعمال) في قوله(ع):((بادروا باعمالِكم تكونوا مع جيران الله))[٧]،وهو ممّا ورد عن قول النبي الكريم(ص وآله):((بادروا بالاعمال))[٨]،اوفي غيره من الاحاديث التي بدأها(ص واله) يقوله:((بادروا بالاعمال))[٩] او((بادروا ألعملَ))[١٠]،واعتمد مفردة(بادروا)في مواضع عِدّة في النهج[١١].

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،نور الدين الهيثمي ت(٨٠٧)هـ،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٨٨م،ج٧/ ٢٤١،

بحار الانوار ، ج١٩/١٢٤ .

(5) مسند أحمد،ج١٩٧/٤،صحيح البخاري،ج٢٠٧/٣،صحيح مسلم،ج١٨٦/٨،

تفصيل وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي ت(١١٠٤)هـ ، تحقيق مؤسسة ال البيت لاحياء التراث،ط٢

مطبعة قم المشرفة،ج١٣٩/١٥ .

(6) ينظر:نهج البلاغة،خ (٨٧)،ج١/ ١٦٧ .

(7) المصدر السابق، ك (٤٥)،ج١ /٩٢.

(8) كما سيمر بنا في الاقتباس للحديث النبوي الشريف، في قوله(ع):(**طُوبى لِمَن شَغلهُ عيبُهُ عَن عيوبِ النَّاس**).
ينظر: نهج البلاغة،خ(١٧١)،ج١١٦/٢- ١١٧.

(1) المصدر السابق،خ(٢١٠)،ج٢/ ٢٢٢ .

(2) المصدر السابق ، ك(٤٥)،ج٨٤/٣ .

(3) المصدر السابق ، ق(٤٤)،ج١٦٢/٣ .

(4) المصدر السابق ، ق(١٠٤)،ج١٧٣/٣ – ١٧٤ .

(5) المصدر السابق ، ق(٢٨٦)،ج٢٢٢/٣ .

(6) ينظر: الباب الاول، الفصل الاول، ص:٦٦،الفصل الثاني، ص:٨٩،٩٤.

(7) نهج البلاغة، خ (١٧٨)، ج١٣٦/٢ .

(8) مسند احمد ، ج٠٤/٢، سنن الترمذي ، ج٣٣٠/٣ .

(9) ينظر:المعجم الاوسط،سليمان بن احمد الطبراني ت(٣٦٠)هـ ، تحقيق ابراهيم الحسيني،دار الحرمين،(د.ت)،

ح١٥٦/٣، و: بحار الانوارح٦ /١٩، ح٧٤ /١٧٦ .

(10) نهج البلاغة،خ(١١٠)،ج٢٢٣/١.

(11) ينظر:نهج البلاغة ، خ (١٠٢)،ح٠٢/١ ، خ (١١٠)،ح١/ ٢٢٤، خ (١٨٥)ح٥٤/٢ ، خ (١٧٨)، ح١٣٤/٢ .

واسم التفضيل (افضَل) الداخل في كلام الرسول(ص وآله)من خلال المضاف اليه في قوله (ص وآله):((افضَل العبادةِ احمزها))[12]نجد ظلّه ـ مقتبسا في قوله(ع):((افضَل الاعمالِ ما اكرَهتَ نفسَكَ عليه))[13] ، احمزها:أي اشَقّها [14]، وهو معادل للقول:(ما اكرَهتَ نفسَك) عليه .

اشترك حديثه(ع)مع الحديث النبوي بالتركيب ، وان اختلف نوع المضاف اليه،الّا انّهما يوصلان الى معنىً واحدٍ،وان كان في الحديث النبوي لفظ عموم (العبادة) وفي قول الامام(ع) لفظ خصوص (الاعمال)،باعتبار الاعمال مصداقا من مصاديق العبادة .

وكذالك في المعنى المقابل للمفردة(احمزها)،وكِلا الحديثين اخبار ـ من وجهةِ نظرٍ بلاغيَّةٍ ـ تفيد فائدة الخبر،ويدلّان على النصح والارشاد .

وقوله(ع):((وخادِع نفسَك في العبادةِ وارفق بها ولا تقهَرها ،وخُذ عفوَها ونشاطَها، الاّ ما كان مكتوباً عليكَ منَ الفرائض))[1]- وهو الاخر مقتبس من الحديث النبوي – لا يتناقض مع القول السابق،اذا ما نظرنا الى امور عِدّة اولها:أ الحديث الاول في مقام بيان افضل العبادات،وثانيها:انَّ القولَ الثاني جاء في مقام المعالجة لِمَن ارهقَ نفسَه،وثالثها:انَّه – الثاني – كان مُوجّها الى شخصٍ بعينِهِ وهو(الحارث الهمذاني)* .

ثانيا :اقتباسُ الحديثِ النبويِّ المباشِر .

---

[12] بحار الانوار،ج١٩١/٦٧.
النهاية في غريب الحديث، ابن الاثير ت(٦٠٦)هـ، تحقيق طاهر احمد الزاوي ،ومحمود محمد ألطناحي،مؤسسة اسماعيليان، ط٤،ج٤٢٢/١.

[13] نهج البلاغة ، ح (٢٤٩) ، ح٣/ ٢٠٧،
وينظر: شرح ابن ابي الحديد ،ح٧٦/٣. و شرح ابن ميثم البحراني،ح٥٧٨/٢ .

[14] شرح ابن ابي الحديد ج٧٦/٢٠ .

[1] نهج البلاغة،ك(٦٩)،ح١٤٣/٣ .

* هو الحارث بن عبد الله بن كعب بن اسد بن نخلة بن حرث بن سبع بن صعب بن معاوية الهمذاني،وكان أحد الفقهاء ، له قول في الفتيا، وكان صاحب الامام .
شرح ابن ابي الحديد،ج٣٢/١٨ .

بحسب تعريف مصطلح الاقتباس،الذي يشترط ايراد المقتبس في الكلام ((لاعلى أنّه منه))[1]، يخرج كثير من ايراد اقوال المصطفى(ص واله) من دائرة الاقتباس،ويندرج تحت باب اخر،الا وهو (الاستشهاد)[2] بسبب ايراد تلك الاحاديث والاقوال على انَّها من الرسول(ص واله)بسبب تقديمها بعبارة تصرح بذالك،وقد تُوحي اليه،مثل(قال رسولُ الله،قال لي،اخبرني،انبأني،سمعته يقول ..)،لذلك لا يتبقى الّا القليل جداً من شواهد هذا النوع من الاقتباس،من ذلك قوله(ع):((احبب حبيبكَ هوناً ما،عسَى ان يكون بغيضَكَ يوماً ما،وابغِض بغيضَكَ هَوناً ما،عسى ان يكون حبيبكَ يوماً ما))[3]،وهذا القول هو عين ما قاله الرسول(ص واله)[4].

انَّ استحضار الحديث بنصّه وافراده من غير مقدمة او تعليق،يترك النصّ يسبح في فضاءٍ رحب ويفتح العقلَ على مصراعيه،ويتخطّى به حدود الزمان والمكان،ليكون مُوجَّها الى ألناس كافة الى يوم الدين

ومن ذلك ايضا قوله(ع)في احدى حكمِه:((ما عالَ مَن اقتَصَد))[5]،وقد روي هذا الحديث بلفظهِ[6] عن رسول الله(ص وآله)،وبرواية اخرى:((ما عالَ امرؤ اقتصد))[7]،في الاولى يكون اقتباسا مباشرا،وفي الاخرى يُعدّ اقتباسا غير مباشر،وكلاهما خبر خرج الى النفي؛نفي الفقر عن الاقتصاد .

وقال(ع)في خطبة وعظية:((ياأيّها الناس؛ طُوبى لمَن شغله عيبُه عن عيوبِ الناس،وطوبى لِمَن لزم بيتَه وأكلَ قوتَه،واشتغلَ بطاعةِ ربّهِ،وبكى على خطيئَتِهِ ،فكان مِن نفسهِ في شغل،والناس منهُ في راحة)[1]،وقوله من قول الرسول(ص وآله)):((طُوبى لمَن شغلهُ عيبُه عن عيوبِ النَّاس))[2] .

---

(1) ينظر :التمهيد.

(2) ينظر :نهج البلاغة،خ(٧١)،ح٢/١١٤،ح٢/١١٦،خ(٢٠٥)،ح٢/٢١٤،ك(٤٧)،ح٣/٧٦، ٨٥، ٨٧،ح(٤٥)ح٣/١٦٣ .

(3) المصدر السابق،خ(٢٦٨)ح٢/ ٢١٧.

(4) ينظر: كنز العمال،المتقي الهندي ت(٩٧٥)هـ،تحقيق بكري حياني،مؤسسة الرسالة،بيروت،(د.ت)،ج٩/٢٤،
و: الترمزي،ح٣/٢٤٣،المعجم الاوسط ح٦/٢٠١، مجمع الزوائد،ج٨/٨٨ . و: بحار الانوار،ح٧١/١٧٤ .

(5) نهج البلاغة،خ(١٤٠)،ج٣/١٨٥ .

(6) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،ج١٠/٢٥٢
و: الجامع الصغير،ج٢/٥٠٠، و:المعجم الكبير،ج ١٠/١٠٩،

(7) بحار الانوار،ج ٦٨/٣٤٧،ج ٧٥/٦٠،ج ١٠٠/٢١،ج ١٠١/١ .
وروي **(لاعالَ مَن اقتصَد)** .
ينظر :المعجم الاوسط ، ٥/٢٠٦،ج٦/٣٦٥ .

(1) نهج البلاغة، (١٧١)،ج٢/١١٦ .

(2) مسند الشهاب،محمد بن سلامة القضاعي ت(٤٥٤)هـ،تحقيق حمدي عبد المجيدالسلفي،مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٩٨٥م ، ج١/٣٥٨ .
ينظر :منهاج البراعة، للراوندي،ج٢/٢١٤.
ينظر :منهاج البراعة، للخوئي،ج٢/١٦٧.
وجاء بصيغ اخرى مثل:

وطُوبى شجرةٌ في الجنَّة [٣] فيصبح المعنى كنائيا يُراد بها المعنى الآخر للمفردة،وكأنَّ معنى القول :(الجنةُ لمَن شغلهُ عيبُه عن عيوبِ النَّاس).

ثالثاً : اقتباس الحديث النَّبوي الشَّريف غير المباشِر (ألقَوِ ب) .

لهذا النوع من الاقتباس نماذج ليست بالقليلة في ثنايا نصوص النهج[١]،وبأمكان المتلقي ان يضع يدَه على كثيرٍ منها لو كان ذا حِفظ للمشهور من الاحاديث النبوية ، واحتلّ مساحةً واسعةً من النصوص النهجية،وان كانت اقلّ من المساحة القرانية،الاّ انَّها بدت كظاهرةٍ وسمت كثيراً من تلك النصوص .
قد يأتي الحديث المقتبس – احيانا – مع تغييرٍ طفيف بالتقديم والتأخير،وقد يأتي مع الزيادة والنقصان تَبَعاً لسياق المَقال .

قال(ع):((والله ما معاوية بأدهى مِنّي ، ولكنَّهُ يغدِرُ، ويَفجُرُ، ولولا كَراهيَّة الغَدرِ لكنتُ من ادهى النَّاسَ ، ولكن كلُّ غَدرةٍ فَجرةٌ ، ولكلُّ فَجرةٍ كَفرةٌ ، ولِكُلِّ غادرٍ لِواءٌ يُعرَفُ بهِ يوم القيامةِ ، والله ما أُستُغفَلُ بالمَكيدَةِ ، ولا استَغمَزُ بالشَّدِيدَةِ))[٢].

(طُوبى لَمن وَجَد في صحيفته استغفاراً كَثيراً) . ينظر:سنن ابن ماجة،ج١٢٥٤/٢ .
و**(طُوبى لِ َمن طالَ عمرهِ وحَسُن عَمَـلُه)** . ينظر: سنن ابن ماجه،ج١٧١/٣.
و**(طُوبى لِ َمن تواضَ َ من غيـرِ َمنقصةٍ)** . ينظر: سنن ابن ماجة،ج١٨٢/٤.
و**(طُوبى لِ َعبد أخذَ بعنانِ فَرسـه ...)** . ينظر: سنن ابن ماجه،ج١٥٩/٩.

[3] ينظر: بحار الانوار، ج٢٠٧/١٥،ج ٣٠/ ١١٩، ج ٣٢٠/٣١،ج١٤٠/٣٨ .

[1] ينظر مثلا:نهج البلاغة،خ(١٦٤)،ج١١٢/١،خ(١٥٨)،ج٨١/٢ ،خ(١٦٠)،ج٨٦/٢ ،خ(١٦٢) ج٩٧/٢،خ(١٧١)،ج١٠٩/٢،خ (١٩٤)،ج٢٠٤/٢،خ(٢٠٩)،ج٢٢٠/٢، ك(٢٧)،ج٣/ ٣١،ك(٢٨)،ج٣٤/٣، ك(٣١)،ج٤٢/٣، ك(٤٨)،ج٨٧/٣ ،ك(٣)ج١٥٢/٣،خ(٥) ج١٥٢/٣،خ(٥٤)،ج١٦٤/٣،خ(١٤٥)،ج١٨٥/٣،خ(٢٤٤)،ج٢٠٧/٣.

[2] نهج البلاغة،خ(١٩٥)ج٢٠٦/٢ .

أقسَمَ(ع) على امرٍ ظاهر بقسمٍ صريح:(والله)،ويؤكد ذلك الامر بحرف الباء(بأدهى)، بقدر ما أكّد غدرَ معاوية وفجورَه مَرَّة ثانية بحرفِ اللّام(لكنت)،وأراد بذلك توكيدَ أمرٍ ظاهر،وهو انَّه لولا كراهية الغدر لاصبحَ مِن أدهى الناس،هنا اظهار للسبب ، والذي مَنعهُ هو انَّ الامر يبدأ بالغدر،مرورا بالفجور والكفر لينتهي بسخطِ الله،حين يفضح الغادر بلواء يدلُّ على غدرهِ يوم القيامة،وهذه نتيجة .

وهذه الكلام في الواقع اقتباس من قوله(ص وآله): ((لكلِّ غادرٍ لواء يوم القيامةِ يُعرفُ بهِ))[٣].

فالحديث اذن أخذ بطَرَفَي النَّص ، لكونِهِ سَبَباً لامتناع العمل بالغدر، ونتيجة للعمل به ، فأورده ا (ع) بمثابة جملة ، اشتركت في البناءِ السردي للنصّ ، واستكمال معناه ، في تسلسلٍ استدلاليٍّ ، وفي جُملٍ قصيرةٍ ، مسجوعةٍ لِتُقضِي الى محصّلة اظهرت السببَ والنتيجة في آن .

قدّم الامام(ع)جملة (يعرف به)على جملة(يوم القيامة)كما هو في قول الرسول(ص واله)ولعلّ سياق الكلام – الذي يدور حول محور الغدر،وصاحبه – هو الذي جعله يقدّم(يُعرَف بـه)للتوكيد، والتخصيص،اذ لم يكن الحديث عن(يومِ القيامةِ) بقدر ما كان عن صاحب ذلك اللواء،وكأنّه اراد ان يعود بالضمير المستتر في(يُعرَف بهِ) الى معاوية،وهو مَحل الشاهد .

وكذلك قوله(ع):((... الا وانّي لم ارَ كالجنةِ نام طالبُها،ولا كالنارِ نامَ هاربُها، الا وانّه مَن لاينفعهُ الحقُّ يَضرُرهُ الباطلُ،ومَن لم يستقِم به الهُدَى يَجُرَّ بِهِ الضّلالُ الى الرّدى...))[١]،الامرُ الّذي اشار اليه الحديث النبوي الشريف:((ما رأيت مثل النار نام هاربُها ولا مثل الجنة نام طالبُها))[٢]

ارتكز النصَّان على النفي(ما)في الحديث النبوي و(لم)في حديث الامام(ع)، وكلاهما اعتمد التشبيه ،(مثل)و(الكاف)،ومع هذين الفرق بأنواع الادوات ، نلحظ تقديماً وتأخيرا،اذ قدّم الكلامَ في النارِ في الحديث وقدّم الكلامَ في الجنة في نصِّ الامام(ع) .

ولم يقتصر كلامُه (ع) على النفي فقط ، بل تعَّداه الى توكيدِ ذلك النفي ، واخراجهِ بصورةٍ بيانِيَّةٍ اعتمدت التشبيه عينَه في حديثِ رسولِ اللهِ (ص وآله).

تحدث (ع)في خطبته عن الدنيا ، وحثَّ على العمل ليوم غدٍ (الا وانّ اليومَ المِضمارُ وغَداً السباقُ) ،ثم يمضي مُحَذِّراً على العمل(في ايامِ املهِ قبل حضورِ اجلهِ..) ، وحديثه كان دعوة للفوز بالجنة قبل الدعوة لتجنب النار ، فالغاية الجنة ، (الا وانّ اليومَ المضمارُ ، وغداً السباقُ ، والسَبَقةُ الجَنَّةُ) ، من هنا قدّم ذكر الجنة على ذكر النار، واحضار التوكيد(واني) دلّ على توكيد هذه الحقيقة ، واهميتها ، وقد تأتي لتوكيد استغرابه ، وسخريتِهِ منها .

انَّ سياق المقال،ومُقتضى الكلام هو الذي عَدلَ بالامام(ع)الى مثل هذا التقديم والتأخير،المهم أنّ الحديث النبوي قد تسرّبت معانيه،وتفرّعت دلالاتُه في حديث الامام(ع)،فطغى بدلالته في بنية النصِّ .

وامتداد بنية النص النبوي ،في نسق كلامه(ع) ،واعتماد صيغتي النفي والتشبيه في قوله(ع): ((لا عقلَ كالتدبير ،ولا كرمَ كالتقوى ، ولا قرينَ كحسن الخلق ، ولا ميراثَ كالادبِ ، ولا قائدَ كالتوفيق ، ولا تجارةَ كالعمل الصالح ، ولا ربحَ كالثوابِ ، ولا وَرَعَ كالوقوفِ عند الشبهة ، ولا زهدَ كالزهدِ في الحرام ،

---

[3] مسند ابي الجعد،علي بن الجعد الجوهري،تحقيق ابي القاسم عبد الله البغوي،دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ت).
ص: ٢٠٧ . و: صحيح البخاري ، ج٦٢/٨ . و: بحار الانوار،ج١٩٧/٩٢،
وقد ورد هذا الحديث بطرقٍ تختلفُ قليلا عن صيغته الاولى .
ينظر:مسند أحمد ج٢/ ١٦ . ويرى ابن ابي الحديد ان كلام الامام (ع) حديث صحيح مروي عن النبي(ص وآله) .
ينظر:شرح ابن ابي الحديد،ج١٦٦/١٠ .

[1] نهج البلاغة،خ(٢٧)ج٦٧/١-٦٨ .

(٢) [2] الجامع الصغير،جلال الدين السيوطي ت(٩١١)هـ،دار الفكر العربي ،بيروت،(د.ت).ج٤٩٦/٢.
وجاء بتقديم(**طالبها**) على(**واردها**) في الروايات .
ينظر:المعجم الاوسط،ج١٧٧/٢،ج٧٣/٤،ج٢٠/١٩،بحار الانوار،ج٢٩٣/٧٤،كنز العمال،ج٢٠٣/١٦ .

ولا علمَ كالتفكِر ، ولا عبادةَ كاداءِ الفرائض...))[٣]، ،وهما صيغتان تقودان الى حصر وتوكيد ما قاله ، وهذا من قوله(ص واله) : ((لا عقلَ كالتدبير ، ولا ورعَ كالكفِ ، ولا حَسَبَ كَحُسن الخُلُق))[١] .

وفي موردِ ذمّه المدبر لاصحابه حين تقاعسوا عَن نصرتهِ ، اقتبس حديثا نبويا شريفا[٢]، حين قال مُوبّخا: ((ومن رُمِيَ بِكُم فقد رُمِيَ بأفوَقِ ناصِلِ،وانّكم والله لكثيرٌ في الباحاتِ قليلٌ تحتَ الرايــاتِ))[٣]، وهذا نقيض ما قال الرسول(ص واله) مادِحاً الانصارَ: ((انّكم لتكثرون عِندَ ألفَزع ،وتقلّون عِندَ ألطَّمَع))[٤] .

جاء قَسَمهُ(والله)لتوكيد حقيقة هؤلاء،ثم استدعى اكبر حَشدٍ من المؤكدات تمثّلت في(انَّ،القسم، اللام):((انّكم واللهِ لكثيرٌ في الباحاتِ،قليلٌ تحتَ الرَّاياتِ))[٥]- رَغبةٌ منه(ع)في توكيدِ حال هؤلاء،وتَيَقّنِهِ منهم، والمفردات(الباحات،الرايات)كنايتان عن الغنائم والحرب، انّهم كثيرُ في السِّلم والغَنائِمِ[٦]،وقليلون في ساحات الحروب تحت الرايات،وهذان الوصفان من لوازم الجُّبن ،والطَّمع،كما انَّ مقابلهما من لوازم الشجاعةِ،وعِزّةِ النفس،لذلك مدح السول(ص واله) الانصارَ بعكس هذه الاوصاف .

نحن ازاء نوعين من الطباق؛لغوي ظاهر في المفردتين:(كثير،قليل)ومعنوي تمثل في تناقض المعنيين(الباحات والرايات) .

نجح الامام(ع)في الاحالة الدلالية العكسية للحديث،اعتمادا لمنظوميته المعنوية،ومنظومته الدلالية، تاركا ادراك القيمة الايحائية للمتلقي حين يستذكر حديثَ رسول اللهِ (ص واله)في الانصار .

وكذلك قوله(ع) في حقِّ اهل البيت: ((هُم الّذين يُخبرُكُم حُكمُهُم عَن عِلمِهِم ، وصمتُهُم عن منطقِهِم ،وظاهرُهُم عن باطنِهِم ، لا يخالفونَ الّدينَ ، ولا يختلِفُون فيهِ ، فهو بينَهُم شاهدٌ صادقٌ ، وصامتٌ ناطقٌ))[٧]، وهو من قوله (ص واله): (انّي تارك فيكم الثقلين ، ما ان تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي،

كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فانّهما لن يفترقا حتّى يَردا علي ألحوض)[١].

لذلك فانّهم(عليهم السلام)،(لن يخرجوكم مِن هدى ولن يعيدوكم في رَدى) والمفردة(الدِّين) اسمٌ جامعٌ ،ومن مَصاديقِهِ (كتاب الله).

وقال في وصيته لابنه الحسن(عليهما السلام):((... وأمُر بالمعروفِ تَكُن من أهلِهِ،وانكر المنكَر بيدكَ ولسانِكَ وباين مَن فعله بجهدِكَ،وجاهِد في الله حَقّ جهادِهِ،ولا تأخذك في الله لومةُ لائِم،وخُض الغمراتِ

---

[3] نهج البلاغة،خ(١١٣)،ج١٧٧/٣ .

[1] سنن ابن ماجة ، ج١٤١٠/٢، الجامع الصغير،ج٤٢٨/١،ج٧٥٠/٢، مجمع الزوائد ،ج٢١٦/٤، بحار الانوار،ج٥٩/٧٤ .

[2] ينظر: منهاج البراعة، للراوندي ،ج٢٩٥/٢. وينظر: بهج الصباغة، للتستري ،ج٥٨٩/١٠.

[3] نهج البلاغةخ(٦٦)،ح١١٣/١-١١٤ .

[4] النهاية في غريب ألحديث، ،ج٤٤٣/٢.
وورد بصيغة: ((**انكم لَتقِلون عِندَ ألطَّمَعِ ،وتكثرون عِندَألفَزَعِ**)).
تفسير القرطبي، ابو عبد الله محمد بن أحمد ألقرطبي ت(٦٧١)هـ، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ ألعربي، بيروت،(د.ت)،ج٣١٥/١٤.
وينظر:منهاج البراعة،للراوندي،ج٢٩٥/٢.

[5] ورد بصيغة : (**الباحة ، والراية)** بصيغة الافراد في شرح الخوئي . ينظر: منهاج البراعة،ج١٢١/٥

[6] ينظر:شرح ابن ميثم البحراني،ج٣٤١/١ .

[7] نهج البلاغة،خ(١٤٣)،ج٤٣/٢.

[1] بحار ألانوار،ج٣٩٩/٤٧.
وينظر: السنن ألكبرى،للنسائي، ابو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ألنسائي ت(٣٠٣)هـ، تحقيق د.عبد ألغفار سليمان،وسيد كسروي،دار الكتب ألعلمية،بيروت،١٩٩١م،ج٤٥/٥.
سنن الدارمي،ج٤٣٢/٢.
مسند ابي الجعد،ص:٣٩٧.

للحقِّ حيثُ كان))[٢]، وهذا ما أكّده الحديثُ النبويُّ الشريف:((مَن رأى منكُم مُنكَراً فليغيّره بيدهِ فأن لم يستطِع فبلسانِهِ،فأن لم يستطِع فبقلبِهِ وذلك أضعفُ الايمان))[٣]، وكلاهما دعوة للعمل الصالح،وحثّ على فعله،والتصدّي للمنكر كلّ بحسب قدرته،باليَدِ،أو اللّسان،أو بالقلب .

دعا الحديثُ النبوي الى ذلك بفعل الامر في احدى صِيغ الامر،الفعل المضارع ولام الامر (فليُغَيِّره)،وكلام الامام(ع)جاء بصيغة النَّصح والحثّ على انكارهِ باليدِ،واللسان،بعد التمهيد في الحثّ على فعل المعروف ، والامر بالعمل به .

ولمّا كان الامام (ع)لايريد مدافعة الباطل بالقلب فقط مِن قِبَل ابنهِ الحسن(ع)لا نجد ألمقطع(ومن لم يستطِع فبقبله)،فهو اِمام الامَّةِ والمدافع عنها مِن بَعدهِ وعليه ومدافعة الباطل باليد واللسان،وعليه ان يباين من فعله يجهده،وان يجاهد في الله حق جهاده،وألاّ تاخذهُ في الله لومةُ لائِم،حتى لو تطلّب الامرُ خوضَ الغمرات حيثما كانت،والدّليلُ على ذالك ما نجد في كلامه(ع)لسائر الناس حين يدعوهم الى دفع الباطل،ومدافعته،باليدِ، واللسان،او بالقلبِ،كلٌّ بحسَبِ استطاعَتهِ [٤].

والدليل الاخر هو قوله(ع):((وجاهِد في الله حَقّ جهاده ولا تأخذك في الله لومةُ لائِم))وهذا ممّا يتخطّى الدفع بالقلب فقط،وكذلك دفع الباطل ولو يخوض الغمرات (ولفظ الخوض مستعار لمعاناة الشدايد، والدخول فيها لطلبه الحق)[٥]، ومن هنا ندرك فائدة التصرف بالحديث ليناسب مقام المقال،وليطابق مقتضى الحال .

وكذالك قوله(ع):((الصدقةُ دواءٌ مُنجِح،واَعمالُ العبادِ في عاجلهم نَصب اَعيُنِهم في آجِلِهم))[٦] ،وهذا المعنى مأخوذ من قول المصطفى(ص واله):((داوُوا مَرضاكُم بالصَّدقةِ))[٧]، فقوله(ص واله) الأمرٌ صريح بفعل الأمر(داوُوا).وقول الامام المقتبس في معناه خبرٌ فيه(فائدةُ الخبر)يفيد السامع معنىً جديداً لم يكن يعلم به من قبل،فهو خال الذّهن من هذه المعلومة التي جاء بها الامامُ في ايجازٍ مُكثفِ الدَّلالةِ .

وقوله(ع) : (أعمالُ العبادِ في عاجلهم نَصبَ اعينهم في آجلِهم) مُقتَبس من قوله تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ) [١] ، والمقطع الاول في الآيه المباركة هو محلّ الشاهد ، فما نعمله ألآن وهو نصب اعيننا سنجده ـ يوم الحساب ـ محضرا، نصب اعيننا.

وهكذا تلمح مرة اخرى عَرضاً وترغيبّا بالاسلوب الخبري المُوحي بالأمر المُحَبَّب للمتلقي، والفارق بين القولين لم يكن باختلافِ الاساليبِ النحوية من حيث كونها ادوات، او البلاغية من حيث كونها اساليب،بقدر ما كان اختلافاً في الطَّرح ليلتقيا في نقطه واحدة،فالرسول(ص واله)حَصَر التداوي بالصَّدقةِ فقط ، والمُتبيّن بحرف الجر(الباء) ، والذي يوحي بالحصر والتخصيص ،والمعزز لذلك قوله(ص وآله)بالدواء المنجح .

---

[2] المصدر السابق،ك(٣١)،ج٣/٤٤.

[3] مسند احمد،ج٣/١٠ .

[4] ينظر :نهج البلاغة،ق(٣٧٣)،ح٣/٢٤٣،ق(٣٧٤)،ح٣/٤٣،ق(٣٧٥)،ح٣/٢٤٤ .

[5] شرح ابن ميثم البحراني،ج٢/٣٦٤ .

[6] نهج البلاغة،ح(٦)،ح٣/١٥٣ .

[7] السنن الكبربح٣/٣٨٢،كنز العمال،ج١٠/٢٣،بحار الانوار،ج١٠/٩٩،ج٥٩/،٦٣ج٦١/٢٥،ج٦٣/١٧٢،ج٧٨/٢٠٣

[1] آل عمران/٣٠ .

وينظر: شرح ابن ابي الحديد،ج١٨/٨٠..

رابِعاً : اِقتباسُ الحديثِ النبويِّ غير مُباشِرٍ (ألبَعِيد)،(المَعنَوي).

هو نوعٌ لا يقِلّ شيوعا عن سابقهِ في سطورِ النصوص النهجية[1]،وتمثّل بتحفيز الخزين الثقافي عند المتلقي ذي الاطلاع على الحديث النبوي الشريف والمحاولة الرجوع به الى معاني تلك الاحاديث ،وصياغتها في تشكيل بنائي جديد ينسجمُ وسياق النصِّ الوارد فيه .

لقد نَهَل الامام(ع)من معاني الحديث النبوي،مثلما كان الامرُ مع المعاني القرانية فكانا منطلقا لعملية الابداع عنده .

و قوله(ع)عند خروجه لقتال اهل البصرة:((مالي ولقريش ! والله لقد قاتَلتَهُم كافرين ، لاقاتِلنّهُم مَفتُونِين ، وانّي لَصاحِبِهم بالأمسِ كما أنا صاحبُهُم اليوم!))[2].

(مالي ولِقُرَيش)استفهامٌ على سبيل الانكار لما بينه وبينهم[3]،وعند التمعّن في النص ندرك مغزى افراغ ادوات التوكيد من خلال(القَسَم،وقَد،واللّام،ونون التوكيد)المجتمعة في النَّص،وبحسَبِ التصنيف البلاغي نستطيع تصنيف هذا النص بأعتباره خبراً انكاريّاً،ولَعَلّ هذا التوكيد مأخوذ من تأكيد الرسول(ص

---

(1) ينظر :نهج البلاغة،خ(١٦٤)،ج١/١١٢،خ(١٥٨)،ج٢/٨١ ،خ(١٦٠)،ج٢/٨٦ ،خ(١٦٢)،ج٢/٩٧،خ(١٧١)ج٢/١٠٩ خ (١٩٤)،ج٢/٢٠٤،خ(٢٠٩)،ج٢/٢٢٠،ك(٢٧)،ج٣/٣١،ك(٢٨)ج٣/٣٤،ك(٣١)،ج٣/٤٢،ك(٤٨)،ج٣/٨٧ ك(٥٣)،ج٣/٩٢،ك(٦٣)،ج٣/١٣٣،ح(٣)،ج٣/١٥٢،ح(٥)،ج٣/١٥٢-١٥٣،ح(٥٤)،ج٣/١٦٤،ح(١٠) ج٣/،ح(١٤٥)،ج٣/١٨٥،ح(٢٤٤)،ج٣/٢٠٧،ح(٢٨٧)،ج٣/٢٢٢،ح(٣٤٢)،ج٣/٢٣٤،ح(٣٨٩)ج٣/٢٤٧، ح(٤٤٤)ج٣/٢٥٩ .

(2) نهج البلاغة،خ(٣٢)ج١/٧٧-٧٨ .

يورد ابن ابي الحجديد في شرحيه تتمه لكلامه(ع) وهي:(**والله ما قَمت منّا قُريشُ الاّ انَّ الَه اختارنا عليهم ، فأدخلناهُ م في حَيّزنا فكانوا كما قالَ الاوَّل :**

أدمتَ لَعمري شُربَكَ المَحضَ صامحاً وأكلكَ بالزُّبدِ المُقوِّةَ البُ حراَ

ونَحنُ وَهبناكَ العلا ولَم تَكُ علِ ّياً ، وَحُطنا حَولَكَ الجُردَ والشُّمراَ

ينظر :شرح ابن ابي الحديد،خ(٣٣)ج٢/١٤٧ .

وبصيغة:((**ما تنَقم منّا قُريش.....**))، في شرح الخوئي . ينظر: منهاج البراعة ، ج٧/٢١٣.

وأورد ابن ميثم البحراني تتمة اخرى لهذه الخطبة في شرحه

فقال:"**وقد نُقِلَت في تمام هذه الخطبة في بعض النسخ: لتضجّ قريشُ ضَجيجَها ان تكُن فِنا النبُوّةُ والخلافَةُوالِ له ما أتينا اليهِم الاّ انّا اجتَأنَا عَليهِم** " .

شرح ابن ميثم البحراني،ج١/٢٦٦ .

(3) نظر المكان نفسه .

وآله) في الحديث الذي اشار الى هذا الامر،اذ جاء عنه(ص وآلـه) لعلي (ع) :((ستقاتلهم على التأويل كما قاتلتهم على التنزيل))[٤]،جاء التوكيد بحرف(السين) .

وقوله(ع) – وان كان خبريَّاً – يحمل في طيَّاتِه تهديدا،لاسيّما اذا تذكرنا انه(ع) قاله عند خروجه لقتال المارقين من قريش (فهو تهديدٌ بأن يوقِع بينهُم القتالَ على فِتَنِتهم وضَلالِهم على الديـــن)[١].

ولتزاحم ادوات التوكيد دلالـةٌ اخرى تُظهر غضبَه،وسَخطِهِ ، وَوَعيدَه لهؤلاء ، وقد خَتَمه بقولـهِ: (وانّي لَصاحبهم بالامس،كما انا صاحبهم اليوم !)، وهو تصريح بأنَّ حاله لم يتغيّر اليوم عَمّا كان عليه في الامس عند قتاله المشركين مع رسول الله(ص وآله)،ولا فرقَ بين قتالهِ للمشركين على التنزيل،وقتاله للمارقينَ والناكثينَ والخارجينَ على التأويل .

وقال(ع):((وقَدَّرَ الارزاقَ فَكثَّرها ، وَقلّلها ، وقَسَّمها على الضِّيق والسَّعة ، فعَدَّلَ فيها لِيَبتَلِي مَن اراد بمَيسُورِها ، ومَعسُورِها ، ولِيَختَبِر بذلِكَ الشّكرَ، والصَّبرَ مِن غَنِيِّها وفَقِيرِها ، ثُمَّ قَرَنَ بِسِعَتِها عَقابِيلَ فاقَتِها ، وبِسَلامَتِها طَوارِقَ آفاتِها ، وَبِفُرَجِ أفرَاحِهَا غُصَصَ أتراحِهَا وَخَلَقَ الآجَالَ فأطالَهَا ، وقَصَّرَها ، وقَدَّمَهَا وأخَّرَهَا...)) [٢].

لقد صرّح النبي الاعظم بالمعنى نفسه في قوله:((انَّ اعطاءَ هذا المال فِتنَةٌ وامساكَهُ فِتنَةٌ)) [٣].

(انَّ)الناصبة ومعموليها،وما عطف عليهما،قدّمت لنا بخبرٍ توكيدي مُوجَز ومكثّف هذه الحقيقة التي فصل الامام(ع) القول فيها بحشدٍ لفظيٍّ متناسقٍ، انتظم في طِباقاتٍ مَسجوعَةٍ من المفردات: (كثّرها وقلّلها،الضَّيق والسَّعة،مَيسورِها ومَعسورها،غِنيِّها وفَقيرها،سَلامتها وآفاتُها ،افراحُها واتراحُها، اطالَها وقَصَّرَها)والذي زاد من جماليّة النصِّ وأثره في المتلقي هو انتهاء تلك المفردات بحرفِ المَدِّ ذي الوقع الكبير في الاذن والتصور لاكبر قَدرٍ مِنَ الانفتاح الكَمّي لتلك التصورات،وكأنّ تلك المفردات قد انفتحت على مصراعيها لتُعطِي أكبرَ ما تستطيع من معانيها بفضلِ هذا المدّ المُنفتِح الى ما لانهاية .

أراد الامام(ع)بقولِه انَّ اللهَ قَدَّرَ الارزاقَ فكَثَّرَها عند المُوسِرِ وقَلّلها عِندَ المُعسِرِ،(قَسَّمها على الضِّيق والسَّعةِ) هما مفردتان تُحيلان الى (الغنى والفَقر) ، وكثرتُها عند المُوسِرِ ابتلاءً له في الانفاقِ الحَلالِ واخراجِ الحقوق ، وقِلّتِها عند المُعسِرِ اختبارٌ لهُ في الصَّبرِ أو عَدَمِهِ ، (عُدّ فيها مَن اراد بميسورِها ، ومعسورِها ، وليختبر بذلك الشكرَ والصبَر من غنيِّها وفقيرِها) ، اذ يعود اختبار الشكر عند الغني واختبار الصبر عند الفقير بِحَسَبِ الترتيبِ في قوله(ع) ، والامر في كليهما فتنةٌ ، وكلّ منهما قد ينجح في الاختبار أو يفشل فأعطاؤهُ (في الغنى) فِتنةٌ ، وامساكِهِ(في الفقر)فِتنَةٌ .

لقد جاء قوله تفصيلاً وبياناً لاسباب تلك الفتنة،لاسيّما بعد ان بَيّن الارتباط الموضوعي المُحتمل بين السّعة والضيق،والسلامة والآفات،والأفراح بالاتراح،وكذلك ألامر في الآجال – فهي ميدان الاختبار الكبير – فأطالها لبعض،وقصّرها للآخر،فقدّمها وأخَرّها،وهذا كله فتنة وأختبار .

وفي خطبة له (ع) قال بعد حمد الله،والثناء عليه: ((... وانَّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسلَهُ بأمرِه صادِعاً ، وبذكرهِ ناطقاً ، فأدّى أميناً ، ومضى رَشيداً ، وخلّف فينا راية الحقِّ : مَن تقدّمها مَرَق ، ومَن تَخلّف عَنها زَهق ، ومَن لَزِمها لَحِق ، دليلُها مَكيثُ الكلامِ))[١].

انصبَّ الحديثُ بأسلوب سردي خبري،ولان السامع له انئذ لم يكن خالي الذهن من هذا الخبر، لذلك عُدّ خبر لازم الفائدة،هو خبرا للتذكير،وحاملا معنى حديث نبوي شريف شاع وانتشر بين الناس والدالة عليه مفردات النص(وخَلّف فينا راية الحَقِّ)،وقَصَد بها قول المصطفى(ص واله): ((انّي تاركٌ فيكُم الثقلين،كتابَ اللهِ وعترتِي،ما اِن تمسكتُم بهما لن تَضِلّوا بعدي أبداً))[٢]

---

[4] المناقب،ص:٦١،بحار الانوار،ج ١٣٤/٣٨ .

[1] نهج البلاغة،خ (٥٦)،ج١٠١/١ .

[2] المصدر السابق،خ(٨٧)،ج١٧٧/١ .

[3] مسند احمد،ج٥٨/٥.

مجمع الزوائد،ج٨٧/٣.

[1] نهج البلاغة،خ (٩٦)،ج١٩٣/١ .

[2] ينظر: منهاج البراعة، للراوندي ،ج١٥٨/٢. وينظر: منهاج البراعة ، للخوئي ،ج١٥٨/٧.

ورد الحديث بصيغ عدة تتفق كلها في المعنى نفسه .

وقولـه(ع): (مَـن تقـدّمها مـرق ، ومَـن تخلّـف عنهـا زهـق ، ومَـن لزمهـا لَحـق) يعـود الـى قولـه (ص واله): " مثل أهل بيتي مثل كسفينهِ نوح مَن رَكبها نَجا ، ومَن تَخلّف عَنها غَرق " [٣]، امتزج الحديثان معا في(رايةِ الحقّ) ، والمقصود بهما: الثقلان،الكتاب والعترة[٤] تلك الراية التي خَسَر مَن وضَعها خلف ظَهرِهِ،وتقدّم عليها ، او مَن تَخلّف عَنها وتركها ، فالاوّل خارجٌ مِنَ الدين ، والثاني هالكٌ ، والفائزُ مَن لزمها

وقوله:(دليلُها مَكيث الكلامِ)يعني نفسه(ع) لانَّهُ المشار اليه مِن العترة[٥]،والضَّمير المُتَّصِل(الهاء) يعود الى الراية المتقدّم ذكرها ،كناية عن انّ الكتاب لا يُفارقه، وهو لايُفارق الكتاب بِحَسَبِ مَضمون الحديث الشريف.

وفي آليَّةٍ ابداعيَّةٍ انطلق بها من معنى الاحاديث النبوية((خُذ ما تعرفه ودَع مالاتَعرف))[٦] ، و((مَن حُسن اسلامِ المَرءِ تَركِهِ ما لا يَعنِيه))[٧]،والحديث:((دَع ما يريبك الى ما لا يريبَك)) [٨]

وبآليَّةٍ تَناصيَّةٍ،سواء أكانت بقصد أم بغيره تجلّى معنى الحديثين مُدمَجاً في بنية شكليّة نصّية جديدة في وصيتة الامام الحسن(ع):((. . . فاصلح مَثواك ، ولاتبع آخرتَك بدنياك ، ودَع القولَ فيما لاتعرف ، والخطاب فيما لم تُكَلَّف ، وامسِك عَن طريقٍ اذا خِفت ضَلالَتَه ، فانَّ الكفَّ عند حَيرةِ الضَّلال خَيرٌ مِن ركوبِ الاهوال)) [١].

لقد تواشجت معاني الحديثين لتصُبّ في النصّ دفعة واحدة،اذ يرى ان القول:(ودع القولَ فيما لاتعرف)من قول المصطفى(ص واله)الاول والقول:(والخطابَ فيما لم تُكَلَّف)من الحديث الثاني،والقول : (وامسِك عَن طريقٍ اذا ما خِفتَ ضَلالَتَه) من الحديث النبوي الثالث [٢].

تسرّبت معاني الاحاديث وتوزّعت بين سطور النص وثناياه ، وبكلمات يسيرات " انّ قيمة العبارة الفنية تتضخّم بمقدار ما تجنح الى السهولة واليسر "[٣].

‘وفي كلامٍ موجَزٍ مُكثّف في ذمِّ ابليس والتَكبُّر، فذكر(قابيل)ضِمناً،وما الحق بهِ مِن آثام: ((. . .ولا تكونوا كالمتكبّر على ابن امّهِ، مِن غيرِ ما فَضلٍ جَعله اللهُ فيه سِوى ما الحَقتِ العَظَمةُ بنفسِهِ مِن عَداوةِ الحَسَدِ،وقَدحت الحَمِيَّةُ في قلبِهِ من نارِ الغَضَبِ، ونَفَخَ الشيطانُ فِي أنفِهِ من ريحِ الكِبَر الذي اعقَبَهُ اللهُ بهِ الندامةِ،وألزمَهُ آثامَ القاتلينَ الى يومِ القيامَةِ))[٤].

ينظر:المعجم الصغير، ج١ /١٣١، المعجم الاوسط ،ج١٠/٤، المعجم الكبير، ج٦٦/٣، بحار الانوار، ج١٠٨/٢٣،ج٢٢٩/٣٥، ينابيع المودة ،ج٨٩/٢ .

[3] مجمع ألزوائد،ج١٦٨/٩.
كما ورد بصيغ أخرى متقاربة.
ينظر: ينابيع المودة ،لذوي القربى ،الشيخ سليمان بن ابراهيم الحنفي ت(١٢٩٤)هـ، تحقيق سيد علي جمال اشرف الحسيني، مطبعة اسوة، (د.ت) ، ج٩٠/٢.
و :ألمعجم ألكبير ،للطبراني،ج١٣٩/١.و :بحار الانوار،ج ٣٤٧/١٨،ج١٠٥/٢٣،ج١١٣/٢٧.و :كنز العمال،ج٤/١٢

[4] شرح ابن ابي الحديدج٧٠/٧ .

[5] ينظر:المكان نفسه

[6] مستدرك الوسائل،ومستنبط المسائل،المحقق النوري الطبرسي ت(١٣٢٠)هـ، مؤسسة ال البيت(ع)لاحياء التراث، ١٤٠٨هـ ، ج٢٥/١٧ .

[7] صحيح مسلم، ح١٣١٦/٢،المعجم الصغير،ج٢ /٤٣،المعجم الاوسط،ج١١٥/١ .

[8] البخاري، ح٤/٣ ،سنن الدارمي، ج٢٩/١،ج٢٤٥/٢،مجمع الزوائد،ج١٢٥/١٠ .

[1] نهج البلاغة، ك(٣١)،ج٤٤/٣ .

[2] ينظر: شرح ابن ابي الحديد، ج٥٠/١٦ .

[3] دراسات فنية في صور القران ، د . محمود البستاني ، مجمع البحوث الاسلامية، مشهد،١٤٢١هـ ، ص :٤٦ .

[4] نهج البلاغة،(١٨٧)،ج١٦٥/٢ .

ويرى التستري في شَرحِه انَّه مُقتَبَس مِن الحديثِ النبويِّ:((ما مِن نَفسٍ تُقتَل ظُلماً الاّ كان عَن ابن آدم الاوَّل كِفلٌ مِنها،وذلكَ لأنّه أوّلَ مَن سَنّ القَتلَ))[٥]، ذابت ملامح الحديث البنائية لتَحُلَّ مَحلّها دلالته المعنوية بلغةٍ دالّةٍ،قادرةٍ على العَطاءِ والاقناعِ، على وفقَ بِناءٍ صوتيٍّ أخّاذ وقد تَجَسّد في هَيكلٍ مِن الجِناس المُختَلِط بالسَّجع،فكان الحديثُ من نسيج كلامِهِ فأضحى نَصّاً نُسِجَ بِبَراعةِ لفظيَّةٍ،ومَعانٍ صِيغت بصورةٍ بارعَةٍ لما دعا الى عَدمِ التكَبّر كما فَعل قابيل فلحقته النَّدامةُ والآثامُ الى يومِ الدِّين ويُدرك المتلقي تلك الاشارةِ الضمنية – في الكَلامين – الى(قابيل)دونَ التَّصريحَ باسمِهِ .

وكلامه(ع)مَبنيّ على ما اقَرَّهُ الرسولُ(ص وآله)وما علّلهُ ، لأنّه – قابيل – (أوّل مَن سَنّ القَتلَ)

---

[5] بهج الصباغة، التستري،ج١/١٥-١٦.

وينظر: تاريخ الطبري،ج١ /٩٦-٩٧ .

ألفَصلُ الثَّانِي
وَظِيفةُ الاقتِبَاس

ألمبـَحَثُ الأوَّل: ألوَظِيفَةُ الدّلاليَّة.
ألمبَحَثُ ألثَّانِي: ألوَظِيفَةُ الفَنِيـَّة.

مَدخَل :

وظّف الأمام ما أقتبس من القرآن والحديثِ النبوي في نصوصه بطرقٍ شتّى،من خلال توظيف المعاني والدلالات،والإشارات في الآية،أوالحديث ٠

إنَّ استحضارهما - بالطرق المختلفة - لم يكن استحضارا شكلياً،بل هو سعيٌّ نحو التوظيف، والاستقدام الدلالي ، وسعي نحو قصديّة مَرجوّة ، ومُبتغاة لم يكن الغرض منها التزيين فقط،فالنص ليس عملاً إبداعيا فقط، إنّما هو" مُدَوَّنةٌ حَدَثٍ كلامي ذي وظائف مُتَعَدّدَة " [1].

كان الأمام (ع) مُدركاً لأثر النصِّ في التوظيف،فمثلت معلماً واضحاً من معالم النص النهجي عنده من هنا نجد نصوصه ذات أثر في خدمة الإنسانية،والحضارة،فهو أدب وظيفي أوعلى الأقلِّ كانت الوظيفة من مرتكازاته الأساسية[2]،حيث يُوظف كلّ شيء من اجل الهدف.

حين تكلّم في خطبه ، وكتبه،ومواعظه ، لم يكن غرضه السرد التاريخي المُجرّد لما يقتبسه،بقدر ماكان يبتغي استنطاق الحدث ، والخروج به إلى توظيف مُثمِر للإسهام في بناء الإنسان والمجتمع ، فالقصدية والغرضية ، والوظيفية كانت نَصب عَينَيه في أغلب الأحيان إذ لم يكن النصُّ عِنده بمعزل عن الحياة ، فهو إمام الأمة ، وقائدُها ، ومُرشدُها ، ولـه القدرة على توظيف النص ، لتمكنه من أدواته الفنيَّة

---

[1] تحليل الخطاب الشعري " إستراتيجية التناص "د محمد مفتاح،ص:١٢٠

[2] ينظر: من روائع النهج، ص:٣٥.

التي يستطيع بها توجيه نصّه نحو القَصدية المُبتَغاة في توجيه الأحداث ، وإحداث الأثر فيها،أو من خلال " كشف مَكنونات الذات ثم إيصالها إلى الملتقى " [٣]

ويدرك المتلقي لنصوص النهج الغرض الوظيفي المُتعَدِّد الجوانب،والناتج عن تفعيل الخزين المعنوي للنصوص المقتبسة فيه،ولا تَقِلُّ أهمية الوظيفة عن أهمية الإبداع،باعتباره استثمارا لذلك الإبداع،وسيشمل الفصل نوعين من المستويات التوظيفية،المستوى الدلالي،والمستوى والفنّي،وبيان ما لهذين المستويين من أقسامٍ وفروعٍ

ألمبحَثُ الأوَّل:ألتوظيف الدَّلالِي.

سَيُسلّط الضوء في هذا المبحث على أبرز الاتجاهات الرئيسة في التوظيف الدلالي ، والمُتَمَثّل في أنماطٍ وظيفيَّةٍ هي: (وظيفة التوكيد ، وظيفة التذكير والتنبيه،وظيفة الشرح التعليل ، وظيفة التّرغيب والترهيب ، وظيفة التحذير ، وظيفة الإيجاز ، وظيفة المدح والذم ، وظيفة السرد ، وظيفة النصح والإرشاد ، وظيفة التعظيم والتحقير)٠

أولاً : وَظيفةُ التَّوكِيد ٠

أحتلّ التوكيدُ منزلةً كبيرة في الدراسات النَّحوية ، واللغوية ، والبلاغية فهو " في العربية من أساليبها المعروفة ، لاغنى للمتحدث عنه،سواء في اللغة أم في الكلام الدارج ، فالمتحدث يخبر مرَّة ، ويُجيب عن التساؤل أخرى ، ويردّ على إنكار مُنكر ثالثه ، وفي الحالتين الأخريين يجد نفسه مُضطرّا إلى تكرار الكلام أحياناً توثيقاً وتمكيناً٠٠" [١]

ومن شواهدِ ذلك قوله(ع):((وأشهد أنَ مَن شَبَّهكَ بِتباين أعضاءِ خلقِك ، وتَلاحُم حَقاق مَفاصِلِهم المُحتَجِبَة لتدبيرِ حكمتِكَ ، لم يَعقِد غَيبَ ضَميرهِ عَلى مَعرفَتِك ولم يُباشِر قَلبُهُ باليقين بأنَّهُ لا نِدَّ لكَ،وكأنَّه لم يَسمَع تَبَرُّؤ التَّابِعِين عَنِ المَتبوعِين ، إذ يقولون: " تاللهِ إن كُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبين ،إذ نسوِّيكُم بِربِّ العالمين ")) [٢].

قول هؤلاء المخدوعين لمَن أضلّوهم مأخوذٌ من القرآن بصورةس مباشرة[٣]،عبر الاقتباس وقد جاء بياناً، وتوكيداً لمآل موقفهم حينئذ،وجلاءً للحقيقة الحتمية لمن ظَنّ الخالقَ كالمخلوق،فشَبَّههُ، وجَسَّمَهُ .

الصيغةُ البنائيه للآيةِ المباركة تحمل توكيداً ظاهراً والمُتمَظهر بالقَسَمِ واللّام(تالله ، لفي)،فأفاد الإمام من هذا المَلمَح التوكيدي لتوكيد ما أراد بيانه من معنى،وهو ندم أولئك الذين ساووا بين الخالق والمخلوق، فأصبحوا في ضَلالٍ مُبين ٠

وللتوكيد على عظيم أمر الصلاة،والحَثّ عليها،أقتبس آيتين من كتاب الله،في إحدى خطبه،في نصّ مكثّف ،لتبث أثرها الدلالي التوكيدي،في روح الملتقى،وتُدخله في دائرةِ اليَقين،فقال:((تعاهَدوا أمرَ الصَّلاةِ

---

[3] المصدر نفسه،ص: ٥.

[1] أسلوب التوكيد في سورة فصلت،هادي عبد علي هويدي،مجلة القادسية،مجلد٢،ع ٣،لسنة ٢٠٠٢،ص:١٧٢.

[2] نهج البلاغة،خ(٨٧)،ج١/١٦٢ . ١٦٣ ٠

[3] سورة الشعراء/ ٩٧-٩٨ .

وحافظوا عليها،واستكثروا مِنها،وتقرّبوا بها،فأنَّها كانَت على المؤمنين كِتاباً موقوتا،ألا تسمعون إلى جوابِ أهلِ النار حين سُئِلوا:" مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ "))[٤] .

اقتبس الآية بمعناها في قوله:((فأنَّها كانَت على المؤمِنين كِتاباً موقوتاً))[١]،والأخرى بنصِّها[٢]،في النصِّ الّذي ابتدأه بفعل الأمر(تَعاهدوا)،وعَزّزه باستحضارِ هذين الاقتباسين.

وقوله(ع):(عَليها ، مِنها ، بها) والعائدة بضمائرها إلى الصلاة ، تكاد تكشف عن حقيقة مهمة لأمر الصلاة ، وكأنه أراد القول بإحاطتها ، وشموليتها لكلّ عملٍ من أعمالِ المرءِ في الدنيا ٠

وبعد توكيد فرضها (كتاباً موقوتا) أكّد أهميتها الظاهرة ، من خلال جواب التاركين لها ، انه جواب مكتنز الدلالة ، والأثر،من هنا يدرك المتلقي مقدار ما كان لها من القدرة على إثبات صحّة احتجاجه (ع) في تأكيد أهميتها ، وأنَّها من العبادات المهمّة في نظرِ الشارع [٣].

وهناك توظيف مُماثل للنص القرآني باستحضاره توكيداً في الخطاب والحكمة والكتاب [٤].

ةللحديث النبوي الشريف دورُه في التوكيد،كقوله(ع) في كتابٍ إلى بعض عُمّاله مُوبّخا،بعد أن سَرقَ مِن أموالِ بيتِ المال،وهَربَ إلى معاوية:((واللهِ لو أنَّ الحسنَ والحسين فَعلا مثلَ الذَّي فَعَلتَ ما كان لهما عندي هَوادة،ولاظفَرا مِنّي بإرادة،حتَّى آخذ الحقَّ مِنهُما،وأزيل الباطلَ عن مَظلتِهما))[٥]، ويبدو فيه أثر قول المصطفى(ص وآله): (والّذي نفسي بيدِهِ لو أنّ فاطمة بنت محمد سَرقت لقطعتُ يـَدَها) [٦]٠

لقد دخل الحديث النبوي الشريف بتركيبه،ومعناه في كلامه(ع)فبثّ فيه دفقةً من التوكيدِ دالة على رفضهِ للظلمِ والباطل،وأن قام بهما أقرب الناس إليه ٠

ثانياً : وَظِيفةُ التذكيرِ والتَنبيه ٠

ومن ذلك التوظيف قوله(ع):((فأتَّعِظوا عبادَ اللهِ بالعِبَرِ النَّوافِع،واعتَبروا بالآي السَّواطِع، وازدَجِرُوا بالنُّذُرِ البَوالِغَ وانتَفِعوا بالذِّكر والمَواعِظ،فَكَأن قَد عَلِقتكُم مخالبُ المَنيَّةِ،وانقطعَت منكُم عَلائقُ الأمنِيَةِ، وَدَهَمتكُم مُفظِعاتِ الأمُورِ،والسِّياقةُ إلى الوردِ المَورُود،وكلّ نَفسٍ مَعَها سائقٌ وشَهيد،سائِقٌ يسوقها إلى مَحشرها،وشاهدٌ يشهدُ عَليها بعملِها))[١].

في النصِّ إشارة اقتباسية تُرجعنا إلى قوله تعالى: (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ)[٢]، استعمل الإمام النص القرآني بتغير طفيف في إبدال حرفِ (الفاء) بحرف (الواو) لضرورة سياقية استدعت مجيء حرف الفاء الدالّ على المباشرة ، بصورةٍ بيانيةٍ مُتحرِّكةٍ ابتغى من ورائِها التذكير بيومِ الحساب والاستعداد له.

---

[4] نهج البلاغة،خ(١٩٤)،جـ ٢/٢٠٤.

[1] من قوله تعالى:(**فَإِذَا قَضَيْتُم الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُم فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً**) ،النساء/١٠٣ ٠

[2] سورة المدثر/٤٢ . ٤٣ .

[3] ينظر:شرح ابن أبى الحديد،حـ ١٠/١٦٠ ٠

[4] ينظر:خ (١٥٥)،حـ ٢/٧٣،خ(١٨٧)،حـ ٢/١٧٤،ك(٨) جـ ٣ /٣٤

[5] نهج البلاغة، ك (٤١)، جـ ٣/٧٤ ٠

[6] السنن ألكبرى،للنسائي،ج٤/٣٣٤.
سنن ألنسائي،ج٨/٧٥.

[1] نهج البلاغة،خ(٨١)،ج١/١٤٦ ٠

[2] سورة ق/٢١ ٠

وختم خطبةَ وعظ بها أصحابَه بقوله تعالى:(إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)[٣]،بعد أن قالَ:((فالحَذر الحَذر أيّها المستَمِع،والجّد الجّد أيُّها الغافل " **ولا نبِّئُكَ مثلَ خَبِير** " إنّ مِن عزائمِ الله في الذّكرِ الحكيم،التي عليها يُثِيب ويُعاقِب،ولها يَرضَى ويسخط ٠٠٠))[٤] .

(الحَذر الحَذر،الجَد الجَد)إشارتان تحذيريتان،بدأ بهما الكلام للفت الانتباه،وشدّ السامع،وتُمَهدان لما أراده بالآية المباركة(إذ نبّه باقتباسِ الآيةِ على أنّ الواعظَ له خبيرٌ بأحوالِ طريق الآخرة وأهوالِها،ولا يخبر بحقائق الأمور كالعارفِ بها)[٥].

وتكرّر مثل هذا الأمر في غير موضع،حين ختم مذكراً،ومُنَبِّهاً بآيٍ مِنَ الذّكر الحَكِيم[٦] .

وقال(ع):((أيُّها الناس كلّ امرئٍ لاقٍ ما يفرّ منه في فِراره،والأجلُ مساقُ النفسِ، والهَرَبُ مِنهُ موافاتُهُ))[٧].

وتذكيره(كلّ امرئ مايفرّ منه من فراره)من قوله تعالى:(ولو كُنتم في بروجٍ مشيّدة)[١].

ومن قوله تعالى:(قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[٢].

الملاحظ انَّه(ع)ساقَ كلامَه في معرضِ التذكير،والمُدرَك من قولهِ:(أيُّها الناس)،وأقام(ع) دلالته اعتماداً على العَودِ الحَتمي في ذهنِ المُتلقّي إلى التعبيرِ القرآني أو معناه،لاسِيّما وانَّه يَعود إلى مُرتكزاتٍ قرآنيةٍ تُعدّ من أولويات الحفظ عِند كثيرٍ من المسلمين لارتباطهِ بقضيةٍ مهمةٍ،ألا وهي قضيةُ الموتِ ٠

---

[3] سورة فاطر/٠١٤

[4] نهج البلاغة،خ(١٤٩)،ج٥٦/٢

[5] شرح ابن هيثم البحراني،ج٦٢/١ ٠

[6] ينظر:نهج البلاغة،خ(١١٠)،ج٢٢٢/١، حيث ختم هذه الخطبة بالآية(١٠٢)من سورة آل عمران.

[7] نهج البلاغة،خ(١٤٥)،جـ ٠٤٥/٢

[1] سورة النساء/٧٨

[2] سورة الجمعة /٠٨

ثالثاً : وَظيفةُ الشَّرح والتَّعلِيل ٠

وكثيراً ما أعتمد(ع)الاقتباس،ووظّفه للشرح،والتعليل،ومِمّا يرتجى أن يقوم المفسر بتسليط الضوء على المفاهيم القرآنية لتُسفِر عن معانيها،غير أنَّ الأمام استعان بالنصِّ القرآني ليُفَسِّر بهِ بعضَ المعاني والمفاهيم التي يُريد بيانها للمتلقي عِبرَ الاقتباس .

من ذلك قوله في خطبة له بذي قار ، وهو متوجّه إلى البصرة ، ذاكراً النبي المصطفى(ص واله):((فصَدعَ بما أُمِرَ بهِ ، وبَلّغَ رسالاتِ ربِّه ، فلمَّ به الصَّدع ، ورتقَ بهِ الفَتق ، وألّفَ بهِ الشَّمل بينَ ذوي الأرحامِ بَعد العداوَةِ الواغِرةِ في الصدور ، والضَّغائِنِ القادحة في القلوب))[١]

النصُّ في مقام الثناء على المصطفى(ص وآله)،وبيان فضلهِ على الأمة،والمفردات(صَدعَ،رتقَ،فتقَ) استحضرت معها ظِلالاً من المعاني الساندة لهذا الشرح،وهي إحالات إلى آيات قرآنية،منها: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) [٢]،وكذلك قوله تعالى: (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما)[٣]،وكذلك: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [٤]

من الصعب أن نجد مفردةً واحدة تستدعي معها نصّاً عرف بها وعُرفت به،فيصبح حضورها طاغيا، ومُوحِياً في النصّ الذّي استضافها.

وعلى الرَّغم مِن كونها مفردات،إلاّ أنّ ما يرافقها من عبارات مكثّفة أدّت وظيفة الشَّرح والبيان لما قام بهِ رسولُ الِلهِ(ص وآله) ٠

لقد كانت إشارات دالة،أحسن الإمام توظيفها في النص،مثلما فعل في مواضع أخرى[٥] .

واستحضر قوله تعالى:(يَابَنِيَّ ادْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)[٦]،ليعلل به فقال:((لاتأمننّ على خير هذه الأمة عذاب الله،لقوله سبحانه وتعالى" فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ " ولاتيأسنّ لشر هذه الأمة من روح الله لقوله تعالى" إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ "))[٧] .

وقال أبنُ أبي الحديد: " والاحتجاج بها جيّد لاشُبهة فيهِ "[١].

من ذلك أيضاً قوله(ع): ((بعثَ اللهُ رسلُ بما خَصّهم بهِ من وَحيهِ ، وجعلهم حُجّةً له على خَلقِهِ لئلا تَجب الحجَّةُ لهم بتركِ ألاعذارِ إليهم ، فدعاهُم بلسانِ الصِّدقِ إلى سبيلِ الحقِّ))[٢].

---

(1) نهج البلاغة،خ(٢٢٦)،ج٢/.٢٥٣

(2) سورة الحجر/٠٩٤

(3) سورة الأنبياء/ ٠٣٠

(4) سورة المائدة /٠٦٧

(5) ينظر :الفصل الأول،ص :١٦-٣١.

(6) سورة يوسف/٨٧.

(7) نهج البلاغة،خ(٢٧٧)،حـ٣/٢٤٤ . ٠٢٤٥

(1) شرح ابن أبى الحديد،جـ١٩/٠٢٧٤

والقول : (وجعلهم حجّة له على خلقه لئلا تجب الحجة لهم بترك الاعذار إليهم) من قوله تعالـــى : (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّـهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّـهُ عَزِيزاً حَكِيماً)[3]، وفي هذا تعليل ظاهر اعتمده من اصل الآية المقتبسة مع إبدال بسيط في بعض مفرداتها ٠

وقال مقتبساً من قول رسول الله(ص واله): (إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع ألهوى وطول الأمَل ، امّا ألهوى فانَّه يَصِدّ عن ألحق ، وأما طول ألأمل فيُنسِي ألآخرة) [٤]: ((و إنّ أخوف ما أخاف عليكم؛ اتّباع الهَوى وطول الأمل))[٥] ٠

واستحضرمن قول المصطفى(ص وآله):((ايّاكم والحَسَد ،فانَّ الحسَدَ يأكل الحسناتِ كما تأكل النارُ الحطبَ))[٦]،في قوله(ع): ((ولا تحاسَدوا فأنَّ الحسدَ يأكلُ الإيمانَ كما تأكلُ النارُ الحطب))[٧]،وهو توظيف للحديث النبوي الشريف،وأن كان بشيءٍ من التصرف المقصود،وهو في مقام التعليل ايضا [٨]

باستخدام هذا الحديث أراد الإمام أن يُوَسّع دائرة فهم المتلقي نظراً لأهمّية الموضوع الذي طرحه،فهو لم يقف عند حدودِ نهيه عن الحسد،بل أعطى تعليلاً لذلك،فهو نهيُ مُعلّل،وضّح فيه سبب النهي عن الحسدِ فأستحضر الحديثَ النبوي الشريف،وربطهُ مع ما سبقه بالرابطة:(فأنّ) ٠

قد يأتي بالنصِّ القرآني ليشرحه،أو يوضّح معناه،كقوله(ع)مُفسّراً قوله تعالى:(إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ)[٩]،فقال(ع)مُفسّرا: ((العدل:الأنصاف،والإحسان:التفضل))[١٠] ،وقال ابنُ أبي الحديد:((وهذا تفسيرُ صحيح أتّفق عليه المفسّرون كافة))[١١]،ولم يقف هذا التوظيف عند هذه الأمثلة فقط،في النصوص النهجية[١٢]٠

رابعاً : وظيفةُ التَّرغيبِ والتَّرهِيب :

للترغيبِ والترهيبِ دورهما في نصوص النهج،لإدراكه(ع) ما لهذين الأمرين من أهمية في الأمر بالمعروف،والنهي عن المنكر بطريقة لا يظهر هذا الأمر والنهي صريحاً بألفاظه المعهودة.

ولقدّ وظّف قوله تعالى: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّـهُ لَكُمْ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[١]، وقوله تعالى:(لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّـهِ وَمَا عِنْدَ اللَّـهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ) [٢]، مرغّباً في وصيّةٍ له(ع) قبيل وفاته لمّا ضربَهُ ابنُ ملجم(لع): ((أنا بالأمس صاحبكم واليوم عبرةٌ لكم ، وغداً مفارقكم،أنْ أبقَ فأنا وليّ دمي ، وإنْ أفْنَ فالفناء ميعادي ، وإنْ اعفُ فالعفو لي

---

[2] نهج البلاغة،خ(١٤٠)،ج٢/٣٦

[3] سورة النساء/١٦٥

[4] بحار الأنوار،ج٦٧/٧٥.

[5] نهج البلاغة،خ(٢٧)،ج١/٠٦٨

[6] ينظر:صحيح الترمذي ،جـ ١٧٨/٥ ـ ٠١٧٩ صحيح البخاري حـ ٢٧١/٣،المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف حـ ٣١/٦

[7] نهج البلاغة،خ(٨٢)،جـ١/٠٤٩

[8] ينظر خصائص الجملة العربية في نهج البلاغة، ص:٠١٥٠

[9] سورة النحل/٩٠ ٠

[10] نهج البلاغة،خ(٢٣١)،حـ٣/٢٤٠.

[11] شرح ابن أبي الحديد،جـ١٩/٠٥٤

وينظر:منهاج البراعة ، للخوئي ، ج٢٠/٣٠٠. وينظر:في ظلال نهج البلاغة ، ج٢/٣٥٥.

[12] ينظر: نهج البلاغة،حـ٦/١٧١،حـ ٩/٧٧،حـ ١٨/٣٣١،حـ ١٩/٢٧٤.

[1] سورة النور/٠٢٢

[2] سورة آل عمران/٠١٩٨

قُربَـهٌ، وهو لكم سنّةٌ فأعفوا: " الأنحبّون أنْ يغفر اللهُ لكم " واللهِ ما فجأني من الموتِ واردٌ كرهتـه ، ولاطالعٌ أنكرتَه ، وما كنت إلا كقاربٍ ورد ،وطالبٍ وجد " وما عند الله خيرٌ للأبرار "))[٣] .

بنسقٍ صوتيٍ منسجمٍ حزين يلقي قوله تعالى في وصّيتَه مُغرياً بالعفو،ليصلوا بـهِ إلى مغفرة الله،في جُمل خبريةٍ مسجوعةٍ،تبعتها جملٌ شرطية،حاضرة الجواب،يتلوها أمرٌ عزّزه بعرضٍ،واغراء الهي يحثُ على العفو ،ويُرغّب فيه ٠

ينتقل بعدها بالمتلقين نقلةً كبيرةً حين يتحدّث عن نفسه(ع)مؤكداً قبل ذلك بقسمٍ صريحٍ(والله)سبق جملتين منفيتين بحرفي(ما) و(لا):(ما فجأني من الموت وارادٌ كرهتُه ولاطالعٌ أنكرتـه)ثم أكّد قوله هذا باسلوب القصر المتحقق بالنفي والاستثناء(ما كنت إلاّ كقاربٍ ورد،وطالبٍ وجد)وهو نوع من أنواع التوكيد،حيث هناك الخير للأبرار(وما عند الله خيرٌ للأبرار) انّه عرضٌ،وترغيبٌ،وكلامٌ محمول على الندب[٤].

ولعب قوله تعالى(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)[٥] ، دوراً في الترغيب وبث الأمل في النفوس،حين أقتبسها وتلاها عقب قوله(ع):((لَتَعطفَنَّ الدنيا علينا بعد شَماسِها عَطف الضروس على ولدِها))[٦].

شبّه الدنيا بالناقةِ الشموس في استعارة مكنية دلّت عليها إحدى خصائصها وهي(شماسها)،والناقة الشَموس هي التي تَستعصي على راكبها،والضروس:السيّئة الخلق،والتي تَعَضّ حالبها،غير أنّها مع ذلك تعطف على ولدِها ٠

واللام في(لتعطفَنَّ)يدلّ على المباشرة والقرب،فيكون المعنى انّ الدنيا على قساوتها مع اتباع آهل البيت(عليهم السلام)ستعطف عليهم وإذا كان هذا الأمر مُستغربا كغرابةِ ركوبِ ناقةٍ شموس أو الاقتراب منها،فأن الإمام أكّد هذا الأمر وقرَّبه،ورغّبَ في حصولِه في أقرب وقتٍ،وبهذا يتّسم النصّ بوضوح المعنى والقدرة على التشويق وزرع الأمل في النفوس ٠

لقد تكلّم بما يحرك فيهم الأمل الراقد ، والأمنيات الخامدة لتكون فناراً في بحرٍ مُتلاطمٍ من الهَمِّ،والأحزان ، والانكسار بفعل الضربات النفسية المُوجَّهة لهم من الناكثينَ،والمارقينَ،والخارجين ٠

ومن شواهد التوظيف الدلالي للاقتباس ليؤدي دورَ الترهيب قوله(ع)مُذكّراً ومُرهّباً من عذاب يوم المحشر ، والاستعداد لذلك اليوم الذي تُبعثَر فيه القبور:((فكيفَ بكُم لو تاهت بكم الأمورُ،وبُعثرَت القبورُ:" هنالك تبلو كلّ نفسٍ ما أسلفت،ورُدّوا إلى اللهِ مولاهم الحقّ وضَلّ عنهم ما كانوا يَفتَرون "))[١]

بدأ كلامَه باستفهامٍ لا على سبيل السؤال،بل للتذكير والترهيب من تلك الحال،حين يتركون الدنيا وما فيها ، ويخرجون من قبورهِم وحفرهِم كلٌّ بعملهِ،انه استفهام مُغطّى بنبرةِ الترهيب ٠

و(بُعثرت القبورُ)تركيبٌ قرآنيٌّ[٢] له وقعه الكبير في النفوس،لما يرتبط به من مَعان مُنفّرة،وبما يحمل من ظِلالٍ معنوية،رافقته،واقترنت بهِ أينما حلّ وذكر،انه استدعاء لمعانٍ خفيّة أُخَر،خفية بألفاظها حاضرة بآثارها،وتُستحضَر من خلال السياق الذي استنفرها من الخزين الثقافي للمسلم على وجهِ الخصوص ٠

وهو تركيب مُتكوّن من مُفردتين قرآنيتين لهما من الفصاحة والبلاغة،والبيان والظهور،مالا يمكن لغيرهما أن تثبت من المعاني المُنبَعِثة عنهما " فالألفاظ القرآنية لها من الفصاحةِ والبلاغةِ،والبيانِ والظهورِ مالا يُدانيها كلام " [٣].

---

[3] نهج البلاغة،وصية(٢٣)،جـ٣/٢٤ . ٠٢٥

[4] ينظر:شرح ابن أبى الحديد،جـ ١٥/١١٢٠

[5] سورة القصص/٥ .

ينظر:بهج الصباغة، االتستري حـ ٣/٤٩٥.

[6] نهج البلاغة،ح(٢٠٩)،جـ 198/٢

[1] نهج البلاغة،ح(٢٢١)،ج٢/ 274

[2] من قوله تعالى: " **وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ** " . الانفطار/٤

[3] أساليب البيان في القرآن،ص:٠٨٢

وإحضار النص القرآني ساعد على تعزيز الترهيب،والآية المُنتَقاة في النصِّ[٤]ترهيبٌ،وتخويفٌ بتلك الأهوال ليذكروا شِدَّتِها فيفزعون إلى العَمل[٥].

وفي خطبة أخرى نلمح ترهيباً ، وتحذيراً من خداع الدنيا،وسوء منقلبها فهي((دارُ حربٍ وسَلبٍ، ونَهبٍ ، وعَطَبٍ))[٦]،واهلها((على ساقٍ وسياق ، ولِحاقٍ وفِراقٍ))[٧]، وهم بعد فراقها بين((عاضٌ على يديهِ،وصافِقٍ بكفَّيهِ ، ومُرتَفِقٍ بخَديَّهِ ، وزارٍ على رأيه،وراجعٍ عن عزمِهِ))[٨]، ما العمل((وقد أدبرت الحيلةُ ، وأقبلت الغيلةُ ولاتَ حينَ مَناص!هَيهات ، هَيهات! قد فاتَ ما فات ، وذهبَ ما ذهب ومضَت الدنيا لحالٍ وبالِها! فما بكت عليهم السماءُ والأرضُ وما كانوا مُنظرين))[١].

بعد تصوير بياني متحرك بفعل الجمل الفعلية،تطلّ الآية بدلالتها على الترهيب،والتهويل،لمن نسي الآخرة، ولم يعمل لها،سوف لن تبكي عليه السماء،والمراد بهم الملائكة وأهل الأرض ـ لأنهم لا يستحقون أن يتأسف عليهم[٢]،ويرى ابن أبي الحديد أن المراد المبالغة في تحقير شأنهم[٣] .

خامساً : وظيفةُ التَّهديدِ والوَعيدِ :

اخذ الاقتباس دوره الواضح في التهديد والوعيد ، فأنسلّت كلماته(ع)كالسيوف والسِّهام في قلوب من قَصَدهم من خلال الاقتباس ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في كتابٍ له(ع) أرسله إلى معاوية ، وقد ختمه بآيةٍ قرآنيّةٍ[٤] مُهّددا،ومُتَوَعِّدا فقالً:((٠٠٠وأنا مُرقِلٌ نحوكَ في جَحفلٍ منَ المهاجرين ، والأنصار، والتابعينَ لهم بإحسانٍ ،شَديدٌ زحامُهُم ،ساطِعٌ قَتامُهُم ، مُتسَربِلين سِربالَ الموتِ ، احبّ اللقاء إليهم لقاءِ ربِّهم وقد صَحِبتهُم ذريَّةٌ بَدريَّةٌ ، وسيوفٌ هاشميَّةٌ ، قد عَرفتَ مواضِعَ نَصالِها في أخيكَ وخالِكَ وجَدِّكَ ، وأهلِكَ " **وما هيَ منَ الظّالمينَبِبَعِيد** "))[٥] .

إن ورود الآية في تهديد الكافرين بحجارة من سجّيل ينذر بالوعيد،وكان خطابه مع الموحدين،لما خرجوا عن أمره،وطلبوا ما ليس لهم من إمارة،بدليل وقوع القتل والدماء بينهم،وبقرينة التصريح حين اقتبس الآية"**وما هي من الظّالمين ببعيد**".

واتساق الجمل،وانتظامها في هندسة إيقاعية حادّة كان له الوقع في نفس المتلقي،بما يعزّز الوعيد ويرفده؛ (شديد زحامها،ساطع قتامه ،متسربلين سرابيل الموت) .

وبعد تهديده معاوية بالذرّية البدرية،والسيوف الهاشمية،والتي يعلم معاوية أثرها،وافعالها في بدر وحنين؛ أستحضر قوله تعالى:"**وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ** "،وعند الرجوع إلى سياق الآية المباركة نجد أن الضمير المتصل يعود إلى نار جهنّم،وسياق كلام الإمام يشير إلى السيوف،عند ذلك ندرك معنى تشبيهها بنار جهنم باعتبارها ستردي معاوية فيها٠

وله كتاب مماثل بعثه إلى معاوية أيضا،مهّدداً بقوله تعالى:" حتى يحكم الله بيننا،وهو خير الحاكمين"[١]، بعد أن كتب له:((٠٠ واحذّر أن يُصيبَكَ اللهُ منه بعاجلِ قارعَةٍ تَمَسُّ الأصلَ،وتَقطَعُ

---

[4] سورة يونس/٣٠ ٠
[5] تفسير ابن ميثم البحراني،ج٢/١٥٠.
[6] ينظر:نهج البلاغة،ح(١٦٨)،ج٢/ ١٥٩.
[7] ينظر:المكان نفسه ٠
[8] المكان نفسه.
[1] المصدر نفسه،ج٢/١٦٠.
[2] ينظر: شرح ابن أبى الحديد،ج١٣/ ١٩.
[3] المكان نفسه.
[4] سورة هود / ٨٣.
[5] نهج البلاغة، ك(٢٨)،ج٣/ ٤٠.
[1] سورة الأعراف/٠٧٨

الدَّابرَ إفأنّي أُولي لكَ بالله أليّةً غيرَ فاجرَةٍ:لَئِن جَمَعَتني وإيَّاكَ جوامِعُ الأقدار لا أزالُ بباحَتِكَ " **حَتَّى يحكُم اللهُ بيْنَنا،وهوَ خيرُ الحاكِمين** "))[٢].

وفي ذلك غليظُ الوعدِ بعذابٍ شديدٍ[٣]،ويَقسم له قَسَماً غير فاجر أن لو اجتمع بهِ في ساحة الحربِ،لا ينصرفُ منها حتى يحكم اللهُ بينهما بما ستؤولُ له المعركة .

ومن أمثلة ذلك قوله(ع):((أما أنَّكم سَتَلقَون بَعدِي ذِلاً شامِلاً وسَيفاً قاطِعاً ، واِثرةً يَتَّخِذُها الظالمون فيكُم سِنَّةً))[٤]، وفي هذا القول اقتباس توظيفي من قول الرسول(ص واله) مخاطبا الأنصار: ((ستلقونَ بعدي اِثرةً فاصبروا حتّى تلقوني على ألحَوض)) [٥].

سادساً : وَظِيفةُ الإيجاز والتَلخيص .

للإيجاز مكانتُه البارزة في البلاغة العربية،فهو أصلُها،وروحها[١]،وأصبح موضع عناية البلاغيين، واللغويين،والنقاد القدماء والمحدثين وإن كان بعضُهُم قد أطلق عليه مُسمّياتٍ جديدةٍ[٢].

استطاع الإمام(ع)أن يُبلور أفكاراً كبيرة في بضع كلمات جاءت كمنارات مضيئة،تكشف زوايا النص، بفضل إفادته من قبسات قرآنية،وإضاءات من الحديث النبوي الشريف،من مصاديق ذلك قوله(ع)حين سُئِلَ من بعض أصحابه:كيف دفعكم قومُكم عن هذا المقام وانتم أحقّ به؟ فقال:((...حاول القومُ إطفاء نور اللهِ من مِصباحهِ ، وسَدّ فَواره من يَنبوعِه ، وجَدَحوا بيني وبينهم شِرباً وَبِيئاً ، فأن ترتفع

---

[2] نهج البلاغة،ك(٥٥)،ج٣/١٢٤.

[3] ينظر:شرح ابن ميثم البحراني،جـ ٤٦٧/٢

[4] نهج البلاغة،خ(٥٧)ج١/ ١٠٢.

[5] صحيح البخاري،ج١٠٤/٥. صحيح مسلم،ج١٠٩/٣. مسند احمد،ج٥٧/٣. سنن النسائي،ج٢٢٥/٨.
وورد بصيغة : ((**فاصبِروا حتّى تلقوني ، ومَوعدكم ألحَوض**)).
صحيح ألبخاري ، ج٢٢٥/٤.

عنَّا وعنهُم مِحَن البلْوى أحملهُم منَ الحقّ على مَحضِهِ،وإن تكن الأخرى" **فلا تذْهَب نفسُك عليهم حسرات إنَّ اللهَ عليمٌ بما يصنَعون**"))[٣].

(جَدَحوا بيني وبينَهُم شِرباً وَبيئا):أي خَلطوه،ومَزجوه،وأفسَدوه،والوبيء:ذو الوباء والمرض،وهذه استعارة تصريحيه،وكأنّه جعل الحال التي كانت بينَه وبينهم قد أفسدها القومُ،وجعلها مظنّة الوباء والسقم كالشراب الذي يُخلط بالسمِّ،أو بالصَّبر فيفسد ويوبُيء[٤] ٠

والحال هنا بين أمرين؛فأن كشف اللهُ عنه هذه المحن حملهم على الحق الذي لا يُمازجه باطل،كاللّبن المحض الذي لا يخالطه شيء من الماء(على مَحضِه)،وأن تكن الأخر،أي:إن اختاروا الباطل وابتعدوا عن سبيل الحقّ،فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، وهو اقتباسٌ قرآنيُ ظاهر[٥].

بهذا لخّصت الآية الموضوع كله،وجعلته في بؤرة دلالية مركزة أمام المتلقي،لأنَّها جاءت نتيجة لما قدمه الإمام(ع)،ولما تَتَضمَّنه من قِيمٍ دلاليَّة مُتعالية ٠

واستدعى قوله تعالى:(لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)[٦]،ليوظفها في قوله(ع):((اللهم لا تُؤاخذِني بِما يقولون))[٧]،لقد عَبّر بإيجازٍ شديدٍ عن أمرهِ مع قومه،فدلّت على أمور عدّة؛منها ظلمهم له،وعدم طاعتهم له، وبراءته مما فعلوا ٠

وقال:((فبادروا بأعمالِكم تكونوا مع جيرانِ اللِهِ في دارهِ،رافق بهم رسلَه،وأزارَهُم ملائكتَه،واكرم أسماعَهُم أن تسمع حسيس نارٍ أبداً وصانَ أجسادَهم أن تلقى لُغُوياً ونصباً:" ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ "))[١] .

إنَّ مآل العمل الصالح رِفقةِ الرسل والملائكةِ،وصيانة الأسماع عن النار والأجساد عن اللغوب والنَّصَب، هذا هو فضلُ اللهِ الذي يُؤيتهِ مَن يشاء،لقد وُظِّفَت الآيةُ لضغط المعنى ، وتلخيصه، وإيجازه، واستطاع أن يجعلها مثيرة ، ودالة إلى معنى مكتنز في ذهن المتلقي،من خلال تعليق المعنى في ذهنه عبر هذه الآية،فكانت وسيلة لا غاية عنده ٠

وتمظهر التلخيص عبر آلية الاقتباس في قوله(ع)لما سأله رجل عابد يدعى(همام)عن صفات المتقين، وكأنّه ينظر إليهم،فتثاقل الإمام عن جوابه،ثم قال له يا همام اتَّق اللهَ واحسن:" **فانّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** "[٢] .

لم يتحمل همام هذا التخليص ، والتكثيف ، فطلب جواباً غيره[٣]، إنّ تلخيصاً تحمل كلماتُهُ إشارات ، وتداعيات متنوعة.

واستعار من الحديث النبوي الشريف لتلخيص المعنى وإيجازه قوله(ع)في وصيةٍ له لابنه الحَسَن (عليهما السلام):((٠٠ فأحبب لغيركَ ما تحب لنفسِكَ واكرَه لهُ ما تكره لها))[٤]،وهو من قول الرسول(ص

---

(1) فن الاستعارة ص: ٣٣٣

(2) سماها محسن أطيمش بالتكثيف عند ما تحدث عن الصورة البيانية في الشعر.
ينظر:دير الملاك،دار الرشيد للنشر،بغداد،١٩٨٢م،ص:٢٧٣،ص:٢٧٣

(3) نهج البلاغة،خ(١٥٧)،جـ ٢/٨٠ ـ ٨١ .

(4) شرح ابن أبى الحديد جـ ٩ / ١٩٩٠

(5) ينظر:المصدر نفسه،جـ ٢٠٠/٩

(6) سورة البقرة /٢٨٦.

(7) نهج البلاغة،خ(١٨٨)،جـ ١٨٧/٢ ٠

(1) نهج البلاغة،خ(١٧٨)،ج١٣٦/٢ – ١٣٧.

(2) نهج البلاغة،خ(١٨٨)،ج١٨٥/٢٠

(3) ينظر:شرح ابن أبى الحديد،ج١٨٦/١٠٠

(4) نهج البلاغة،وصية(٣١)،ج١٥/٣٠

واله): ((لا يُؤمِن أحدُكُم حتَّى يحبّ لأخيهِ ما يحبّ لنفسِهِ))[٥]،أضاف الاقتباس إضاءات جديدة للنص، وجاء مجسّداً للرفض الضِّمني من خلال طَرح النقيض له،والمُستَوحى مِنَ النفي الصريح في الحديثِ النَّبوي الشَّريفِ

سابعاً: وَظيفةُ المدح والذَّم :

وللاقتباس وظيفةٌ في المدح والذمّ،استطاع الإمام أن يُفيد من هذا التوظيف في نصوصه،فبدت حاملة لصور حِسيِّة تحقق الإمتاعَ عند المتلقي،وتظهر بما ينسجم مع شعورهِ في حالتَي القَبولِ والرَّفض،فيتفاعل معها.

واقتبس بعضاً من التراكيب القرآنية فوظَّفها في المدحِ والذمّ، ومن هذه التراكيب (حزب الله) في كتاب أرسله إلى عامله في البصرة(عثمان بن حنيف) ، وقد بَلَغه أنّه دُعِيَ إلى وليمةِ قومٍ من أهلها:ومِمّا جاء فيه: ((طُوبى لنفسٍ أدّت إلى رَبِّها فَرضَها ؛ وعَرَكت بجَنبها بُؤسَها ، وهَجَرت في الَّليلِ غمضها، حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها ، وتوسّدت كفَّها ،في مَعشرٍ اسهرَ عيونَهُم خوفُ معادهِم ، وتجافَت عن مضاجِعِهِم جنوبُهُم ، وهَمهمت بذكرِ ربِّهم شفاهُهُم ، وتقشّعت بطولِ استغفارهِم ذنوبُهُم" **أولئك حزبُ الله ، ألا أنَّ حزبَاللهِ هُمُالمفلِحون " فأتَّق الله يا ابنَ حُنَيف ، ولتَكفِك أقراصُكَ ؛ ليكون منَ النّار خلاصُك**))[١].

بعد نصح وارشادٍ لابن حنيف، وتذكيرٍ بالآخرة ، ختمَ كتابة بهذا المقطع ، حاثّاً إيّاه على التقوى، فالفوز والجنّة لِمَن طوّع نفسَه على تأدية الفرائض ، وعَركَها:(صَبَّرها)[٢]،على بُؤسِها ، وطوّع نفسَه على هجر النوم والكرى ، ولم يكن له فراش ألاّ الأرض ، ولم تكن وساده ألّا الكف[٣] ، وكان في معشرٍ شغلهم ذكرُ المعاد،والخوفُ منه، وتجافت عن مضاجعِهِم جنوبُهم ـ وهو لفظٌ من ألفاظ الكتاب العزيز(تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) [٤]، وكثر ذكرُ ربِّهم على شفاهِهم،وزالت ذنوبُهُم بطولِ الاستغفار، فأولئك هُم حزبُ اللهِ .

بعد بيانِ صفاتِ المؤمنين خَلُصَ إلى مدحهم بأنَّهم حزب الله الفائزون برحمتِهِ،ومَهّد لهذا المدح بمدحٍ ضمني تحقّق بفعل التركيب القرآني المُقتَبَس " وتجافَت عن مضاجعِهِم جنوبُهُم " ،وقد يستقلُّ لفظٌ واحدٌ ـ لاعبارةٌ كاملةٌ ـ برسمِ صورة شاخصَة،تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن،وتارة بظلّه الذي يلقيه في الخيال، وتارة بالجرس والظلّ جميعا[٥] .

---

[5] السنن الكبرى،ج٥٣٩/٦.
المعجم الكبير،للطبراني،ج٣٠٨/٨.

[1] نهج البلاغة،ك(٤٥)ج٠٨٤/٣

[2] ينظر:شرح ابن أبى الحديد،جـ ٢٣١/١٦

[3] ينظر:المكان نفسه ٠

[4] سورة السجدة/١٦

[5] ينظر:النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، ط ١٤٢٤،٨ هـ، لسنة ٢٠٠٣م، ص:٤٦ .

واستطاع بما يمتلك من مقدرة فنيّة توجيه الاقتباس إلى موارد الذمِّ في كتابٍ بعثه إلى (المنذر بن الجارودي)وقد خانَ في بعض ما ولّاه من أعمال((أما بعد فأنَّ صلاحَ أبيكَ ماغَرّني منكَ،وظننت انَّكَ تتبع هديَه،وتسلك سبيلَه، فإذا أنتَ فيما رُقِيَ إليَّ عنك لا تَدع لهَواكَ انقياداً،ولا تبقي إلى آخرتِكَ عتاداً تُعمِّر دنياكَ بخرابِ آخرتِك وتصلُ عشيرتَك بقطيعةِ دينَك ولأن كان ما بَلَغني عنكَ حقاً،لَجمل اهلِكَ وشَسع نَعلِكَ خير مِنك))[1].

زخر النصُّ بالاقتباسات القرآنية فغدت ومضات بين ثناياه تدلّ على معاني جاءت بها معها،إذ مثل قوله (ع):(لا تَدَع لهواكَ انقِياداً) شاهداً على ذلك،فهو انعكاس لقوله تعالى:(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)[2]،وكذلك في قوله:(وتعمر دنياك بخراب أخرتك)،فهو يعيدنا إلى قوله تعالى:(أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون)[3]،وقوله تعالى:(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)[4]ظاهر أثره في قوله(ع):((وتصل عشيرتك بقطيعة دينك)).

فَمَن أتّبع هواه،وباعَ آخرتَه بدنياه،وعَمّرها بخرابِ آخرتِهِ - وهو تصوير كاشف ساقه الإمام في مورد الذمّ - كان من الطبيعي أن يكون جملُ أهلِهِ،وسَشع نَعلِهِ خيرٌ منه،وما كان الوصول إلى هذه المقارنة بالأمر الممكن لولا هذا التمهيد الذي صَبَّهُ الإمام على ذلك الشخص عبر توظيف النصوص القرآنية المقتبسة .

وثمّة مثل أخر كرَّس فيهّ الاقتباس لذمِّ أولئك الذين انقلبوا على أعقابهم بعد وفاة رسول الله (ص واله)بقوله (ع):((... حتّى إذا قبضَ اللهُ رسوله صلى الله عليه وآلهِ رجع قومٌ على الأعقابِ،وغالتهم السُّبلُ،واتّكلوا على الولائِج ، ووصلوا غيرَ الرّحم،وهجَروا السّبب الذي أُمِروا بمودّتهِ ونقلوا البناء عن رصّ أساسِه،فبنوه بغير موضِعِهِ)[5]، ويبدو انعكاس النصِّ القرآني:(ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ)،جليّا[6]في بيان صورة الذم لهؤلاء.

وخرج بالاستفهام المتتابع إلى غرض مجازي آخر،وهو الذم في أحد كتبه المرسلة إلى معاوية جواباً: ((.. ثم ذكرتَ ،ما كان من أمري وأمر عثمان،فلكَ أن تُجاب عن هذِه لرحمك منه،فأيّنا كان أعدى لهُ ؟ وأهدى إلى مقاتلِهِ؟ أمَّن بذلَ له نصرتَه فأستقعدَهُ ، واستكفَّهُ؟أمّن استنصرَهُ فتراخى عنه وبثّ المنون إليه حتّى أتى قدَرُهُ عليه ؟،كلا والله:"لقد علم اللهُ المُعَوِّقينَ منكم،والقائلينَ لإخوانِهم هَلُمَّ إلينا ولا يأتونَ البأسَ إلّا قليلاً))[1].

نحن إزاء سيل من الأسئلة الاستنكارية،الدّالة على الذمِّ والاستهجانِ في نَسَقٍ من الجمل الحادة بوقعها، والمتحقق بهذه الاستفهامات والاستنكارات(كلا)،و(القسم)،حتى يصل الإمام إلى ذروة الذمّ

---

(1) نهج البلاغة،ك(٧١)،حـ ١٤٥/٣

(2) سورة الجاثية /٢٣. وينظر :بهج الصباغة،التستري،حـ ١١١/٨

(3) سورة البقرة/٨٦. وينظر:بهج الصباغة، التستري،حـ ١١١/٨.

(4) سورة التوبة /٢٤. و ينظر:بهج الصباغة، التستري، حـ ١١١/٨.

(5) نهج البلاغة،خ(١٤٦)، جـ ٤٨/٢-٤٩ .

(6) سورة الشورى/٢٣.

(1) نهج البلاغة،ك(٢٨)، جـ ٣٨/٣ - ٣٩

لمعاوية باستدعاءٍ قرآنيٍ صريح[٢]،ليَعقِد به تشبيهاً له بمن تكلمت الآيةُ عنهم،مثلما وصفه - في كتاب أخر بعثه له - بالشيطان[٣]

وهكذا الحال في توظيف قوله تعالى:(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ)[٤]،في ذمّ هذا النوع من الناس الموجود في كلّ زمان ومكان فقال:((لعن اللهُ الآمرينَ بالمعروفِ والتاركينَ له،والناهينَ عن المنكر والعاملينَ به))[٥]،فعدل عن الأسلوب الاستفهامي الاستنكاري إلى أسلوبٍ إنشائي،وأعتمد فنَّين من البديع،وهما الموازنة،والطباق،مُتحققان بالنَسَقِ الواضح في التركيبين،وفي الألفاظ:(الآمرينَ،الناهينَ)،(المعروف والمنكر)،(التاركين له،العاملين به)،والمشتركة بعامل واحد وهو(لَعَن)العائد إلى الله جل وعلا،والفعل(لَعَنَ) يُصرِّح بالذمّ،قال ابن أبى الحديد: " ومن قوله(ع) ظاهر الذمّ بالقول:لعن"[٦].

وجاء الذمّ بالمعنى الذي تستصحبه الآية المباركة،من حديث عن الأحبار الذين كانوا يأمرون أقاربهم باتّباع محمد(ص واله)ولا يتّبعونَه،أو يأمرون بالصَّدقةِ ولا يتصدَّقون[٧].

وله(ع)نماذج أخر لهذا النوع من التوظيف[٨] .

ثامناً: وظيفةُ النَّصح والإرشاد .

ويتجلّى هذا التوظيف في الخطب اكثر من سواها،لما لها من تأثيرٍمباشرٍعلى الجمهور" حيث يستثمر الخطيبُ العقل الجمعي لدى الجمهور في إحداث الإثارة المُشار إليها "[١].

من أمثلة ذلك قوله(ع)في كلام كان يوصي به أصحابه، ومما جاء فيه:((تعاهَدوا أمرَ الصلاة ،وحافظوا عليها واستكثروا منها ،وتقرّبوا بها ،فأنَّها كانت على المؤمنين كِتاباً موقوتاً،ألا تسمعون إلى جوابِ أهلِ النار حيث سُئِلوا :" مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ،قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ "،وإنها لتحت الذنوب حت الورق،وتطلقها إطلاق الربق))[٢].

تقاسم النصَّ اقتباسان ؛ الأول من قولة تعالى: " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى "، وهو اقتباس غير مباشر ، والثاني تمثل في صورته الظاهرة في النص[٣]، والآية المقتبسة اقتباسا مباشرا أتت داعمة ، ومُعزّزة لتوكيد أهمية الصلاة ، و الحفاظ عليها ، وهما في مقام التَّذكير ، والوَعظِ ، والنَّصح والإرشاد .

كما وظّف قوله تعالى:" وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" [٤]، في قوله(ع):(والله مستأديكم شكره ومورثكم أمره)[٥]،مع الاختلاف بين صيغتي الأمر والإنشاء في كل منهما،إلا انّهما يشيران إلى هدف واحد وهو شكر الله.

---

(2) سورة الأحزاب/٠١٨

(3) ينظر :نهج البلاغة،ك(٤٤)،جـ ٠٧٧/٣

(4) سورة البقرة/٠٤٤

(5) نهج البلاغة،خ(١٢٥)،جـ ٠١٧/٢

(6) شرح ابن أبى الحدي،جـ ٠١٧/٢

(7) ينظر :من كنوز القرآن،ص:٠١٧٤

(8) نهج البلاغة،خ(٣٨)ج١/٢٨٦.

(1) التفسير البياني، ص:٥.

(2) نهج البلاغة،خ(١٩٤)،ج٢/٢٠٤

(3) سورة البقرة / ٢٣٨.

(4) سورة القصص/٧٣.

(5) نهج البلاغة،خ(٢٣٦)،ج٢/٢٦١،

وقال:((إذا حيّيت بتحيّة فحيّي بأحسن منها،وإذا أسدِيَت إليك يدٌ فكافِئها بما يُربي عليها،والفضلُ مع ذلكَ للبادي))[٦] ،وهو قول يعود بنا إلى قوله تعالى: (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً)[٧]، يبدو الوعظ والإرشاد جليا لا يحتاج إلى مايدلّ عليه،بفعل التصريح بالأمر،عبر الفعل(حَيِّي) ،والنزوح بالآية من صيغة الجمع إلى الإفراد في قوله(ع)،ةألذي جاء مختلفاً لاختلافِ المُخاطبِ في كلٍّ منهما.

ومن قول المصطفى(ص واله):((قد افلحَ مَن رُزِقَ كَفافاً وقنّعهُ اللهُ بما آتاه))[٨]،ليوظفه في النصح والإرشاد بقوله(ع):((ولا تسألوا فيها فوقَ الكفافِ ولا تطلبوا منها اكثر مِنَ البلاغ))،وإذا قارنا بين القولين نجد أنَّ الحديثَ النبوي الشريف بصيغةٍ إخباريَّةٍ تفيد فائدة خبرية،وكلام الإمام(ع)جاء بصيغة إنشائية تفيد الأمر الحامل للنصح بين جوانحهِ،ولهذا النوع من التوظيف أمثلة أخرى[٩]

المبحثُ الثاني: التوظيف الفنّي.

يتعاضد التأثير الدلالي،والتأثير الفني في خلق الإفهام، والإمتاع عند المتلقي،ويمتزجان فيما بينهما ليوصلان إلى إضاءات تُنير النص،وتكشف عن مضامينه،وتظهر جمالية بنائه بما له من آثار صوتية، أو تركيبية، أو تصويرية.

و ينطلق الحديث في هذا المستوى من الحرف إلى الكلمة فالجملة،وما ينتج عنها من آثار بيانية،وهذا يعني حتمية البدء بالتوظيف الصوتي لماله من علاقة بالحرف والكلمة،مروراً بالتوظيف النحوي لعلاقته بالجملة ،ثم الوقوف عند التوظيف البلاغي لعلاقته بالأثر البياني للجملة العربية،وما بين الجمل من علاقات سياقية،وسيتوزّع الفصل على أهم تلك التوظيفات،والتي توزّعت إلى توظيف صوتي، وتوظيف نحوي ،و فنّي

أوّلاً: التوظيفُ الصَّوتي .

تمكّن الإمامُ من توظيف الاقتباس من الجانب الصوتي في نصوصه،وجعلها تنهض بالنصّ معنى ومبنى، فتُضفِي عليه مسحة جمالية لها أثرُها الكبير في المتلقي .

إنَّ التركيبَ الصوتي - للمفردات والجمل - ضمن بنية نسيجية مُحكمة يستجلب معه مسحة جمالية لا تقلّ في تأثيرها عن الكشف الدلالي في النص،فالنصّ الأدبي له قدرة خلق الأثر الجمالي المستحصل بالمعاني والألفاظ مثلما له القدرة على خلق الأثر الدلالي، لاسيّما إذا ما عدنا إلى غايتي العمل الأدبي وهما الإفهام والإقناع(١) ،والجانب الصوتي يسهم في تنامي الأثر الدلالي عند المتلقي ومقدرته الإيحائية،وهو الجامع بين استكمال المعنى وتزيين المبنى .

والاقتباس فنٌّ أدبيٌ له الحظ الكبير في جمالية النص باعتباره فنّاً بديعاً (٢)، وفي تزيين الكلام وتفخيمه كما يرى فخر الدين الرازي ت(٦٢٦) ه، في تعريفه له(٣) ،وكذلك من وجه نظر المفهوم الحديث باعتباره آلية من آليات التناص(٤).

لقد ازدان النص النهجي بالأثر الصوتي بفعل الانسجام والتلاؤم بين الحروف والمفردات،أو باختبار الألفاظ الملائمة التي تضفي نسقاً موسيقياً يلقى بظلاله على المعاني المراد نقلها (٥).

من مصاديق ذلك قوله(ع)في وصف تردّد جنده،وعدم التحاق كثير منهم لنصرة أخواتهم:((مُنيتُ بِمَن لا يُطيعُ إذا أمَرتُ،ولا يُجيبُ إذا دعوتُ،لا ابالكم ما تنتظرون بنصركم ربَّكُم،أما دينٌ يجمعُكُم،ولا حَمِيَّة تحمِشُكم،أقومُ فيكم مُستصرِخاً،وانادِيكُم مُتَغَوِّثاً فلا تَسمعونَ لي قولًا،ولا تُطِيعون لي أمراً،حتَّى تَكشَّفَ الأمور عن عواقِبِ المساءةِ،فما يُدرَك بِكُم ثأرٌ، ولا يبلُغُ بِكُم مرامٌ ، دعوتُكُم إلى نَصرِ إخوانِكُم فَجَرجَرتُم جَرجرَةَ الجَمَلِ الآسَرَّ، وتَثاقلتُم تَثاقُلَ النِّضوِ الادبَر ثم خَرجَ إليَّ مِنكُم جُنيدٌ مُتذائِبٌ ضَعيفٌ **كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ** "))(٦) .

---

(6) نهج البلاغة،خ(٦٢)،ج١٦٤/٣.

(7) سورة النساء/ ٨٦.

(8) صحيح مسلم، ج١٠٢/٣.

(9) ينظر:نهج البلاغة،خ(١٦١)،ج١٦٧/٢،خ(٢٢٥)،ج٢٥٠/٢، ق(١٤٠) ،ج١٨٥/٣.

(1) اقترن البيان بالجمال في بحوث الكلاميين والبلاغيين والمفسرين واللغويين عند دراستهم إعجاز القران، وهما من أهم مهمات علم الدلالة.
ينظر:آيات الابتلاء،د. حامد عبد الهادي حسن،مجلة دراسات إسلامية،بغداد،ع(١)،٢٠٠٢م،ص:٦.

(2) ينظر:التمهيد، ص : ٨.

(3) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص: ١٤٧.

(4) جمالية التناص، د . عبد الملك مرتاض، جريدة الجزيرة،ع ١٢٨٧٩،السنة،١٤٢٤هـ ،السعودية، صفحة فنون .

(5) ينظر:خصائص الجملة العربية في كتاب نهج البلاغة، ص : ٥

(6) نهج البلاغة،خ (٣٨) ج٨٦/١.

كشفت طلائع النص عن ضَجَرالامام وتبرّمِهِ،وسخطِه من تردد هؤلاء،إلى الحدِّ الّذي صَرَّح فيه بذلك،فمضى مُوبّخا باسلوب استفهامي تعجبي(أما دين يجمعكُم،ولا حشمة تحمشكُم)،فلا ينفع معهم استصراخ،ولا استغاثة،لذلك قال:(فما يُدرك بِكم ثأر،ولا يبلغ بِكم مرام).

عرج بعدها إلى رسم صورة بيانية ، تشبيهية ، يصاحبها حشدٌ صوتي ثقيل عبر الحروف (التاء، الثاء ، والجيم ، والخاء ، والميم) ليعَبِّر عن مرارةِ الموقف ، وثقله،فيصبح الصوت جزءاً متمما لبيان صورة هؤلاء الذين لم يخرج منهم إلّا(جُنَيد مُتَذائِب) إمعانا منه في التقليل ، فهم ليسوا سوى(جُنَيد) مُضطرب[1]، خرجوا وهم يُجَرجِرون أنفسَهم جَرجَرةِ الجملِ الأسَرِّ ، وهو اكثر ما يكون عند الإعياءِ ، والتَّعَبِ[2] ، وبتثاقلهم كانوا كالنِّضو الادبَر ، وهو البعيرُ المهزول[3].

كشف التوظيف الصوتي عن معنى الإمام،مثلما كشفت عنه الصورة البيانية، إن لم يكن اكثر منها، فالمفردات(جَرجَرتُم ، اثّاقلتُم) تفضح ترددهم،وكراهيتهم للخروج من خلال هذا الوقع الثقيل للحروف،وكأنّنا نرى تساقطهم على الأرض ، والتحاقهم الثقيل والمُتقَطِّع، من مجموعة عناصر تحمل بين طياتها تصويراً حَركياً بارعا، وفعالاً تأتى بفضلِ الحشدِ الصوتي، وممّا صاحبَهُ من تصوير بياني تشبيهي .

ثم أتت الآية(٤) لتكمل بناء المشهد في صورته الكلية،وموسيقاه وبتلاؤم دلالي،وصوتي،فالتشبيه (كأنما) ينسجم مع التشبيه البليغ (جَرجَرتُم جَرجَرة) ، و(تَثاقلتُم تثاقل)، والمدّ في(يُساقون)يكشف مرة أخرى عن سيرٍ ثقيل،وطويل،والذي جاء في حشدٍ صوتي ثقيل من خلال الحروف(النون،القاف،والتاء).

يدرك المتلقي دور الصوت الذي كان بمثابةِ موسيقى تصويرية لمشهدٍ صُوري مُتحرِّك،فغدى النصّ عِبر التوظيف الصوتي للآية لوحةً موسيقيةً مُتعددة المقاطع المتلائمة مع بعضِها،حتى ليكاد المتلقي يسمع صوت احتكاك هؤلاء بالأرض وهم يُساقون كرهاً إلى مالا يُحبُّون،وكأنَّهم يُساقون إلى الموتِ دلالة على حالةِ الضَّعفِ التي وصلوا إليها،فلم يجد(ع)سوى هذه الآية المُعبِّرة،والتي تُوحي بتثاقل الأجسام الّتي يرفعها الرافعون في جهد،فيسقط في أيديهم بثقل كثقل حروفه(الباء،والتاء،والجيم،والحاء،والضاد،والنون،والميم)،إذ" لكلّ صوتٍ دلالةٌ خاصّةٌ تحمل بينَ طيَّاتِها شيئاً من المعنى العام للفظ"(٥).

وعند خروجه(ع)إلى الشام قال:((الحمدُ للهِ كلّما وَقَب ليلٌ وغَسَق،الحمدُ لِله كلّما لاحَ نَجمٌ وخَفَق،الحمدُ للهِ غير مَفقودِ الأنعام،ولا مُكافئ ألا فضال))(٦).

كان هذا المقطع بداية لخطبته ، فجاء بجمل متوازنة ، متساوقة في التوزيع الصوتي ، وعدد المفردات ، وتشابه حروفها والتي شكلت المفردة القرآنية بعضا منها ، (وَقَب ، غَسَق) ، وهما من قوله تعالى : " وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَب " [1].

جُملتان اسميتان تدلّان على ثباتِ ودوام الحمد لله،كلما دخل ليلٌ،واشتدَّت ظلمتُهُ،وكلما ظهر نجمٌ واختفى،بنسقٍ صوتي جميل يُحيل سامعَه إلى جوٍّ عرفاني.

واتبَعَ هاتين الجملتين بأخريين محكومتين بنسق صوتي يدلّ على ذلك الأنعام ، والإقبال الواسع ، والكبير والدالّ عليه بالمساحةِ الواسعةِ في حروف المدِّ في كليهما ، (أنعام ، افضال).

وكذلك في قوله(ع)إذا لقي العدوَّ:((اللّهمَّ أفضَت إليكَ القلوبُ،ومُدّت الأعناقُ،وشَخصَت الأبصارُ،ونُقِلت الأقدامُ،وأُنضِيَت الأبدانُ،اللّهم قد صرَّح مكتومُ الشَّنآن،وجاشَت مَراجِلُ الأضغان،اللّهم انّا نشكو إليك غَيبة نَبيِّنا،وكثرة عَدوِّنا،وتشَتّت أهوائِنا**"ربَّنا افتَح بَينَنا وبَينَ قومِنا بالحَقّ،وأنتَ خيرُ الفاتِحِين"**))[2].

---

[1] ينظر: شرح ابن أبى الحديد،ج٢/٢٣٧.
[2] ينظر:المكان نفسه.
[3] ينظر:المكان نفسه.
[4] سورة الفلق/٣.
[5] الأضداد في اللغة، محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف، ط١، بغداد،١٩٧٤م، ص:٧٥ـــ٧٦.
[6] نهج البلاغة،خ(٤٧)،ج١/٩٣.
[1] الفلق/٣.
[2] نهج البلاغة،ك(١٥)،ج٣/١٧.

زخر النص بنحوٍ ملحوظ بالصورةِ،والإيقاع،والمُتَّحِدَين ببعضهما بفعل ترابطٍ عضوي،وقد جمع بينهما فنٌّ بديعيٌ تحقق بالجناس في المفردتين(أفضَت،انضَت)،وافضَت القلوب:أي خَرجَت،وانضَت الأبدانُ:هزلت،وخروج القلبِ هو مَقصديتها لله،وخروجها مُتوجَّهٌ إليه.

وانتخاب الآيةِ المقتبسة(ربَّنا افتَح بينَنا...)جاء بنسقٍ مُتناغمٍ مع المفردة التي بدأ بها المقطع(اللهم)،وكلاهما يُفصِح عن اسلوبٍ دعائيٍ التفت حوله مفرداتُ النصِّ بنسقٍ صوتي مُتَجانِس.

وفي خطبة له (ع) وظَّف قوله تعالى : (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)[٣]، فقال:((...وانصَرَمت الدنيا بأهلِها، وأُخرجتُم من حضنِها، فكانت كيوم مَضى، أو شهر انقضى،وصارَ جديدُها رثّاً،وسمينُها غثّاً،وفي موقفٍ ضَنَكِ المَقام،وأمورٍ مشتبهةٍ عِظام،ونارٍ شديد كَلَبُها،عالٍ لَجَبُها،ساطعٍ لَهبُها،مُتَغيّظٍ زَفيرُها،مُتَأجّج سَعيرُها،بعيدٌ خُمودُها،ذاك وقودُها،مُخيفٌ وَعيدُها،غَمٌّ قَرارُها،مُظلمةٍ أقطارُها،حاميةٍ قدورُها،فظيعةٍ أمورها،" **وسِيقَ الَّذينَ اتَّقوا ربَّهم إلى الجَنَّةِ زُمراً،واطمأنَّت بهم الدارُ**))[٤].

توزّعت الثنائية السجعية في النصّ ، بالمفردات (بأهلِها ، من حضنِها) ، (مَضى، انقَضى) ، (رثّاً ،غثّا) ، بجوار أسجاع لمفردات أخرى مُترادفة ، ليكتمل رسم صورة مُنَفِّرة لمثوى الطالبين للدنيا ، رَسمٌ تَوضَّح في استحضار تقابلاتٍ لفظيةٍ ، ومُترادفاتٍ توكيدية، وفي جُملٍ قصيرة،وَصفيَّةٍ،مَسجوعةٍ دونما تكلّف،فيحيل النصّ إلى مقاربة شِعريَّةٍ،فتمنحه بُعداً موسيقيّاً.

إن حرف المد في ذيل الآية(زمرا)جاء متناغما مع نهايات الجمل القصيرة قبلها، وهي: (لهيبها ،سعيرها،ضمورها، وقودها ، وعيدها، قرارها، أقطارها، قدورها)،والدالّة جميعها على صرخة نكاد نسمعها، وصورة نكاد نراها.

وفي نصّ مُقارب وظَّف النصَّ القرآني توظيفا صوتيا كاشفا عن الصورة المراد إيصالها ،فقال:((اعملوا لِيومٍ تُدخَر له الذَّخائر،وتُبلى فيهِ السَّرائِر،ومَن لا ينفَعهُ حاضِرُ لُبِّه فعازِبُهُ عنهُ أعجز، وغائِبُهُ أعوَز، واتّقوا ناراً حَرُّها شَديد ، وقعرُها بَعيد، وحليُها حَديد ، وشَرابُها صَديد))[١]

يبدي النص إطلالة ضمنية إلى قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[٢].

استُبدِلَت ناراً (نكرة) بالنار (المعرفة) للإمعان في الترهيب،والتنفير، وهي ذات حرّ شَديد ، وقَعرٍ بَعِيد، وقيود مِن حَديد[٣]،وشَرابٍ مِن صَديدٍ، فرسمت المفردات (شَديد، بَعيد، حَديد، صَديد) نسقا سجعيا يلفه جناسٌ مُؤثر يُوحي بضربات،ولسعاتٍ،وكأنّها رُسِمت بقطع من النار،وبفضاءاتٍ مَفتوحةٍ،تلقي بظلالٍ منَ التّيه،والخَوفِ،والرَّهبةِ، والضَّياع، وتكفّلت الحروف(الحاء،والراء،والشين،والقاف،والعين،والجيم) بتعزيز هذا المعنى،وحَمّلت النصَ ترهيباً،وتحذيراً "بضربات صوتية مُنتظمة تولّدَت من السَّجع"[٤]،ومنحته قوة تعبيرية ،بما لها من دعم صوتي عَزّز الصورةَ،واصبح مُرتكَزا لها،فاللفظ العربي- كسائِرِ الألفاظِ الأخرى- رمزٌ صوتيٌّ للتعبيرِ عن معنى[٥].

ولم يكن الحديث النبوي الشريف بِمنأى عن مثل هذا التوظيف، ومن قوله (ص وآله): ((آيةُ ألمنافقِ ثلاثة؛ إذا حَدّث كَذَب، وإذا وَعَدَ أخلف، وإذا أوتُمِنَ خَان))[٦]،اذ اقتبس هذا المعنى فقل(ع) واصفا عمرو بن العاص:((انَّه ليقول فيكذِب ، ويَعِد فيخلِف ، ويُسأل فيَبخَل ، ويُسأل فيلحِف ، ويخون العهدَ ، ويقطعُ الأل))[٧]،والملاحظ أنّ أداة التوكيد (إنّ) وحرف اللام في (ليقول) توغل في الذمّ،وحرف العطف الفاء ، والدالّ على التتابع والفورية، أرد الإمام به أن يقول انَّه - عمرو- حين يقول سرعان ما يكذب،وإذا وَعَد سرعان ما يخلف وإذا سُئِل سرعان ما يبخل ، وإذا سَأل سرعان ما يلحف ، مع انه يخون العهد .

---

(3) الزمر/٧٣.
(4) نهج البلاغة،خ(١٨٥)،ج١٥٥/٢.
(1) المصدر السابق،خ(١١٦)،ج٢٣٢/١.
(2) التحريم/٦.
(3) ينظر: شرح ابن أبى الحديد،ج٢٣٠/٧.
(4) خصائص الجملة العربية في كتاب نهج البلاغة،ص:٢٠.
(5) ينظر: البحث النحوي عند الأصوليين،د. مصطفى جمال الدين،دار الرشيد،بغداد،١٩٨٠،ص:٢٩٥.
(6) صحيح البخاري، ج١٤/١، وجاء الحديث بصيغة :" **عَلاماتُ ألمُنافِق**..." . صحيح مسلم، ج١/ ٥٦.
(7) نهج البلاغة،خ(٨٠)،ج١٤٥/١.

وأكّد صفة الخيانة بتكرار معناها،حين عزّزها بقوله:(ويقطع الأل)،والأل:هو العهد[٨]،ومنحت الألفاظ تتابعا صوتيا يعكس تتابع الصفات الذميمة،لاسيَّما مع وجود مفردة قرآنية كان لها أثرها في استكمال الصورة الكلية،المتألّفة من صُورٍ متجاورة ،وبوحداتٍ لفظيَّةٍ،مُتساوقِة،ومُتلازمة.

والمعنى وان كان يرسم القُبح،والذم غير انَّه جاء بنسقٍ لفظيٍ جميل ،يكاد يرسم موسيقى ساخرة لصورةٍ ساخرة يُدركُها المتلقي مِن أوّلِ وَهلة.

ويُطَوِّع أحيانا ما اقتبسه من آية ـ أو بعضها ـ أو حديث نبوي شريف في سياق النص المستضيف ،كما فعل في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيم)[١]، في كلام له قاله عند تلاوته لهذه الآية،ومما جاء فيه: ((يا أيها الإنسان ، ما جَرّاكَ على ذنبكَ ، وما غَرّكَ بربِّكَ ، وما أنساك بَهلَكَةِ نفسِك ؟ أما مِن دائِكَ بُلُولٌ ، أم ليسَ مِن نومِكَ يقظةٌ ؟ أما تَرحَم مِن نفسِكَ ما تَرحَم مِن غَيرِكَ ؟...))[٢].

بدأ كلامَه بما بدأت به الآيةُ بمخاطبة الإنسان المفرد والقصد كل إنسان، ثم جاء بأسئلةٍ على سبيل التقريع والتَّوبيخ[٣]، لم يكن الغرض منها الاستفهام ، ما الذي جرّأك على ذنبكَ ؟،ما الذي غَرّك بربِّكَ ؟... ولما كان المخاطب بصيغة المفرد حرص على ذكر المفرد (الذنب) ،لا الجمع (ذنوبك) .

وبعد التمهيد بالقول:(ما جَرّأك على ذنبكَ)،ولاقتباس:(ماغَرّك بربِّكَ) تلاها بقوله:(وما آنسك بهلَكَةِ نفسِك)، فأصبحت من بناء النصِّ السِّياقي .

لم يأت بذكر(الكريم)المذكور في الآية لان سياق المقال في نصه(ع)سياق تقريع وتوبيخ، وعند الاطّلاع على النص بأكمله نجده، قد بني على الاستفهام الاستنكاري بالأداة(ما) في مساحة كبيرة منه، ثم يسال(ع)أما مِن شفاء مِن هذا الداء؟ ، اما مِن يقظةٍ مِن هذا النَّوم؟ ، أما مِن رحمَةٍ لهذهِ النَّفس بعد جرأتها على ذنبها ؟ وهي أسئلة على سبيل تجاهل المعروف[٤].

ولو انَّه(ع) جاء بالآيةِ كاملةً مع الذكر(الكريم) لما استقامَ السياق ،لا لفظاً ولا معنىً،غير انَّه أدرك ذلك فاحسن تطويع الآية في النص،لانّ الخطبة تدور حول موضوع ظاهر وجلي،استوحاه منها عند قراءتها،ثم طوّع معناها في كلامهِ من خلال رصف مفرداتٍ نَسَجَ منها سياقَ كلامِهِ مُستعيناً بالتَّناغم الصَّوتي والترادف المعنوي ،بسلسلةِ الاستفهاماتِ الاستنكاريّة المُعبِّرة ، وانتقاء هذه العبارات يدلّ على مبلغ عنايته باللفظِ والجرس .

ثانِياً: التَوظيفُ النَّحوي .

اللغةُ ظاهرةٌ كونيةٌ ذات تجلّياتٍ عاليةٍ(١)، ويحكمها نظامٌ نحويٌ صارم ولها القدرة على كَشفِ مافي الفكر البشَري من معانٍ،وتصورات(٢) .

واللغة العربية امتازت بنظامِها النحوي الذي يبدأ بالتَّعامل مع الحروف والكلمات وينتهي عند الجُمَل والسياقات ليحقّق استعمالاً لغوياً من العسير جداً أن نَخرج مِنه .

---

[8] ينظر: شرح ابن أبى الحديد،ج٦/٢٢٥.

[1] سورة الانفطار/٦ .

[2] نهج البلاغة،خ(٢١٨) جـ ٢/٢٤٠ .

[3] ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ،جـ ٢/١٤٠.

[4] ينظر:المكان نفسه.

[1] حد اللغة بين المعيار والاستعمال ،د.عبد السلام المسدي ، مجلة الأقلام،ع السنه العاشرة ،مايس ،١٩٨٥ دار الشؤون الثقافية العامة والنشر، بغداد ،ص :٦

[2] ينظر : المكان نفسه

وقد تداخل الجانبان البلاغي والنحوي في مساحةٍ مُشتركَةٍ واسِعَةٍ إلّا أنّ ما يَتعلَّق بالجملة العربية وما يطرأعليها من حَذفٍ وذكر، أوتقديمٍ وتأخيرٍ، أوتعريفٍ وتنكيرٍ - وغيرها كثير - يبقى في صِلب المُعالجَةِ النَّحوية، ومِن أولوياتها،وان أُفردَت له مساحات كبيرة في المصنفات البلاغية .

ويتمحور التوظيف النحوي حول توظيف الجملة العربية وما يَعتريها مِن تغيراتٍ تُفضي إلى تَغييرٍ في الدلالات ، وتمتد تلك التغييرات ليدخل في حيّزها كلُّ ما تقدم ذكرُه من أحوالِ الجُملةِ ،وما يستَتبِعَه من أساليبٍ نحويَّهٍ لها أثرُها في العَطاءِ الدَّلالي للجمل والنصوص ، وسيبدأ الحديثُ بالضَّمائر وانعكاساتها الدلالية عند استبدالِها مِن حالٍ إلى حال أثناء عمليةِ الاقتباس .

أ- الضَّمائر.

من ذلك مثلا حين انتقل بالضمير من حالة الجمع إلى حالة الإفراد في كتابه له (ع) أرسله إلى جرير عبد الله البجلي ، لما أرسله إلى معاوية : ((أما بعد فأذا أتاكَ كتابي فاحمِل معاوية على الفَصل ، وخُذهُ بالأمر الجَزم ثم خَيِّره بينَ حربٍ مُجليَةٍ ، أو سِلمٍ مُخزيَةٍ ، فأنَّ اختارَ الحربَ فأنبذ إليهِ ، وان اختار السِّلمَ فخُذ بيعتَهُ والسَّلام))[٣].

الكتابُ بعباراته القليلة حمل معانٍ مكثّفة،ودلالات مُختزله تبوحُ بها المفرداتُ، بحروفِها ، وأصواتِها ، واستلهم[٤] قوله تعالى: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)[٥] ،مع إبدال(انبذ إليه) بـ(انبذ إليهم) لتناسب سياق حديثهِ المُوجَّه إلى جرير بن عبد الله ليَخرج إلى معاوية ،وهو مفرد،في حين كانت الآيةُ تحثّ النبيَّ (ص واله)،والمؤمنينَ للخروج الى قتال المُشركين فاستَدعى ذلك صيغة الجَّمع في الآية ، والإفراد في كتاب الإمام .

ويأخذ التعبير نَمَطية أخرى،حين ينتقل بالكلمة من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب كما حصل حديث عن الرسول(ص واله) ممّا اضطرَّه للقول ليبلوهم[١] بدلاً من (يبلوكُم) التي جاءت في مورد الاقتباس[٢].

أو مثلما جرى في تحويل الضمير من صيغه الغائب[٣]، إلى المخاطب في قوله(ع):(لا تأخِذُكَ سِنَةٌ ولا نَوم)[٤]، في خطبة هيمن فيها عنصرُ الدعاء والتي بدأها بالقول:(اللهم لكَ الحمد على ما تَأخذ وتعطي...)،والسياق هو سياق خطاب ودعاء(لك الحمدُ، تبتلى، الحمدُ لك، الحمدُ إليك، الحمدُ عندَك، ما اردت، مُحجب عنكَ، دونَك ، عَظمَتَك .)

ب- الحَذفُ .

وهو صورةٌ أخرى من صور التوظيف النحوي ذي الدلالةِ الواضحةِ في الجملة لما يعتريها من نقص في تركيبها البنائي ، لضرورة دلالية .

وشَبَّه الشيخُ الجرحاني ت (٤٧١،٤٧٤) هـ الحذفَ بالسِّحر وهو عنده (بابٌ، دقيقُ المسلكِ، لطيفُ المأخَذِ، عجيبُ الأمر،شبيهٌ بالسِّحر فانَّك تَرى بهِ تَرك الذِّكر افصَح مِن الذِّكر،والصَّمتِ في الإفادَةِ...)[٥].

ولهذا المفهوم ـ الحذف ـ مصاديق كثيرة منها :

---

(3) نهج البلاغة ك (٨) حـ ٩/٣ .

(4) ينظر : شرح ابن أبى الحديد جـ ١٤/ ٣٧.

(5) سورة الأنفال /٥٨ .

(1) ينظر: نهج البلاغة،خ(١٤٠)،ج٢/ ٣٦.

(2) قال تعالى: (**وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**). النحل/ ٩٢.

(3) قال تعالى: **(اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**) . .البقرة/ ٢٥٥.

(4) نهج البلاغة، خ(٥٥)،ج٢/ ٧٠.

(5) دلائل الإعجاز،ص:١١٢.

١- حَذفُ الفاعِل .

كقوله:((أقوالا بغير عمل))[٦]، وهو مُقتَبَس من قوله تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) [٧]، انه اقتباس لمعنى الآية الكريمة والتقدير في قوله(ع): ((تقولون أقوالا بغير عمل))[٨]، ولعلّ سبب حذف الفاعل وجود قرينةٍ عقليةٍ تَدلّ عليه باعتبارهِ كلاماً مع المخاطب وهو الفاعل ، وهنا يتوضَّح حذف الإيجاز .

٢- حَذفُ المُضاف .

ومن أمثلته قوله(ع):((فرّوا إلى الله))[١]، أي إلى رحمة الله ، وهو تعبير مجازي واضح، ويقابل هذا النوع من حذف المضاف ، إضافةً بين المضاف والمضاف إليه كقولـة (ع):((... وسينتقم الله مِمَّن ظلم مَأكلاً بمَأكل ، ومَشرباً بمشرب مِن مَطاعم العلقم ، ومَشاربِ الصَّبر والمِقَر، ولباس شعار الخوفِ ، ودِثارِ السَّيفِ))[٢]، والذي يعودُ بنا إلى قوله تعالى:(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)[٣]، حيث أضاف المفردةَ(شعار)إلى لِباسِ الخوفِ تَوَخِّياً لدلالةٍ مَرجُوةٍ وهي المبالغة في خوفِ هولاء لانَّ التعبيرَ بشعارٍ يَدلُّ على قرب الخوفِ منهم لانَّ الشعار أقرب للجَسَدِ[٤] مِمّا سواه من أنواع اللباس.
وتجلّى في وصفه لأبغض الخلائق فقال:((حَمَّال خَطايا غيرِهِ))[٥]،والمقتبس من الآية المباركة: (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ)[٦]،والتقدير: هو حمّال خطايا غيرِهِ ، وحُذِفَ المُبتدأ لوجود قرينةٍ عمليَّةٍ وسِياقيَّةٍ تدلان عَليه[٧].

ج- التَّقديمُ والتَّأخِير .
وهو حالٌ من أحوال الجملة العربية، ذو قدرة على العطاء الدلالي، ويَنبثق عن تغيّر في مَوقعي المُسنَد والمسنَد إليه ، تَغيّر في المواقع يُصاحبه تَغيّر في المَعاني والدلالات ، وهو وكذلك يمثل " استجابة لدوافع نفسية فرضتها الحالةُ الشعورية ، والأبعاد النفسية للمتكلم ، والمعنى المراد نقله إلى السامع"[٨] .
ولانَّ التقديمَ والتأخيرَ يعتمدُ،حركيةٌ في مساحةِ السَّماح بينَ المُسند والمُسنَد إليه ، ويَمنح النص مقداراً في الحريَّةِ للوصول إلى مَثابَةٍ دلاليَّة مُرتَجاة.
ولهذا الفن وجوه عِدَّة تتصل بالمبتدأ والخبر ، والفعل والفاعل والمفعول به ، والجار والمجرور ، ومَدى تقدّم كل منهما على الآخر ، وما يَتَمَخَّض عنه مِن ولاداتٍ دلالية.

---

(6) نهج البلاغة،خ(٢٨)،ج١/٧١.
(7) سورة البقرة/ ٤٤.
(8) ينظر: خصائص الجملة العربية، ص: ٩١.
(1) شرح ابن أبى الحديد،ج١/٢٧٩.
(2) نهج البلاغة خ (١٥٣) ج٢/٦٩
(3) سورة النحل /١١٢.
(4) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ج١/٠٦٤٤ وينظر::نهج البلاغة،خ(٨٣) ج١/١٥،خ (٨٥)،ج١/١٥٦.
(5) نهج البلاغة خ(١٦) ج١-/٠٤٧
(6) سورة النحل/٢٥. وسورة العنكبوت/١٣.
(7) خصائص الجملة العربية في كتاب نهج البلاغة ص:٨١.
(8) حرية الحركة للمسند والمسند إليه في التقديم والتأخير لون من ألوان حرية اللغة .
ينظر:الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها، ابن فارس،ص:٢٦٤.
ينظر:بحوث لغوية، د.احمد مطلوب،دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان،١٩٨٧م،ط١،ص:١٤ – ٤٠٠.
ينظر:خصائص الجملة العربية في كتاب نهج البلاغة،ص:٩٧.

وفي قوله تعالى:(وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ)[1]، تقدّم ما كان حقه التأخير،انه تقديم له دلالته ،وجاء لدوافع نفسية فرضتها الحالة الشعورية ،والمعنى المراد نقله،لقد أعاد الإمام(ع) التركيب النحوي المعتاد لهذه الآية في وصف الدنيا:((...ألّتي قَد بُنيَ بالخَرابِ فَناؤُها،وَشِيدَ بِالتُّرابِ بِناؤُها،فَمحَلُّها مُقتربٌ،وساكِنُها مُغتَربٌ،بَينَ أهلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِين،وأهلٍ فَراغٍ مُتَشاغِلين،لا يَستَأنِسونَ بالاوطَانِ ،ولا يَتواصَلونَ تَواصُلَ الجِيران، عَلى مابَينَهُم مِن قُربِ الجِوار،ودُنُوِّ الدَّار،... فَكيفَ بِكُم لو تَناهَت بِكُم الأمُورُ، وبُعثِرَتِ القُبُورُ؟؟))[2]، واعادة التركيب النحوي المُعتاد مع أدواتِ السؤال على سبيل الاستنكار[3] شكّلت نسيجاً بَنّاء في وحدةٍ مُتناغمَةٍ تضَع المُتلقي في حَيرةٍ واعتبار ،في تسائله:(فَكيفَ بِكُم لو تَناهت بِكُم الأمُورٌ،وبعثِرَت القُبُورُ ؟؟؟).

وتمثّلت موافقة السياق في رصف الجمل القصيرة، والتي جعلَ كلَّ اثنتين منها في سَجع واحد (بالخرابِ فناؤُها ، بالترابِ بناؤها) ، (محلّها مُقتَرب ،ساكنها مُغتَرب) ، (مَحَلّةٍ مُوحِشين، فَراغٍ متَشاغِلِين) ، (لا يَستَأنِسون بالأوطان ، تَواصل الجِّيران)،(قُرب الجِوار، ودُنو الدار) ، (بكَلكَلِهِ البَلى، الجَنادل والثَّرى)،(ذلك المضجَع، ذلك المستَودَع)،(الأمور،القبور).

وبناء الفاعل للمجهول فيه تركيز الاهتمام على الحدث ، وألاستفهامٌ المصاحب له يُفيد التَّعجب مِن هَول يومٍ تُعبثَر فيهِ القبورُ ، والفعل الرباعي(بعثر) يدل على الحركة والاضطراب.

وهكذا فرض مقتضى الحال تقديم المفعول به على الفاعل في قوله(ع):((لا يحصى نعماءَه العادُّون))[4]،فهو مِن قولهِ تَعالى:(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)[5].

بدأ كلامَه بعد حَمدِ أللهِ بأداةِ النَّفي(لا)،والّتي ظلّت أداةً مُتسلطةً على النص مَعَ غيرِها مِن أدوات النفي والأصل في كلامه وفق النظام النحوي(لا يحصي العادون نعماءه) فوقع التغيير في موضعين؛ أولهما إبدال (نعمة) ب (نعمائه)، دلالة على كثرتِها،وبيان عظمةِ فضل الله،والثانية في تقديم المفعول على الفاعل دلالةً على التعظيم .

أما فيما يَتعلّق بالأمرِ الأوَّل ، نَجِد أنَّ السياقَ ، سياق جمع: (قائلون ،عادّون ، مجتهدون ، همم ، فطن..) ، وعند الوصول إلى صفات الله عز وجل عمد إلى الإفراد ، للدلالة على التوحيد فقال: (صفتهُ ، حَدّ، نعت ، مَوجود ، مَعدود ، أجل) ، وذكر صيغة الجمع للخلائق للدلالة على شمولية آلائه ونعمه مثل:(فطر الخلائق ، نشر الرياح ، وتد بالصخور...).

أمّا في التقديم، فدلالة التعظيم هي التي أوجبت ذلك لانَّ العرب " كأنّهم إنّما يُقَدِّمون الّذي بِبَيانِهِ أهم لهم ، وهم ببيانهِ أعنى ، وان كانا جميعاً يهمانهم ، ويعنيانهم "[6].

ويجري التقديمُ والتأخيرُ في بنية النص المقتبس طلباً لدلالةِ ما ، وتَمثّل ذلك في تقديم الجار والمجرور في كتاب بعثه(ع)إلى عامله على البصرة - عثمان بن حنيف - واعِظا ومذكّراً بصفات المؤمنين:((في مَعشَرٍ أسهرَ عيونَهم خوف معاهدِهِم،وتجافَت عَن مضاجِعهم جنوبُهم، وهَمهَمَت بذكرِ ربِّهم شفاهُهُم))(١).

انصبّ الحديثُ لرسمِ صورةً للمؤمنين بدقّةٍ تفصيليةٍ ، تشريحية لبيان سَهَرِ عيونِهم خَوفاً من المَعاد ، ومجافاةِ جنوبُهم عن المضاجِع خشية وتعبداً ، وهَمهَمةِ شفاهِهم بالذكرِ والتسبيح ، وهو حديث عن الأفعال لاعَنِ الآلاتِ التي قامت بذلك،من هنا قدَّمَها على الفواعِل لها،(سَهر العيون على خوفِ المَعاد) ، و(مُجافاةِ المَضاجِع على الجنوبِ) ، و(هَمهَمَةِ الذكر على الشفاه) ، وتكرر مثل هذا التقديم في مواضع أخرى من النهج(٢).

---

(1) سورة الانفطار/٤

(2) نهج البلاغة ،خ(٢٢١) ، ج٢/٢٤٦-٢٤٧.

(3) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ، ج٢/١٥٠.

(4) نهج البلاغة ، خ(١)، ج١/٧.

(5) سورة النحل/١٨، وينظر: شرح ابن ميثم البحراني ، ج١/٤٨.

(6) الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر الملقب سيبوبة ت (١٨٠) هـ ، ت عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر ، ط٣، ١٩٨٨م،ج١ /٣٤.

(1) نهج البلاغة ك (٤٥)،جـ ٣/٨٤.

(2) كما في تقديم الجار والمجرور في:(منَ الموتِ في غَمره)، وتقديم (لم يدركْهُ بصرٌ) على(يدرك الأبصارَ)، وتقديم الباطل على الحق).

د-التَّعريفُ والتَّنكير :

ويعَرف بأنَّه " اسلوبٌ من أساليبِ العربِ في كلامِها ، وليس له أداة سوى أن يخلى اللفظ من أدوات التعريف ، والأصل في الكلمة التنكير لكونها مطلقاً ثم يأتي التعريف ليحصر نوعه ويقيده بواحد من اوجه التعريف المعروفة عند النحاة "(٣).

ولمّا كان الأصلُ في الكلمةِ التنكير نبدأ بهِ في قوله(ع):((واتّقوا ناراً حَرّها شَديد وقَعرُها بَعيد ، وحُليتُها حَديد ، وشَرابُها صَديد)) (٤).

مثّل المقطعُ ظِلاً لقولهِ تَعالى (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)(٥) ومَحل الشاهد هو (ناراً) ، والفارق بينَ التَّعرف في الآية ـ والتنكير ـ في النص هو فارقٌ في السِّياق وتنكيرها يُوغِل في التَّعتيم والتهويل منها، مادامت نكرة مُبهَمة لا يَمكِن تصورها ، وتترك المتلقي في فضاءاتٍ رحبةٍ لا يتسطيع الإمساك بصورة لها، فهو إذن تنكيرٌ لارادةِ الإبهامِ والتَّهويل .

وبالمقابل نقف عند المفردة (راكِس)(٦) حين عرَّفها في قولهِ(ع) : وهو يقصّ لأهل الأمصار ماجرى بينه واهل صفين بعد أن وقَعَت الحربُ ثم طَلَبوا منه ـ اصحاب صفين ـ الصلح: ((... وسارَعناهُم إلى ما طَلَبُوا،حتّى استبانَت عليهم الحُجَّةُ، وانقطعَت منهُم المَعذِرَةُ فَمَن تمّ على ذلكَ مِنهم فَهو الَّذي أنقذهُ اللهُ من الهَلَكَةِ،ومَن لَجَّ وتَمادى فهو الرَّاكِس))(٧)،(مَن لَجّ وتَمادى فهو الراكِس) والتعريف بالالف واللام يَعكس توكيداً وُيفيد التخصيصَ والقَصرَ، وكأنَّه(ع)أراد القول انَّه ـ المُتَمادِي ـ هو الراكس ليسَ سِواه .

هـ- الأسَالِيبُ:

دخلت الأساليبُ حيِّز التوظيف النحوي ، حينَ وظَّفَ الإمامُ الاستفهامَ والتوكيدَ ، والأمرَ ، والنهيَ، والنداءَ ، والنفيَ ، والتوكيدَ في خطبهِ ، وكتبهِ ، وحكمِهِ ومواعظِهِ.

لم يكن إحضار الأساليب بمنأى عَن الغرضيَّة والقَصديَّة،والتَّوظيف الَّذي استَدعى ذلكَ،إذ لكلّ أسلوبٍ أدواتُهُ التي عُرِفَ بها،واقترنَت بهِ في المؤلفاتِ النَّحوية،والبلاغية(علم المعاني) على حَدّ سَواء

١ ـ أسلوبُ الاستفهام،

لم يقتَصِر الاستفهامُ على معنى طلبِ الفَهم فقط(١) ،بل يخرج إلى دلالات آخرى كالإقرار ، والاستنكار والتعجبِ ، ونجح الإمام في توظيف هذه الأغراض المجازية ، والتي انطلقت من رَحِم النحو لدلالاتٍ يبتغيها ، كقوله في خطبةِ الملاحم: ((... أين تذهب بكُم المَذاهِب ، وتَتيهَ بِكم الغَياهِب، وتخدعكم الكواذِب ؟ ومِن أينَ تؤتون ، وأنَّى تُؤفَكون فلكلِّ اجَلٍ كتاب ، ولكلِّ غَيبةٍ إيـــاب)(٢) ، وخرج الاستفهام عنده إلى أغراض مجازية أخرى كالتعجيز في قوله(ع): (أينَ تذهب بكُم الظنونُ ، مِن اينَ تؤتون ، أنَّى تُؤفَكون).

وتكرَّر مثل هذا الاستفهام في قوله(ع):((هَل مِن مَناص أو خَلاص ، أو معاذٍ أو ملاذٍ ، أو فرارٍ أو مَحارٍ؟أم لا ؟ فأنّى تُؤفَكون؟ أم أينَ تصدقون؟ أم بماذا تَغترون))(٣)، سلسلةٌ استفهاميَّةٌ تدلُّ على التقريع(٤)، وخرج به إلى التعجبِ كقوله: ((ما غَرَّكَ بربِّكَ))(٥)، وهو قولٌ مأخوذٌ من القرآنِ الكريمِ(٦) .

ينظر: نهج البلاغة خ (٣٣)، جـ ٧٨/١. و: المصدر السابق خ (١٥٥)، جـ ٧٠/٢.
و: المصدر السابق خ(٣٢)، ج ٧٦/١،خ (١٨٨) ج ١٨٥/٢، ك (٦٦) جـ ١٣٩/٣.

(3) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د. منير سلطان ، منشاة المعارف الإسكندرية،١٩٨٨، ص:٦٦

(4) نهج البلاغة خ (١١٦)،ح ٢٣٢/١.

(5) سورة البقرة /٢٤.

(6) **"فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً "** . النساء/ ٨٨ .

(7) نهج البلاغة خ ك (٥٨) حـ ١٢٦/٣.

(1) ينظر: مغني اللبيب عن كتاب الاعاريب،ابن هشام الأنصاري ت ( ) ه تحقق د. مازن المبارك دار الفكر،بيروت ط ٦ ١٩٨٥م ، ص:١٢١
وينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة (استفهام)

(2) نهج البلاغة خ (١٠٤) جـ ١/ ٢٠٨

(3) المصدر السابق،خ (٨٠) جـ ١٤٣/١ـ ١٤٤

(4) شرح ابن ميثم البحراني،ج٣٩٢/١.

و إلى التنكير:((ألستُم في مَساكن مَن كانَ قبلكُم أطولَ أعماراً وابقى آثاراً))(٧) وهو قول مُقتبس(٨)، أو للإغراء كقوله(ع):((ألا تحبّون أن يغفر الله لكم))(٩)، أو للتحسر في قوله(ع):((أينَ إخواني الّذين رَكبوا الطريقَ ومضوا على الحَقِّ ؟))(١٠).

٢- اسلوبُ الأمر .

والأمرُ من الأساليب التي حظيت بنصيبٍ وافرٍ منَ التوظيف عند الإمام في نهجه،ولم يقف عند حدِّه الصرف في كونه طلب الفعل مِن جهةِ الاستعلاء والإلزام(١)،وبأدواتهِ المعدودة، وانَّما جاء للنصح والإرشاد ،كقوله(ع):((فاستَدركوا بَقيَّة أيّامَكم،واصبروا لها أنفسَكم فإنَّها قليلٌ في كثير الأيّام التي تكون معكمُ فيها الغفلةُ والتشاغلُ عن المَوعِظة))(٢) وهو نصحٌ وارشاد اقتبسه من قولهِ تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)(٣).

ومن قوله تعالى:(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)(٤) اخذ هذا المعنى بصيغته الامرية:٠٠٠٠٠٠((تعاهَدوا أمرَ الصَّلاةِ،وحافظُوا عَليها))(٥)،وخرج كثير من الامر عنده(ع)إلى مِثل هذا الأمر(٦) .

٣- اسلوبُ النهي.

و النهي ، هو طلب الكفِّ عن الفعل ، مِن جهةِ الاستعلاء(٧) ، وقد يخرج إلى غير غرضه الرَّئيس ، إلى أغراض مجازية أخرى ، كالدعاء مثلاً في كلام له (ع) في الاستسقاء: (اللهم إنّا خَرَجنا إليكَ نَشكو إليكَ مالا يخفى عَليك ، حِينَ أجاءتنا المَضايقُ الوَعِرة ، وألجَأتنا المقاحِطُ المُجدِبَة وأعيَتنا المَطالبُ المُتعَسرةِ ، وتَلاحقَت علينا الفِتَنُ المستَصعِبَة ، اللهم انّا نَسألك فلا ترُدَّنا خائِبين ولاتَقلبنا واجِمِعين ، ولا تخاطبنا بذنوبنا ، ولا تقايسنا بأعمالِنا)(٨).

عندَ سماعِ المقطع الأخير يعود المتلقي إلى ثقافتهِ القرآنية،ويتذكر قوله تعالى:(وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ)(٩)،هنا أمرٌ خرجَ إلى دعاء وتَضرُّع ، باستفهامٍ خرج إلى أمرٍ مجازي .

---

(5) نهج البلاغة خ (٢١٨) ج ٢/٢٤٠ .
(6) سورة الانفطار/٦.
(7) نهج البلاغة،خ (١٠٧)،ج١/ ٢١٧ـ ٢١٨.
(8) من قوله تعالى:(**وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ**) .
سورة إبراهيم/٤٥،
ينظر: شرح ابن أبى الحديد،ج ٧/ ١٨٧.
(9) نهج البلاغة ك (٢٣)، جـ ٣/ ٢٤.
(10) نهج البلاغة (١٧٧)، جـ ٢/١٣٠ـ ١٣١.
(1) ينظر: معجم المصلحات البلاغية ، وتطورها،مادة(أمر).
(2) نهج البلاغة،خ(٨٢)،ج١/١٤٨.
(3) سورة الكهف/٢٨.
(4) سورة البقرة/٢٣٨.
(5) نهج البلاغة،خ(١٩٤)،جـ ٢/ ٢٠٤ وينظر: ك (٢٧)،ج٣/٣٣.
(6) ينظر:المصدر السابق خ(٩٤)،ج١/١٩٠،خ(١٦٣)، جـ٢/ ٩٨ـ ٩٩،خ (١٨٥)،ج٢/ ١٥٣ـ١٥٤.
(7) ينظر :معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، ج٣/ مادة (نهي) .
(8) نهج البلاغة خ(١٣٩)، جـ ٢/٣٤ .
(9) سورة الأعراف /١٥٥.

٤- اسلوبُ النِّداء.

و النداءُ هو أسلوبٌ تراءى بصور عِدَّة في نصوص الإمام(ع) ، وهو من أساليب الطلب عند النَحويِّين، والبلاغِيِّين،ويُراد به تنبيه المُخاطَب[١]
وقد يكون بالأداة كقوله (ع) : ((أيّها الناس إنّما انتم في هذه الدنيا غرض تتنّصل فيه المنايا))[٢]،وأكّد قوله بالقصر عبر الاداة(إنما) ليعزز هذا المعنى،ويستنفره للتنبيه إلى ما أراد بيانه برفقة استعارة مكنية شخص فيها المنايا وجعلها تتبارى على غرض واحد،وهو الإنسان،وتكرّر مثل هذا الأمر في غير موقع في النهج[٣].

ويستجلب هذا الاسلوب أحيانا بالتكرار اللفظي كقوله(ع):((الله الله فِي الأيتام ... الله فِي جيرانِكم ... الله الله في القرآن ... الله الله فِي الصلاة ... الله فِي بيتِ ربِّكم ... الله الله فِي الجِّهاد...))[٤].

٥- أسلوب النَّفي.

وللنفي دورُه في التوظيف النحوي،وهو خلاف الإثبات،والمُتحَصِّل عِبر أدواتٍ قُرِنَت بهِ[٥] وأخرجه الإمام ـ بقدرتهِ الفنية ـ إلى أغراض مجازيه أخرى كالتعظيم في قوله(ع): ((الحمدُ لله غير مَقنوطٍ من رَحمتِه،ولا مَخلوٍ مِن نِعمتِهِ ولا مَيؤُسٍ من مَغفرتهِ،ولا مُستنكَف مِن عبادتِهِ))[٦]، والذي اقتبسه من قوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[٧]، مع العدول من صيغة النهي إلى النفي ، فانتج نقلة إلى النصح والإرشاد في الايه المباركة إلى صيغة التعظيم في قوله(ع) والمستجلب بالنفي لصفةِ القنوطِ ، ، واليأس والاستنكاف ، وله غير موضع آخر[٨] .

أو للنصح حين اقتبس نصَّاً قرآنياً اقتباساً مباشراً في حقِّ أعدائِهِ فقال:((فأن تَرتَفِع عَنَّا وعَنهم مِحَن البلوى احملهم مِن الحَقِّ على مَحضِه،وان تَكن الأخرى " فلا تذهَب نفسُكَ عليهم حَسَرات إن اللهَ عليمٌ بما يَصنَعون "))[٩].
ويخرج به الإمامُ للتهديدِ والوعيدِ بلفظٍ غير مُباشرٍ قريبٍ من نصّهِ القرآني مع دلالةٍ توكيدية

تتحصّل بأدواة التوكيد تارةً وينفي الشك تارةً أخرى كقوله(ع)عن النار: ((وما هِيَ من الظالمين ببعيد))[١]
.
وقد يكون لنفي حقيقة ما كقوله (ع) : ((لم يُوجِس مُوسى عليه السلام خِيفةً على نفسِـــهِ))[٢] ، والمقتبسة من قوله تعالى : (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى)[٣].
لقد نفى الخوفَ عن موسى(ع)استنادا للنص القرآني اليقين،الذي نَتَفهَّمَهُ من خلال السياق الذي يوضح اللَّبس،أو مع بقاء الدلالة على النفي الخالص ، كما في قوله(ع) مُقتبساً حديثاً نبوياً شريفاً:((لا

---

(1) ينظر:أساليب الطلب عند النحو بين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الالوسي بغداد ، ١٩٨٨ص : ٢١٧.
(2) نهج البلاغة،خ (١٤١)،ج ٣٨/٢،
(3) ينظر مثلً :خ (٨٠)،ج ١/ ٤٣ ،خ(٨٣)،ج١/ ١٤٩،خ(١٤٣)،جـ ٢/ ٤٢،خ (١٤٥)،ج٢/ ٨٦.
(4) ينظر: ك(٤٦)ج٨٦/٣.
(5) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية ، وتطورها، مادة(نفي).
(6) نهج البلاغة،خ(٤٤)،ج ٩١/١.
(7) سورة الزمر/٥٣.
(8) ينظر مثلاً:خ(١٧٧)،ج١٢٥/٢ ،خ(١٨١)،ج ١٤٥/٢.
(9) نهج البلاغة،خ (١٨٤)،ج ٨١/٢
(1) المصدر السابق، ك (٢٨)،ج ٤٠/٣.
(2) نهج البلاغة،خ(٣)،ج٣٣/١ .
(3) طه/٧٦.

يستقيم إيمانُ عبدٍ حتّى يَستقيم قلبُه،ولا يستَقيمَ قلبُه حتّى يستقيمَ لسانُه))[٤]،أو كما في قوله(ع): ((ما عالَ مَن اقتَصَد))[٥]،وهو اقتباسٌ لمعنىً قرآني[٦] .

ولرُبَّما يُوظّف النفيَ لدفع أمرٍ ما،وتثبيت نقيضَه،فيكون حينئذٍ بمثابةِ نفيٍ توكيد في آنٍ واحدٍ،كقوله(ع):((لم يَلِد فَيكون مَولوداً،ولم يُولَد فيصير مَحدوداً))[٧].

هاتان الجملتان تُشيران إلى قوله تعالى:(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)[٨]،وهو قولٌ ينفي الصفاتَ الإنسانية عن الذات الإلهية،واعتمد الإمامُ هذا التعبير القرآني لينفي هذه الصفات عن الله جلَّ وعلا،وهو نفي بمثابةِ التوكيدِ على تنزيهِ الله عنها،هو نفي صفاتٍ لاثباتِ صفاتٍ مُقابلة،انَّه نفيُ السلبِ لاثباتِ الإيجاب.

٦- أسلوب التوكيد.

ويتَحقّق بأدواتِهِ المعروفة ، أو باعتماد صِيَغٍ تَدلّ عليه كما في قوله(ع): (لاتَ حينَ مناص، هَيهات هَيهات)[١] ومقطعه الأول اقتباس من السَّهل إرجاعهِ إلى النصِّ القرآني الذي استقى منه ،وله إضاءاتٌ دلاليَّةٌ: أفادت استحالة العودة والإرجاع ، وأخرى سياقية فنية ، أطّلت بالتلاؤم الصوتي والمعنوي فقوله:(هيهات ، هيهات) امتداد صوتي لذلك التحسر ، وتوكيد وتذكير لتلك الاستحالة ، وتكرار المدود في (لات ، مَناص ، هَيهات ،هَيهات) أفاد ـ من حيثِ اللاشعور ـ ذلك التوكيد ، والإيغال في التَّيئيس منه .

أو باعتماد صيغةِ المبالغة الدالّة على التوكيد،كما في اقتباس قوله تعالى: (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُون)[٢]، فقال(ع):((حَمَّال خَطايا غَيره))[٣]،وحَمَّال مفردةٌ مُكتنِزةٌ بالدَّلالةِ التَّوكيديَّة، ولها قدرة الاشتراك في رسمِ صورةٍ بَيانِيَّةٍ .

---

(4) المصدر السابق،خ (١٧١)،جـ ١١٤/٢

(5) المصدر السابق،ق (١٤٠)، جـ ١٨٥/٣.

(6) من قوله تعالى:(**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**). الأعراف/٣١ .

(7) نهج البلاغة،خ(١٨١)،ج١٤٥/٢.

(8) الإخلاص/٣.

(1) المصدر السابق،خ (١٨٦)،جـ ١٦٠/٢

(2) سورة العنكبوت / ١٣.

(3) نهج البلاغة،خ (١٦)،جـ ٤٧/١

ثالثاً : التوظيفُ البَلاغِي .

عُرف الأدبُ العربي بصوَرِهِ البيانية بمختلف أنواعها والقادرة على إظهار ما هو عقلي غير مَحسوس بصورة حسِّية،أو إضفاء صفاتٍ إنسانية على الجَمادات، والحيوانات فتمنحها العواطفَ، والإحساسَ،والشعورَ، أو إضفاء الزينة، والجمالية على النصّ بما عُرف فيما بعد بالفن البديعي،ويقوم هذا التوظيف على خَرقِ مَنطِقِ العلاقات المألوفة في اللغة العادية، وخصوصاً في الاستعارة والكناية .

وقد نجح الإمام(ع) ـ أيّما نجاح ـ في توظيف ذلك كلّه في النص النهجي ، ولا يتعلق الأمرُ بإثباتِ ذلك ـ فهو فارسُها وصاحبُ قدحها المُعلَّى- ،بل هو وقوف عند بعض من تلك النجاحات، ليتجلّى لنا مقدار توظيفه البلاغي بفنونه البيانيه والبديعية ، وفي علم المعاني ، بدءاًمن التجسيم ، فالتشخيص ، وانتهاءً عند صوره البيانية التشبيهية والاستعارية والكنائية .

أ- التَجسيمُ والتَّشخيصُ .

التجسيمُ هو صياغة المُجرَّداتِ في صور مجسمةٍ حسيةٍ، فنرى فيها المعنويات،حتى نكاد نلمسها،ونراها، وتخرج بنا من المجال العقلي إلى المجال الحسي[1] .

ويرى الشيخُ عبد القاهر الجرحاني ت(٤٧٤هـ) أنَّ التجسيمَ من الوظائفِ الأساسية للاستعارة ، فنرى من خلاله " المعاني الخفيّة باديةً جليّةً "[2]، والتشخيص هو أسلوب يُحي بهِ الشاعرُ ما لا حياةَ له وبه تُطلَق صفاتٌ إنسانّيةٌ على الحيوان ـ والجماد[3]، وبهما ـ التجسيم والتشخيص ـ نَطِل على فضاءاتٍ جديدةٍ نَصِل من خلالها إلى رؤيةٍ بصريةٍ لمكونات معنويةٍ من العسير تصورها لولاهما.

---

(1) ينظر: فن الاستعارة، د. احمد عبد الصاوي الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،١٩٧٩م، ص:٢٧٥
وينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ، ص :٥٧ .

(2) ينظر:أسرار البلاغة، ص:٤١ .
وذهب الدكتور شوقي ضيف إلى التَعامل مَع التَجسيم والتشخيص كما تَعاملَ مَعهما الغربيون حِينَ عَزلوهما عَن ألمجاز.
ينظر:الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، مصر،(د. ت)،ص:٢٣٦.

(3) ينظر:نماذج في النقد الأدبي وتحليل النصوص، ايليا حاوي،دار الكتاب اللبناني، ط٣، ١٩٦٩م، ص:٩٣١.
ينظر:الاتجاه العقلي في التفسير عند المعتزلة، د. نصر حامد أبو زيد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت،١٩٨٢، ص:١٠٧ .
ينظر:التصوير الفني في القران، سيد قطب، دار المعارف، مصر،١٩٦٣، ٦٤.

من أمثلة ذلك قوله (ع) في خطبة له:((أمَا واللهِ إن كنتُ لَفِي ساقتِها ، حتَّى ولّت بحذافيرها،ما ضعِفتُ ولا جبِنتُ ، وانَّ مَسيري هذا لمثلِها ، فَلأنقبَنّ الباطلَ حتَّى يخرُجَ الحقّ مِن جَنبِهِ)) [٤].

بدأ التجسيمُ في التوظيف الاستعاري والمُقتَبَس من قوله تعالى:(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)[٥]، وبذلك نقل إلينا معنىً مُجَرّداً إلى عالم الحسّ والإدراك ، نقل لما كان مَركوناً في عالمِ الذهنِ إلى موقعِ الإدراك البصري ، عِبرَ التوظيف البلاغي للاستعارةِ المكنية الواقعة في تشبيهِ الباطل بالحيوان الذي ابتلعَ الحقَّ بقرينةِ قولهِ(ع):(مِن جَنبِه) وهي خِصّيصةٌ من خَصائصِ الأجسادِ ،والعبارة تفيد (وجود الحقِّ في الدنيا دائماً،وان غَطّاه الباطلُ) [١]

بالتجسيمِ تتحقق نقلةٌ من المجهولِ إلى المعلومِ ، والحسِّي أوضح من المَعنوي لألفَةِ النَّفسِ بهِ ، وتعودها منذ بدايةِ وَعيها بالعلمِ ، أمّا النقلةُ من الحسِّي إلى المعنوي فإنَّها بمثابةِ انتقالٍ من معلومٍ إلى مَجهول[٢] .

ومنها أيضا قوله(ع):((أصفَيتُم بالأمرِ غَير أهلِهِ ، وأوردتُموه غَير مَوردِهِ ، وسينتقم اللهُ مِمّن ظلَمَ ، مأكلاً بمآكل ، ومشرباً بمشرب مِن مَطاعمِ العَلقمِ ، ومَشاربِ الصَّبرِ والمِقَر ولِباسِ شِعار الخِوف ، ودِثارِ السَّيفِ ، وانّما هُم مَطايا الخَطيئاتِ ، وزَوَامِلِ ألآثامِ))[٣] .

والخطيئات جمع للخطيئة ، وهي مفردة قرآنية معروفة[٤] اقترنَت بتركيبٍ استعاري جَسّم الخطايا وجَسّدها ، وعُزّزَت هذه الصورةُ الاستعاريَّةُ باستعارةٍ ثانِئةٍ وهي ، (لِباسِ الخَوفِ) المأخوذ مِن قوله تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُون)[٥].

ونجح في التوظيف التجسيم في كتاب بعثه إلى ابن عمه ابن عباس(رض) وهو عامله على البصرة،مقتبساً صورة استعارية مجسّمه لما هو معنوي من قوله تعالى: (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي)[٦] فقال ناصحا له:(فَحادِث أهلَها بالاحسانِ إليهم،واحلُل عُقدةَ الخَوفِ عَن قلوبِهم)[٧].

شَبّه الخوفَ بالحبلِ بجامعِ الغلظة والشِدَّة ، فحذف الحبلَ ورمزَلهُ بالعقدة التي هِيَ مِن لوازمِهِ، فالخوف حَبلٌ يُضَيِّق الأنفاسَ ، ويغل الأيدي والأقدام ويَمنعهم عن الحركةِ ، لذلك طلبِ الإمامُ(ع) من والي البصرة أن يُزيل عن أهلِ البصرةِ ، عقدة الخوفِ عَنهُم،مثلما طلبَ موسى(ع)مِن رَبِّهِ حين قال: (واحلُل عُقدةً مِن لِسانِي) .

فالاستعارة ـ من خلال التجسيم ـ حين تُوضِّح المعنى وتكشفه فإنَّها تؤثر في المتلقي وتَجعله يتفاعل مع النص، فالإيضاح " يُخاطب الشعورَ والإحساسَ لدى المُتلقّي "[٨].

إنَّ اللغة العادية تعجز عن القيام بمثل هذه الأعمال ، أو انَّها لا تؤديها مِثلما تؤديها الاستعارة، وللكشف عَمّا يجول في الذهن من أفكارٍ لابُدَّ مِن التوظيف البلاغي للوصول إلى التجسيم ، وبذلك يتوضّح ما يدور في طيَّاتِ العقلِ والقلبِ من دلالاتٍ ومَعانٍ وأحاسِيس[٩] .

ومنَ التشخيص قوله (ع) في خطبة له: ((... وقَد أدبَرت الحيلةُ واقبلت الغيلةُ ، ولاتَ حِين مَناص؟ هَيهات هيهات قَد فات مافات ، وذهَبَ ما ذهَبَ ، ومضت الدنيا لحالَ بالها **" فَما بكت عليهم السماءُ والأرضُ،وما كانوا منظَرين "**))[١]، لقد مَثّلت الآية[٢] مظهراً اقتباسياً توظيفياً تَحقّق في تشخيص السماء

---

(4) نهج البلاغة،خ (٣٢) جـ ٧٧/١.
(5) سورة الأنبياء/١٨.
(1) نفحات الولاية، ج٢٨٦/٢
(2) ينظر :الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر عصفور، دار الثقافة ، مصر،١٩٧٤، ص:٤١٢.
(3) نهج البلاغة،خ (١٥٣) جـ ٦٩/٢-٧٠.
(4) سورة النساء/١١٢.
(5) سورة النحل /١١٢.
(6) طه/٢٧.
(7) نهج البلاغة، ك (١٨)، ج٣/ ٢٠ .
(8) فن الاستعارة ،ص ٣٢٤.
(9) المصدر السابق،ص:٣٥٥.
(1) نهج البلاغ،خ(١٨٦) جـ١٦٠/٢.
(2) سورة الدخان /٢٩.

والأرض ، وإظهارهِما بهيئةٍ بشريةٍ من خلال القدرةِ على فعلِ البكاء ، فيصل بنا إلى ذروةِ المُبالغةِ في تحقيرِ شَآنِ مَن غَرَّتهُ الدنيا[٣]، فذهبَ مِنها من غيرِ زادٍ ، وقد فاتَ مافاتَ وذهبَ ما ذهب .

ولِمثل هذا التوظيف نَماذج أخرى في ألسَّاحةِ النَّهجيَّةِ ، حين جعل للفتنةِ عَيناً ، وللحقِّ جَسَداً ، وللنعمَةِ أطرافا[٤]

ومن التشخيص أيضا قوله:((ولو وهَبَ ما تَنفَّسَت عَنهُ مَعادِنُ الجبالِ وضَحِكَت عَنهُ أصدافُ البحار مِن فِلِزّ اللُّجَين والعِقيان وَنَثارُةُ الدُّرّ،وحَصِيدِ المَرجان))[٥] .

اظهر عظيمَ فضل الله وكَرَمهُ المُتَمَثِّل في عَطاءِ الأرضِ وسخائِها حين صَوَّرها بصورة حيوان يتنفس،أي شَبَّه ما يخرج من بطون الجبال مِن مَعادِنٍ،بالحيوانِ المُتَنَفِّس بجامعِ الحيويةِ والإخراج في استعارةٍ مكنيةٍ،مُجرَّدةٍ لوجود ما يُلائم المستعارله وهي الجبال[٦] ، ولِمِثل هذا التوظيف نَماذج أخرى طَغَت على نصوص النَّهج منها حين جعلَ الكوفة جسماً بين يديه:((ماهِيَ الاّ الكوفة اقبضها وابسطها))[٧]، وكأنه اخذ هذا المعنى من قوله تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [٨] .

لقد تَكثَّفت الإيحاءاتُ وتَزاحَمت المعاني بِفعلِ هذين الفَنَّين في تَدقيقِ لفظِيٍّ مُنسَجِم .

ب-التصويرُ البَياني .

يُعدّ التصويرُ البياني عِماد العمل الأدبي، فالنتاجات الأدبية ليست مُجرّد اسلوبٍ لغوي مُتَمَيِّز،بل هي غايةٌ وَوسيلةٌ،ولابد أن تكون لها وظيفةٌ تُؤدِّيها،فتَتَدَفَّق عِبَرَاً،وعِظات، وتَعليماً يستمر تَجَدده(١).

والإمام حين يأتي بالصورة البيانية المقتبسة ـ أو سواها ـ لا يأتي بها وسيلة فقط ،بقدرِ ما تكون هناك غاية تُصاحبها، وتسير مَعها يَداً بيد وبِتَنوع مُقتَضى الحال تَنوَّعت الصور البيانية المُقتَبَسة، فمنها ما رُسِمَ بالتَّشبيه، أو ما كان بالاستعارةِ،أو الكنايةِ،من هنا كان الفنُّ البلاغي مَشهداً مِن مشاهد التوظيف الفنّي بل هو عِمادُهُ، لارتباطِهِ بالصورةِ، ومن ثمّ بتأثيرِها في المُتلقي .

وتُمَثِّل الصورةُ البيانيةُ انبجاساً فَنياً وتلقائياً يَنغَرِس في أحشاءِ النسيجِ الفَنِّي بأكملِهِ في وجهها الاستعاري(٢)، والكلماتُ ليست إلاّ بدائل للأشياء،إنها مُرصودة لتَنقل إلينا خَبَراً عن الأشياء،خَبَراً كان بوسعِها أن تَبلغه بدقّةٍ اكبر لو أمكنَتنا أن نَراها مُباشرةً (٣)،وقد يمكن ذلك بالتشبيه والاستعارة والكناية

---

(3) شرح ابن أبي الحديد، جـ ٩٩/١٣.
(4) ينظر: نهج البلاغة، خ (٨٩) ج١٨٢/١،خ (١٠٠) جـ٩٩/١،ح (١٨٨)ج ١٩٥/٣،ح(٤٠٨)جـ ٢٥١/٣،خ(٣٣) جـ ٧٨/١ .
(5) نهج البلاغة،خ (٨٧) ج١٦٠/١ .
(6) ينظر: أساليب التعبير في القران، ص:٥٩٧
(7) ينظر: نهج البلاغة،خ (٢٠٨) ص:٢٢٠ .
(8) سورة الأنبياء/١٠٤
(1) ينظر:الصورة الفنية في كلام الإمام (ع)، ص:٦٧ ١.
(2) ينظر: في البلاغة العربية ، د. رجاء عيد، دار غريب للطباعة ، مصر، ط ٢(د.ت) ص:٢٠٨ .
(3) ينظر: بنية اللغة: ص: ٣٣.

١- التشبيه.

ويأتي التشبيهُ في مقدمة ألوانِ الصُوَرِ البيانية، وأوضَحَها ، ومِن تِلك الصُور البيانية التشبيهيه قوله(ع) بعد أن عَدَّدَ أعمالَ المُنافقين:((.. يَقولون فَيُشَبّهون، ويَصفونَ فَيُوهِّمون،قد هَوّنوا الطريقَ ، وأضلّعوا المَضيق، فَهُم لُمّةُ الشَّيطان، وحُمّةُ النِّيران: **" أولئكَ حِزبُ الشيطان ألا إنَّ حزبَ الشيطان هُم الخَاسِرون "**)) (٤) .

بعد بيانٍ وصفيٍ طويل خَلُصَ إلى القول بأنَّهم لُمّةُ الشيطان، وحُمّةُ النيران،وهُما تعبيران استندا إلى فنّ التشبيه البلاغي الخَفي والمُقَدَّر بأداةِ التشبيه الغائبة،ثم مَضى (ع) للإيغال في ذَمّهم واستكمال بيانِ صورَتِهم استحضر الآية المباركة(٥) ليقول: بَل هُم حِزبُ الشَّيطان وهُم خاسِرون وفقَ حَتميّةٍ إلهيَّةٍ كَونِيَّةٍ ثابِتَة.

حَمَلَ مُفرداتَ النصِّ،وحَوّلها مِن معانيها المعجمية المباشرة إلى فضاءاتٍ من المعاني الجديدة حين عَقَدها برباطِ التَشبيه الخَفِي،فوضَع المُتلقي أمامَ صُورٍ مُدهِشة جَميلة مُؤثّرة، وجَعلَهُ يَشعُر بِشيءٍ مِن المُفاجَأةِ،والإدهاش،وهذا ما يَمنح النصَّ جَماليَّةً خاصّةً بِهِ .

٢- الاستعارة.

أمّا التصوير الاستعاري فقد كان عِنصراً مُهَيمِناً في كثيرٍ من مواضعِ النَّهج، لقد شُحِنَت النصوصُ بصورٍ بيانيّةٍ استعاريَّةٍ تشدّ المتلقي وتُرضي عَينَيهِ قَبلَ أُذنَيه .

وفي خطبه له (ع) بدأها بحمد الله ((الذي لبس العزّ والكبرياء))[١]، فشبّه العزّ واظهَره بلباسٍ معنوي ، ثم استعار لفظَ المشبَّه بهِ للمشبه على سبيلِ الاستعارةِ التصريحيةِ ، ثم استنشَقَ من (اللبس) الفعل (لَبَسَ) بمعنى (اتَّصَفَ) ، والقرينةُ المانعةُ مِن إرادة المَعنى الأصلي ، هي العزّ والكبرياء ، على سبيلِ الاستعارةِ التَّبعِيَّةِ ، والجامع بينَ المستعار والمُستعارله هو (الإحاطة)[٢]، ويَعود بِنا الاقتباسُ إلى قولِ المصطفى (ص واله) : ((الكبرياءُ ردائِي ، والعِزَّةُ إزاري ، فَمَن نازَعَني واحداً منهُما ألقيتُهُ في النار))[٣].

وله صورةٌ استعاريةٌ استعارَها منَ النص القرآني[٤]،فالبسها ثوباً استعارياً في قوله(ع):((ذاك حيث تَسكرون مِن غَيرِ شَراب))[٥]،حيث شبّه الغفلة بالسكر،مثلما شبّهت الآيةُ هولَ الموقف بالسكر على سبيل الاستعارة التبعية، بقرينةٍ مانعةٍ للمعنى الحقيقي[٦] ، قوله(ع):(مِن غيرِ شَراب) فالسكر ليس سكراً حقيقيا، بل هو نقلةٌ عقليةٌ مجازيَّةٌ عِبرَ الاستعمال الاستعاري الَّذي فَجَّر طاقة المفرداتِ وحَمّلها دلالاتٍ مُوحِيَةٍ،وهو انزياحٌ كَما عَبّر عَنهُ النّقاد الغربيون فِيما بَعد .

وفي صورةٍ بيانيةٍ استعاريَّةٍ جميلةٍ جَعَل للباطل جيوشاً،وللأضاليل صَولاتٍ حِينَ قال:((الدافعُ جيشاتِ الأباطيل، والدامغ صولاتِ الأضاليل))[٧] ، نحن إزاء حَشدٍ صُوَريٍّ تصحبه ضَجَّةٌ صَوتيةٌ تكاد تُفصِح عَن صورةٍ حَقيقيَّةٍ للباطل،والأضاليل، باستعارةٍ مَكنيَّةٍ تَبَعِيَّةٍ[٨] .

---

(4) نهج البلاغية،خ (١٨٩) جـ ٢/ ١٩٢.
(5) سورة المجادلة/١٩.

(1) نهج البلاغة،ح (١٧٨)،ج ١٦١/٢ .
(2) ينظر: أساليب ألبيان في القرآن ، ص :٥٧١ .
(3) مسند أحمد ،ج٢٤٨/٢ ، وسنن ابن ماجة ، ص :١٣٩٧ .
وجاء تعبير (رداء الكبرياء) في أحاديث نبوية كثيرة.
ينظر مثلا : صحيح مسلم ،ج١١٢/١ . و سنن ألد ارمي ، ج٣٣٣/١ .
(4) سورة الحج/٢.
(5) نهج البلاغة ،خ(١٨٢)،ج١٥٠/٢.
(6) ينظر: أساليب البيان في القران، ص :٥٧٢.
(7) نهج البلاغة،خ(٦٩)،ج١١٦/١.

ولفظَتَي (دافِع ، دامِغ) بصيغةِ اسمِ الفاعل من ورائِها دلالةٌ مقصودةٌ وهي المبادرةُ،والثباتُ ،لما للاسمِ من دلالةٍ على الثَّبات[٩]،وللاسمِ دلالةٌ على الحقيقةِ دونَ زمانِها، فالغَرَض ليس زمانَ الفعل،بل إثبات ذلك الفعل، وهذا المعنى نلمحهُ مَخبوءً خَلف كلماتِ الأمام بصورتِها الاستعارية وصيغَتِها الصَّرفِيَّة المَقصُودة .

يجد المتلقي نفسَه في حَشدٍ صُوَرِي هادر بالصوتِ والصورةِ، وعندئذ يلمس قِمية الانزياح الَّذي قَفَزَ بِهِ إلى مساحاتٍ تَبتَعدُ كثيراً عَنِ المَعاني الحَقيقِيَّة للألفاظ .

ومَثَّلت صُوَرَهُ هذِهِ مَزيجاً مِنَ المعاني القرآنية مَسبوكةً بألفاظٍ ومفرداتٍ انسَجَمَت بموسيقاها، وتمازَجَت ألوانُها ، فهو انشطارٌ مَصحوبٌ بِلِباسٍ لفظي أخَّاذ .

٣- الكِنايةُ .

والكناية - بأنواعها[١] - ضَربت بسهامِها في بناءِ الصورة البيانية، وإظهارِها بألوانٍ مُختَلفةٍ باختلافِ تلك الأنواع،وقد عَبّر الإمامُ (ع) بألفاظِهِ عن معانٍ كان منها القريبُ والبعيدُ،ولا تُعبِّر عَن المعاني البعيدة لأوّل وهلة[٢]، فمنحت نصوصَه تنويعاً بَيانِياً،وزينةً لفظيَّةً، فجمعت بينَ جودةِ المعنى، وروعَةِ السَّبكِ .

وينظر: نفحات الولاية: ج٩/٤.

[8] ينظر: أساليب البيان في القران، ص:٥٥٧.

[9] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص:٤١.

[1] ينظر: معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها، مادة(كناية) .

[2] باعتبار ان الكناية هي المعنى البعيد للألفاظ التي تدل على معان قريبة وبعيدة .
ينظر: معجم المصطلحات البلاغية ، وتطورها، مادة(كناية) .

ومِن هذه الألفاظ (الأمشاج)[٣]،إذ أسهمت في بناءٍ كنائي في قوله:((عالم السر مِن ضَمائِرِ المُضمرين... ومَحَط الامشاجَ مَن مَساربِ الأصلابِ... وعَوم نَباتِ الأرض فِي كثبان الرمال))[٤] .

و(مَحط الأمشاج) كنايةٌ عن رَحِم المرأة وهي كنايةٌ قريبةٌ ، يُراد بها نسبة الصِّفةِ للموصوف، وتحقَّقت بفعل الإضافةِ المُقترنة بالألفِ واللام ، وكذلك الحال في(نَباتِ الأرض) ، وهي كناية عن الأحياء البرية التي تكَّونت مِن تلال الرمال وتَنشأ فيها [٥]، فمنَحَ النَصَّ بُعداً (عِرفانِيًّا) ارتفع بالنصِّ إلى مَشهدٍ مِن مَشاهدِ الروح .

اصبح مَشهدا يُظهر عظمة علم اللهِ بادق الأمورِ،واصغرها،فهو العالم بضمائرِ المُضمرين، وبأحوال الناس وهم في مَحط الامشاج مِن مَساربِ الأصلابِ، وبأحوالِ (نبات الأرض) الضعيفة بين كثبانِ الرمال الكثيفة،انَّه جمعٌ بين المتناقضاتِ التي بتفاوتها، وتناقضها تَتَجلَّى عظمةُ الله.

وحوَّل البناءَ الاستعاري ـ في قوله تعالى: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[٦] إلى بناءٍ كنائي حين اقتبسَ معنى هذه الآية المُباركة ليَصِف بناءَ القبور، فقال:((قَد بُنِيَ عَلى الخَرابِ فَناؤُها))[٧]، أراد القول: إنَّما بُنِيَت ساحاتُها على خَرابِ الحياة،أو زوالها،ومن هنا صَحّ التقابل بين فَناءِ الدار،وسعة أرضِها،وزوالِ الحياةِ وأفولِها، ولم يقل بُنِيَت بالخرابِ،لأنَّه من بابِ الكنايةِ عَن نِسبة [٨]، فأصبَحت صُورةٌ مُكثفةٌ أنارت النصّ وأخرجَت غايتَهُ الدلالية الواضحة،لانَّه(ع)في مَقامِ التَّذكيرِ والوَعظِ،ولابُدّ منَ الوضوح لاقامةِ الحجّة ، وله كناياتٌ أخرى استمَدّها مِن القرآن الكريمِ والحديثِ النبويّ الشَّريف[٩] .

---

(3) قال تعالى**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً**) ، الإنسان/٢ .

(4) نهج البلاغة،خ (٨٧) جـ١/١٧٩ـ١٨٠.

(5) ينظر: أساليب البيان في التعبير القرآني، ص:٧٣٣.

(6) سورة التوبة /١٠٩.

(7) نهج البلاغة ،خ (٢٢١)،جـ ٢/ ٢٤٦ـ ٢٤٧.

(8) ينظر: أساليب البيان في التعبير القرآني، ص : ٧٣٩ .

(9) ينظر: نهج البلاغة، ق (١٨٦)،ج٣/ ١٩٥، خ (٨٩)،ج١/ ١٨٢ـ ١٨٣.

الفَصلُ الثَالث
خَصائِص الاقتباس

المبحـثَ الأوَّل: الخَصائِـص الدَّلاليّة.
المبحَث الثاني: الخَصائِـص الفنّيّة.

مَدخَل:

إنّ التنوعَ في طرق الاقتباس استدعى تَنَوعا مُماثلا في خصائصه،إذ ليس من المعقول أن تتوحّد مع مثل هذا التنوع .

والقول إنَ المتأمّل في نصوص النهج يجدها كلها ماء واحداً ، ونفسا واحداً،وأسلوبا واحداً، كالجسم الذي ليسَ لبعض من أبضاعِه مُخالِفا لباقي ألأبعاض في الماهية[1]، لا يمنع من ظهور خصائص ، ومزايا مختلفة لكل نوع من هذه الاقتباسات .

ومِن الطبيعي أن يستدعي تنوع الخصائص تصنيفاً يُناسِبه ويستقصيه،لتفردها "ماثلة في بنية الخطاب الذي يتكامل نَصًّا مغنياً "[2].

---

[1] ينظر: شرح ابن أبى الحديد: المقدمة .

[2] سلطة الحق ، ص:٢١٩.

لمّا كان الأمر كذلك لابدّ أن يَتولد عن هذه الخصائص دلالاتٌ موحيةٌ،تميّزها،وسماتٌ فنيةٌ لها جماليّتها،اصطبغت بها،فقاد إلى حَتمية تصنيفها إلى:(**خصائص دلالية**)و(**خصائص فنية**)تبعاً لعطاءاتٍ معاني هذه الاقتباسات وألفاظها .

المبحَث الأوَّل:الخصائِص الدَّلاليِّة .

إنّها إضاءة وتعميق لصور الاقتباس والمُتحقق بفعل عرض خصائصها التي استهدفت المنح الدلالية لبنى الاقتباس في النصوص،وتجلّى في بعض من الخصائص التي انضَوت تحت جناح المستوى الدلالي،وهي:

أولا:تغيير المفردة تَبعاًلِمُقتضى السِّياق .

وكان تغيرها وفقا لمتطلبات عديدة،منها:

أ- تغيير المفردة المُقتبَسة تَبعاً للتوافق الدَّلالي.

عمد الإمامُ إلى اقتباس المفردةِ القرآنيةِ لعمق دلالتها،ولقدسيتها في نفس المتلقي،ولقدرتها على بث المعاني،والدلالات المكتنزة فيها وحملها للمعاني التي يطول شرحها إذا أراد المتكلم العادي التعبير عن مثل هذه المعاني التي أرادها القرآنُ لم يصل إلى بغيته إلّا بلفظٍ أطول،وأقلّ دلالة(١).

لقد أصبحت بمثابةِ إشاراتٍ منشطة قادرةٍ على استدعاء الصورةِ الذهنية المصاحبة لها،ومن خصائص الاقتباس عنده(ع)في عموم اقتباساته تطويع ما اقتبسه سَعيا لخلق التوافق الدلالي،وتَمثّل هذا

---

(1) ينظر:البيان والتبين،ص:٩٤ .

و تقّدم الكلمةُ عنصراً دلاّليا يشع ّ بالإيحاءاتِ المتعّددة.

ينظر:محاضرات في الصوت والمعنى،رومان جاكوبسن،ترجمة حسن ناظم وزميله،المركز الثقافي العربي بيروت،ط،ص:٩٠ .

الأمر في المفردة حين يغيّر من تركيبتها البنائية(٢)،أو في مواقعها حين يقّدم أو يُؤخّر بحَسَبِ مُقتضى الحال.

قال(ع)مُحَذرا أصحابَه من الشيطان:((فاحذروا عبادَ اللهِ عدوَ اللهِ أن يُعديكُم بدائِهِ،وان يستفزنكم بندائِهِ،وان يجلب عليكم بخيلِهِ،ورجلِهِ))[٣].

وقع الاقتباس في المفردة(يستفزنكم)من قوله تعالى:(وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُورا)[٤]،في سياقها القرآني كانت خطابا مباشرا بصيغة الأمر،غير أنَّ السياقَ الجديد في كلام الإمام(ع) فرض تعبيراً جَديداً في المفردةِ حين أوردها بصيغةِ المُضارع وللكلام استمراريتُه،وفاعليتُه بهذا الفعل المضارع الدال على الحضور والمستقبل مع الحفاظ على معناها القرآني الذي وردت فيه.

والتعبير البنائي للمفردة-من حيث الزمان- لم يكن مانعاً في استحضار معناها في سياقها القرآني وما أن تطرق المفردة النهجية (يَستَفِزنَّكُم) سَمعَ المتلقي حتى يقفز المعنى القرآني للمفردة(استَفزز)[١] أمام ناظريه، فيتحقق الإفهام قبل اكتمال قراءة النص،فأصبحت بمثابة(اقتران شرطي) (٢).

وغَيَّر التركيبُ القرآني(فأنبذ إليهم)في قوله تعالى: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)(٣) إلى صيغةِ المفرد، في كتاب له (ع) إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية، وممّا جاء فيه: ((... خُذهُ بالأمر الجزم ، ثُمَّ خَيّرهُ بَين حَربٍ مُجلِية ، أو سِلمٍ مُخزية ، فأن اختار الحربَ فأنبُذ إليه،وان اختارَ السِّلمَ فخُذ بيعَتَهُ والسَّلام)) (٤)

الضمير يعود إلى معاوية،وأراد الإمام(ع)أن يعبر عن أمر مقصود فتم له ذلك حين عبر بهذه المفردات القرآنية التي تشكّلت في التركيب(فأنبُذ إليه)،وهو تركيب أضفى دلالةً غنيةً على النص ومثلت إحالة دلالية موجزة تأخذ بالمتلقي إلى ما وراء النص حين يعود إلى صَدرِ الآية المقتبسة،وهي إشارةٌ واضحةٌ إلى خيانة معاوية .

وللوصول بالمفردةِ القرآنيةِ إلى أقصى عطائها الدلالي،نجده(ع)أحيانا يقتبسها في بنيتها الصرفية القرآنية المتعارف عليها كما في قوله(ع):(...انفروا – رحمكم الله – إلى قتال عَدُوِّكُمُ ولا تَثَّاقلوا إلى الأرض فَتَقِرّوا بالخَسفِ،و تَبوءوا بالذلِّ)(٥).

والمفردة (تثاقلون) تعود بانتمائها الصرفي إلى المفردة القرآنية(اثاقلتم)في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)(٦).

لقد نجح الإمام(ع)في تطويع الدلالة القرآنية[٧] على الرغم من التغير الحاصل في بنيتها البنائية مع الحفاظ على سِمتِها الصرفية التي عُرِفَت بها،والتي دلّت بحروفِها الثقيلة على مقدار تثاقل هؤلاء عن القتال

---

[2] ينظر :الفصل الأول،المبحث الأول اقتباس المفردة القرآنية ،ص :١٦-٣١.

[3] نهج البلاغة،خ(١٨٧)،ج١٦٣/٢.

[4] الإسراء/٦٤

[1] استفزز: أي استنزل.

ينظر :التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي،ج٤٤٩/٦. وينظر: أحكام القرآن، للجصاص، ج٢٦٦/٣.

[2] الاقترانُ الشرطي هو مصطلح علمي عُرِفَ عند علماء النفس،ويعني حضور شيءٍ عند حضور شيءٍ آخر اقترن به،كما توصل إليه العالم الروسي**(بافلوف)** .

ينظر :أساسيات علم النفس التربوي، د.محسن حسين الازيرجاوي،دار الكتاب للطباعة،الموصل،١٩٩١م، ص:٢٣٨

[3] الأنفال/٥٨ .

[4] نهج البلاغة،ك(٨)ج٩/٣.

[5] المصدر السابق،ك(٦٢)ج١٣٢/٣.

[6] التوبة/٣٨.

[7] واصل المفردة(اثّاقلتم):تثاقلتم إلى نعيم الأرض،أو إلى الاقامة بالأرض،وهو توبيخٌ على ترك الجهاد،وعتابٌ على

،حتى كأنهم يتساقطون على الأرض إن أرادوا،القيام وهكذا قَدَّم بها – المفردة – دلالةً مُوحِيةً شكّلت بُؤرةً دلاليَّةً للنص .

وغالبا ما تأتي اقتباساتُهُ للمفردات،مَصحوبَةً بالمناخ العام الذي ينهل منه تلك الاقتباسات،وكأنَّه يقتبس سياقها معها للإفادَةِ منه ضِمنَ دلالةِ النَّص الجديد .

ب- تَغَيّر النصوص المقتَبسة تَبعاًلِمُقتَضى السِّياق .

تكيّف النصُّ القرآني، والنبويُّ للمُرادِ المدلولي من خلال الإفادةِ من تركيبهِ، أو معناه، وقد نجح الإمامُ في إيجادِ كثيرٍ من هذا التكييف.

نجده (ع) يطوع ما اقتبسه من آيات وفقا للسياق العام للنص باعتبارهِ " المَرجع الذي يُحال إليه المتلقي كي يتمكن من إدراك مادَّةِ القول ويكون لفظاً أو قابلًا للشّرح اللفظي " (١) ، ومن أمثلة ذلك قوله وقد مرّ بقتلى الخَوارج يوم النهروان : ((بُؤساً لكُم،لقد ضَرّكُم مَن غَرّكم،فقِيل لهُ: مَن غَرّهُم يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : الشيطانُ المُضِلّ والأنفُس الأمَّارةُ بالسُّوء ، غَرّتهُم بالأماني ، وفَسَحت لهم بالمعاصي ، ووعَدتهُم الإظهار فاقتَحَمَت بهم النار))(٢).

بالرِّجوع إلى الآية (يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ)(٣)، نلمح إبدالاً في الصيغةِ المُقتَبسة،إذ تحول الخطاب من المخاطب الحاضر(غَرَّتكُم الأماني) إلى الغائِب(غَرَّتهُم بالأمانِي) .

في الآيةِ المباركةِ وقع التغريرُ من قِبَل الأماني ، وهي نسبةٌ مجازيةٌ لغويةٌ وقعت في نسبة التغرير لما هُو مَعنوي ليس له وجود في عالم المحسوس بفِضل الاستعارةِ ، وفي كلامِهِ (ع) وقع التغريرُ من قِبَل (الشيطان المُضلّ والنّفس الأمَّارة بالسُّوء) ، بالإضافة إلى العدول من المخاطب إلى الغائب بعد أن سُئِل : (مَن غَرّهم..؟) ، وهو سؤال عن الغائب باعتبارهم مَوتى ، ولم تبقى سوى أجسادِهم في الوقت الذي نجد الآية في حوار مع أولئك حواراً مُباشراً ، إنَّ ملاءمة سياق الحال والمقال التي استَدعت هذا التغيير مع الحَفاظ على الدَّفق المعنوي الكبير للمقتبسات ، ووضوح إحالتها الدلالية .

ونجد مثالاً آخر أعاد فيه الصياغة في اسلوبٍ جديدٍ مُلائم للسياق العام لكلامِهِ خدمةً للدلالة الجديدة في قوله في كتابٍ له كَتَبه إلى الحارث الهمداني حين عَدلَ عن صِيغة الجَّمع إلى المفرد فقال : (وعَظِّم اسمَ اللهِ أن تَذكره الّا عَلى الحَق)(٤) ، وهو من قوله تعالى :(وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٥).

وقال له أيضا: ((ولا تَتَمنَّ الموتَ إلّا بشَرطٍ وَثِيق))[1]، وهو من قولهِ تعالى في خطابِ بَني إسرائيل:(وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) [2].

التقاعد عن المبادرة إلى الخروج، وقيل :أي تكَاسلتُم ،ومِلتُم إلى المَقام في الدعةِ،والخَفضِ،وطيب المَكان.

ينظر: مجمع البيان ، الطبرسي، ج٥/٥٤. وينظر: جامع البيان، الطبري، ج١/١٧٢. وينظر :الجامع لاحكام القرآن، القرطبي، ج٨/١٤٠. وينظر: تفسير القران، ابن كثير، ج٢/٢٧٢ .

[1] الخطيئة والتكفير، ص:٣.

[2] نهج البلاغة،ق(٣٢٣)،ج٣/٢٣٠.

[3] الحديد/١٤.

[4] نهج البلاغة،ك(٦٩)،ج٣/١٤٢ .

[5] البقرة/٢٢٤.

وينظر :شرح ابن أبى الحديد،ج١٨/٣٣.

[1] نهج البلاغة،ك(٦٩)ج٣ /١٤٣ .

[2] الجمعة/٦ – ٧ .

وينظر :شرح ابن أبى الحديد ج١٨/٣٣.

وكذلك في صيغة:(وأكظِم الغيظ)[٣]،وهو إفراد لقوله تعالى:(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [٤]،ولانَّ خطابَه مُوجَّهٌ لشخصٍ مُفرد جعل الاقتباسَ مُوجَّها بصيغةِ الإفراد،فأصبح الاقتباسُ مُلائِماً لسياق النص .

ويصل التغييرُ أحيانا إلى إبدالِ المضارع(تعتوا الوجوه)[٥]بالماضي(عَتَت الوجوهُ)[٦]،أو العكس من ذلك في إبدال(ولا يَؤدهُ حِفظهما)[٧]بصيغةِ الحَديث عن الماضي(لم يؤده)في قوله(ع):((لم يَتَكاءَدهُ صنع شيءٍ منها إذ صنَعَهُ،ولم يؤده منها خَلق ما بَرأهُ وخَلَقَهُ،ولم يكونها لتشدِيد سلطان...))[٨]،لانَّ سياقَ الحديثِ في الخطبةِ كان في بدءِ خلق الأرض،وهو حديثٌ في زمنٍ مضى استدعى ضرورةَ تغيير المُقتَبَس تَبَعاً لذلك.

أو يغير المقتبس المضارع(مُهطِعِين)[٩]إلى فعل الأمر(فاهطِعوا)في قوله(ع):(فأهطِعوا أسماعَكُم إليها وكُظُّوا بجدِّكم عَليها)[١٠]،حين جاءت خطبته للوعظ والإرشاد فتطلب الأمر المخاطبة بصيغة الأمر أو في إبدال الجمع بالمفرد[١١].

ثانِياً:النّوع الدّلالي بتَغيِّر مواقعِ الاقتباس .

احتلّت النصوص القرآنية المقتبسة- اقتباساً مباشراً - مواقعَ مختلفة تبعاً لاختلاف سِياقَي الحال والمقال(١)،فأفضَت إلى هِباتٍ دلاليةٍ امتاز بها كلُّ مَوقع دونَ سِواه .

أ- دلالةُ الاقتباساتِ الواقعةُ في بدايةِ النّصوص .

هي غالبا ما تكون منطلقات لحديث ينبع منها سَواء أكان في خِطبه(ع)أم في كتبه، فتغدو المحورَ الأساس الذي تدور النصوص في فلكِهِ،وتلتف حوله،من ذلك قوله بعد تلاوته لقوله تعالى:" ألهكم التكاثر

---

[3] نهج البلاغة، ك(٦٩)ج٣/ .

[4] آل عمران/١٣٤.

وينظر: شرح ابن أبى الحديد،ج١٨/٣٥.

[5] نهج البلاغة،خ(١٧٤)ج٢/١٢٠-١٢١.

[6] قال تعالى: (**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً**) . طه/١١١

[7] من قوله تعالى:(**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**) . البقرة/٢٥٥.

[8] نهج البلاغة،خ(١٨١)ج٢/١٤٨.

[9] من قوله تعالى: (**مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء**) . البقرة/٤٣.

[10] نهج البلاغة،خ(١٨٦)ج٢/ ١٥٨ .

[11] ينظر:المصدر السابق،ك(٨)ج٣/٩ .

[1] ينظر على سبيل المثال: سورة النحل/١٢٨ في خ(١٨٨)ج٢/١٨٥،سورة النور/٣٧ في خ(١٢٧) ج٢/٢٣٧،سورة الانفطار/ في خ (٢١٨)ج٢/٢٤٠، سورة النحل/٩٠ في ق(٢٣١)،ج٢/٢٠٤ .

حتّى زرتم المقابر"(٢)،فقال:((يالَهُ مَراماً ما أبعدهُ وزَوراً ما أغفلهُ،وخَطراً ما أفظعَهُ لقد استخلوا منهم أيَّ مُدَّكَر، وتَناوشُوهم مِن مكانٍ بَعيد !!! أبِمَصارع آبائِهم يفخَرون أم بعَديدِ الهلكى يَتَكاثرون؟ يرتَجِعُون منهُم أجساداً خَوَت،وحركاتٍ سَكَنت))(٣)،ثم يمضي(ع)في ذكرِ أحوالِ الموتى في قبورهِم،وما سيؤولون إليه،بعد أن تركوا ديارَهُم التي أضحَت عَرصاتٍ خاويةً،وربوعاً خاليةً وذهبوا عنها ضُلّالا،فنذهَبُ في إثرِهِم،ونَطأُ هامتَهَم ونسكن فيما خَرَّبوا وهكذا تُكرر الأيامُ فعلتَها معنا،فيختلط في القبورِ الملوكُ والسَّوقةُ (٤).

يدخل بعدها رسمُ صورٍ بيانيةٍ تشخصية حين يذكر تسليطَ الأرضِ عليهم لتأكل من لحومِهم، وتشرب من دمائهم ليصل بالمتلقي إلى صور مُنفِّرةٍ تذكيريةٍ رادعة واعظة ، حتى يصل إلى القول:((وانَّ للموتِ لَغمراتٍ هي أفظعُ مِن أن تُستَغرَق بصفَةٍ ، أو تَعتَدِل على قلوبِ أهلِ الدنيا)(٥)، وقوله هذا للإمعان في التهويل ، والتذكير، والاعتبار، وفي الدعوةِ للعملِ لما بعد القبور، حينئذ ، نُدرِك دلالة المقتبسِ القرآني المباشر ، حين تشَّظت معانيه في ثنايا خطبه (ع) فكانت المنطلق إليه ، ومحوره الأساس ، وخاتمته أيضا.

إنَّها هيمنةٌ دلاليّةٌ للنص القرآني الذي اخذ بتلابيبِ الخطبة،ثم أدارها معه حيث يدور،والذي عَزّز من معانيها في النص تلك الاستفهامات الاستنكارية الدالّة على التوبيخ:(ابمصارع آبائهم يفخَرون أم بعديدِ الهلكى يتكاثرون...)،وفي تصويرٍ بيانيٍّ تَشخِيصِي .

وتوالت مثل هذه الهيمنة في قوله تعالى:(رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ...)[١]في إحدى خطبه[٢]، التي حثّ فيها على الذكر والتقوى .

بَعد قراءةِ هذه النصوص،ونظائرها[٣]،يدرك المتلقي أن الإمام طوّع نصوصَه للنص المُقتَبَس،وجعلها – الآيات المقتبسة – عنصراً مُهيمِنا في سَوق دلالةِ النصّ لتسير في ظِلّهِ،فيصبح النصّ في نَسَقٍ موضوعيٍّ مُتسَلسِلٍ مُتَماسِك .

لم يترك زاويةً من زوايا النصّ خاليةً من البثِّ الدلالي للآية،إنَّها إشارةٌ دالّةٌ تعود بالمتلقي إلى الفواتح القرآنية المُقتبَسة والمُستقِرَّة في مقدَّمةِ النص،وبذلك تصبح إطارا تنتظم فيه النصوص،أو أن يكون بمثابةِ الأرضية التي يُمكن أن تُؤسّس عليها الدلالة العامة لها.

وشكّل ذكرُ الموتِ وصورهِ أحدَ المعالم المُتكرِّرةِ في نصوص الإمام(ع)،فما أن يتركه قليلا إلّا ويعود مرةً أخرى،وهذا الذكر كان يريده للناس كافة كما هُو بيِّن .

وتتجلّى تبعية النصّ النهجي،للنصّ القرآني المقتبس حين يحيط به بغية تفسيره،وبيان معانيه كما في تفسيره لقوله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.)[٤].

ب- دَلالةُالاقتباساتِ الواقعة في اثناء النَّص.

فتارة نجد النصوصَ المُقتبسة في بدايةِ النص[٥]،أو في وسطِهِ[٦]أو بعد ذلك بقليلٍ أو كثير[٧]،لعلّ من ابرز تلك الدلالات- الناتجة عن تغير مواقعها – الاشتراك الفاعل في عملية السَّرد،والبناء الدلالي للنصوص،والتي يلعب فيها السياق دورا بارزا .

---

(2) التكاثر/١-٢ .

(3) نهج البلاغة،خ(٢١٦) ج٢/٢٣٠ .

(4) ينظر:المكان نفسه،ج٢٢٣٠ – ٢٣١ .

(5) ينظر:المصدر السابق،ج٢/٣١ – ٢٣٧ .

(1) النور/٣٧ .

(2) ينظر: نهج البلاغة،خ (٢١٧)ج٢/٢٣٧ – ٢٣٩ .

(3) ينظر مثلا: قوله تعالى:(**يا أَيُّهَا الْأِنْسَانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**) .
الانفطار/٦ . نهج البلاغة،خ(٢١٨)،ج٢/٢٤٠ – ٢٤٣ .

(4) النحل/٩٠ .

في خطبة طويلة له (ع) شكّل السردُ عنصراً مُهمّاً مع تنوّع في الأحداث والزمان والمكان ، لينتقل بالمتلقي من (مكان) إلى أخر ، حين يُفَصِّل القولَ في ابتداء خلق السماء والأرض ، وقصة خلق آدم ، وما جرى له مع إبليس، ، يصل بنا إلى ذروة الحدث المتمثل في امتناع ابليس عن السجود لآدم(ع) ، حيث يقول (ع): ((فَسَجدوا إلّا إبليس اِعتَرَتهُ الحَمِيَّةُ وغَلَبَت عليه الشَّقوةُ وتعَزَّزَ بخلقَةِ النَّارِ ، واستهوَنَ خَلقَ الصَّلصال ؛ فأعطاه اللهُ النَّظرةَ استِحقاقاً للسُّخطةِ ، واستتماماً للبَلِيَّةِ ، وإنجازاً للعِدَةِ فقال : **" انَّكَ من المُنظرين إلى يومِ الوقتِ المعلوم** " ثُمَّ اسكَنَ سبحانُه آدمَ داراً ارغَدَ فيها عيشَهُ ، وآمَنَ فيها مَحَلَّتَه ، وحَذَّرَه إبلِيس وعَداوَتَهُ ...))[1]

لقد مَثّلت الآيةُ[2] جزءً لا يتَجزّأ من عمليةِ السَّرد القولي اعتمادا على الحكاية القرآنية،وازدادت فاعلية النص القرآني في العملية السردية في بعض مواضع النهج ، ويكاد المتلقي لا يحسّ بها لولا شهرة نسبتها القرآنية التي التصقت في أذهان المتلقين،كقوله(ع) مُتَشَكِّيا:((...دَعَوتُكُم إلى نَصرِ إخوانِكم فجَرجَرتم جَرجَرةِ الجَملِ الأسَرِّ ، وتَثاقَلتُم تَثاقل النِّضوِ الأدبَر ، ثم خَرجَ إليَّ مِنكُم جُنَيدٌ مُتذائِبٌ ضَعِيف " كأنَّما يُساقون إلى الموتِ وهُم ينظِرُون "))[3].

لو حُذِفَت الآيةُ المباركة ما اكتملت الصورةُ المركَّبةُ التي رسمها(ع)لذلك التخاذل الذي توضح بالتشبيه،فجعل المتلقي يدرك الصورةَ التي أراد(ع)إيصالها إليه من خِلال السِّياق[4].

وتنمو المقدرةُ السردية للمقتبس القرآني،حين تَتَواشَج مع نصِّ الإمام(ع)،فينصهران في بوتَقَةٍ بنائيَّةٍ،فيغدو النصّ مكتنزا وناضحا بالدلالة كما في قوله(ع)في وصيته لما ضربه(ابن ملجم): ((أنا بالأمسِ صاحبِكُم ، واليومَ عِبرةٌ لكم ، وغَداً مُفارقكم ، إن ابقَ فأنا وليُّ دَمي وان أفنَ ، فالفناءُ مِيعادي ، وان اعفُ فالعفو لي قُربةٌ وهو لكم حَسَنةٌ ، فأعفوا: **" إلا تحبّون أن يغفر الله لكم** " واللهِ ما فَجَأني منَ الموتِ واردٌ كَرِهتُهُ ولا طالعٌ أنكَرتُهُ ، وما كنت إلّا كقاربٍ وَرَد ، وطالبٍ وَجَد **" وما عند الله خير للأبرار** "))[5].

إنَّ المتلقي لا تصيبه المفاجئةُ من حضور هذين المُقتَبَسَين في الوصية ، فحين يتم قراءة النص يجده وقد تبلور عنهما،وتولد منهما،فقوله تعالى:(ان يغفر الله لكم) ارتبط برباط وشيجٍ مع قوله(ع) : (فأعفُوا)وقوله تعالى: (لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَار) ارتبط بما قبله بحرفِ العَطفِ وبالنصّ عموماً حين بيّن سَبب ذلك كله،ونتيجتَهُ في آن .

---

[5] ينظر مثلا: سورة يونس/٢٤في خ(١٠٧)،ج١/٢١٦،المدثر/٤٣في خ(١٩٤)،ج٢/٢٠٤،النساء/٥٩في خ(١٢١)،ج٢/٨ ، ص/٧١في خ(١٨٧)،ج٢/١٦١،النحل/١٢٨ في خ(١٨٨)،ج٢/١٨٥، المدثر/٤٣في خ(١٩٤)،ج٢/٢٠٤ – ٢٠٥،الأنفال/في٢٨ ق(٩٣)،ج٣/١٧١،المدثر/٣٨ ق (٣٧٧)،ج٣/٢٤٤ .

[6] ينظر مثلا: سورة،القصص/٢٤في خ(١٥٥)،ج٢/٧٣،طه/١٣٢في خ(١٩٤)،ج٢/٢٠٥،الحج/٢٥في ك(٦٧)،ج٣/١٤٠،الحديد/في٢٣ ق(٤٣٩)،ج٣/٢٥٨ .

[7] ينظر مثلا: سورة الأنعام/ ٣٨في خ(١٧)،ج١/٥١،العنكبوت/٢ في خ(١٥١)،ج٢/٦٤،الزمر/٧١ في خ(١٨٥) ج٢/١٥٥،الشعراء/٥٧ في خ(١٩٦)،ج٢/٢٠٧، لقمان/٣٤ في ، خ(١٢٤)،ج٢/١٥،البقرة/١٢٦ في خ(١٢٥)،ج٢/١٧، فصلت/٣٠في خ(١٧١)،ج٢/١١٣ .

[1] نهج البلاغة،خ(١)ج١/١٥-١٦ .

[2] الأعراف/١٥ . وينظر:الحجر/٨،٣٧ ، ص/٨٠.

[3] نهج البلاغة،ج(٣٨)ج١/٨٦.

[4] للسياق أثرُه في الأداء اللغوي والوظيفة ألابلاغيَّة للغة.

الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ، د. حامد كاظم عباس، دار الشوؤن الثقافية العامة، بغداد،٢٠٠٤م، ص:٧٠.

[5] نهج البلاغة،من كلام له (ع)،ج٣/٢٤.

وفي قوله(ع)واعِظاً:((... وكأنّهُ لم يسمَع تبرؤ التابِعينَ عن المَتبوعين إذ يقولون:"**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّالَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ،إِذ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِين** " كَذب العادلون بِكَ،إذ شَبَّهوك بأصنامِهم،ونحلوكَ حِلِيَة المَخلوقِينَ بأوهامِهم))[1].

لقد التحم كلامُهُ بالنصِّ المُقتَبس التحاما بنائيا حين قدم له بقوله:(إذ يقولون)،وهو بهذا جعله عملا مُشتركا في الدلالة،والتنسيق هو الذي سَمح بالوضوح الدلالي،وتجلّي المعنى .

لقد افلح الإمام(ع)في جعل الآية تعمل في صلب المشهد،لإنشاء التوافق المعنوي، وإشاعة ظلالها الدلالية،ومدّ النصِّ بما يُجَدِّد ماءَه،ورونَقَه .

وإحضار النص القرآني للتعليل والاحتجاج يُعد مِصداقا من مصاديق السرد والبناء الدلالي،من ذلك احتجاجه بقوله تعالى:" أفأمِنوا مكرَ اللهِ فلا يأمَنُ مكرَ اللهِ إلا القومُ الخاسرون"[2]،بعد قوله(ع): ((لا تأمَنَّن على خيرِ هذهِ الامةِ عذابَ الله))،وبقوله تعالى:(يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُون)[3] بعد قوله(ع):(ولا تَيأسنّ لشرِّ هذه الأمةِ من رَوح اللهِ تعالى)،فشكّل منها جميعا وحدة بنائية في سرد قام على الاحتجاج[4]،فقال: ((لا تأمنَن على خيرِ هذه الامة عذابَ اِلله لقولهِ سبحانه وتعالى:" فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ،ولا تيأسن شر هذه الامة من روح الله تعالى " إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ "))[5].

وكذلك عند استحضار قوله تعالى:(لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)[6] في الكلام عن الزهد[7].

ج- دَلالةُ الاقتباساتِ الواقعةِ في نهاياتِ النّصوص .

إنارةٌ دلاليةٌ مُتميزةٌ تكون حِينَئذٍ،تتّجه بالنص نحو التوكيد أو التلخيص باعتباره نصّا قرآنيا له تأثيره النفسي والعقائدي في ذهن المتلقي وله القدرة على تثبيتِ المعنى وتوكيده أو التذكير به حين يُوجز ولهذا النوع حضوره المَلحوظ في النصوص النَّهجية (١) .

---

(1) نهج البلاغة،خ(٨٧)،ج١/١٦٣.

(2) الأعراف/٩٩.

(3) يوسف/٨٧.

(4) ينظر :شرح ابن أبي الحديد،ج١٩/٢٧٤ .

(5) المكان نفسه .

(6) الحديد/٢٣ .

(7) نهج البلاغة،خ (٤٣٩)ج٣/٢٥٨ .

(1) ينظر :سورة ا ل عمران/٩٧ خ(١) ج١/٢١، الأنفال /٦ خ(٣٨)ح١/٨٦ ، محمد /٢ خ (٦٣)ح١/١١٢، البقرة/٢٠ خ (٨٧)ح١/١٨١، الأنبياء/١٠٤ خ (١٠٧) ح١/ ٢١٩،الدخان/٢٩ خ (١٨٦) ج٢/١٦٠ المجادلة/١٩ خ (١٨٩)ح٢/١٩٢،الأعراف/٨٧ ك (٥٥)ج٣ /١٢٤،ص/٢٧ ق (٧٨) ح٣/١٦٧ القصص/٥ ، ق (٢٠٩)ح٣/٢٠٠،الحج /١١ ق (٣٤٤)ح٣/٢٣٥، يوسف/٨٧

وبعد كلام(ع)في الحج ولأهميته ختم خطبته بقوله تعال:(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)(٢) .

وتكرر الأمرُ في خطبة له (ع) في خطبة حدَّر فيها من الدنيا والتي خَتَمَها قوله تعالى : (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) (٣) .

خطبته التي تَمحورت حول معنىً واحد أعاد التذكير بهِ،وتوكيده وبعد خطبة طويلة أخرى أوصى فيها بتقوى الله،وأبانَ فيها صفات المتقين،ودعا إلى العمل قبلَ الفوتِ وإقبال الغِيلة ، وإدبارِ الحيلةِ إلى قوله تعالى: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ)(٤) فلخص بها حالَ مَن لَم يفعل ذلك من الأمم السابقة .

هكذا انتهى في خطبة أخرى خَصّ فيها المنافقين إلى قوله تعالى:(ستحوذ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)(٥)،اختزلت هذه الآية خطبَتَه بأكملِها ، فيترسخ معناها في ذهنِ المتلقي باعتبارها بُؤرة دلالية مُركزة،ومثلما يُفضي إيجازه– باختيار الآية المناسبة – إلى الوعظ والإرشاد يخرج به كذلك إلى التهديد والوعيد .

في كتاب له(ع)إلى معاوية(٦)مُذكرا ومُوعدا خَتَم بقوله تعالى:(وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)(٧)،ويُدرك متلقي النص بالنبرةِ التهديدية للنصِّ القرآني عند مطالعة كلامهِ(ع)الذي سَبَق هذه الآية،إذ قال:(.. وأحذّر أن يُصيبكَ الله منه بعاجلِ قارعَةٍ تَمسُّ الأصلَ،وتقطع الدابرَ،فانّي أُولِي لك بالله أليَّةً غيرَ فاجِرةٍ لَئِن جمعتني وإيّاك جوامعُ الأقدارِ لا أزالُ بباحَتِكَ " حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ") .

وتصل دلالةُ المقتبس إلى ذروتها في قوله(ع)،وربما يُوصَّل الإيجاز إلى التوبيخ [١]، أو الترغيبِ[٢] ، أو التذكير[٣].

الأمرُ اللافت للنظر في هذه النصوص ، إنَّ غالبيَتِها جاءت في خواتمِ النصوص لتُؤدِّي وظيفتها باعتبارها علامة تُشعِر المتلقي بنهايةِ النص مُحققة بذلك تكثيفَ المعنى وتلخيصِهِ،لما فيها من دلالات مُكتنزة .

أو إنَّها تأتي للتهديدِ،والوعيدِ،الذي ارتبط بالسور المَكّية،أو للنصح والإرشاد الذي ارتبط بالسور المدنية،وربما يرجع الأمرُ إلى طبيعةِ كلٍّ من هذه السور كما هو معلوم في ظروف نزول كلٍّ منهما ولِمُلائمَةِ السور القصار للوعيد،ولما يَحتَمِله من معانٍ تختص بذلك .

إنَّ البيئة التي يسودها الضَّلال،والانحراف لا بُدَّ لها من الصَّقل والتهذيب لذا نجد السُّوَر المَكّية في كلامِهِ(ع) قد جاءت بقدرٍ اكبر مِن مثيلاتِها المَدَنِيَّة [٤].

ق(٣٧٧)ج٣ ٢٤٥ .

[2] سورة ا ل عمران/٩٧ ينظر: نهج البلاغة،خ(١)ج١/٢٢ .

[3] الأنبياء/١٠٤ . ينظر: بنهج البلاغة،خ(١٠٧) ج١/٢١٩ .

[4] الدخان/٢٩ . ينظر: نهج البلاغة،خ(١٨٦)ج٢/١٦٠ .

[5] المجادلة/١٩. ينظر: نهج البلاغة،خ(١٨٩)ج/١٩٢.

[6] نهج البلاغة،ك (٥٥)،ج٣/١٢٤ .

[7] الأعراف/٨٧ .

[1] ينظر: نهج البلاغة،خ(٧٨)ج٣/١٦٧ . حين اقتبس الآية (٢٧)من سورة (ق) .

[2] ينظر: المصدر السابق خ(٢٠٩)ج٣/٢٠٠ . حين اقتبس الآية (٥) من سورة القصص .

[3] ينظر: المصدر السابق،خ(٢٠٦)ج٢/٢١٨ – ٢١٩ . حين اقتبس الآية(٢٦)من سورة النازعات .

[4] بلغ عدد الآيات المكية التي ختم بها خطبه، وكتبه، وحكمه عشر آيات هي:(**الأنفال** ، **يونس** ، **الدُخان** ، **ص** ، **فاطر** ، **المؤمنون** ، **الأعراف** ، **النازعات** ، **النّساء** ،**القَصص)** والمدنية خمس هي(**محمد** ، **المُجادلة** ، **آل عمران** ، **البَقَرة** ، **الحَج)** .

ثالثاً :التَنوع اللَآلي بِ تَنوِّع الأساليبِ وتَغير الأشكال .

إنَّ الدّلالة تَبَعٌ للشكل والأسلوب عند القدماء والمحدثين (١) ، ويأتي هذا عِبرَ السياقات المُختلفة،بدءاً من المفردة ، وانتهاء بالجملة .

ولم يكن اختيار الإمام(ع)للأسلوب أو الشكل المناسب عشوائيا،وفي الوقت نفسه،ما كان بدعا،ونشازا بين مفرداته،وسطوره،وجُملهِ، بِقدر ما هو مَطلب لدلالةٍ مَقصودة .

لقد أخذت هذه الأساليب أشكالا عِدَّة في تنوعها لتنعكس في مرآة النصّ فتعطي أضواءً مُتنوعة من الدلالةِ،والتعبير،ومن هذه الأساليب:

أ- الاقتباس الجِّزئي مِن الآيةِ ودلالتُهُ في النَّص .

شكّل الحضورُ الجزئي من الآيات ظاهرةً بارزةً في نصوص الإمام (ع) ، صحيح انَّه يستحضر جزءاً من الآيةِ إلّا انَّه كان تفعيلاً وإنعاشاً للنصّ لما يَحمِل من إشاراتٍ و دلالاتٍ مُكثفة(٢).

من كلامٍ له(ع) لأصحابهِ في بعض أيام صفين: ((..وامشوا إلى الموتِ مَشيا سُجُحاً ، وعليكُم بهذا السَّواد الأعظم ، والرِّواق المُطنَّب فأضربوا ثَبَجَهُ فأنَّ الشيطانَ كامِنٌ في كِسرِهِ ، قَد قَدّم للوثبةِ يَداً وأخّر للنُّكوص رجلًا، فصمداً صَمدا حتّى يَنجلي لكُم عمودُ الحَقِّ " وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ "))(٣).

وقولهُ تعالى جزءاً منَ الآية التي اقتبس منها،وهي قوله تعالى:(فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)(٤)،غير أنَّ مُقتَضى الحال هو الّذي اقتضى ذلك التَبعيض،مع الحفاظ على البؤرة الدلالية للمفردة(يَتِرَكمُ) في كلامه(ع)مع أصحابهِ في حربِ صفين، وخروجهم لقتال

---

(1) أُشار القدماء ُ إلى هذا الأمر،وفَ صَّل المحدثون القولَ فيه .

ينظر: الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر، تحقيق:عبد السلام محمد هارون،دار الجيل، بيروت،ط١،

وينظر: دلالة الألفاظ ، د.إبراهيم أنيس، مكتبة ألا نجلو المصرية، مصر،(د.ت).

(2) ينظر مثلا: آل عمران/٩٧في خ(١)،ج١/٢١،الأنفال/٦في خ(٣٨)،ج١/٨٦ ،محمد/٣٥في خ(٦٣)،ج١/١١٢، القصص/٢٤في خ(١٥٥)،ج٢/٧٣،الزمر/٧١في خ(١٨٥)،ج٢/١٥٥،المجادلة/١٩في خ(١٨٩)،ج٢/١٩٢، المجادلة/في٢٢ ك(٤٥)،ج٣/٨٤ ،الأعراف/٨٧في ك(٥٥)،ج٣/١٢٤،الحج/١١في ق(٣٤٤)،ج٣/٢٣٥ .

(3) نهج البلاغة،خ(٦٤)ج١/١١١ – ١١٢ .

(4) محمد/٣٥ .

معاوية وجندهِ ،والتذكير بانَّ اللهَ لن يُنقِص من ثوابِ أعمالِكُم[٥]،ولن يُضَيّعه ،ولن يَظلمكُم [٦]،والمعاني كلُّها مُتقاربة[٧] في السياق القرآني المُقتَبس،والمقصود ، وفيها حَثّ على القتال والصمودِ أمام العدو الذي رمز إليه بالشيطان،وهو رمزٌ استعاريٌ دالٌّ بما يملكه من بَثّ دلالي،(صَمدا،صَمدا حتَّى ينجلي لكم عمودُ الحَقِّ)،والآية الكريمة بدأت بنبذ التكاسل والتهاون والدعوة إلى السلم عند القدرة والعلو في طلبِ الحق وإحقاقه، وهذا مالا يحتاجه الإمام(ع)لانَّ القوم امتثلوا لذلك وهم الآن في ساحة القتال،وهم بأمَسِّ الحاجةِ إلى وعدٍ الهي مُطمئِن بوقوف الله معهم،لذلك وقعَ اختياره على بعضٍ دون بَعض من الآيةِ المباركة،تَمَشّيا مع مُقتضى الحال،فبلغ في التأثير ذروته،حتى أنَّ صحبه بعد سماعهم لذلك انطلقوا في أكثرِ من عشرةِ ألافٍ خَلف الإمام(ع)،ووَثَبوا إلى رماحِهم، وسيوفِهم،ونبالِهم،حتّى وصلوا إلى خَيمةِ معاوية فكادوا أن يقضوا عليهِ لولا خديعة رفع المصاحف[١]، فالآية مَثّلت خُلاصة لخطته [٢].

ولمّا كان معرضُ الحديثِ تواضعَ الرُّسِل(عليهم السلام)وزهدهم في مَتاع الدنيا بَدأ بالنبي المصطفى(ص واله)وثَنَّى بموسى(ع) فقال:((وان شِئتُ ثنّيت بموسى كَليم الله،صلى الله عليه واله ، اذ يقول: **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** "))[٣] .

ما أخذه من كتابِ الله في سياق السرد الكلامي في خطبته جزءٌ من قولهِ تعالى:(فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)[٤] .

هنا تحّكم سياق المقال والبعد الزمني في فرض هذا الاختيار،فالسياق لا يتّسع لذكر " فسقى لهُما ثم تولى " إذ لا رابط بين القول في سياق الحديث،والبعد الزمني(المضارع)الذي لفّ خطبَة الإمام لا يتلاءَم مع الزمن(الماضي)في الآية:" فقال "،ولكلّ من الآية والخطبة زمنُها، لذلك مَهّد(ع)لاقتباسه بالقول:(إذ يقول)طلباً للدلالةِ،وسعياً إليها.

وفي كتابٍ بعثه إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة،وقد بلغه انَّه دُعِيَ إلى وليمةِ قومٍ من أهلها فمضَى إليها،زَهّده في الدنيا وذكر أمرّه معها، وهو القادر على النَّيل مِنها ،وكيف انَّه طلّقها ثلاثا، وهي دعوة غير مباشرة للاقتداء بهِ في رَعِيَّتِهِ،خلص إلى القول : ((طُوبي لنفسٍ أدّت إلى رَبِّها فَرضَها ، وعَرَكت بجنبِها بُؤسَها وهَجَرت في الليلِ غُمضَها ،حتى إذا غَلَب الكَرى عليها افترشَت أرضَها، وتَوسّدت كفّها في مَعشرٍ اسهر عيونَهم خوفُ معادهِم ، وتجافَت عن مضاجِعِهم جنوبَهم وهَمهَمَت بذكرِ ربِّهم شفاهُهُم ، و تقَشّعت بطول استغفارِهم ذنوبَهم " أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ألا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "))[٥].

وقع الاقتباس في قوله تعالى: (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[١].

بَعد ذكر صفاتِ خَوف المَعاد،وكثرة الذكر،والاستغفار من الذنب انتهى إلى إيجاز ذلك كله بكونِهم حزب الله وهم المفلحون،أنَّ محل الشاهد هو التكثيف الدلالي في المقطع من الآيةِ ولا حاجة له فيما سبقها

---

[5] ينظر:مجمع البيان ، الطبرسي ،ج٣٠٨/٩. وينظر:الجامع لاحكام القرآن ، القرطبي ، ج٢٥٦/١٦.

[6] ينظر:جامع البيان ، الطبري ،ج٨٣/٢٦. وينظر:زاد المسير، ابن الجوزي ، ج١٥٧/٧.

[7] ينظر:الميزان في تفسير القران،السيد محمد الحسين الطباطبائي ت(١٤٠٢)هـ،مؤسسة النشر الاسلامي،ج١٤٠/١٨

[1] ينظر:شرح بهج االصباغة،للتستري،ج٥٤٣/١٣ .

[2] ينظر:نفحات الولاية،الشيخ ناصر مكارم الشيرازي،قم، سليمان زادة ،١٩٩٥،ج٦٢/٣ .

[3] نهج البلاغة خ(١٥٥)ج٧٣/٢.

[4] القصص/٢٤

[5] نهج البلاغة، ك(٤٥)ج٨٤/٣ .

[1] الحشر/٢٢ .

من كلام لأنَّهُ مِمَّا لا ينطبق وسياق كلامِه اعتماداً على قدرة المَقطع القصير من الآيةِ الواحدةِ على الدلالة،باعتبارهِ وحدة خاصّة[٢].

ب-التراكم الاقتباسي و أثرُه في دَلالةِ النَّص.

والمقصود بهِ وجودعدد من الاقتباسات في نَصّ واحدٍ مُتجاورة،أو مُتفرِّقة،أو بالصُورَتين معاً،فيغدو ذا مَقدرةٍ على البثّ الدلالي،على الرغم مِن وجود هذا النوع من التَّراكم الاستعاري في النصوص المباشرة إلّا انَّه شَكَّل سِمَةً بارزَةً للنوع ألآخر مِنها[٣].

يَتبَلورَ العطاءُ الدلالي،ويصل إلى ذروته حين يَستدعي الإمامُ (ع) سلسلةً من الاقتباساتِ المُتجاورة،فيكتنز النصّ بالإحالاتِ،والإيماءاتِ،والاشاراتِ،ويُشحَن بكَمّ هائلٍ من القَداسَةِ والإيحاء .

ويختلف عَددُ المُقتَبَسات في النصوص تَبَعاً لمُقتَضى المقال وفيها جميعا يَرتقي النصُّ ،وتَتَعمَّق رُؤيتُه،إنَّ الأمرَ برمته لم يكن يخلو من مطلبية دلالية هي التي تفرض عدد الاقتباسات في نصّ دون غيره،ففي كلامه(ع)في خلق الأرض والسماء،وبيان عظمة الله وفَضلِه فأمطرَ النصَّ بالاقتباساتِ المُتجاورةِ لِيَفي بإنزال الموضوع في منزلتِهِ المناسبة .

حين يريد رسم صورة بيانية تَستوعب ما تقدم مِن معانٍ لا يجد بداً من الاستعانةِ بالقرآن الكريم،باعتبارهِ نَصّا مُتعاليا يقطر دلالةً ، ويَفيضُ بياناً فقال (ع) : (ثمَّ انشأ سُبحانه فَتقَ الأجواءِ ، وشَقِّ الإرجاءِ ، وسَكائِك الهواء) ثم يصل إلى القول: ((فَسَوّى مِنهُ سَبعَ سمواتٍ ، جَعَلَ سُفلاهُنَّ مَوجاً مَكفوفاً ، وعُلياهُنَّ سَقفاً مَحفوظاً،وسَمكاً مَرفُوعاً ، بِغَيرِ عَمَدٍ يدعَمُها، ولا دسارٍ يَنظمُها ، ثُمَّ زَيَّنَها بزينةِ الكَواكبِ ، وضياءِ النَّواقِبِ ، وأجرى فيها سِراجاً مُستَطِيراً، وقَمَراً مُنِيراً فِي فَلَكٍ دائِرٍ،وسَقفٍ سائِرٍ...))[١].

يزدحم النصُّ بالاقتباسات القرآنية: (أَولَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ)[٢]،(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[٣]،و(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ)[٤]،وقوله تعالى:(وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ)[٥]،وقوله تعالى:(وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً)[٦].

---

[2] ينظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، شركة الشهاب،(د .ت)، الجزائر، ص :١٤ .

[3] ينظر مثلا: اقتباس معنى سورة إبراهيم/٣٤ وطه/١١٠ والشعراء/٢٤ والأعراف/٥٥ والنبأ /٧ في خ (١)،ج١/٧،واقتباس معنى سورة الأنبياء/٣٠ ولقمان /١٠ والصافات/٦-٧ ونوح /٦ خ(١)،ج١/١٠-١١،اقتباس معنى المؤمنون/١١٥،القيامة/٣٦ والمائدة /٣ والمائدة /١٩ والنساء/٩٠ خ(٨٢)ج١/١٤٧،واقتباس معنى سورة البقرة/٤٤ والتوبة/١٠٩ في خ(١٠١)،ج١/٢٠١ ،واقتباس معنى سورة طه/١١١ في خ(١٧٤)ج١/١٢٠ ،واقتباس معنى سورة الأنبياء/٣٠-٣١ وسورة هود/٤١ في خ(٢٠٦)،ج٢/٢١٦-٢١٧،واقتباس معنى سورة غافر/٦٠ والنساء/٣٢ والأنفال /٣٣ والفرقان/٧٠ في ك(٣٢)،ج٣/ ٥٣ .

[1] نهج البلاغة،خ (١)،ج١/١١-١٢ .

[2] الأنبياء/٣٠ .

[3] البقرة/٢٩ .

[4] لقمان/١٠ .

[5] الصافات/٦-٧ .

[6] نوح/١٦ .وينظر:شرح ابن أبي الحديد،ج١/ ٧٦ – ٨٠ .

وتتوالى الاقتباساتُ بصورةٍ أكثر في مساحة نَصِّية نهجية اقلّ فينفجر دلالالـةً ، ويغدو نصّا مُتكاملا في مَبناه ، ومَعناه ، كما في إحدى خطبه(ع):((... فالله الله أيُّها الناس فِيما استحفظكُم مِن كتابِهِ واستودَعَكُم مِن حقوقِهِ ، فأنَّ الله سبحانَه لم يّخلُقكُم عَبَثاً ، ولم يَترُككُم سُدىً ، ولم يَدَعكُم في جَهالـةٍ ولا عَمَىً،قد سَمّى أثارَكُم وعَلِمَ أعمالكُم ، وكَتبَ آجالكُم،وانزلَ عليكُم الكتاب تِبياناً لكُلِّ شَيءٍ، وعَمَّر فيكُم نَبيَّـهُ أزمانـاً ، حَتّى أكمَلَ لهُ ولكم فِيما انزَلَ مِن كتابـهِ دِينَـه الّذي رَضِـيَ لِنفسِـهِ ، وانهَى إليكُم عَلى لسانِهِ مَحابَّـهُ مِنَ الأعمالِ ومكارِهِهِ ، نواهيهِ وأوامِرِهِ ، وألقى إليكم المَعذِرةُ واتَّخَذ عَليكُم الحُجَّـةُ ، وقَدّم إليكُم بالوَعِيدِ،وأنذَرَكُم بينَ يَدي عَذابٍ شَديدٍ))[٧].

ويشي النصّ بأصداء الآيات المباركة:(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا ...)[٨]،(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً)[٩]،و(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ)[١٠]،و".إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)[١١]،و(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)[١٢]،و(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَـةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَـةُ وَمَـا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّـا مَـا ذَكَّيْتُمْ وَمَـا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَـةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[١]و (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً)[٢].

الخطبةُ التي قامَت على هذه الاقتباسات كانت خِطاباً معَ عموم الناس:(فالله الله أيُّها النـاس)،لذلك أراد الإمام(ع)عِبرَ هذا الحَشد الاستعاري أن يُقيم الحجّة عَليهم.

وقد اشترك الفعلان؛الماضي والحاضر في النص مثلما كان الأمر في الآيات المقتبسات،مع لِحاظ أمرٍ آخر هو الاشتراك في صِيغةِ الخِطاب مَع النَّاسِ في المَوضوعين،وفي هذين الأمرين أجاد الإمام انتقاء اقتباساتِهِ التي نبعت منها جُمَلُهُ وصاغ منها خطبتَه، وتحقق بذلك تفعيل المقتبسات وتفجير طاقتها الدلالية ، وبرز مثل هذا الحشدِ في مواضيع عِدَّة مِن النَّهج ، والذي مَثّل إثراء المعنى الدلالي للنص[٣].

رابعاً :غِيابُ الأشخاص في المقتبساتِ، وتَغيّر فِي أزمان الأفعال طِبقاًلِمُقتضى الـمَقال .

الاقتباس يُمثّل تداخلًا نصّيا في الحدث وشخوصِهِ ، ومكانه،إلّا أنّ التمعّن في النصوص النهجية يُظهر قاسماً مُشتركاً لها ، ألا وهو الحَدَث فالمراد في الأغلب الأعَم هو الحَدَث ، للاعتبار ، أو التذكير أو الترهب به ، أو غير ذلك ، بِغَضِّ النَّظرِ عن فاعِلِه ، أو زمانِهِ،أو مكانِهِ ، وقد يكون التَشابه مع الحدث الواقع ، أو المُرتَقَب حدوثه .

---

(7) نهج البلاغة،ج١/١٤٧ – ١٤٨ .

(8) المؤمنون/١١٥ .

(9) القيامة/٣٦ .

(10) فاطر/٢٤ .

(11) يس/١٢ .

(12) النحل/٨٩ .

(1) المائدة/٣ .

(2) النساء/٩٤ .

ينظر :شرح ابن أبي الحديد،ج٦/٢٧٨ .

(3) ينظر مثلا: نهج البلاغة،خ(١٩٣)،ج٢/٢٠١ – ٢٠٢،ك(٢٧)،ج٣/٣١-٣٣ ، ك(٣١)،ج٣/٥٣ .

في خطبةٍ سابقةٍ له(ع)كما مَرَّ بنا[٤]- بعد ذكر الموت،وفوات الفرصة – فرصة العمل الصالح-،وبعد أن تَطرَّق إلى ذكرِ مَن غَفلَ بعد أن((فات مافات،وذهبَ ماذهَب،ومضَت الدُّنيا لِحالِ بالِها))[٥] يتلو قوله تعالى:(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ)[٦].

صَرَّحت السورةُ التي اخذَ بعضاً منها بذكر هؤلاء الذين ما بَكَت عليهم السماءُ،ومضت الآياتُ بوصفِ أحوالِهم؛(كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ،كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ[١]، أنهم آل فرعون *،أراد (ع)الاعتبار بحال هؤلاء،وألا يكون – مِمّن سمعه – في حال كحالهم،إنَّها دعوة للاعتبار مِمَّن مضى،وليس المهم معرفة مَن هُم ولا أينَ حدث هذا الأمر،بقدرِ ما يُمَثِّل دعوةً للعِظَة والاعتِبار،لذلك لم يَكن للشخوص أهميتُها في السياق .

وتتمتع الشخصيةُ بحضورٍ مُتميز في الأعمال السردية،لتلتقي فيها مُكونات الخطاب الروائي،ونصوص الإمام (ع) التي اتَّصَفت بالأسلوب السَّردي ، لم تكن الشخصيةُ مفقودةً فيها لذاتها مادام الحديثُ مُنصَبّا على الحدثِ فقط ،من هنا نجد الشخصية تُذكر تَصريحاً أحياناً[٢]، وتَلميحاً أحياناً أخرى[٣]،إلّا أنَّ النوع الثاني كان هو الأغلب في النصوص المقتبسة

لسنا إزاء شخصيةٍ نَمطيةٍ،كما هو الحال حين تكون مقصودة لذاتها وإنَّما إزاء شخصية تُمثِّل وسيلةً لغاية ، ومَقصديّةٍ إفهاميّةٍ لها القدرة على رَفدِ الدلالة في النص،كقوله (ع)واعظا:(...ولا تكونوا كالمُتَكَبّر على ابنِ أُمِّهِ مِن غَيرِ ما فَضل جَعله اللهُ فيه سوى ما ألحَقَت العَظَمَةُ بنفسِهِ)[٤].

قال ابنُ أبي الحديد في شرحِهِ:" نهاهُم أن يكونوا كقابيلَ الَّذي حَسد أخاه هابيل فقتله،وهما إخوان لأبٍ وأُم "[٥]،والإمام لم يُصرِّح بذكرهِ اعتمادا على الدلالية الاشارية للمفردات،ثم انَّه(ع)كان يسعى إلى الوعظِ،والتذكيرِ وإقامةِ الحجة،وهذا كله مِمّا لا يتطلب التركيز على الشخصية في الحَدثِ بقدر التركيز على الحدَثِ نفسِه،فهو(ع)يبحث عن الإشارة العامة للشخوص وليس التشخيص والتخصيص**،لأنَّه يُشِير إلى قِصَّةِ الصِّراع الأزلي بينَ الخيرِ،والشرّ،والحقِّ والباطِل،وما يستحضره من أثرٍ يترتَّب عليهِ والزمن هو أحد العناصر البنائية في النصِّ الخطابي،ولعلّه لا يقلّ أهميةً عَن الحَدَث،أو الشخصية، باعتبارهِ رحبة دلالية تَستوعِب ذلك كلّه،ومِن ثم يَنتُ دلالةً في النص .

وللزمن خِصّيصةٌ في عمليةِ الاقتباس،انَّه (ع)يُدرَج ما اقتبسه مِن مُفردةٍ،أو أيةٍ، أو حَدَثٍ نبويٍّ في خِطبِهِ،أو كُتُبِهِ،أو مَواعظِهِ،ولا يجعلها في معزل عن زمانِها،ويُدخلها في سياقٍ مُتحَرِّك في ميادينِهِ الزمنية

---

[4] ينظر: الباب الأول، الفصل الثالث ، ص: ١٣٠ .

[5] نهج البلاغة،(١٨٦)،ج٢/١٦٠ .

[6] الدخان/٢٩ .

[1] الدخان/٢٤ – ٢٨ .

* قال تعالى:(**وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ**) . الدخان/١٧ .

[2] ينظر:نهج البلاغة،خ(٩)،ج١/٣٨،خ(٣١)،ج١/٧٣،ك (٤٤)،ج٣/٧٦،ق(٢٤)،ج٢/١٥٦ .

[3] ينظر:المصدر السابق،خ (١)،ج١/١٥،خ (٢)،ح١/٢٢ ،خ(٩)،ج١/٣٨ ،خ(١)،ج١/٥٥، خ(١٨٩)،ج٢/١٩٢ .

[4] المصدر السابق،خ(١٨٧)،ج٢/١٦٥،حيث وقع الاقتباس في(**ابن امه**)من قوله تعالى:

(يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) . طه/٩٤ .

ينظر:بهج الصباغة ، التستري ، ج١٢/٢،ومنهاج البراعة،الخوئي ، ج٢٤٤/٥، وابن ميثم البحراني ،٢٥٨/٢ .

[5] ينظر:شرح ابن أبي الحديد ،ج١٣٧/١١ .

**هذا السلوك يُ مثّل أحد تمظهرات الرؤية الجديدة الآن حين ذهبَ بعضُ كتابِ الروايةِ الجديدةِ في تعاملهم مع الشخصيةَ مَذاهب جَديدة، وأحياناً غَريبة حِين أشاروا إلى شَخصياتهم الرِّوائية بِحروفٍ فقط .

حركية الشخصية في الرواية الجديدة،سعيدي محمد،تجليات الحداثة،ع٣،ص:١٥٦ .

المُتعارفة،و " للمبدع دوره في عملية التناص حين يقتطع النص القرآني،أو الحديث النبوي،ويُدخله في سياقٍ مُتحرك جديد،فيصبح خلاصةً لما لا يُحصى من النصوص قبله " [1].

ويتجلّى هذا التحرك الرحب في زمانيةِ النص المقتبس ضِمن دائرةِ النص النَّهجي،حين يعرض الإمام إلى ذكرِ أحوالِ الأمم الغابرة،فيبدو الزَّمن(الماضي)هو الظاهر في الغالب،فالتذكير بتلك الأمم يَستدعي إحضاره لضرورةٍ سياقيةٍ مَنطقية،مثل قوله(ع):((..فَلمَّا مَهَدَ أرضَه،وانَفذَ أمرَه اختارَ آدمَ عليه السلام خِيرةً مِن خلقِهِ وجعلهُ أوَّل حِبلَّتهِ،واسكَنَه جَنَّتَه،وارغَدَ فيها أكُلُهُ،واوعَزَ إليهِ فيما نَهاه عَنه،واعلَمهُ أنَّ في الإقدام عليه التعرّض لِمَعصِيَتِهِ،والمخاطرةِ بِمَنزلَتهِ،فاقدَم على ما نَهاه عَنهُ مُوافاة لسَّابق علمه،فاهبَطَهُ بعد التّوبةِ ليعمر أرضَه بِنَسله،ولِيُقِيم الحجّة على عِبادِهِ..))[2]،وموارد الاقتباس هي قوله تعالى:(قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)[3]، و(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)[4]،و (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)[5]

وعند النَّظر إلى موارِدِ الاقتباس القرآني في النصّ،نجدها كانَت في الفعل (المضارع)،لانَّ سياقَ المقال مِن الله معَ آدم وزوجِه(عليهما السلام)كان حديثاً مُباشِراً،وكان حَديثُه(ع) بالماضي،لانَّ سياقَ المقال هنا مُختلف حين يَتكلّم عمَّا مضى مِن الأمم، والرُّسُل،والأنبياء(عليهم السلام)تذكيرا،واعتبارا[6].

وعند النصح والإرشاد والوَعظ والتذكير بنِعَمِ الله يكون الفعلُ(المضارع)المطلّ برأسِهِ على الساحة المستقبلية هو الأظهر،مثل قولِهِ(ع): ((الحمدُ للهِ الفاشي في الخَلق حَمدُه والغالِب جِندَه))[7]،وهو انتهالٌ من قولهِ تعالى: (ألا إنَّ حزبَ اللهِ هُمُ الغالِبُون) [8].

وفي قولهِ واعِظاً:((أيُّها الناس اتَّقوا اللّه فَما خلقَ امرؤ عبَثا فيلهو ولا تُرِكِ سُدى فيلغُو)(٩)،وهو قولٌ يعودُ بنا إلى قولهِ تَعالى:(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ)[10].

بدا واضِحاً مِقدار نجاحه(ع)في استجلابِ الحديث وِفقَ مَظلّة زمنيّةٍ يُحددُها السياقُ،فنرى تَعميم الفضاءِ الزَّمني الماضي تارةً،والمضارع المُتَحرّك نحو المُستقبل تارةً أخرى،تَبَعاً للحديث،وكأنَّه(ع)يُجرد ما اقتبسه مِمّا عَلِقَ بهِ مِن دلالةٍ زمنيَّةٍ حينما يُغَيِّر الفَضاءَ الزَّمني للحديث،مع الوصول إلى غايةٍ واحدةٍ على الرَّغم من اختلافِ الأساليب،فالآية جاءت بصيغةِ استفهامٍ استنكاريٍّ مع شيءٍ من التَّوبيخ،وكلامُهُ (ع) أتى بصيغةِ النَّفي الوعظِي اللّين،والمُبَرّر للاختلاف بينَ الصيغتين هو اختلافث المخاطبين في كلّ ،أي انَّهُ اختلافٌ في مَقامِ الحَال.

---

(1) الخطيئة والتكفير، ص:٢٥ .

(2) نهج البلاغة،خ(٨٧)،ج١/١٧٧.

(3) الأعراف/٢٤.

(4) البقرة/٣٥.

(5) البقرة/٣٨.

(6) ينظر: نهج البلاغة،خ(١٥٥)،ج٢/٧١-٧٥ و خ(٧)،ج١/١٧٧ .

(7) المصدر السابق،خ(١٨٦)،ج٢/١٥٦.

(8) المائدة/٧٦.

(9) نهج البلاغة،ق(٣٧٠)،ج٣/٢٤١.

(10) المؤمنون/١١٥.

المبحثُ الثاني: الخَصائِصُ الفَنيَّة.

إنّ أللغة وسيلةٌ من أهمِّ وسائل التعبير عن الإحساس،وما يعتري النفس من خَلَجاتٍ، إلاّ أنَّها بجانبِ ذاك كله تغدو وسيلةٌ فنيةٌ لها خصوصية جمالية عند الأديب المقتدر،فتصبح ذات أثر،وتأثيرٍ كبيرين في المتلقي ويختلف هذان الأمران من أديب إلى أخر .

اللغة ليست مَدلولًا معنويا فقط،، إذ " ليس الشأنُ في إيرادِ المعاني وحَدها، وإنَّما هو جودةُ اللفظ.."(١)،

وان كانت خطب الإمام(ع)،وكتبه ليست عَمَلا فنيّا مقصودا لذاته،غير إنَّها اتّسَمَت بخصائِص فَنيَّة قَلَّ نظيرُها في الأدب العربي .

---

(1) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، ص: ٦٥ .

والخصائص الفنية سماتٌ كثيراً ما اتصفت بها النصوص الدينية،إذ هناك حَميميَّة بين الغرض الديني،والغرض الفني،فيجعل منه وسيلة للتأثير والتَمكين قَصد الاستجابة، والإذعان،ذلك أنَّ للإنسان جانباً وجدانِيَّاً،فلا مَناص من مُخاطبةِ هذا الجانب بلغة النَظر الفَنِّي،وجمالة(٢) .

وانتظمت الخصائصُ الفنيةُ للاقتباساتِ في النصوص النهجية في مَحاور ثلاثة؛ الجانب الموسيقي،والجانب البلاغي،والجانب التركيبي .

أ- المستَوى المُوسِيقي.

يكشف لنا هذا المستوى أثرَ إيقاع الحروف والكلمات المقتبسة في النص وجماليته،سَواء أكانت تُؤثر فيه أم هي التي تَتأثر،وأثرَ ذلك في نفس المتلقي،انطلاقا مِن أنَّ اللغة لمَّا كانت " ظاهرةً صوتيةً تختلف اختلافا كليا عَن سائر الرموز الأخر غير اللغوية " (١)،لا بُدَّ أن تَتَّصف بخَصائِص تُميِّزها ، منها :

أولًا: التلاؤُم الصَّوتي بيَن المُقتَبس والنَّص الذَ حاضِن له.

إنَّ البنية الداخلية للكلمةِ تُؤثِّر على علاقاتها مع الكلمات الأخر في الجملة(٢)،من هنا يشكل ما اقتبسه الإمام(ع)– أحيانا – محورا إيقاعيا،يُمارس سلطتَه في الجمل التي بجواره،فيمنح النصَّ جَرَساً موسيقِيَّاً،وصفة صوتية تكشف عن الجو العام للمعنى .

للمقتبس دورُه في تحديد موسيقى النص في قوله(ع):((أما رأيتم الذين يُوَمَّلونَ بَعيداً،ويَبنونَ مَشِيدا،ويَجمعون كَثيراً،كيف أصبحت بيوتُهُم قبوراً؛وما جمعوا بُوراً،وصارت أموالُهُم للوارثينَ،وأزواجهم لقومٍ آخرين،لا فِي حَسَنَةٍ يزيدون،ولا مِن سَيِّئَةٍ يَستَعتِبُون))(٣).

---

(2) ينظر: في االبنية الإيقاعية للشعر العربي، د. كمال أبو ديب، دار العلم للملاين، ط٢، بيروت،١٩٨١م، ص: ٣١٩ .

(1) الصوت والدلالة، د. محمد بو عمامة، مجلة التراث العرب ، دمشق ، اتحاد كتاب العرب ، ع ٨٥ .

(2) ينظر:أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص:٢٧٢ .

(3) نهج البلاغة،خ(١٢٨)ج٢/١٢١.

سار المقطعُ على نَسَق المفردة القرآنية المُقتبسة من قولـه تعـالى:(... وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً)(٤)،وكأنَّـه – المقطع– ذا قافيةٍ مُوحَّدةٍ،وبناءٍ موسيقيٍّ واحدٍ،جاء مُتناغِماً مع التلوِّن الموسيقي الناتج عن تَغيِّر الفواصِل ، فقادت جميعُها إلى نَسَقٍ صوتِيّ أخَّاذ .

وللوصول إلى المفردةِ(بوراً)مَهَّد(ع)بالمفردتَين:((كَثيرا،قُبوراً))(٥)،رافق الاتحاد في المعنى،اتحادٌ في الفاصلةِ ، والتي تَغَيَّر بين الحين والآخر تَبَعا لتَغيِّر المَعاني،تلاءَمت المفردةُ والنصُّ الحاضِن لها بحضور حرف(الباء)،وهو صوتٌ انفجاري مَجهور للدلالة على التذكير المَشوب بالرَّدع،والزَّجر،بالتوافق مع حروفٍ أسهمت نَبَراتُها،وإيقاعُها الصوتي في كَشفِ صورةِ المعنى للمتلقي.

ومع هذا الحشد الصوتي المُعبِّر بقوَّتِهِ،وشِدَّتِهِ تُظهر بُؤرةً دلاليَّةً جَليَّةً في الاستفهام (أمَا رَأيتُم...)،والذي شَكَّل اسلوباً ادائِيَّاً عَبَّر بهِ(ع)عَن عَجَبِهِ،واستنكارهِ من السامعين لغَفلَتِهم عن ذكرِ المَوت.

وهكذا الأمرُ في قوله(ع)عند ذكر حال أهل القبور:((...وقَد أدبرت الحيلةُ،وأقبلَت الغيلةُ،ولاتَ حينَ مَناص!هَيهات هَيهات!قد فاتَ ما فاتَ،وذهبَ ما ذهبَ،ومضَت الدنيا لحالَ بالِها " فما بَكَت عليهم السماءُ والأرضُ وما كانوا مُنظَرين "))[1].

لمَّا استقى(ع)الآيةَ الكريمةَ: (ولاتَ حينَ مَناص)[2] أفاد من دلالتها ومَبناها،فطَغت صبغتُها الموسيقية في ما تلاها مِن جُمَل:(ولاتِ حين مِناص!هيهات هيهات!قد فاتِ ما فات) .

في جُملٍ قصيرةٍ،سريعَةٍ،ومتدفِّقَةٍ تَشكَّلَ إيقاعٌ داخليٌّ للنص،كان المقتبسُ دافعا له، فترك أثَرَه فيما جاورهُ مِن جُمل،فالمَدُّ المُتناغِم،والمُتواصِل في المفرداتِ(لاتَ،مَناص، هيَهات هَيهات،فاتَ،فات)يكاد يكون صرخةً مدويّة تكشِف عن ضَياع آمال هؤلاء في فضاءٍ شاسعٍ مَفتوحٍ،لا حدَّ له،صوَّره الإمام(ع) بفعل هذه المدود .

حين أراد التعبيرَ عن تَوقُّف الآمال وتوقّف الحياة الدّنيا وحالِها ، وانقطاع الأمل في النظرة (الانتظار) جاء بالآيةِ التي ختمَ بها المقطعَ بنهايتِها الساكنةِ(مُنظَرين)سكون الحياة والأعمال ونجح في هذين الأمرين نجاحا كبيرا،حين رسم لنا صورة صوتيةً مُفزِعة بتناقضاتِها كتناقضِ الحياةِ والآخرة بالعملِ وانقطاعِهِ ، وهكذا استقطبت موسيقى المُقتَبَس موسيقى النص ، وتحكّمت بهِ فغدِت بُؤرةً صوتيَّةً يُردِّدُ النصُّ صداها .

إنَّ المقتبساتٍ أخذت بمسارِ النصوص،واشتركت في الانتظامِ الموسيقي للمفرداتِ،وحروفِها،بما يُؤثِّر في النفس،بجماليةٍ موسيقيَّةٍ تقتربُ بنصوصِها إلى المساحةِ الشعرية ،وله مِثل هذهِ النَّماذج غير مَوضعٍ مِن نصوص النهج[3].

ثانِياً:تَطويع النَّصّ المُقتبَس لِموسِيقى النَّصّ.

وقد يُطوّع(ع)ما اقتبسه في كلامِه،حينئذ نرى للنصوص قدرتها في فرض موسيقاها،وإيقاعاتها على المفردات أو النصوص المقتبسة،فتصبح صَدى من أصدائِه،ولوناً من ألوانِهِ .

من ذلك قوله(ع)الذي اقتبس فيه قوله تعالى:(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)[4] فقال:((لم يُولَد سُبحانَه فيكون في العِزّ مُشارِكا،ولم يَلِد فيكون مُوروثاً هالِكا،ولم يَتقدّمه وقتٌ ولا زمانٌ،ولم يَتَعاوَرَهُ زيادةٌ ولا نُقصان،بل ظَهر للعقول بما أرانا مِن علاماتِ التَّدبير المُتقَن،والقَضاءِ المُبرَم ومِن شواهِدِ خَلقِهِ خَلقُ السمواتِ

---

(4) الفتح/١٢ .

(5) ينظر:الفصل الأول، اقتباس المفردة القرآنية ، ص : ٢٢ .

(1) نهج البلاغة،خ(١٨٦)ج٢/١٦٠ .

(2) سورة ص/٣ .

(3) ينظر مثلا:خ(١٣٤)ج١/٢٩ – ٣٠ ،خ(٢١٨)ج٢/٤٠ – ٢٤١،ك(٣٨) ج٣/٧٠ – ٧١ .

(4) الإخلاص/٣ .

موطّداتٍ بلا عَمَدٍ،قائماتٍ بلا سَنَدٍ دَعاهُنّ فَأجَبنَ طائِعات مُذعِنات غَيرُ مُتَلكِّئاتٍ،ولا مُبطِئاتٍ ولولا إقرارهُنّ لهُ بالرّبوبيَّةِ،وإذعانُهُنّ له بالطَّواعِية لِما جَعَلَهُنّ مَوضِعاً لِعَرشِه،ولا مَسكَناً لِملائِكَتِهِ))[1]

يوضح الكلام معنى استدلاليا عميقا،لذلك غابت فيه الجمل القصيرة المتدفقة،والمتلقي إزاء جمل استدلالية متتابعة تقوده إلى نتائج أراد الإمام بيانها،وهذا كله لم يمنع إتيانها في حلة لفظية زاد في جماليتها موافقة المقتبسات لجاراتها في الإيقاع .

فالألفاظ(مُشاركاً ، موروثا ، هالِكا)،(وقتٌ ولازمانٌ،زيادةٌ ولا نقصانٌ)،(مُوطّدات بلا عَمَد،قائِمات بلا سَنَد)،(طائِعات مُذعِنات غير مُتَلكِّئات) ، ألفت نَغما مُوسِيقياً مُتوازنا ، تَوزّع بين ثنايا النصِّ وفقراتِهِ ، وارتبطت برباطٍ وثيقٍ ذابَ فيه إيقاعُ النص القرآني المُقتَبس ، إذ كانت الآية مرتكزا دلاليّا كبيرا، اصطَبغ بصبغةِ كلامه(ع) ، لانّ العناية كانت مُوجَّهة لمتابعةِ المعاني في مثل هذهِ الاستدلالات .

إنَّ تَعدّد الاستدلالات،وترابطها استَدعى تَنَوّعا في الموسيقى أيضاً،نحن إذن أمام تَجانس صوتي ساعدَ في ربط المعنى في ذهن المتلقي وتعزيزِهِ من خلال اجتماع المعاني بتَوالي التسلسل الصوتي الذي قاد بدوره إلى تسلسل موضوعي جَعَل الآيتين المُقتَبَستين جزءً من موسيقى النصّ وُمرتَكزا دَلالِيّاً من مُرتكزاتِهِ .

وتتجلّى مثل هذه الخصيصة في قوله(ع):((الحمدُ للهِ الأول فلا شيءَ قبله،والأخِر فلا شيء بعدَه والظاهِر فلا شيءِ فوقه،والباطن فلا شيءَ دونه))[2] .

حين يتمركز النصّ حول استدلال عقائدي عميق،يتعلق بالذات الإلهية وتنزيهها،يتّجه النصّ نحو التجريد المعنوي المَحض،ويَنتج عن هذا ذوبان المُقتَبَس في بوتقةِ النص وموسيقاه .

فالنصّ القَصِير انطلق من قوله تعالى:(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[3]،فهو ـ جَلّ عُلاه ـ أولٌ لاشيءَ قبله،وأخِرٌ لاشيءَ بعده،وهذا ما جمعَته الآيةُ بين طَرفَيها(الأول)و(الأخر)،فلا اثر لموسيقاها فقط ، بل الأثر كلّ الأثر لمعناها .

ثالِثاً :التَناسُب بَين إيقاعِ المُقتَبَس ومَعنى النَّص، وَتَغّيره تَبعاً لتَنوّع المَعانِي .

هناك علاقة بين النَبرةِ الصوتية للمفردة،ومعناها(١)،إذ لكثيرٍ من المعاني جَرساتٌ تُصاحبها(٢) فهي بمثابةِ وشائج بين الدلالةِ والمبنى تُعرف بها المعاني من ألفاظِها،وإيقاع حروفها .

إنَّ الموسيقى لم تكن حِكرا على النصوص الشعرية،بل تخطّتها إلى بعض النصوص النثرية المُتعالية،وفي مقدمتها نصوص نهج البلاغة. وهذه خِصّيصةٌ من خَصائص النص النهجي،فهو " مُتآلف

---

[1] نهج البلاغة،خ(١٧٧)ج٢/١٢٥-١٢٦ . .

[2] نهج البلاغة،خ(٩٢)ج١/١٨٧ .

[3] الحديد/٣ .

[1] ينظر: في البنية الإيقاعية للشعر العربي ، ص : ٢٩٥ .

[2] ينظر: عناصر تحقيق الدلالية، ص:٦ .

يجمع بين جمال الموضوع وجمال الإخراج حتى ليندمج التعبيرُ بالمدلول،أو الشكلُ بالمعنى،اندماج الحرارة بالنار،والضوء بالشمس،والهواء بالهواء.."(٣)،والذي ساعد على هذا التنوع هو أنّ النثرَ أكثر تنوعاً إيقاعِيَّاً من الشعر لانفكاكِهِ من القافية كقوله في وصف المُتَّقين:((...أمّا الليل فصافّون أقدامَهُم،تالِينَ لأجزاءِ القرآن يُرتّلونهُ تَرتيلًا،يُحزنونَ بهِ أنفسَهُم،ويَستَثيرونَ بهِ دواءَ دائِهم،فإذا مَرّوا بآيةٍ فيها تشويقٌ رَكَنوا إليها طَمَعاً،وتَطلّعت نفوسُهُم إليها شَوقاً،وظنّوا أنّها نُصبُ أعيُنِهُم،وإذا مَرّوا بآيةٍ فيها تَخويفٌ،أصغَوا إليها مَسامعَ قِلوبِهم،وظنّوا أنَّ زفيرَ جَهنَّم وشَهيقَها فِي أُصول آذانِهم ...))(٤).

ألفاظٌ رقيقةٌ تُوحِي بالخشوع ، والرهبةِ ، والخوفِ ، وبدءاً نَجد تَوحد النص في الكلام على المؤمنين ، وانقسم في وصفهم عند الشوق والخوفِ تَبعا لسماعهم آيات الترغيب ، أو الترهيب عند وصفهم بالفَرَح والشوق والاستبشار جاء بحروفٍ مَهموسَةٍ هادئةٍ ، مُطمئِنَة ، فطغَت الحروفُ (الألف، والواو ، والياء) وهي حروف اللين ، وبألفاظ مُلائمةٍ للسياق والشعور العام.

وعند وصفِهم بالخوفِ والرّهبةِ من الله انتقل للحديث بحروفٍ مجهورةٍ ، قَلِقَة ، انفجارية ،تَبَعاً لمُقتضى المَقال ، فكثرت الحروف (الهاء ، والقاف ، والكاف ، والطاء ، والضاد ، والضاء...) ، وفي جرسه نبرة قوية ، تلازم التصويت الانفجاري الشديد .

إنَّ التجانسَ بين الأصوات،ودلالة العبارات خلق إبداعا داخليا،فأكسَبَ النصّ بُعداً جمالياً مَلموساً،في أسلوبَين مُوسيقيَّين مُنسَجِمَين مع المَعنَيَين المُصاحِبَين لهما،لم يكن إيقاعاً واحداً مُطَّرداً مِثلما لم يكن مَضمُوناً واحِدا في النصّ وهَيمَنَ التنوعُ الموسيقيُّ بهَيمَنَةِ التنوع المضموني له .

وبإيقاعيَّةٍ موسيقيَّةٍ هادِئَة،مُتَموِّجَة اصطفَّت كلماتُه وفي جُمَلٍ قصِيرَة،وبـ (فونيم) مُوحَّد في نهاياتِ الجملة اقترب قولُهُ إلى الشعرية المَوزونة،حيث قال:((...وأحَبّ الحَمد إليك وأفضَلَ الحَمدِ عِندَك حَمدا يَملأُ ما خَلَقت،ويبلغُ ما أرَدتَ، حَمدا لا يُحجَبُ عَنك،ولا يَقصُر دونَك، حمداً لا يَنقطِعُ عَددُه،ولا يفنى مدَدُه ، فَلسنا نَعلم كُنه عَظمَتِك إلّا إنَّا نَعلم انَّك حيٌّ قَيُّومٌ،لا تَأخُذُكَ سِنَةٌ ولا نومٌ ، ولم يَنتَهِ إليكَ نظَرٌ ، ولم يُدرِكْك بَصرٌ...))[1].

إنَّها فواصل مُتساوية في الوزن – تقريبا - وإيقاعاتٌ مُتَّحِدة مُتناسِقة في حروفِها ومفرداتِها،وجاءت أصداءً لمقتبساتٍ قرآنية مُتجاورةٍ[2]،طغى فيها السَجَعُ[3]المناسب للمعاني،وعَكَسَت دِقَة تِلكَ المَعاني وهدوئِها .

ويكثر عنده(ع)اقتران المعاني الشديدة بالحروف الانفجارية الشديدة التي تكون للزجر والتبيهِ والتذكير والتقريع،وحِينَ يُخاطِب المنافقين،أو يذكر حال الكفار،حينئذ يأتي بجُمَلٍ قصيرةٍ،رادِعَةٍ صاخِبَةٍ،وأغلب الاقتباسات هنا تكون من السِّوَر المَكّية المناسبة للزجر،والتقريع،والتهديدِ،لا سِيّما في خطبهِ،وكتبِهِ(ع)التي وجَّهَها في مثل هذه المواضيع[4]،ومنها قوله(ع)مُذَكِّراً،ومُحذّراً:((بنا اهتديتُم في الظَّلماءِ،وتَسنَّمتُم العلياء،وبنا انفجَرتُم عن السّرار،وقُرِعَ سَمعٌ لم يفقَهِ الواعية،وكيف يُراعِي النَّبأةَ مَن أصمَتهُ الصَّيحةُ ؟ رَبَطَ جِنانٌ لم يُفارقهُ الخَفَقانُ))[5].

---

[3] الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ، جورج جرداق ، منشورات ذوي القربى، قم، ط ،١٤٢٤ هـ ، ص:٤٠ .

[4] نهج البلاغة،خ(١٨٨)،ج٢/١٨٦ .

[1] نهج البلاغة،خ (١٥٥)ج٢/٧٠ – ٧١ .

[2] ينظر مثلا:خ(٤٤)ج١/٩١،خ (١٥٥) ج٢/٧٠ ،خ(١٨٦)ج٢/١٥٦ – ١٥٧ .

[3] لا يمثل السجع عيبا في النص النهجي، بل هو شكل من أشكال الجمال حتى في القران الكريم .

ينظر: موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص: ٣٠٥ .

[4] ينظر مثلا: اقتباس سورة فاطر/٨ في خ(١٥٧)ج٢/٨١،الشعراء/١٥٧ في خ(١٩٦)ج٢/٢٠٧ ،
الانفطار/٦ في خ(٢١٨)ج٢/٢٤٠،يونس/٣٠ في خ(٢٢١) ج٢/٢٤٧ ،
الأعراف/٨٧ في ك(٥٥)ج٣ /١٢٤ .

[5] نهج البلاغة،خ(٣)ج١/٣٣ – ٣٤ .

عرضٌ مُتسلسل للأفكار،بأسلوبٍ لغوي حاد،ورصين،وبلغةٍ مَتِينةٍ جَزلةٍ بحروفِها الشديدة،والتي صاحبتها نغمةٌ موسيقيةٌ أضفَت على النصَّ،مُسحة حَزينةٌ غاضِبَةٌ،أشبه ما تكون بالصَّرخةِ،وأحاطَ النصّ بلغةٍ مُمَوسقة،وبأسلوبٍ ينسَجمُ وأحاسيسَه الغاضبة،لتُفصِح عن الطقس الحزين الذي كان فيه .

حروف(الضاء،والجيم،والقاد،والدال)تجعل المتلقي يستشعِر لوعة الإمام(ع)وغَضَبِهِ، وما صاحبها من أسئلةٍ استنكاريَّةٍ[٦]يائسةٍ من هؤلاء الَّذينَ أصمتهم الصيحةُ.

والنصّ يَشِي بالمقتبساتِ، والطافية على سطحِه[٧]،وان كانت قد صِيغَت بحروفٍ،وكلماتٍ وكأنّها تُعبِّر عن شعورٍ بالضَّجَرِ من هؤلاء والناطق بهذه الحروف،والكلمات يَكاد يَحس بالذَّبح،والألمِ والاختناق،وهنالك أمثلةٌ عِدّة من هذا النوع في النَّهج[١].

هذا التقسيمُ الصوتي جاء تَبَعاً لِتَغَيّر الموضوع في النص،والتجانس بين الأصواتِ،ودلالة العبارات خَلق إبداعاً داخِلِيّاً،فأكسَبَ النصوصَ بُعداً جَمالياً مَلموساً،وهكذا ألقَت المفرداتُ والتراكيبُ المُقتَبَسة بحروفِها صداها على موسيقى النصّ المُتَساوقة مع المعاني،عندها تَتَحقق الدلالةُ الكليَّة للنَّظم وتسمو لتُشَكّل عباراتٍ تقود إلى صُوَرٍ شعريةٍ زاهيةِ الألوان،عَذِبةِ المعاني .

---

[6] اختلف المفسرون في ما جاء بعد الاستفهام وهو قوله(ع):((**وقر سمع لم يفقه الواعية**)) هل هو دعاء أم توبيخ، ينظر: شرح ابن ميثم البحراني،ج١/٢٧١، منهاج البراعة، الخوئي،ج١/٣١٧، نهج الصباغة، التستري،ج٣/ ٥ .

[7] من قوله تعالى:(**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ**) . الحديد/٩..

ومن قوله تعالى:(**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ.**) ،الأعراف/١٧٩.

ينظر :بهج الصباغة، التستري، ج٢/٣.

[1] ينظر مثلا: نهج البلاغة،خ(١٨٠)،ج١/١٣٤-١٣٥.خ(٩٥)،ج١/١٩١-١٩٢.خ(٢٠٦)،ج٢/٢١٦-٢١٧.

ب-المُستوَى البَلاغِي.

يتمحور الاهتمام حول محاولة التعَرف على نمطٍ بعض الأساليب البلاغية التي ظهرت كخصائص دون سِواها في عملية الاقتباس ، وليس الأمرُ مَعنيا بالوقوفِ عند التقسيمات البلاغية ، وبعناوينها المُتَعارف عليها ، فالاهتمام يَنصبُّ على ما يتعلق بعملية الاقتباس أولاً ، وبوضوحهِ كظاهرةٍ بارزَةٍ ثانيا .

ومن أهم الخصائص في هذا المستوى:

أولاً - اقتِباسُ الصورةِ الاستعاريَّةِ لُمجسَّمة وأثرُها في النَّص .

تتجلّى فاعليةُ النص المقتبس – أحيانا – في استكمال رسم الصورة البيانية والإفادة منه في التجسيم ، والتشخيص ، وهما فنَّان امتازا بحضورِ فاعلٍ ، وكبيرٍ ،ليزداد التواصل بين النص والمتلقي .

قامت صور الإمام على التشكيل الفنّي ، وخضعت لبنائية دافقة لتؤدي غرضا دلاليا مقصودا بأجمل وابهى صورة ، وتنفتح فضاءات نصوصه على مصراعيها للفيض الدلالي .

لقد تَنامى التصويرُ البياني القرآني المُستَدعى– وهو الأكثر حضورا من التصوير البياني للحديث النبوي– بفعل هذين الفنين القادرين على شَدِّ المُتلقّي بالنص،وتفاعلهِ مَعَه

اقتبس التجسيم القرآني في قوله تعالى:(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون.)(١) في قوله:((وتمسك بحبل القران))(٢).

أصبح القرآنُ جِسما ماديّاً،فَدعا(ع)إلى التمسك بحبلهِ تعبيراً عن السقوطِ،والاضطرابِ،ما لم نتمسك بذلك الحبل،وهذا التمسك خلاص من التَيهِ والضَّلالة،وهو تصويرٌ يفتح مَنافذَ جَمالية عِدَّة بالإضافة إلى منافذه الدلالية،ولها من الجمال والإمتاع نصيب كبير،لاسيما وإنَّها استندت إلى صورةٍ قرآنيَّةٍ، " وطريقة التصوير هي أجمل طرائق التعبير، وأفضلها في الفنِّ والدين "(٣).

إنَّ تواجد التجسيم والتشخيص ليس ومضَة دلالية فقط،بقَدرِ ما هو خَلقٌ وإبداع .

واجتمعت تجسيمات عِدَّة في إحدى خطبه(ع)،ارتكز كثير منها على الصورة القرآنية المقتبسة من قوله تعالى:(وضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)(٤)،فقال (ع):((عباد الله أن من أحب عباد الله إليه عبدا أعانه الله على نفسه،فأستشعر الحزنَ وتجلبَبَ الخوفَ،فزهَرَ مِصباحُ الهُدى في قلبهِ وأعدَّ القرى ليومِه النازلِ بهِ، فَقرَّب على نفسِهِ البَعيد،وهوَّن الشديد،نظَر فأبصَر،وذكَر فأستَكثَر،وارتَوى مِن عذبٍ فُرات،سَهُلَت له موارِدُهُ ، فشَرِبَ نهَلاً ، وسَلَكَ سَبيلًا جَدَدا ، قد خَلَعَ سَرابيل الشَّهواتِ ، وتَخلّى عن الهَمُوم ، إلاّ همّا واحِداً اِنفرَدَ بِهِ ، فَخَرجَ مِن صِفَةِ العَمى ، ومُشارَكِة أهلِ الهَوىَ ، وصارَ من مفاتيح أبوابِ الهُدى ، ومَغاليق أبوابِ الرَّدى))[1].

صور بسيطة،واضحة،غير إنّها عبَّرت عن أعمقِ الأفكار،وأدقها من خلال إظهارها المعنويات بآثار ماديَّةٍ،فيدهش المتلقي حين يرى الحزنَ شِعارا[2]،والخوفَ جِلباباً،وانَّ للهدى مِصباحاً،وللشَّهواتِ سرابيل،واختلطت مع هذه المُجَسِّمات صُور بلاغية أخرى،حين استعار(القَرى)للعمل الصالح بجامع الانتفاع،و(العَمى)للضَّلال،بجامع عَدمِ الهداية .

---

[1] آل عمران/١٠٣ .

[2] نهج البلاغة،ك (٦٩)،ج٣/١٤١ .

[3] مشاهد يوم القيامة في القران الكريم، سيد قطب، ص :٦ .

[4] النحل/١١٢ .

[1] نهج البلاغة،خ(٨٣)،ج١/١٤٩ – ١٥٠ .

[2] الشِّعار: هو ما يَلي الجَسد مِن ثِيابٍ ، و تجلَببَ الخوفَ : جَعَله جِلبابا أي ثَوباً .

ينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج٦/٢٨٩، وشرح ابن ميثم البحراني ، ج١/٤٠٦ .

وصل التصويرُ ذروتَه حين اختلطت الصور في قولهِ(ع): (وصار من مفاتيح أبوابِ الهدى،ومغاليق أبوابِ الرَّدى) ، وأراد بمفتاح أبواب الهدى سَبَباً من أسبابِ الهدى ، ومَغالِيق أبوابِ الشَرَّ: أي سَبَباً مِن أسبابِ غَلَقِهِ .

انّها صور نابضةٌ بالحركةِ،وجمعت بين الوضوح،والمعنى الدقيق،وعندها يحس المتلقي بشيئين مُتناقِضَين،هما جمال الصورة،والخوف منها،حين يَتَصور نفسه مِمَّن اتَّصفَ بهذه الصفات أو حين يتصور انَّه ليسَ كذلك،لقد جمعت بين التشويق والأغراء من جانب،والتذكير والتنبيه من جانب أخر،وبذلك أضفَت هذه التجسماتُ بُعدا جَمالِياً ظاهرا،وهكذا الأمر حين يرى المتلقي أنَّ للفتنةِ عينا[٣]،وللباطل جَسَداً[٤]وصولاتٍ[٥]أو حين نسمع أنَّ للشيطان سنابكَ[٦].

للإمام(ع)القدرة على جمع مثل هذه التجسيمات المصورة في صورة بيانية مركبة تصل بنا إلى تمام المعنى،وإظهاره،في أبهى صورة،فيجتمع حينئذ دقّةُ المعنى وجمالُ الصورة،لتستقِرَّ في الأذهان لِتُمارِس سِحرَها وتأثيرَها الكبيرين .

ثانِياً- التَّكثيفُ الصوري للمُقتبَسات وأثرُه في المَتلَقي .

يقود الاقتباسُ – أحيانا – إلى استدعاءِ حشد صُوري،فيغدو النصّ مُوحِيا،ومُعبّرا عن نفسه،وذا صِبغةٍ أدبية،تجري بتدفق مِمّا يثير دهشة المتلقي،وتَدعه يسترسِل،ويستَسلِم للاستماع،أو القراءة،وليس من الغريبِ أن نجد مثل هذه الخِصِّيصة في نصوص النهج،ويصبح ذا طابعٍ اختزالي تكثيفي مُؤثر.

يأتي الحشدُ التصويري للمقتبسات أحيانا في مجموعة جملٍ مُتجاورةٍ؛أو مُتفَرقةٍ،وأحيانا أخرى تجتمع في جملةٍ واحِدَةٍ .

فمن النوع الأول قوله(ع):((الأقاويلُ محفوظةٌ،والسرائِرُ مبلوة،وكلُّ نفسٍ بما كسَبَت رَهِينة والناس مَنقوصون مَدخولون إلّا مَن عَصِم الله ..))[١].

ازدحم النصّ بأصداء وظلال لمقتبسات متجاورة،ارتبطت بوشاح معنوي،وعظي متناسق يُوحِّدها،وتلك المرجعيات الاقتباسية هي قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)[٢]، وقوله تعالى:(يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ)[٣]،وقوله تعالى:(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) [٤]

استطاع(ع)أن يشير بمعنى الآيات الأولى إلى معنى محوري في نصه،وبالثانية انتقل من المبني للمعلوم إلى اسم المفعول" مبلوة " وهو مجازٌ مُرسَل باعتبار ما سيكون،وصيغة (مَبلوّة) المفعولية تدل على خضوعها لعلمِ الله الذي مثل الفاعلية المقدرة .

---

(3) ينظر: نهج البلاغة ،خ(٨٩)، ج١/١٨٢ – ١٨٣ .

(4) ينظر: المصدر السابق ،خ(٣٢)، ج١/٧٦ – ٧٧ .

(5) ينظر: المصدر السابق ،خ(٦٩)، ج١/١١٧ .

(6) ينظر: المصدر السابق ، ق(٣١)، ج٣/١٥٨ – ١٥٩ .

(1) نهج البلاغة، ق(٣٤٣)،ج٣/٢٣٤ .

(2) ق/١٦.

(3) الطارق/٩ .

(4) المدثر/٣٨.

ويرى التستري في شرحه أن قوله(ع):(والناس مَنقوصون مَدخولون ...) يحمل بين طياته معنى قوله تعالى:(قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ)[٥].

جمع الإمام المقتبسات في مقطع تأخذ جُمَلُهُ بعضها بيد بعض لتوصل المتلقي إلى تحذيرٍ هادى وان كان بصيغة اعتمدت أسلوب الخبر،وعلى الرغم من هذا الحضور الحاشد للصور في النص إلاّ إنّها لم تصل إلى حدِّ التكلُّف،أو المَلل،لأنّها صُوَر حَيَّة، نابضة،ولها القدرة على دفع المتلقي إلى ساحة الفهم والإمتاع .

ومن النوع الثاني قوله(ع):((فكَيفَ إذا كانَ بينَ طابقين مِن نارِ ضَجيجَ حَجَرٍ وقَرينَ شَيطان))[٦]

وهي صورةٌ مُركَّبةٌ من قوله تعالى: (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)[١]، قوله تعالى: (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)[٢]،آيتان اجتمعتا،وأسهمتا في رسم هذه الصورة الموحدة .

والباعث في كلا النوعين في التكثيف الصوري واستحضار مثل هذا الحشد هو إدراك الإمام(ع)إنَّ سياق المقام،والمقال بحاجة إلى ذلك كله،ويكثر هذا الأمر في الخطب والكتب التي تأتي للنصح،والوعظِ والتذكير،والزجرِ والتهديدِ[٣] ، وتتوصل بهذا الحشدِ الاقتباسي إلى وحدةٍ معنويةٍ،ضِمنَ بناءٍ مُوحد فتجعل النصَ متماسكا في مستوى أدبي جميل،وفاعل .

ثالثا : عجبة الأساليب الإنشائِيَّة في المُقتَبسات .

عند التمعن في سطور النهج ، ونصوصه ، يتبين كثرة اعتماد الصيغ الإنشائية فيها كالأمر،والنهي ، والاستفهام ، والترجي،والنداء ، والقسم ، والتعجب " لأنها أقوى من الصيغ الخبرية وفيها تجديد لنشاط السامعين ، واشدّ تنبيهاً ، وأكثر إيقاظاً ، وادعى إلى مطالبتِهم المشاركة في القول وفي الحكم ، وهي في الوقت نفسه أدقّ في تصوير مشاعر الخطيب ، وأفكاره ، لان أفكارَه ، ومشاعرَه المتنوعة في حاجة إلى أساليب متغايرة تفصح عنها "[٤].

ولا يقتصر الكلام على نوعٍ منهما ـ الخبر والإنشاء ـ دون الأخر فالداعي إلى ذلك هو مقتضى المقال ،غير أن تحويل الأخبار إلى إنشاء يكثر في الحكم والمواعظ على وجه الخصوص، كقوله (ع): (خذ الحكمة أنى كانت...)[٥]، وهو من خبر النبي المصطفى(ص واله):((الحكمة ضالّة المؤمن فحيث وجدها فهو أحقّ بها))[٦].

إنَّ وضعَ كلامِ رسولِ الله(ص واله)الإخباري موضع الإنشاء يُفيد إظهار العناية بأخذ الحكمةِ،والاهتمام بها[٧].

---

[5] ص/٢٤ . ينظر: نهج الصباغة، التستري، ج٨ /٢١١ – ٢٢٢ .

[6] نهج البلاغة خ(١٨٧)ج١٣٥/٢ .

[1] البقرة/٢٤ .

[2] الزخرف/٣٦ .

[3] ينظر: نهج البلاغة ك(٦٩)ج٣ /١٤٣ حيث اقتبس من: الأحزاب/٧١،النساء/٦٩ ،النور/٥٢ ، النساء/١٣ و خ،(١٢٦)،ج١٧/٢،حيث اقتبس من البقرة/٢٤،الصف/٣.٢ وخ(١٧٣)،ج١١٨/٢ حيث اقتبس من الأنعام/٥٩،إبراهيم/٤٣،وك(٢٧)ج٣٢/٣، حيث اقتبس من:القمر/٥٣ ، الزلزلة/٦،غافر/١٩،الإسراء/٣٦ .

(٢) [4] بلاغه الإمام علي (ع) ص :

[5] نهج البلاغة،ق(٧٩) ، ج٣١٧/٣ .

[6] ينظر سنن الترمذي ، ج١٥٥/٤ ، الجامع الصغير، ج٣٠٢/٢ ، ينابيع المودة ، ج٤١٤/٢ .

[7] يفيد وضع الإنشاء في موضع الخبر إظهار العناية بالشيء ، والاهتمام به،
ينظر: جمالية الخبر والإنشاء ، د . حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق ، ٢٠٠٥، ص: ٤١ .

والأسلوب الإنشائي هذا يمنح الكلامَ ـ فوق الدلالة ـ قيمةً جماليةً،مِن جِهَة خَلق وشيجةٍ نفسيةٍ بين النصّ والمتلقي حين يحاول معرفه هذا الأمر الذي بَدأ بفعل الأمر(خذ)،ليكتَشِف أخيرا منزلة الحكمة وموقعها مِمّا استوجَب الحَثَّ على طلَبها والأخذِ بها .

وعند السرد والرواية لحدثٍ ما نجده(ع)يستعين بالأسلوب الخبري فيعمد إلى تحويل الإنشاء المُقتَبَس إلى أسلوبٍ خبريٍ،كقوله(ع)حين ذكر النبي(ص وآله):((حتّى إذا قبضَ اللهُ رسوله رجَع قومٌ على الأعقابِ، وغالتهم السُّبُلُ ، واتّكلوا عَلى الولائِج ، ووَصَلوا غير الرَّحِم وهَجَروا السَبَبَ الّذي أُمِروا بمودَّتِهِ ، ونقلوا البناءَ عَن رَصّ أساسِهِ ، فبنوه فِي غَيرِ مَوضِعِه))[1].

وهو من قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)[2].

وكذلك حين حول الأسلوب الإنشائي – الأمر – في قوله تعالى :(فأصدع بما تُؤمَر)[3]، فقال بأسلوب خبري سردي عن حياة المصطفى : ((فصَدعَ بِما أُمِرَ بِهِ، وبَلّغَ رسالاتِ رَبِّه ، فَلَمَ بِه الصَّدعَ ورَتَق بِهِ الفَتقَ ، وألّفَ بِهِ الشَّملَ بين ذوي الأرحام بعد العداوةِ الواغِرةِ ، والضغائِن القادِحة في القلوب))[4].

ويحمل في أخباره في المقطع الأخير معنى قوله تعالى:(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.)(٥).

ج- المستَوى التَّركِيبي .

إنَّ دراسة خصائِص الجانبِ التَّركيبي ليسَت حِكراً على المعالجةِ البلاغية،فالموضوع – هنا – لا يتعلق بالصِّلَةِ بَينَ الشكل والمضمون على وَجهِ الخصوص،بقدر ما يتَعلَّق بالخَصائِص الفَنية للمُتَغَيِّرات الحاصلة في تركيبِ وبناء بعض المقتَبَسات،وأثر التركيب المُقتَبس في بناء وتركيب النص النهجي المُستَضِيف،وهذا مفهومٌ عام تَتَفرَّع منهُ مَصاديق عِدَّة منها :

أولا- إبدال المفردةِ المقتَبَسة ودورُها في بنيَةِ النَّص .

---

(1) نهج البلاغة،خ(١٤٦)، ج١/٤٨ – ٤٩ .

(2) آل عمران/١٤٤ .

ينظر: شرح ابن أبي الحديد ،ج٩/١٠٧ .

(3) الحجر/٩٤ .

(4) نهج البلاغة،خ(٢٢٦)، ج٢/٢٥٣ .

(5) آل عمران/١٠٣ .

ينظر: نفحات الولاية، ج١/١٨٠ .

تلك خِصّيصةٌ استدعتها ضروراتٌ دلالية،ومُقتَضياتٌ فَنية كَما في قولهِ(ع)حاثّاً على اخذ العلم مِن آل البيت:((وردوهُم ورودِ ألهيم العِطاش))(١)،وهذا من قوله تعالى:(فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ)(٢).

هناك فارق بين القولين ، نتج عن اختلاف مُقتَضى الحال ،فقوله تعالى في محل الذمِّ حين يُشبِّه شرب أهل النار بِشربِ الهيم شَديدة العطش[٢]،من خلال التشبيه البليغ المقدر في(شِربِ الهيم)،أي: كشربِ الهيم ،وهو كنايةٌ عن شِدّة المَوقِف، وقولُه(ع) حثٌّ على أن نَكون ذا حرص ، في أخذِ العِلم، والدِّين من آل بيتِ رسول الله(ص وآله)، كحرص الهيم الظماء على ورود الماء(٣)،وتدافعها عليه،وهو كنايةٌ عن شِدّةِ حاجَةِ الناس لعلومِ آل البيت ،وضرورة التدافع على أبوابهم ،والورود من مَعين علومِهم ، إذ أنَّ سِياقَ كل مِن المقولتَين يَستدعي دَينك الأسلوبين المُرتكزين إلى صورةٍ بَيانيةٍ تشبيهيةٍ واحدَةٍ،ولكن بصيغتين مُختلفَتَين .

وبَدَّل(هادمَ اللّذاتِ)(٤) في الحديثِ النبوي بالموتِ في كتابٍ له كتَبهُ إلى الحارث الهمذاني،حيث قال:((وعَظِّم اسمَ الله أن تذكره إلّا عَلى حَقّ وأكثر ذكرَ المَوت،وما بَعد المَوت،ولا تَتَمَنّ الموتَ إلّا بِشرطٍ وَثِيق))(٥)،وسياق المقام هو الذي فَرضَ العدول مِن صِيغَةِ الجَّمع إلى المُفرَد في قولهِ(ع)،أنَّه موجّه إلى مُفرد،وهو الحارث الهمذاني،في حين كان كلامُهُ(ص وآله)مُوجّها لعموم المسلمين .

وقال((..وتقليب الأزمنة والدهور مِن إقبالِ لَيلٍ مقبلٍ،وإدبارِ نَهارٍ مُدبر))(٦)،وهو من قوله تعالى:(كلّا والقمر،والليل إذا أدبَر والصّبح إذا أسفَر)(٧).

ولعلّ وَجه تخصيصِهِ(ع) الإقبالَ بالليل ، والإدبارَ بالنهار، مَع أنَّ لكلٍّ مِنهما إقبالاً وادباراً ، كون الأمر في الدنيا على خلاف المُراد في الأغلب "[١].

وفي استعارةٍ جَميلةٍ استبدل المفردة القرآنية (يشتري) مِن قولِهِ تعالى:(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ..)[٢]، بالمفردةِ (أعِر)،مُعرباً عَن المعنى عَينِهِ في كلام قالَه لولدِهِ محمد ابن الحنيفة في واقعةٌ صِفّين:((أعِر اللهَ جمجمَتَك))[٣] .

إنها استعارةٌ تدعو إلى التأمل، والمفردة (أعِر)استجلبها(ع)بصورةٍ مُزدوَجَةٍ ،حين نقلها من الخَسارةِ إلى الرِّبح،وهو المعنى الذي تَضمّنته الآيةُ المباركة .

إنها(إعارة)و(بَيع)لمن يملكها أصلا،مِن هنا كانت رمزاً للإعارةِ والتجارةِ الناجحةِ،وتَضَمّن هذا الرمزُ اضاءتين:الحثَّ على الشهادة،والتأكيدَ على الرِّبح العظيم من هذه الإعارة .

استطاع الإمام(ع)أن يشحن كلامَه بهذه الدلالاتِ والإضاءاتِ خلال الإفادة مِن الصور القرآنية التي رُسِمَت بالفن الاستعاري الذي عَبَّر عنه(ع)بمفرداتٍ تحمل المعنى عينَه،والصور نفسَها لاسيّما إذا ما

---

[1] نهج البلاغة،خ(٨٣) ، ج١/١٥٣ .

[2] الواقعة/٥٥ .

[2] الهيم هي الإبِل العِطاش ، أو الّتي لا تروي من الماء لداءٍ يُصيبُ ها.

ينظر: جامع البيان،الطبري،ج٢٧/٢٥٥. وينظر: التبيان في تفسير القران ، الطوسي ، ج٩/٥٠٢.

[3] ينظر: تفسير ابن أبي الحديد،ج٦/٢٩٨ .

[4] ينظر: بحار الأنوار، ج٦/١٣٣،ميزان الحكمة ، ص:٢٩٦٤، منازل الآخرة، ص :٣٩ .

[5] نهج البلاغة ، ك(٦٩)،ج٣/١٤٢ .

[6] نهج البلاغة ، خ(١٥٨)،ج٢/ ٨٢ .

[7] المدثر/٣٢ . ٣٤ .

[1] بهج الصباغة، التستري ، ج١/٢٧٣ .

[2] التوبة/١١١ .

[3] نهج البلاغة ، خ(١٠)،ج١/٣٩ .

تذكرنا مناسبة هذه المفردات لذلك الموقف ـ حَرب صِفِّين ـ فالإعارة تَدلُّ على إمكانيةِ الإرجاع، واللفظة(جُمجُمَتَك)تفصِح عن دمدمة طبول الحرب .

ثانِياً :الثُّنائيةُ المُقتَبسةُ وأثرُها في تَركيبِ النَّصِ النَّهجي .

شَكّلت التركيبةُ الثنائيةُ لبنةً من لبناتِ النصوص عند الإمام(ع) تكون هذه الثنائية في إيراد مُترادِفَين،أو متقابلين فَتُسَمَّى حِينئذٍ بالثنائيةِ (التَقابلية)،وقد اهتَمَّ(ابنُ جني)مِنذ وقتٍ مُبكر على الثنائيات الصوتية،وأثرِها في النَّص[٤].

ويُمكن عَدّ النوع الأول نَوعَاً مِن التَّرادف،باعتبارهِ ألفاظاً دالَّةً على شيءٍ واحدٍ باعتبارٍ واحد[٥]،والنوع الثاني طِباقاً،باعتبار الطِّباق هو إيراد مُفردَتَين مُتقابلَتَين في المَعانِي[٦] .

والأوّل يُعرب عن الفكرة المُتسَلِّطة على الشاعر،أو الناثِر،وهو أحد الأضواء اللاشعورية التي يُسَلِّطها النَّصّ على أعماق الشَّاعِر،أو النَّاثِر فَيُضيئها بحيث نطَّلِع عليها [١]،ولِكِلا النَّوعين مِن الثنائية دور في بنية وموسيقى النص .

١ـ ثنائيةُ المترادِفَين .

قال(ع):((فَاتّقوا تَقيّة مَن سَمِع فَخَشَع ، واقتَرفَ فأعترَف ، وَوَجِلَ فعَمل ، وَحاذَر فَبادَر ، وأيقَنَ فأحسَن ، وعُبِّرَ فأعتَبَر ، وحُذِّرَ فازدَجَر ، وأجابَ فأناب ، وراجَعَ فَتاب ، واقتَدى فاهتَدى ، وأُرِيَ فَرَأى ، فأسرَعَ طالِباً، ونَجا هارِباً ، فأفادَ ذَخِيرةً ، وأطابَ سَريرَةً ، وعَمَّر مَعاداً ، وأستَظهَر زادا ، لِيَومِ رحِيلِهِ ، وَوَجهِ سَبيلِهِ ، وحالَ حاجَتِهِ ، ومَوطن فاقَتِهِ ، وقَدّم أمامَه لدارِ مَقامِهِ))[٢].

تعاضدت الثنائيةُ والسَجَعُ في رصّ جُمَلٍ قصيرةٍ ذات وَقعٍ شَديد،بحروفِها وسياقِها المُتنَوِّع، مُعتَمِدةً قولَه تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى،فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى،وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ،فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)[٣].

ومَثَّل استحضار هذه الثنائيات البناء الأساس في تركيب النصّ الذي يّشف عن توازنٍ موسيقي أشبَه بالقافية ،فيدخل النصّ بانسيابية في نَفس المُتلقي ، ولم تكن حُلَيَةً في السِّياق ، بل من صميم العمل، ومَجيئُها يُوحِي بالنَّصح ، والإرشادِ ، والذي قام على إسنادٍ من الجناس عِبر المفردات: (حاذَرَ، بادَرَ ، أجابَ ، أنابَ) ، واضاف إضاءةً اسلوبيةً تتمثل بتوكيدِ الخبر ، وتَركيزِهِ في ذهن السَّامع،ونقلُ الخبر بهذا الأسلوب فيه تعظيمٌ لله،تَحقّق بالتماثل الصرفي،والصوتي بينَ المفردات.

ومن النوع الثاني قولـه(ع)واصفاً المنافق:((إن أصابَهُ بَلاءٌ دعا مُضطرا،وان نالهُ رخاءٌ أعرَضَ مُغتَرا))[٤].

---

(4) ينظر: الخصائص،ج١٥٧/٢ – ١٥٨ .

(5) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد جاد المولى وآخرون، دار الجيل ودار الفكر، بيروت ، لبنان ، (د.ت)،ج٤٠٢/١ .

وينظر: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى،ص:٢١٥.

(6) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، (طباق) .

(1) ينظر:قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة،مكتبة النهضة، بغداد،١٩٦٥، ص: ٢٤٣ .

(2) نهج البلاغة،خ(٨٠)،ج١٣٤/١ .

(3) الليل/٥ – ١٠ . وكذلك قوله تعالى: (**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**) البقرة/٤٤ .

وقوله تعالى: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) . الذريات/٥٦

وقوله تعالى:(**وتزودوا فأن خير الزاد التقوى**) . البقرة/١٩٧ .

ينظر:شرح ابن أبي الحديد ،ج١١١/٩ .

جُملتان مُتوازنَتان،قامَتا على طباقٍ، يضعهُما في موازَنَةٍ عقليةٍ بَصَريةٍ،فيرسما صورةً،جَلِيّةً لِلّذى... إن أصابهُ بلاءٌ دعا مُضطرا ، وان نالهُ رخاءٌ اعرَضَ مُغتَراً .

والمفردة(مُضطرّا)تكاد ترسم لنا هذا الاضطرار من خلال الوَقف على حرفِ الضّاد،وهذه الطباقات قادت إلى تناغمٍ وائتلافٍ وتوازن،ورسمت صورة أزليَّةً لهذا الصِنف مِنَ الناس .

٢-ثِنائِيَّةٌ تَقابليةٌ تَضَّاديةٌ .

وقد تقوم الثنائيةُ على الضِدّية ، وما ينتج عنها من تَبيان صوتي يُرافق ذلك التغاير المعنوي ، بجانب ما ينضوي بين طرفيها من شمولية لمستويات عدة .

ومن ذلك قوله(ع)في كتاب له إلى عبد الله بن العباس:((أما بعد فأنَّ المَرءَ قد يَسُرُّهُ دَركِ ما لَم يَكُن ليَفوتَه،ويَسوءُهُ فَوت ما لَم يكُن لِيُدركَهُ،فليكُن سُرورُكَ بِما نِلتَ من آخِرتِك،وليَكُن أسَفُكَ على ما فاتَكَ مِنها،وما نِلتِ مِن دُنياكَ فَلا تُكثِر بِهِ فَرَحاً،وما فاتَكَ مِنها فَلا تَأسَ عَليهِ جَزعاً،وليَكُن هَمُّكَ فِيما بَعد المَوت))[1].

طغت الثنائيةُ التقابليةُ على النص فنجد(يَسرهُ ، يَسوءُهُ)، (دَرك ،فَوت)،(سرورك ،أسفَكَ) (نِلت ، فاتَك) ، (آخِرتَك ، دنياك) ، (فَرحاً ، جَزعا) وكأنَّها تدور حول ما اقتبسهُ من قولهِ تعالى:(لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)[2].

كيلا تأسوا على ما فات ولا تفرَحوا بِما هُو آتٍ نتيجة ذلك كله في الآية ، وجعل الإمام(ع)هذا المعنى مُحوَراً في كتابهِ إلى واليه ، هو تقابلٌ بين مَشهَدين ومَعنيَين رافَقَهُ تقابلٌ في معانٍ مُرادِفةٍ ، وسانِدَةٍ ، اطَّردت في النص لتكتمل بها الصورة ، لانّ التقابلَ " طريقةٌ من طرق التَّصوير "[3].

وقد يَتَداخل هذان النوعان مِن هذه الثنائيةِ في مساحةٍ واحدة كقوله (ع) : (فَتَبارَكَ الَّذي يَسجد لهُ مَن في السماوات والأرض طَوعاً وكَرهاً ، ويَعنُو لهُ خَدّا وَوَجهاً ، ويُلقي بالطَّاعةِ إليه سِلماً وضَعفاً ، ويُعطِي لهُ القيادَ رَهبةً وخَوفا)[4]،ولهذه الثنائية اكثر من موقع في النص القرآني[5] والمفردتان الأخريان مَثَّلتا طِباقاً واضِحاً فجاءَ الإمامُ (ع) بمفردَتَين مُتقابِلتَين هُما: (طَوعا وكَرهاً) .

وحين كان الكلامُ يَتعلَّق بالإيمان والسجود ذكر (ع) ـ كما في الآية ـ حرية الاختيار(طَوعا) ،وقدرة الإجبار(كَرهاً) ، وفي مَعرض حديثِهِ عن قدرة الله،وجَبَروتِه استوجَبَ ذكر الرهبةِ والخَوف وكلها اجتمَعت لتُحيِك بناء النَّصّ ، بمفرداتٍ إيحائيَّةٍ على الرغم مِن وجودِ الغَريبِ فيها ، فأتى هذا الإيحاء عن ترابط الكلام بعضه ببعض،ونزوعه مَنزَعاً مجازياً في قوله(ع):(ويُعطِي لهُ القيادَ رَهبةً وخَوفا)وتعدد احتمالية المعاني،وهذا من شَأنهِ اثارة المُتعةِ في نَفس المُتلقّي

وهذه الثنائيات لإيُراد بها زمنٌ دون غيرهِ ، بل تنفتح على كلِّ زمانٍ ومكان ، فالسجود لله، وطاعة المخلوقات له ، لا تقف عند زمانٍ دون آخر، وللطباق فيها يحمل بين طيَّاته مُوسيقى داخلية كامنة في نسيج المفردات وتراكيبه،وجمله

---

(4) نهج البلاغة،ق(١٥٠)ج٣/١٨٩ .

(1) نهج البلاغة، ك(٢٢)،ج٣/٢٣ – ٢٤ .

(2) الحديد/٢١ – ٢٣ .

وينظر: شرح ابن أبي الحديد،ج١٥/١١٠ .

(3) ينظر: التصوير الفني في القران الكريم ، سيد قطب ، منشورات دار الأضواء ، قم ، ص : ٧٥ .

(4) نهج البلاغة،خ(١٨٠)،ج٢/١٤١-١٤٢.

(5) (**وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**). ألأعراف/٥٦

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ). الرعد/١٢

(**وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**) . الروم/٢٤

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) . السجدة/١٦

وتكرَّرت مثلُ هذه الثنائيات في مواضعَ أخرى من النهج،حيث تُمَثِّل جَدلِيَّة أزلِيَّة في الصِّراع بَين الحقِّ والباطِل،والحَياةِ والمَوت،والشَرِّ والخَير[1] .

ثالِثاً : الإفادةُ مِنَ الصِّيغَةِالبِنائِيَّةِ للمُقتَبَس في النَّص النَّهجي .

يَطِلّ المُقتبسُ في بعض الأحيان ببنائهِ،وتركيبهِ في خطب الإمام(ع) ، وكتبه ، ومواعظه ، وبهذا يشَحن لُغتَه بهذه التراكيب ، فتصبحُ لُغةٌ مُمَيَّزةً تزيد من التواصل بين نصوصِهِ ، والمُتلقّي لها .

من ذلك ما اقتبَسه من الحديثِ الشريفِ:((استَوصُوا بالنِّساءِ خَيراً))[2]، فقال(ع):((استوصي بالتجارِ خَيراً))[3].وفي قولِه(ع):((أما إنَّكُم ستَلقونَ بَعدي ذلًا شامِلا))[4]،وهو من قول المصطفى(ص وآله):((سَتلقون بَعدي اثرَةً))[5].

وفي قوله(ع):((فإنّما هَلَكَ مَن كان قبلكم إنَّهم منَعوا الناسَ الحقَّ فاشتروه،واخذوهم بالباطلِ فاقتدوه))[6]،صدىً لتركيبِ الحديثِ الشريفِ:((إنّما هلك الذين قبلكم كانوا اذا سَرقَ فيهم الشريفُ تَركوه وإذا سَرقَ فيهم الضعيفُ أقاموا عليهِ الحَد))[7].

وقال(ع)في مالك الاشتر:((مالِك وما مالِك))[8]،وهو قولٌ يعود بنا إلى قولهِ تعالى:(الحاقَّةُ ما الحاقَّة)[9].

وأفاد (ع) من الصيغة(ما الحاقَّة) في قول:(ماماالِك)للتعظيم ، قال التستري في شرحهِ:" والظاهر أنَّ " مالِك " مُبتدأ ، وجملةُ " ما مالِك " خبرٌ لبيانِ عَظيمِ الأمرِ مثل قولهِ تعالى:(الحاقَّةُ،ما الحاقَّة..)[1].

انَّه ارتكازٌ إلى العنصر البنائي القرآني،والذي ظهر أيضا في قوله(ع):((يَتَنَزّل الصبرُ على قَدر المصيبةِ))[2]، إذ ارتكز على بناءِ الحديثِ النبويِّ الشَّريفِ : ((أنَّ اللّه يُنزل المعونة على قَدر المَؤونةِ))[3].

وقد يعتمد الصياغة المُقتبسة بأكملِها دون زيادةٍ أو نقصان كقوله(ع):((ما عالَ مَن اقتَصَد))[4]،أو في قوله:((أحبب حَبيبَك هَوناً ما ...))[5]،أو كما في قوله(ع):((تتنزّل المعونةُ على قَدَرِ المَؤونةِ))[6].

---

(1) المصدر السابق ينظر:خ(١٣٧)،ح١/٣٣،ك(٦٦)،ج٣/١٣٩،ق(١٧)،ج٣ /١٥٥،خ(٥٠) ح١/٩٦،خ(١١٠)،ح١/٢٢٣ خ(١٠٩)،ح١/٢٢٠،ق(٤٢٢)ح٣/٢٥٤ .

(2) وَردَ الحديثُ النبوي الشريف بِصيغٍ عديدة لا تبتَعِد كَثيراً عن هذه الصِّيغة .

ينظر: صحيح البخاري،ج٦/١٤٥، صحيح مسلم،ج٤/١٧٨، سنن ابن ماجة،ج١/٥٩٤، سنن الترمذي ،ج٢/٣١٥ .

(3) نهج البلاغة،ك(٥٣)،ج٣/١١٠ .

(4) نهج البلاغة،خ(٥٧)،ج١/١٠٣ .

(5) سنن النسائي،احمد بن شعيب النسائي ت(٣٠٣)هـ ، دار الفكر، بيروت،١٩٣٠م ،ج٨/٢٢٥ .

صحيح البخاري،ج٨/٨٧ ،

(6) نهج البلاغة،ك(٧٩)،ج٣/١٥١ .

(7) سنن الدار مي،ج٢/١٧٣، صحيح البخاري،ج٤/١٥١، صحيح مسلم ج٥/١١٤، سنن الترمذي،ج٢/٤٤٢ .

(8) نهج البلاغة، ق(٤٤٣)ج٣/٢٥٨ .

(9) الحاقة/١ – ٢ .

(1) بهج الصباغة، التستري ، ج٧/٦١٥ .

(2) نهج البلاغة، ق (١٤٤) ،ج٣/١٨٥ .

(3) الجامع الصغير، السيوطي ،ج١/ ٢٩٧، كنز العمال ، المتقي الهندي ، ج٦/٣٤٧ .

(4) نهج البلاغة ، ق(١٤٠)،ج٣/١٨٥ . ينظر :الباب الاول ، الفصل الاول ، ص : ٦٩.

(5) نهج البلاغة ، ق(٢٦٨)،ج٣/٢١٧ . ينظر :الباب الاول ، الفصل الاول ، ص : ٦٩.

(6) المصدر السابق ، ق(١٣٩)،ج٣/١٨٥ .

ألبَابُ الثَّانِي
التَضمِينُ فِي نَهجِ البَلاغَة

الفَصلُ الأوّل:أنـــواعُهُ .
الفَصلُ الثَّانِي:وَظِيــفَتُهُ .
الفَصلُ الثَّالِث:خَصَائِصُهُ .

الفَصلُ الأوَّل
أنواع التَضمِين.

ألمبَحَثُ الأوَّل:تَضمِينُ الشِعرالعـَرَبِي .
ألمبحثُ الثَـانِي:تَضمِينُ المَثَل العَرَبِـ ي .

مَدخَل : النصّ " ليس ذاتاً مُستقلة،أو مادّة موحّدة،ولكنه سلسلةٌ من العلاقاتِ مع نصوص أخر،ونظامه اللغوي مع قواعده ومعجمه جميعها تَسحب إليه كمّاً من الآثار،والمقتَطفات من التاريخ،ولهذا فأنّ النصَّ يشبه في معطاه جيش خلاص ثقافي بمجموعات لا تُحصى من الأفكار والمُعتقدات،والارجاعات "[1]،والعمل الأدبي كلمّا كان اكثر انفِتاحا،وتَداخلا مع غيرهِ من النصوص اصبح اكثر مُحاكاة وتأثيراً في الآخرين،واصبح اكثر قدرة على توليد معانٍ جديدة مُتعدّدة،مِمّا يساعد على خَلق جوٍّ إبداعي له القدرة على فَرض هيمنتهِ وتأثيرهِ في الآخرين على مَرّ العصور، وهذا مالا يتوافر إلّا في نصوص مُتَعالية كالنصّ النهجي، والذي هو كغيره من النصوص التي تَنفتِح على نصوصٍ سابقةٍ لها أثرُها في مَرجعيّة الإمام الثقافية والمُتَشعِّبة على لسانهِ،وهو الذي عُرف بكثرة حفظه،وسعة ذاكرته[2].

والكاتب حين يكتب،والخطيب حين يخطب،إنَّما يرتكز إلى خزين ثّقافي مُتنوّع تكون من خلاله حفظهُ، وتأثرهُ بنصوصٍ مُتعاقبَةٍ على ذهنِه[3]، وهو أساس انبثاق تجربته الإبداعية،إذ لا يأتي النصّ من فَراغ، فالنصوص عند المُحدَثِين "في حالة صيرورةِ عَمل،لا يكفّ عن التفاعل وعن تعهد مَدارج الإنتاج"[4] ضمن عمليةِ التداخل بين تلك النصوص[5]،ثم أنّ للنصِّ ارتباطاً لغوياً بالمحيط الذي يعيش معه[6]،وقد مَهّد الإمام (ع)لهذا المنطلق حين ربط كثيرا من نصوصه بالموروث اللغوي والثقافي العربي القديم من شِعرٍ[7] ومَثَل.

---

(1) الخطيئة والتكفير،ص:٣٢١ .

(2) قال صاحبُ العمدة في حفظِه للشعر:((حَفظ كَثيراً من أشعارِالعرب،وأمثالِ هم وحِكَمِهم،لقد عُرفَ عنه انّكان يُ فاضِل بين الشعراءِ،وقدّم امرأ القيس..)).

العمدة في محاسن الشعر،ونقده،ج١/١١١ .

وقال ابن عباس(رض)حَبر الأمة،والمشهور بكَثرَةِ حِفظِه للشعر حين قال له أحدُهُ م لّما رأى حفظَه للشعر:((ما رأيتُ أذكى منكَ قط "، فقال:لكنّني ما رأيتُ أذكى من عليٍ بن أبي طالب)) .

الأغاني:أبو الفرج الأصفهاني ت(٣٥٦هـ)،تحقيق:سمير جابر،دار الفكر،بيروت،ط٢،(د. ت)،ج١/٨١ .

(3) ينظر:الخطيئة والتكفير،ص:٣٢٣ .

ويرى(أدونيس)،أنّ الشعراء يَقلّون قيمةً بقدرِ ابتعادهِم عن التراثِ والموروثِ الأدبي فهما بمثابةِ نقطةٍ ثابتةٍ يدور حولها الشعراءُ . ينظر: الثابت والمتحول ، أدونيس ، ص:٣٧ .

(4) تداخل النصوص في الرواية العربية، عبد الرحمن حماد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٧ ، ص:٢٦ .

(5) وهذا المفهوم بَدأ حديثا مع الشكليين انطلاقا من (شلوفسكي)الذي فتق الفكرة،فأخذها عنه " باختين " الذي حَوَّلها إلى نظرية حقيقية تعتمد على التَّداخلِ القائم بين النصوص .

ينظر : الخطيئة والتكفير، ص:٣٢١-٣٢٢ .

ما فَتِئت العلاقةُ قائمةً بين المُبدِع،وتراثِهِ القديم من شِعر،أو نَثر،والتي تعود به إلى" الإرثِ النَصِّي"[1]أو السمعي المخزون في ذاكرتهِ الضاغط على المُنتِج بقَصدٍ،أو بغير قصد .

ومُبدعو النصوص ليسوا سوى نتاج ثقافي لسياقات الموروث الأدبي،انَّهم يكتبون عن فَيض هذا المخزون الثقافي في ذاكرتهم كأفراد،وفي ذاكرة اللّاوعي الجَمعي لمجتمعاتهم.

ولمّا كان الإمام(ع)مُدركا لقيمةِ الأثر الكبير للإشارات المباشرة،أو غير المباشرة للشِّعر والمَثل والحِكمة ،استحضرها في نصوصهِ بصور شَتّى،تَبعاً لِمُقتضياتِ المَقال،أو الحال باعتبارها إشاراتٍ كافِيَة لاستثارةِ ذاكرة المتلقي،واستصحاب الدلالة المصاحبة لها فور سَماعها،أو قراءتِها،لا سِيّما وقد تَميّز بالفِطرة السليمة، والذوق الرَّفيع،والبَلاغة الآسرة،ثم بذخيرةٍ من العِلم انفرد بها عن أقرانهِ[2] .

المَبحَثُ الأوَّل : التَضمِينُ الشِّعري.

كان الشعرُ، وسيظلّ مَنهلاً فيّاضاً للأدباءِ،والعلماء،فهو زادٌ لا ينفد،ومعينٌ لا ينضب،ورافدٌ للمعاني التي أودعَها الشعراءُ قصائِدَهم وعالجوا فيها كثيراً من فنون الحياة،وأصنافاً من الحِكمَةِ .

---

[6] ينظر:علم لغة النص،المفاهيم والاتجاهات،سعيد حسن بحيري،الشركة المصرية العالمية للنشر،القاهرة،١٩٩٧،ص:٣ .

[7] وردت بعض الأشعار على سبيل الاستشهاد وسبقها قوله(ع):((**كما قال أخو هوازن ، أو كما قال أخو بني سليم ،أو كما قال القائل**))،وهذه الأبيات كما هو ظاهر لا تدخل في باب.
ينظر:نهج البلاغة:خ(٣٤)،ج١/٨٢، ك(٤٥)،ج٣/٦٩، ك(٣٦)،ج٣/٦٩ .

[1] لانّ ثقافة المُبدع سلسلةٌ من النصوص تُهذّب نصوصاً أخرى،ومن الرسوباتِ الموسوعية التي تنصهر ببطء،الواحدة في الأخرى، فتترك القديمة آثارَها في الجديدةِ.
ينظر:السيمائية وفلسفة اللغة،امبرتو ايكو،ترجمة:د.احمد الصمعي،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،٢٠٠٥م، ص:٣٩٢-٣٩٣.

[2] ينظر: من روائع نهج البلاغة ، ص:٣٢.

عمليةُ التضمين الشعري،إنّما هي" ظاهرة الائتِناس الشّعري"[1]،والتي تخلق رغبةً عند المُتلقي للاستزادةِ من قراءتِهِ .

إنّ التباينَ الكبير بين القيم،والمفاهيم الجاهلية،والإسلامية لم يمنع من وجود قواسِم،ومساحاتٍ مشتركة بينها والتي تمثّلت في مَنظومةٍ من مكارم الأخلاق بُعِثَ النَبيُّ(ص واله) ليُتَمّمَها[2].

والشعرُ ديوانُ العَرب،فأذا خفي شيء من القرآن الكريم،رجع بعضُ المفسرين إليه،ليلتمسوا،تلك المعاني[3]،حتَّى أنّ ابنَ عباس(رض)أقام تفسيرَه- الذي عُرِف فيما بعد بـ(سؤالات ابن نافع)[4]-على الشعر الذي ذاعَ،واشتهر بينَ الناس،فأستعانَ بهِ كشاهدٍ على معانيهِ،ويَبقى " الشعرُ قوةً ثانيةً للغةِ وطاقةَ سِحرٍ وافتتان "[5].

ولعلّ الانفتاح الرَّحِب لنصوص الإمام (ع) على الموروث الشعري العَربي ، وتداخلها مَعَه ، مَهّد لرفد الدلالة وتعزيزاً لها ، حين أدركَ ما للشعرِ من أثَرٍ في نفس المتلقي آنذاك ، وحتى يومنا هذا[6]، وأماطَ اللثام عن مهارته (ع) في التعامل معه ، ووفرة اطلاعه عليه.

وتمثّل تضمينَه(ع) للشعر في أنواع عديدة،هي: التَضمن الشعري المباشر، والتَضمين الشعري غير المباشر.

أوَّلاً :التَّضمِينُ الشِّعري المباشر .

إنّ التراثَ الشعري مُستودعٌ ثقافيٌّ،ضخم لا يتوانى الإمام(ع)من الرجوع إليه،فتارةً يأتي به شَطراً،وأخرى بَيتاً كامِلًا،تبعا لمقتضيات وضرورات تَستدعي ذلك،لا سِيّما وانّ بعضَ الأبياتِ أو شطراً منها حقّقت ذيوعاً لدى المُتلقي لصياغَتِها على طريقةِ الأمثال،مِمّا ساعد إدخالها في دائرة التعالقات النَّصية لضرورتها .

أ-تضمِينُ الشَّطر في النَّص النَّهجي *.

ويتجلّى باستحضار الشطر أو بعضهِ،وهو مع ذلك تضمينٌ حرفي دونَما تغييرٍ في بُنيَتهِ أو تركيبهِ، كقوله(ع)في كتابٍ بعثه جَواباً إلى معاوية:((.. وزعمت أنّي لكلِّ الخلفاء حَسَدت،وعلى كلّهم بَغَيت،فأن يَكُن ذلك كَذلِكَ فليسَ الجنايةُ عليك فيكون العِذرُ إليك:وَتِلك شِكاةٌ ظاهِر عَنكَ عارُها ..))[1].

استشهد الإمام(ع)بشطرٍ من بيتٍ في قصيدة لأبى ذُؤَيب الهُذلي،والبيتُ الذي ورد فيه هو:

---

(1) كمايُسمّيها الدكتور إبراهيم ريكان .

ينظر:نقد الشعر في المنظور النفسي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،١٩٨٩م ، ص :٥٢-٥٣.

(2) لقوله(ص وآله):((**إنّما بُعِثت لاتمّم مَكارِم الأخلاقِ**)) .كما انه(ص وآله)استمع إلى شعر كعب بن زهير في المسجد النبوي

ينظر: العمدة ، ص :٩٢ .

(3) ينظر: الإتقان في تفسير القرآن ، السيوطي،ج١/١٩٩ .

(4) سؤلات نافع بن الأزرق ت(٦٥)هـ ،إلى عبد الله بن عباس ت(٦٨)هـ ، تحقيق د.إبراهيم السامرائي،مطبعة المعارف،بغداد،١٩٦٨ م.

(5) اللغة العليا،جون كوهن،ترجمة:أحمد درويش،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،١٩٩٥،ص:٩٠ .

(6) قال(ابن الأثير):((مَن احَبّ أن يكون كاتباً ،أو كان عنده طبعٌ مُجيب فعليه بِحفظِ الدَّواوين ذوات العدد،ولا يقنع بالقليلِ من ذلك...)) . المثل السائر،ج١/١٦٩. وقال(أبو هلال العسكري) : ((ومَن لَم يكن راوية لاشعارِ العرب تبّين النقصُفي صناعتِهِ)). الصناعتين ، ص:١٣٨ .

* وسَمّاه البعضُ(**التضمينَ الجزئي**).

ينظر:البلاغة والأسلوبية، يوسف أبو العدوس،المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع،عمان،ط١٩٩٩،١ ،ص:١٥١ .

(1) نهج البلاغة:ك (٢٨) ج٣/٣٧ .

وَعيّرَها الواشون انّى أُحِبُّها وَتِلكَ شكاةٌ ظاهِرٌ عَنكَ عارُها [٢]

وأصبح هذا البيت فيما بعد مَثَلاً ،حتَّى أنَّ عبدَ الله بن الزبير لمَّا عيَّرهُ رجلٌ بأمِّهِ – وهي أسماء بنت ابي بكر المعروفة بذاتِ النطاقين – قال له عبد الله:" وتلك شِكاةٌ ظاهر عَنكَ عارُها،وأراد أنّ تَعييرَهُ إيّاه بأن أمّه كانت ذاتَ النِّطاقين ليسَ بعارٍ يلزق به،وانّه يَفتَخِر بذلك "[٣].

وأراد الإمامُ(ع)باستشهاده بشطرِ البيت أنَّ هذا الذي ذكره معاويةُ ليس مِمّا وقع على معاوية،أو يخصه فيكون العذر له،فهذا ليس بعارٍ يلحق الإمامَ(ع)مع انَّه لم يفعله،فيَتوَضَّح معنى الشطر عند من يَحفظ سياق الشعر الذي ورد فيه،ويبدو أنَّ البيتَ قد شاعَ بين الناس إلى الحَدّ الذي أنَّ شطرَه يَدلُّ عليه، أهمّية التضمين فيُفرِغ دلالتَه العامَّة في النَّص.

وتَمثَّل أيضاً بشطرٍ آخر هو: (**وَقد يَستفِيدُ الظَّنَّةُ المُتَّصَحُ**) في الكتابِ عينِه حين قال: ((...ما كِنتُ لاعتّذر مِن أنِّي كنتُ أنقِمُ عليهِ أحداثاً ، فأن كانَ الذَّنبُ إليهِ إرشادي وهِدايتي لهُ ، فَرُبَّ مَلُومٍ لا ذَنبَ لهُ: وقد يَستَفيدُ الظَّنَّةُ المُتَنَصِّحُ))[١].

وقال صاحبُ(جمهرة الأمثال):الظَّنَّةُ:التُّهمة،والمُتَنَصِّح:المُبالِغ في النَّصح،والشعر لأكثم بن صيفي،ومعناه أنَّك إذا بالغتَ في النَّصح لصاحبك ظَنّ انَّكَ تُريد حَظًّا لنفسِكَ،وانَّكَ إذا بالغتَ في النَّصيحَةِ فتأهَّب للتهمةِ،وانشدنا أبو احمد عن الصولي عن ابي ذكوان قال أنشدني عمارة بن عقيل :

ألم تعلموا أنّى وإن قَلَّ شِكركُم لأعراضِكُم واقٍ أحُوطُ وامدَحُ
وكَم سِقتُ في آثاركِم مِن نَصيحَةٍ وقد يَستفيدُ الظِنَّةُ المُتَصِّحُ[٢]

والإمام(ع)اكثر في نصحه للخليفةِ عثمان بن عفان حتّى انَّه قال في موضعٍ أخر من الكتاب: ((فايّنا كان أعدى له ، وأهدى إلى مَقاتِلِهِ ، أمَّن بذلَ له نُصرتَه،فأستَنفَدهُ،واستَكَفَّهُ ، أمَّن استَنصَرَهُ فتَراخى عَنهُ وبَثّ المَنونَ إليه...))[٣]،ويقصد بذلك معاوية الذي تقاعس عن نِصرة الخليفة،في حين انَّه(ع) أرسلَ ولَدَيه لحِمايَتِهِ.

---

[2] ومطلع القصيدة هو:

هَل الدَهرُ إلّا ليلةٌ ونَهارُها وإلّا طلوع الشَمسِ ثُم غيارها .

ديوان الهذيلين،القسم الأول،القاهرة،مطبعة دار الكتب المصرية،١٢٦٤ هـ ،١٩٤٥،ص:٢١ .

وقد نَسبه كثيٌر من شراح النهج إلى أبى ذُؤيب الهذيلي .

ينظر مثلا:منهاج البَراعة، الراوندي، ج٩٩/١٩. ومِنهاج البَراعة،الخوئي،ح٧٩/٣.وأعلام نهج البلاغة،ج٢٤٢/١.

[3] لسان العرب،مادة(شكا)،ج٤٤٠/١٤– ٤٤١ .

ثمارُ القلوبِ في المُضافِ والمَنسوب ، أبو منصورعبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف ، القاهرة ، ٩٦٥ م ، ج٢٩٤/١ .

[1] نهج البلاغة،ك(٢٨)ج٣٩/٣ .

[2] جمهرة الأمثال،أبو هلال العسكري،ت(٣٩٥)هـ،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش،دار الفكر،بيروت،ط١٩٨٨،٢م،ج١٦١/١.

ونسبه البحراني في شرحه إلى أكثم بن صيفي أيضا.

ينظر:شرح ابن ميثم البحراني،ج٣٥٥/٢.

وذكر بعض الشراح صدر البيت ، ولم ينسبوه إلى قائل.

ينظر مثلا:أعلام نهج البلاغة،ج٢٤٣/١. ومنهاج البراعة،الخوئي،ج١٠٠/١٩.

واعتبره أحُدهم مثلًا ،ولم يذكر صدَر البيت معه.

ينظر:شرح نهج البلاغة،الموسوي،ج٢٣٩/٤.

[3] نهج البلاغة،ك(٢٨)ج٣٨/٣ .

لـم يبخـل بالنصـيحة،والوعظ حتّـى لـو أُسِـيءَ بـهِ الظـنُّ،ولا يهمـه ذلـك كلـه مـادام انَّـه أراد الإرشـاد، والهداية،لاسيّما أيام الفتنة ونتيجة لإسرافهِ في النَّصح انّهمَ فتمثلَ بهذا الشطر من البيت الذي يحمل دلالةً وان كانت لا تَتَمَظهر بصورةٍ بيانيَّةٍ إلّا أنّها تَضَع المتلقي أمام مِصداقٍ مِن مَصاديق تَصَوَّرٍ عام بعموم دلالة المُتَنَصِّح .

وفي المثالين السابقين اقتصرَ التضمينُ على الشطر الثاني للبيتين للإشارة إلى معنى يفهمه المتلقي بمجردِ سَماعِهِ،وهذا ما يُؤَكِّد إشارية لُغةِ الشَّعر[٤].

وفي مواضع أخر من النص النهجي استحضر(ع)الشطرَ الأول من البيتِ الذي ورد فيه[٥]

ب- تَضمين البَيت الشَّعري في النّصِّ النَّهجي.

وهو النوعُ الغالِب في عمليةِ التَّضمين الشعري إذا ما قورنَ بالتَّضمين الشطري[١]،وسُمِّيَ بالتضمين الكلي[٢].

من ذلك قوله في الخطبة(الشَقشَقيَّة):((... فرأيتُ أنّ الصَّبرَ على هاتا أحجَى،فصَبَرتُ وفي العَين قَذًى،وفِي الحَلق شَجاً،أرى تُراثي نَهباً حَتَّى مَضى الأوَّلَ لسبيلِهِ،فأدلى بها إلى فُلانٍ بَعدَه(ثُمَّ تَمثَّلَ بقول الأعشى)*:

شَتّان ما يَومِي عَلى كُورها ويَومُ حَيَّان أخِي جابِرِ))[٣]

ونسبَ بعضُ شراح النهج البيتَ الذي تمثل به الإمام(ع)للأعشى الكبير،وهو أبو بصير ميمون بن قيس ابن جندل،من القصيدة التي قالها في مُنافرةِ عَلقَمة بن علاثة وعامر بن الطفيل وأولها :

عَلقَمُ ما أنتَ الى عامِـر النَّاقص الأوتاروالوا تِر[٤]

وأراد الإمام بذلك أنَّ هناك فرقاً شاسِعاً بين يومِهِ في الخلافة مع ما انتفَضَ عليه مِن الأمر،وما مُنيَ بهِ من انتشار الحَبل واضطِراب أركان الخلافة وبَين يومِ مَن سَبَقَهُ في الخلافةِ حيث وَليَها على قاعدةٍ مُمَهَّدةٍ، وأركانٍ ثابتَةٍ وسكونٍ شاملٍ،فأنتظمَ أمرُهُ،وأطّرَدَ حالُه،وسَكنَت أيّامُه[٥]،والفَرق بين حاليهما،كالفرق بين حال(جابر)في سَفَرِه،وهو على كورِ ناقَتهِ وحال أخيه(حَيَّان)في رفاهِيَّتهِ،فالأوّل كَثير العَناء،شَديد الشَّقاء،والثاني وافرُ النَّعيم، وافي الرَّاحة ،أي أنَّ الإمامَ انشَدَه للمَثَل[٦] .

وذكر ابنُ أبي الحديد في شرحه[٧]،وصاحب جمهرة الأمثال[٨]،ومجمع الأمثال[٩]قصّة(جابر وحيان).

---

[4] محاولة في تعريف الشعر الحديث،أدونيس،مجلة شعر،ع١،السنة الثالثة،١٩٥٩م، ص:٩٦ .

[5]الشطر: (**لبِّث قَليلًا يلحق الهيجا حَمل**) ، والشطر: (**دَع عَنكَ نَهباً صيحَ في حَجَراتِه**).

ينظر:نهج البلاغة،ك(٢٨)،ج٣/٣٣، وخ(١٥٧)،ج٢/٨٠.

[1] ينظر: نهج البلاغة،خ(٣)،ج١/٢٦،خ(٢٤)،ج١/٦٠،خ(٢٤)،ج١/٦١،خ(٣٤)،ج١/٨٢،ك(٣٦)،ج٣/٦٩ .

[2] ينظر: البلاغة والأسلوبية، ص:١٥١ .

* لم يَرِد هذا التعليق في نَصّ ابنِ ابي الحديد،ولكنه وَرَد في مَتن الخطبة في النسخة التي شَرحها الشيخُمحمد عبده،وحققّها محمدُ محي الدين عبد الحميد،وأشار محقّق شرح ابن ابي الحديد الى أنَّ هذا التعليق موجود في مَخطوطةِ النهج .

ينظر: شرح ابن أبى الحديد ، ج١/١٣٩ .

[3] نهج البلاغة،خ(٣)،ج١/٢٦ .

[4] ينظر: شرح ابن أبي الحديد،ج١/١٤٢ . وينظر: مِنهاج الَواعة، الراوندي ، ج١/١٢٤. وينظر: أعلامُنهج البلاغة،ج١/٤٦.

[5] ينظر: شرح ابن أبى الحديد ، ج١/١٤٤ .

[6] ينظر: منهاج البراعة ، الخوئي ،ج٣/٤٧.

[7] ينظر: شرح ابن ابي الحديد ،ج١/١٤٣ – ١٤٤ .

[8] ينظر، جمهرة الأمثال،ج٢/٣٢٠ .

[9] ينظر: مَجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ت(٥١٨)،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،دار

وقام(ع)ضَجِراً بتثاقلِ أصحابهِ عن الجهاد،ومخالفتهم له في الرأي لمَّا تواترت عليه الأخبارُ باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد،وقَدِمَ عليه عاملاه على اليمن،حين غَلب عليهما(بسرُ بن ارطاة)،فقال:((ما هِي إلّا الكوفَةُ أقبِضُها وأبسُطُها،إن لم تَكونِي إلّا أنتِ تَهبُ أعاصيرُكِ فقبّحكِ الله(وتمثل بقول الشاعر)*:

لَعَمرُ أبيكَ الخَير ياعَمرو إنّني على وضَرٍ مِن ذا الإناءِ قليلِ))[1]

اظهر الكوفة بهيئةٍ ماديَّةٍ،وهي في قبضَتهِ:أي في تَصرفه،فالأول مَجاز لغويّ غير مُرسَل(لتقيده بالتشبيه)،باعتباره استعارة قائمة على التشبيه،والثاني(في قبضته)،وهو مجازٌ علاقته السببية،لانَّ القبضَة هي السَبَب في التصرف،والتَمكن .

وبخروجه(ع)من خِطاب أصحابهِ إلى خطاب الكوفة(إلاّ أنت)خرج من الغَيبَةِ – بالنسبة إلى الكوفة – إلى خطاب الحاضر[2]،فأن لم يكن لي من الدنيا مُلكٌ إلّا مُلك الكوفةِ ذات الفِتَن،والآراء المُختلفة،فأبعَدَها الله .

وشبَّه ما كان يحدث من أهلِها من الاختلافِ والشَّقاق بالأعاصير لإثارتِها التراب،وإفسادها الأرض[3].

لقد أراد الإمام(ع)من هذا كله بيان ضَجَره من أهلها حين تثاقلوا عن الجهاد ووجه التمثيل في تضمينه لهذا البيت هو " تمثيل على وَجه الاستعارةَ، فأستعار لفظ الإناء للدنيا ولفظ(الوَضَر)[4]القليل فيه للكوفة،وَوَجه المُشابهةِ ما تشتَرك فيه الكوفةُ والوَضَر من الحَقارةِ بالنسبة إلى ما استولى عليه خَصمُه من الدنيا وما اشتمل الإناءُ من الطعام "[5]،وكأنَّه ضَربٌ من التَّشبيهِ الضمني بلونٍ جَديد،وهو أن يكون المُشَبَّه نَصَّاً نثريا،والمشبه به نصاً شِعريَّاً.

ولم يَنسب صاحبُ (مجمع الأمثال)،أو شُرَّاح النهج البيتَ إلى شاعرٍ بعينهِ [6].

وبتضمينه لهذا البيت إنَّما،ضَمَّن تجربةً إنسانِيَّةً،وعَقدَ مُقارنَةً مع ما أراد الشاعر،وان كانت التجربتان مُختلفَتَين،فهما تدوران حول محور إنساني واحد،وانطلقا من وحدة في المعاناة الإنسانية ،من هنا اسقط(ع)هَمَّه،وألَمَهُ في قول الشّاعرِ هذا عند تضمينه.

وفي خطبتهِ السابقة،والتي خَطَبها بعد تواترِ الأخبارِ باستيلاءِ أصحابِ معاوية على البلاد،خَتَم بقولهِ: ((.. أما واللهِ لوَدِدتُ أنّ لي بكُم ألفَ فارسٍ مِن بَني فَراس بن غَنم:

هُالِكَ لو دَعَوتَ أتاكَ مِنهُم فَوارسُ مِثل أرمِيةُ ألحَمِيم))[7]

شَبَّه هؤلاء – الذين تمَنَّى أن يكونوا مَعه بدلاً من أصحابهِ الذين تثاقلوا عن نِصرتهِ،حتى غزاهم جندُ الشام في عِقرِ دارهِم[1]- بأرميَةِ الحَميم .

المعرفة، بيروت،(د.ت)ج٢/٣٥٦ .

* هكذا وردت في متن الخطبة .ينظر: شرح ابن أبي الحديد،ج١/٢٨٠ .

[1] نهج البلاغة،خ(٢٤)،ج١/٦٠ .

[2] ينظر:شرح ابن أبي الحديد، ج١/٢٨٩ .

[3] ينظر:المكان نفسه .

[4] الوَضَر:هو بَقيّة الدَّسَم في الإناء ، أو هو الدَرن الباقي فيه ويُستعار لكلّ بقيةٍ من شيءٍ يَقلُّ الانتفاع به .
ينظر: شرح ابن أبي الحديد ،ج١/٢٨٨، وينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج١/٢٣٢ .

[5] شرح ابن ميثم البحراني ، ج١/٢٣٢ .

[6] ينظر:مجمع الأمثال ، ج٢/٣٤ .
شرح ابن أبى الحديد ،ج١/٢٨٣. ومنهاج البراعة، الراوندي ،ج٣/٣٥٦. ومنهاج البراعة ، الخوئي ، ج١٠/٤٧٣.

[7] نهج البلاغة،خ(٢٤)،ج١/٦١ .

[1]كما فَعل (بسُر بن ارطاة) حين أغارَ على أطرافِ الكوفة .
ينظر: نهج البلاغة ، خ(٢٤)ج١/٥٩،
وينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج١/٢٨٧ .

والارمِيةُ:جمع(رمي)،وهو السَّحاب،والحَمِيم:هو وقتُ الصَّيف وإنّما خَصَّ الشاعرُ سحابَ الصيف بالذكر ،لأنَّه اشَدَّ جفولا وأسرع خُفوقاً،لأنَّه لا ماءَ فيهِ،وإنَّما يكون السحابُ ثقيلَ السَّيرِ لامتِلائِهِ بالماء،وذلك لا يكون في الأكثَرِ إلّا زمان الشقاء وإنّما أراد الشاعرُ وصفَهم بالسّرعةِ إذا دُعوا،والإغاثةِ إذا استُغِيثُوا ، والدّليلُ على ذلك قولُه:هنالِكَ لو دَعوتَ أتاكَ مِنهُمُ "[٢].

ونُسِبَ البيتُ إلى أبي جُندب الهُذلي في الشَّرح[٣]،وفي لسان العرب نجد النسبة نفسَها،ولكن برواية (رجال)[٤].

واللغة الأدبيةُ المُتمثِّلة في استحضارِ ألبيتِ اعتمدَت التَّصريحّ دونَ الإيحاءَ،وفَيها منَ ألدَّلالةِ ألكَثير على شِدَّةِ تَبَرُّمِهِ،وضَجَرِهِ،وبأدنى تأمُّلٍ يَتّضِح الفرقُ بينَ المُقامَين،بين ما هُوَ فيه،وما كان يَتَمنّاه .

ثانِياً: التَّضمِينُ الشِّعري غَير المباشِر .

وتَمثَّل في تضمين تراكيب،ومعانٍ[١] شِعريةٍ ذاع صيتُها،وعُرِفَت بتراكيبها،ومعانيها تلك التي اقتربت بها من صِيغةِ المَثَل،والحِكمَةِ .

وقد تختلفَ أحياناً عن صياغتِها البنائيةِ – مع الاحتفاظ بدلالاتها على معانيها[٢]- عند إدخالها في النصِّ النَّهجي،وتُعدُ تضمِينا شِعرِيّاً غير مُباشِر،اعتماداً لمَرجِعِيّتها الشِّعرية التي انطلَقت مِنها وعُرِفَت بها .

وقد يُؤتى ببَعض من لفظ الشعر مع مَعناه[٣]،وإعادَة نَسيجِه،ومن المُمكِن تضمينها – على الرَغم من قِلّتِها – إلى تضمينات شعريّةٍ(قريبةٍ)،وأخرى(بَعيدة) .

أ : التَضمِينُ الشِّعري غَيرِ المباشِر القَريب .

---

[2] ينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج١/٢٨١.

وقصد بهؤلاء بني فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة وعرفوا بالشجاعة.

ينظر: المصدر السابق : ج١/٢٨٨ .

[3] ينظر: المصدر نفسه ، ج١/٢٨١ .

وعند الرجوع إلى ديوان الهذيلين لم أجد البيت فيه.

[4] ينظر: لسان العرب ، ج١٤/٣٣٧ ، ووردت بمثل هذه الرواية في الأغاني أيضا .

ينظر: الأغاني، ج ١٠/٢٣٠ .

[1] جَوّز(ابنُ أبى الإصبع)المصري أن يكون التضمينٌ معنًى مُجرَّداً من كلامٍ أو مَثَلٍسائِر،أو جملةٍ مُفيدةٍأو فقَرَةٍ من كَلِمةٍ .

ينظر:تحرير التحبير،ص:١٤٠ .

[2] أنّ اخذَ قِسمٍ والتَّصرُف في القسمِ الأخر تصُرفاً يَسيراً عُرِفَ بمصطلحِ " الاهتدام " .

ينظر:معجم المصطلحات البلاغية، وتطورها،مادة(**الاهتدام**)،ج١/٣٤٠ .

[3] ينظر:المكان نفسه .

مِن السهولة بمكانٍ إرجاع هذا النوع من التضمين إلى موارِدِها التي استَقى منها ، من ذلك قولُه(ع): ((... فَلكِلِّ أجَل كِتاب ، وَلِكُلِّ غَيبَةٍ إيّاب ، فأستَمعوهُ مِن رَبَّانِيكُم ، وأحضِرُوهُ قلوبَكُم ، وأستَيقِضوُا إن هَتفَ بِكُم...))[٤].

قال ابنُ أبى الحديد:((وقد قالهُ عَبيدُ بن الأبرص،واستثنى مِنَ العمومِ الموتَ،فقال:

وكُلُّ ذِي غيبةٍيَؤوبُ وَغائِبُ المـوتِلا يَؤوبُ))[٥]،

وأرجَعَه مُحققُ الشرحِ إلى مَوضعِهِ في ديوانِ الشَّاعِر[٦].

والفرقُ بين القَولين يَكمُن في عَقيدِة كُلٍّ من القائِلين،فالشاعر الجاهلي يَرى ـ وفق عَقيدتِهِ ـ أن لاعودةَ لأحدٍ من الأموات إلى الحياة،فالموت عندهم فناءٌ وعدم،والإمام (ع) –بمقتضى اليقين بالمعاد – يرى عكس ذلك تماماً،فالعودةُ لكُلِّ غائبٍ بعد موتِه[٧]،إنها عودَةٌ لا بُدَّ مِنها، وأرادَ الإمامُ بهذا الاستحضار التَّضميني توكيدَ توبيخِهِ،وتقريعِهِ لهم على غَفلتِهم[٨].

وابن أبى الحديد في قوله أنّه (ع): " يُحَمق عَبيداً في استثنائِهِ"[٩]، لا يوجد ما يَدلّ عليه،ويُؤيِّده في سِياق كلامِهِ(ع) .

وفي إخبارهِ عن عبد الملك بن مروان قال[١]:((كأنّي بهِ قَد نَعَق بالشَّام،وفَحصَ برايَاتِهِ في ضَواحي كوفان فَعطفَ إليها عَطفَ الضَّروس وفَرشَ الأرضَ بالرِّءُوس قَد فَغَرَت فاغِرتُه وتَفُلت فِي الأرض وَطأتُهُ...))[٢]

نلمح قوله(ع): (فعَطفَ إليها عَطف الضَّروس) والضَّروس هي ألناقةُ السَّيئةُ الخَلق تَعَضُّ حالِبَــها[٣]، وهذا يعود بنا إلى قَول بِشر بن أبي خازم :

عَلَفنا لَهُم عَطفَ الضَّروس مِنَالملا بِ شَهباءِلا يَمشي الضَرَّاءَ رَقِيَبُها[٤]

ورد التضمينُ في مَورد الذمّ ، و(عطف الضروس)مُشبَّهٌ بهِ،في تشبيهٍ بليغٍ مَحذوف الأداة،معَ استبدالِ صِيغةِ المُفرد " **لها** " بصيغةِ الجَّمع " **لهم** " طِبقاً لمُقتَضى السِّياق الذي أوحى بذلك،فالسياق هو عبارة "عن كل ما يَكتَنِف اللفظ الذي نريد فهمه من دَوال أخرى سَواء أكانت لفظية كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي نريد فَهمه كلاماً واحِداً مُتَرابطاً ، أو حالية كالظروفِ والملابساتِ الّتي تُحيط بالكلامِ وتكون ذاتَ دلالةٍ في المَوضوعِ "[٥]

وفي كتابٍ له(ع)إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامِله على البصرة،قال فيه:((... ولكن هَيهَات أن يَغلِبَني هَواي،ويقُودَني جَشَعي،إلى تَخَيِّر الأطعمَةِ ولَعَلّ بالحجازِ أو اليمامَةِ مَن لا طمعَ لهُ في القُرص،ولا عَهدَ له بالشِّبع!! أو أبيتَ مِبطاناً وحَولي بُطُونٌ غَرثَى، وأكبادٌ حرَّى!!أوَ أكونَ كما قال القائلُ:

وَحسبُكَ داءً أن تَبِيتَ بِطنَةٍ وَحَولَكَ أكبادٌ تَحِنُّ إلــى القَدِّ))[٦]

---

(4) نهج البلاغة،خ(١٠٤)،ج٢٠٨/١ .

(5) شرح ابن أبى الحديد،ج١٥٤/٧ .

(6) المكان نفسه .وينظر: ديوان عَبيد بن الأبرص ، دار صادر، بيروت،(د.ت)، ص : ٢٦ .

(7) وفي مكان أخر من النهج أراد بالغياب غياب السفر لذلك قال: ((**ليسَ كلّ طالبٍ صِيب ولا كُلُّ غائبٍ يَئوب**))
نهج البلاغة، ك(٣١)، ج٥٩/٣ .

(8) ينظر:منهاج البراعة ، الخوئي ،ج٣٠١/٧.

(9) شرح ابن أبى الحديد ، ج١٥٤/٧ .

(1) بنظر: شرح ابن أبى الحديد ج٣٧/٩ .

(2) نهج البلاغة خ(١٣٤)،ج٣٠/٢ .

(3) ينظر: لسان العرب،مادة(ضرس)،ج٤٢٤/٩ .
ينظر: شرح ابن أبي الحديد ج٣٨/٩ .

(4) ديوان بشر بن ابي خازم ، ص:١٥ .

(5) دروس في علم الأصول، محمد باقر الصدر، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، ص :١٠٣-١٠٤.

(6) نهج البلاغة، ك(٤٥)،ج٨٠/٣ .

مِبطان:الذي لا يزال عَظيم البَطن من كِثرةِ الأكل[٧]،" وكأنَّما صارت بطنُهُ آلةً للأكل والشَّرب لكنّ الإمام(ع)عبَّرمِن خلال هذه الصِّيغةِ عن زهدِهِ وعِفَّةِ نفسِهِ،فَضلاً عن تَركيزِ التَّوبيخ للمخاطَبِ وهذا المعنى يكشُفُ عنه السياق "[٨] .

وبطون غَرثى:جائعةٌ[٩]،وبذا ينطوي النَصّ على طباقٍ ضِمني في المُفرَدَتَين(**مِبطاناً،غَرثى**) .

وهناك روايةٌ أخرى ذكرها ابنُ ابي الحديد في شرحهِ للنص،وهي:(أأبيتُ مِبطاناً،وحَولي بطون غَرثى..) فيكون وقعُ الاستفهامِ الاستنكاري أشدّ في بَيانِ دلالةِ النص التي كشَفت عن رفضِهِ لمِثلِ هذه المعادلة التي مَهِّد لاستحالةِ حدوثِها بالأداة(**هَيهَات**) .

والبيت الذي ضَمَّنَه الإمام ؛(وحسبُكَ داء...)،من أبياتٍ مَنسوبَةٍ إلى حاتم الطائي[١]،وقد وردت هذه الأبيات في ديوان الحماسة لأبى تمام وليس مَعها البيتُ المذكور[٢]،وهو مُنسَجِم مع القصيدةِ من حيث الوزن(البحر الطويل)،والقافية،والمعنى،والذي يُعزِّز ذلك روايةِ ابنِ أبى الحديد،وان كانت بروايةِ(كَفى بك عارا) [٣]،

والقولُ(وحولك أكباد...)،مَجازٌ مُرسَل علاقتُهُ الجزئيّة،حينَ ذُكِر الجزءُ(أكباد)،وأراد الكل،وهم الناس الفقراء.

ومقولتُهُ هذه:(أو أبيتُ مِبطاناً وحَولي بطون غَرثى) تضمينٌ لقول الأعشى:

بَ يتونَ فِي المَشتَى مِلاءً بطونَكم وجاراتُكُم غَرثى يبِ تنَ خَمائصا[٤]

ولتوكيد ألمعنى نفسه استحضر البيت الذي يُقاربُه في المعنى تَنفيراً ، فيعدّ لوناً من ألوان التوكيد لما أراد قوله ، ولأهمِّيَّةِ الأمر وضرورتِه أكَّده (ع) بمعنىً مُقارب له تَجَلّى في البيتِ الَّذي استَشهَدَ به تَنفِيراً عن العار اللازم عن الاستِمتاع بالطَّيباتِ مع وجود ذَوي الحاجةِ إلى يَسير الطَّعام[٥] .

لقد ذكر (ع)هذا المعنى في مُستَوَيَين ضِمناً وتَصريحاً، ليَعودَ بَعدهما متَسائِلاً على سبيل النَّفي أو الاستنكار:((أأقنَعُ مِن نَفسي بأن يُقال:هذا أميرُ المُؤمنين،ولا أُشارِكَهُم فِي مَكارهِ الدَّهرِ...))[٦].

---

(7) شرح ابن ابي الحديد،ج١٦/٢٢٥.

(8) خصائص الجملة العربية في نهج البلاغة، ص:٤٢ .

(9) ينظر:شرح ابن أبى الحديد ، ج١٦/٢٢٥.

(1) ديوان حاتم الطائي، دار صادر ، بيروت ،١٩٨١م، ص: ٤٣.

ينظر: شرح ابن أبى الحديد،ج١٦/٢٢٨. ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ،ج٢/٤٢٠.

(2) شرح حماسة أبى تمام ، أبو زكريا يحيى التبريزي ت(٥٠٢)هـ ، تحقيق غريد الشيخ، واحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية،بيروت،٢٠٠٠م،ج٢/٩٨١-٩٨٢.

(3) الشاهد الشعري في نهج البلاغة، بحث مخطوط، عبد الواحد خلف وساك ، كلية التربية ، ميسان ، ص :١٤.

(4) ديوان الأعشى، ص:١٩٣.

(5) شرح ابن ميثم البحراني، ج٢/٤٢٠.

(6) نهج البلاغة، ك (٤٥)،ح٣/٨١ .

وكذالك نرى مثل هذا التضمين حين قال:(كحامل ألتَّمر إلى هَجَر،أو داعي مُسَدِّدَه إلى النِّضال)[1].
وفي قوله:(ع):(قَلبتَ لابن عَمِّكَ ظَهر المِجَنّ)[2]،وقوله:(كَما تَدين تُدان)[3].

ب : التَضمِينُ الشِّعري غَير المُباشِر البَعيد (المعنَوي) .

وهو قائمٌ على المَضامين المعنوية –المشهورة- [1] للشعر،والإفادةِ منها بعد صِياغَتِها صياغةً جديدة، على وفق سياق القول ومَبناه .

والإمام(ع)حين يتناول الشعرَ،إنّما يتعامل مَعهُ بشيءٍ من التَغيير،بزيادةٍ أو نقصان،ثم يَصوغَهُ صياغةً جديدةً،فيجعله مُنسَجِماً معَ العطاءِ الدَّلالي الذي أراده في السياق .

---

[1] نهج البلاغة ، ك(٨) ، ج٣/٢٤.

وقعَ التضمينُ من قولِ الشاعر الجاهلي(خارِجَة بن ضرار المري):

فَانَّكَ واستبضاعك الشِّعرَ نَحوَنا كَمستبضِعٍ تَمرا إلى ارضِ خَيبَرا

ينظر: مجمع الأمثال ، ج٢/١٥٢.

ينظر: بهج الصباغة ، التستري ، ح٣/٨٩ .

ينظر: شرح ديوان الحماسة ، للتبريزي ، ج٢/٨٥٦.

وقول الشاعر: **أعَلِّمهُ الرِّمايَةَ كلّ يـَـــــوم فلمّا اشتَدَّ ساعدُهُ رَمـــــــــانِي**

مجمع الأمثال، ج٢/٢٠٠ .

شرح ابن أبي الحديد ، ج١٥/ ١٤٧ .

[2] نهج البلاغة، ك (٤١) ، ج٣ /٧٢ .

وهو من قول الشاعر(معن ابن اوس): **قلبت لهُ ظهرَ المِجَنّ فلَـــــم أدُم عَلى ذاكَ إلاّ رَيثما أتحـــوّل .**

ينظر: شرح الحماسة، للتبريزي ، ج٢/٦٩٦.

[3] نهج البلاغة، ح(١٤٩) ، ج٢/٥٦.

وهو تضمين لقول الشاعر(الفند الزماني) **لَـــم يَبقِوى العِدوا نِ بِنَاهُم كَما دانـُـوا**

ينظر: شرح الحماسة، للتبريزي، ج١/٢٥.

ينظر: المستقصى في أمثال العرب ، الزمخشري ت(٥٣٨) هـ ، دار النشر، ط٢، بيروت ،١٩٨٢م ، ج٢/١٩٨.

[1] يشترطُ بعضهمُ أن يكون التضمينُ أصلًا للأقوالِ المشهورةِ .

ينظر: البلاغة والأسلوبية ، ص:١٥٠ .

قال(ع):((رُبَّ قَول أنَفذ مِن صَول))[٢]،والذي قد يكون من قول العرب:((والقول يُنفذ ما لا تَنفذ الأبــرُ))[٣]،رُبَّ تدل على التَّقليل،أي رُبِّ كلامٍ يُؤثر في نفوذِ السطوةِ [٤]،وهو مَثَلٌ يُضرَب للرفق واللين الذي يبلغ ما لا يبلغ بالعنف[٥] .

وقال له بعضُ أصحابه : وَدَدتُ أنّ أخي فُلاناً كان شاهدنا ليَرى مانَصَرَكَ اللهُ بهِ على أعدائِكَ ، فقال (ع):((أهَوى أخِيك مَعَنا ؟ فقال: نَعم ، قال: ولقَد شَهدنا في عَسكَرِنا هذا أقوامٌ في أصلابِ الرِّجال ، وأرحامِ النِّساءِ سَيرعَف بهم الزَّمانُ ، ويَقوى بهم الإيمانُ))[٦].

يَرعَف بهم الزمان:يُوجِدهم ويُخرجَهم،كما يَرعف الإنسانُ بالدَّمِ الذي يخرج من انفهِ قال الشاعر:

وَما رَعَفَ الزمانَ مثل عَمرو ولا لَدِ النِّساءُ لَـهُ ضَرِيبا [٧] .

إنّ تجسيم الزمان وإدخالهِ عالمَ المحسوسات يَدخل في صَميمِ الصورة الاستعارية(المَكنية)،إذ أطَلّ علينا الزمانُ بهيئةٍ آدَميَّةٍ،دلّ عليها الفعلُ المضارع " يَرعَف " وهي خِصِّيصَةٌ من خصائص المُستعار منه المَحذوف والفعلُ (يَرعف) له دلالتان،الأولى التَّدَفق والدال على الكَثرةِ والثانية هي الاستمرارية،والمُوصِلة إلى عَدَمِ الانقطاع،وكلتاهُما تُوصِل إلى كَثرةِ عَطاء الزَّمان لِمثل هؤلاء،وعَدم خُلو الأرض منهم .

ومن ذلك أيضاً قوله(ع)في إحدى خِطَبِهِ:((ألا وفي غَدٍ – وسَيأتي غدٌ بما لا تَعرفون – يأخُذُ الوالي من غَيرِها عُمَّالها على مَساوئ أعمالِها))[٨]،ولرُبَّما يعود بنا إلى قول الشاعر :

سَتُبدي لَكَ الأيّامُ ما كُنتَ جاهِلا وَيأتيكَ بالإخبار مَن لَم تُزوَّدِ[٩]

وهكذا فعلَ في تضمينات أخرى من هذا النوع،لمعانٍ ذاعت واشتهرت بمرجعياتِها بين الناس، وجاءت مُتساوقَةً معه تجربتِهِ حين عكَسهُ على حاله،ومعاناتهِ ،مثل تضمينهِ لقول الشاعر:

وَالنّفسُ راغبةٌ إذا رَغَّبتــهَا واذا تُرَدُّ إلى قَليلٍ تَقنَعُ[١]

في قوله(ع) ((واعلم انّكَ إن لَم تردَع نفسَك عن كَثيرٍ مِمّا تُحِب مَخافة مَكروهٍ سَمَت بِكَ الأهواءُ إلى كَثيرٍ مِن الضَّرَرِ))[٢].

وكذلك في تضمينه قولَ الشاعر:**فللموتِ ما تَلِدُ الوالــدة**[٣]

في قوله(ع):((لِدُوا لِلموتِ،وأجمَعوا للخَراب))[٤] .

وفي تضمينه قولَ لبيد: **ألا كُلّ شَيءٍ ما خَلا الله باطل وَكلّ نَعيمٍ لا مَحالةَ زائِلُ[٥]**

في قوله(ع):((وكلّ نَعيمٍ دون الجَنَّةِ مَحقور،وكلّ بَلاءٍ دونَ النَّارِ عافِية))[٦]

---

[2] نهج البلاغة،خ(٣٩٤)، ج٢٤٨/٣ .

[3] شرح ابن أبى الحديد ، ج٣١٠/١٩ .

[4] ينظر: توضيح نهج البلاغة، ج٤٥٢/٤.

[5] ينظر: تفسير ابن ميثم البحراني، ج٦٦٩/١.

[6] نهج البلاغة،خ(١٢)، ج٣٩/١ – ٤٠ .

[7] ولم ينسبه شراح النهج إلى شاعر بعينه.

ينظر مثلا: شرح نهج البلاغة،ج٢٠٩/١ . ومنهاج البراعة، الخوئي، ج١٨٢/٣.

[8] نهج البلاغة ، خ(١٣٤)،ج٢٩/٢ – ٣٠ .

[9]ديوان طَرفة بن العبد ، تحقيق د. سعدي الضناوي ، دار الكتاب العربي ، ط٢، بيروت ، ١٩٩٧م، ص :١٢٠.

[1] ينظر: ديوان الهذليين ، ج٣/١ .

[2] نهج البلاغة ، ك (٥٦) ،ج١٢٥/٣ .

[3] الحماسة ، ج٩٩/٤ .

[4] نهج البلاغة ، ق(١٣٢)،ج١٨٣/٣ .

[5]ديوان لَبيد، الشيخ الطوسي، تحقيق د.حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي ، ط٢، بيروت، ١٩٩٦م، ص :١٤٥ .

[6] نهج البلاغة، ق(٣٨٧)، ج٢٤٧/٣ .

المبحَثُ ألثاني: تَضمينُ المَثَل العَربِيِ .

للمثل قدرةٌ في العَطاءِ الدلالي الكبير ، بأقلّ عَدَدٍ مُمكِن من المفردات إذ " ليسَ في كلامِ العَرَبِ أوجز منها ، ولا أشَدَّ اختصارا "[1]، وتكاد تجمع التعريفاتُ الاصطلاحية للمَثَل على انَّه " صورةٌ حيّةٌ ماثِلةٌ لمَشهَدٍ واقعيٍّ ، أو مُتَخَيَّل ، مرسومة بكلماتٍ مُعَبِّرة مُوجزة يُؤتى بها غالباً لتقريبِ ما يُضرب له من الاستعارةِ ، أو الكِنايةِ ، أو التشبيه "[2].

والرسمُ بالكلماتِ – بيانِيّاً - ،والإيجازُ،والاستعارةُ،والكنايةُ،والتشبيهُ،المُستفرغَة في الأمثال،مع مالها من" الشيوع والانتشار وكثرة الدوران على الألسن "[3] جعل منها طاقةً دلاليةً فاعلةً،ليس في النصوص الأدبية فقط ، بل تعدّاها إلى كتابِ الله [4]،وحديثِ رسولهِ المصطفى(ص وآله)[5].

لا غرابة إذن من وروده في النصِّ النهجي،لا سِيّما وانَّه كانَ جزءاً من ثقافةِ العصر الذي عاش فيه الإمام(ع)،وقد أخذَ مساحةً واسعَةً مِن لُغةِ العَرب،وآدابهم .

ما مِن شَكٍّ أنَّ كلَّ إنسان يتأثر بما حوله من ظروف،وثقافات وآداب تستدعي ظلالها في التركيب اللغوي والنفسي بصورةٍ أو بأخرى والاستحضار للمَثل في كلام الإمام(ع)،وكتبهِ ضرورة فَرَضها ذلك التأثر،من طبيعةِ الحياة آنذاك،حين امتدَّت ثقافةُ الإمام(ع) فشملت الشعرَ والمَثَلَ العربي .

---

(1) المثل السائر، ابن الأثير، ج١/٧٥ .

(2) هذا ما استخلصه الدكتور محمد حسين الصغير في كتابه (**الصورةُ الفنية في المَثَل القرآني**) بعد استعراضه للمعاني ألاصطلاحية للمثل .

ينظر:الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الرشيد للنشر، بغداد ،١٩٨١م، ص :٥٠ –٦٠ .

(3) وهذا هو الفارق بين المَثَل والحِكمة " فالقول الصادر عن تجربةٍ سمَّى حِكمة إذا لم يتداول مثلاً وإذا كثر استعمالُه وشاع أداؤُه في المناسباتِ المختلفة " .

جمهرة أمثال العرب،ج١/٥ .

(4) أورد الدكتور محمد حسين الصغير، والشيخ السبحاني،في كتابيهما المؤلفات التي تناولت المثل القرآني .

ينظر:الصورة الفنية في المثل القرآني، ص:٤٠٣ – ٤٠٩ .

وينظر:مفاهيم القران، **(دراسةُ الأمثالِ والأقسامِ في القرآنِ الكريم)**، مطبعة اعتماد، قم، إيران،١٤٢٥ هـ ،ج٩/٢٦ – ٢٧ .

(5) ينظر:المصدر السابق، ج٩/٦٥ – ٧٠ .

ولم تقتصر على القرآن والسنَّةِ النبوية الشريفة ، وان كانت مساحتُهُما اكبر كما يَتَبيّن في باب الاقتباس اذا ما قُورنَ بمساحةِ التَّضمينِ في هذا الفصل،وما يتبعه مِن فصولٍ أُخرى

وإثراء النص النهجي بالمَثَل عِبر آلية التضمين وطّد العلاقة التناصَّية مع الموروث الأدبي،فالشاعر،أو الناثر حين يقوم بذلك " إنّما قد يساعد في إبقاء ذلك المأثور حيّاً،أو أعاد له الحياة في صورةٍ مُعاصِرَةٍ،وهو نوعٌ من الحِفاظِ على الثَّقافَةِ والتَّذكيرِ بها "[٦].

وفي مُقابل ذلك – حين زَخَرت نصوصُ النهج بالتضمين المَثَلي – جعلها تنفتح على أجواءٍ فسيحةٍ من الصُّوَرِ،والمعاني،وتستمد أكبرَ قَدَرٍ من الطاقة الدلالية والإيحائية،والبنية العميقة للمَثَل،إذ لم يكن تضمينها لدواعٍ تجميلية تزينيَةٍ بقدر ما هي إنماءٌ دلالي للنص .

ويبقى– ربّما – سبب تفضيل بعضها دون بعض ارتكازها على شيوعِها وانتشارها بين الناس من جهةٍ،وما تحمله من دلالاتٍ دون سواها من جهةٍ أخرى .

لقد تَنوَّعت طرائقُ التضمين للمَثَل العربي في النصّ النهجي فمنها ما كان تَضميناً مُباشراً لها،ومنها ما كان غير ذلك .

أوَّلا: التَضمِين المباشِر للمَثَل .

من ذلك قوله(ع)مُوبّخا بعضَ أصحابه:" أشُهُودٌ كَغُيَّاب،وعبيدٌ كأرباب؟؟،أتلو عليكُم الحِكَم فَتَنفِرونَ مِنها،وأعَظُكُم بالمَوعِظَةِ البالِغةِ فَتَتَفرَّقونَ عَنها،وأحُثُّكم على جِهادِ أهلِ البَغي فَما آتِي عَلى آخرِ القَول حَتّى أراكُم مُتَفَّرقِين أيادي سَبَأ، تَرجعون إلى مَجالِسِكُم،وتَتَخادَعون عَن مَواعِظِكُم "[١].

---

[6] التناص مع الشعر العربي، عبد الواحد لؤلؤة، ص :٢٨ .

[1] نهج البلاغة،خ(٩٣)،ج١/١٨٨ .

وأيادي سبأ " مَثَلٌ يُضرب في شِدّةِ التفرق،وضَرَبهُ(ع)لِتَفرّقَهُم عَن مجالس الذّكر"[٢]،وسَبَأ قَبيلةٌ من أولادِ سَبأ بن يشجب بن يَعرب بن قحطان،وجاء المَثَلُ من قِصّةِ هؤلاء حين تَفَرَّقوا بعد انفِتاح سَدّ مَأرب وسقوطه فتفرّقوا في البلاد،وصار يُضرَب فيمن يتَفَرَّق بعد اجتماع[٣].

وقوله(ع):(... حَتَّى أراكُم متفرّقين أيادي سَبَأ) أي: كأيادي سَبَأ وهو تَشبيهٌ بليغٌ محذوف الأداة، يَحملُ بينَ طيَّاتهِ استعارةً ذات خصوصِيَّةٍ مُتداوَلة عند العربِ قبلَ الإسلام، والأيادي استعارةٌ تصريحيَّةٌ للقوة بجامع القدرة[٤]،وهو مَثَل يُضرب للمتفَرِّقين،واصله قوله تعالى عن أهل سَبأ: " وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ" [٥]، وهو توكيد لقوله(ع):((مُتَفَرّقِين)) [٦]

لقد تعزّز المعنى المُراد باستحضار المَثل التصويري،وتَموضعِهِ في بنية النصّ،بصورتهِ التي اقترنَت بدلالةِ تعارف الناس عليها من خلال مَعرفة قِصّته المُرتبطة به[١].

الصورة هنا تُفصح عن وجودها بمجرَّد سَماع المَثل،حيث أفضى إلى دلالةٍ مَقصودةٍ،اقترنت بالإشارة إلى رمزٍ استعاري لِما مَضى من الزمان فهو أداءٌ رمزي كان مُعَبِّراً للوصول إلى الغاية الدلالية المنشودة .

إنَّ المعنى المُختَزن في ذهن المُتلقّي هو العلامةُ البارزةُ في ساحةِ الخزين المَعرفي التي اتّكأ النصُّ عليها في عمليةِ التضمين لهذا المَثَل دون سواه ،فسَهَّل الإفصاح عن الدلالة الكامِنة في النصّ والتي أحضرها التضمينُ إلى ساحة الإفهام.

إنَّ الإمام(ع)إذن لم يستنسِخ المَثَلَ استنساخاً منفصِلا عن سياقه في النص بقدرما كان ذا مَقدِرَةٍ بيانِيَّةٍ استطاع إدخالها،واستنزالها فيه وما مِن شكّ أنَّ له القدرة على تَشكيل اللغة المناسبة للحال والمقال .

ومن ذلك أيضاً قوله(ع):((.. والله لقد رَقّعتُ مِدرعَتي هذه حَتَّى استَحيَيتُ من راقعِها،ولقد قالَ لي قائلٌ:ألا تَنبِذُها عَنك؟ فقلتُ:أعزُب عَنّي،فعِندَ الصَّباح يَحمَدُ القَوم السُّرى))[٢].

---

[2] شرح ابن ميثم البحراني، ج٤٧٧/١ .

[3] المكان نفسه . وينظر:مجمع الأمثال، ج٢٧٥/١ .

وقال البعضُ أنَّ(سبأ)أسم مدينة بلقيس باليمن .

ينظر:النهاية في غريب الأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق:طاهر احمد الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت،١٩٧٩م،ج٣٢٩/٢ .

[4] اقتصر تعريف المَثَل عند الأستاذ منير القاضي على كَونِهِ استعارة تمثيلية مَبنية على التشبيه المُركّب .

ينظر:المثل في القرآن الكريم،منير القاضي،مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٧،الأعداد(٣٠ – ٣٥)،١٩٦٠م،ص:٤ .

وقد سَبقه الجاحظ بذلك حين سَمّى الاستعارة مَثَلا في تعليقهِ على بيت الأشهب ابن رميله .

ينظر:البيان والتبيين،ج٥٥/٤.

ينظر:معجم المصطلحات البلاغية ، وتطورها، ج٣١٣/١ .

ينظر:الصورة الفنية في المثل القرآني ، ص :٥٧ .

[5] ينظر:منهاج البراعة ، الخوئي ، ج١٢٢/٧١ .

ينظر:شرح نهج البلاغة ، ج١٤٢/٢ .

[6] ينظر:منهاج البراعة ، الراوندي ، ج٤٣١/١ .

[1] ولولا هذه القصص التي رافقت الأمثالَ لما فيها كثير من معانيها،لانّ للَمثلِ مقدمات وأسباب قد عُرِفت وصارت مَشهورة بين الناس مَعلومة نعهُ م .

ينظر:المثل السائر،ج٦٣/١ .

(عِندَ الصَّباحِ يَحمَد القومُ السُّرى)مَثَلٌ يُضرَب لِمحتَمِل المَشقَة ليَصِل إلى الرَّاحةِ، فأصله أنَّ القوم يسيرون في اللّيلِ فيحمدون عاقبة ذلك بقربِ المنزل إذا أصبَحوا [٣].

قال التستري في شرحه:((مَثَلٌ لِتَعَبٍ أخرُهُ راحةٌ طَويلةٌ))[٤]،وقال انّه لا يعلم أصله[٥].

استفرغَ الإمام(ع)ما في المَثَلِ من دلالة،وفي الوقت عينهِ كَساهُ معنىً جديداً حين ضَمّنه كلامه،وأدخله في سياقٍ أشار فيه إلى مَن سَخَّر دنياه لآخِرتِه .

لقد انتقل بالمَثَل من دلالتهِ المادية إلى دلالتهِ المعنوية،واستوقَفَهُ عند المعنى الذي أراده هو(ع)،وبذلك استطاع أن يعكس معنى المَثَل على واقعِهِ هو(ع)،حيث الزهد،والوَرَع،والتّقوى،ونبذ الدنيا وزخرفتها،وهذا ممّا يُوصِل إلى النجاة،والسلامة،فلم يَخلُ النصّ من صورةٍ بيانيَّةٍ،وان لم تكن واضحة المَعالم لعموم المُتلقين .

وفيه نجد استخداماً آخر للتناص من خلال التضمين الذي جاء به(ع)،فتجربتُهُ الشخصية في محاولة السَّعي الحَثيث للوصول إلى المُستَقَر(**الأخروي**)،بعد السَفر(**الدنيوي**)جاءت منسجمةً،ومُتوافِقة مع تجربةِ قائل هذا المثل،وكما لا يَخفى فأنَّ المَثَلَ أدَّى ما أراد (ع)من التَّعبير عَن الفِكرةِ الصالحة للتمثيل والتي وَحَّدت بين النَصِّ والسِّياق،الذين " قد يُكمل أحدهما الأخر "

وفي كتابٍ له بعثه جواباً إلى معاوية قال : ((. وما لِلطُّلقاءِ وأبناءِ الطُّلقاءِ والتَمييز بينَ المُهاجرين الأولين ، وتَرتيب درجاتِهم ، وتعريف طبقاتِهم ؟ هيهات ! لقد حَنَّ قِدحٌ ليسَ مِنها وطَفِقَ يَحكُمُ فيها مَن عَليهِ الحُكمُ لَها))[١].

قوله(ع):(وما للطلقاء)... استفهامٌ على سبيل الاستحقار والإنكار على صِغر شأنهِ وحقارتهِ في هذه الأمور الكبار[٢]،وقوله:(هَيهات)تُعزِّز هذا الاستحقار حين تدل على استبعاد أهلية معاوية لمثلِ هذا الحكم[٣].

والقول – وهو محل الشاهد – (لقد حَنّ قِدحٌ ليس مِنها)مَثَلٌ يُضرَب لِمَن يدخل نفسَه بينَ قومٍ ليس له أن يدخل بينَهُم،وأصلُه القِداح من عودٍ واحدٍ يُجعَل مِن غيرِ ذلك الخَشَب،فيُصَّت بينهما إذا أرادها المُفيض، فذلك الصوتُ

---

[2] نهج البلاغة،خ (١٥٥)،ج٢/٧٦ .

[3] ينظر:جمهرة خطب العرب ، ج١/١٣٨ . وشرح ابن ميثم البحراني ، ج١/٦٥١. منهاج البراعة ، الخوئي ، ج٩/٣٩١.

[4] بهج الصباغة، التستري،ج٦/٣٨٣ .

[5] المكان نفسه .

ونسبه صاحب(**جمهرة الأمثال**)إلى(الجميح) ،وَنَسَبَهُ صاحبُ طبقات الشعراء إلى غيرِ واحدٍ من الرِجَّاز .

ينظر:جمهرة الأمثال ، ج٢/٤٢ .

ينظر:طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي ت(٢٣١)هـ ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ،(د.ت)،ج١/٥٩ .

وكذلك جَعَلَهُ صاحبُ المستقصى في أمثالِ العرب من الرجز :

انّي إذا الجِبس عَلى الكورِ انثَنى
لَو سُئِلَ المـاء فداء لافتَدى
وقالَ كم أتَعبت قُلتُ قَد أرى
عِندَ الصَّباحِ يَحمد القَومُ السُّرى

المستقصى في أمثال العرب،ج٢/١٦٨.

---

[1] نهج البلاغة،ك(٢٨)،ج٣/٣٤ . وينظر:لسان العرب،ج١٣/١٣٠ . وينظر:تاج العروس،ج٩/١٨٧ .

[2] شرح ابن ميثم البحراني، ج٢/٣٥٠ .

[3] ينظر: المكان نفسه .

هو حَنينُه[٤]،وهو صوتٌ ناشئٌ عن حركةِ ذلك العود(القِداح)يُخالِف أصواتَ الأعواد الأخرى فيُعرَف بـه انَّـه ليسَ من جملتِها،فَضُرِبَ مَثَلاً لِمَن يَمدَح قوماً و يُطريهم ويفتَخِر بهم مَع انَّهُ ليسَ مِنهم[٥].

وفي هذا التضمين – كما في غيرهِ – أسرارٌ تعبيريَّةٌ بديعيَّةٌ ساعدت في فَهمِ المُراد مِن كلامه(ع)،فالمثل هنا ليس زُخرفا يُؤتَى بهِ دونَما قَصديَّةٍ دلاليَّةٍ،بل هناك ضرورة تَستدعيه ، للاسهامِ في استكمال دلالة النص،وإيصالهِ أو تقريبهِ من ذهن المُتلقي ،

وله(ع)بضعة أمثالٍ أخرى ضَمَّنها بصورةٍ مُباشرة في مواضعَ مُتفرِّقة من نصوص النَّهج[١].

ثانِياً: التَضمِينُ غير المباشِر لِلمَثَل .

ذيوع الأمثال وانتشارها بين الناس بصيغةٍ مَخصوصةٍ يقف عائِقاً دون جواز التغيير في بنيتها التركيبية ، هذا ما اشترطه جملةٌ من الأعلام[٢]،وعُدَّ ذلك من ابرز مُمَيِّزات المَثَل عندهم[٣]،غير انَّ فُسحة القول بجواز التصريح بما تعنيه[٤] تسمح بنوع من التغيير وعملية التغيير هذه تستند إلى أمرين هما؛ التغيير اليسير لا يعيق من إرجاع تلك الأمثال إلى مَرجعياتِها أولًا،والتعامل مع الأمثال الشائعة،والتي تَكفي بعض ألفاظها للدلالة عليها،مِثل قوله في وصيةِ الإمام لابنهِ الحَسَن(عليهما السلام):((...والصَّاحِبُ مناسبٌ، والصَّديقُ من صَدق غَيبُهُ ، والهَوى شَريكُ العناء ، رُبَّ قريبٍ أبعدَ مِن بَعيد ، وَرُبّ بَعيدٍ اقربُ من قَريب ، والغَريبُ مَن لَم يَكُن لَهُ حَبيب))[٥] نبّه على أنَّ مِن البُعَداء مِن هُو اقرب،وانفع منَ النَّسَب،وفي الأقرباء من هو ابعَد من البَعِيد وهو مَشهور[٦]،وهذا المعنى يعود بنا إلى المَثَل العَربي المَعروف ((رُبّ أخٍ لكَ لَم تَلِده أمك))[٧] .

وقال مُضَمِّناً المَثَلَ العربي ((الدهرُ ضَربان،ضَربُ بَلاءٍ،وضَربُ رَخاء))[٨]وفي كتاب له بَعَثه إلى عبد الله بن عباس(رض الله عنه): ((... واعلم بانَّ الدَّهرَ يومان،يومٌ لَكَ،ويومٌ عَليك،وانَّ الدُّنيا دارُ دُوَل))[٩]

---

(4) شرح ابن ابي الحديد، ج١٤٩/١٥ .

(5) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج٣٥٠/٢ . لان معاوية في كتاب الإمام(ع) – كما يفهم من جواب الإمام (ع) – ذكر اصطفاءَ الله مُحمدا(ص وآله) لدينه، وتأييده إيّاه بَمن أيَّده مِن أصحابه، لذلك ردَّ الإمامُ(ع)عليه بهذا القَول بِصيغةِ الاستغراب والسخرية . ينظر:نهج البلاغة،ك(٢٨)، ج٣٤/٣ .
ويُضرَب لِمن يَفتخِر بقومٍ ليسَ مِنهم. ينظر: منهاج البراعة ، الراوندي ،ج٧٢/٣ .

(1) ينظر مثلا:قوله(ع) : "**قَدَّمِ لِوَثبةٍ يداً وأخِّر للنكوصِ قَدَماً** " . نهج البلاغة، (٦٣)ج١١١/١ .
وقوله(ع): " **كما تدين تُدان** " . نهج البلاغة،خ (١٤٩)ج٥٦/٢ .
وقوله(ع):((**آخر الدَّاءِ الكَي**)). نهج البلاغة،خ (١٦٢)ج٩٨/٢ .
وقوله(ع):((**قَذفاً بِغَيبٍ بَعيد**)) . نهج البلاغة،خ (١٨٧)ج١٦٣/٢ .

(2) ينظر مثلا :السيوطي في كتابه المزهر ،والرازي في كتابه" نهاية الإيجاز "، ص:٨١ .
والسكاكي، في كتابه " مفتاح العلوم "، ص: ١٨٧ .
ود.محمد حسين علي الصغير،في كتابه، " الصورة الفنية في المثل القرآني "، ص:٥٢ .

(3)عند توحيد التعريف الاصطلاحي عُدَّ " عَدم التغيير في لفظهِ الموضوع له "واحداً مِن شروطهِ الثلاثة،وهي؛(وجود علاقة المشابهة) ، و(السيرورة والتداول بين الناس) ، و(عدم التغيير في لفظة الموضوع) .
ينظر:المصدر السابق، ص:٦٠ .

(4) ينظر:مفتاح العلوم، ص:١٨٧ .

(5) نهج البلاغة ك(٣١)،ج٦٢/٣

(6) شرح ابن ميثم البحراني، ج٣٩٢/٢ .

(7)جمهرة الأمثال ، ج٤٧٢/١،٤٢٥ ،

(8)ما ورد في وصية الحرث بن كعب لبنيه جمهرة خطب العرب، ج١٢٢/١ .

وقَد جَرى هذا التغيير في المَثَل لِيَنسَجم مع الحالةِ الشعورية للإمام(ع)،الظاهرة في الودِّ والحُب لعاملهِ ،وابن عمِّهِ،في خطابٍ مُباشِرٍ معه(لكَ)و(عَليك) .

وقال في مَوضعين من مَواضِع النَّهج في خُطبهِ مُوَبِّخاً فيها أهلَ الكوفة على مماطلتهم بالنّفار إلى الحَربِ[1]: ((... ومَع أيّ إمامٍ بَعدي تُقاتِلون؟ المَغرور واللهِ مَن غَرَّرتُمُوه،ومِن فازَ بِكُم فقَد فازَ واللهِ بالسّهمِ الاخيَب،ومَن رَمى بِكم فقَد رَمى بأفوقٍ ناصِل))[2].

وفي أخرى قال مُوبِّخاً أصحابَه لتقاعسِهم عن النهوض إلى حربِ أهل الشام[3]:((... أكلَّما أطَلَّ عَليكُم مَنسِرٌ مِن مَناسِرِ أهلِ الشَّام أغلَقَ كُلُّ رَجُلٍ منكُم بابَه،وأنحَجَر انحِجارَ الضَّبَّةِ فِي جُحرِها،والضَّبُع في وِجارِها ؟ الذَّليلُ واللهِ مَن نَصرتُمُوه !ومَن رَمى بِكُم فَقَد رَمى بِأفوَقٍ ناصل ...))[4].

في كليهما ضَمَّن مَثَلا عَربيّاً قديما:((رَجَعَ بأفوَقٍ ناصِلٍ))[5]،وهو مَثَلٌ يُضرَب لِمَن استنجد بمَن لا ينجده[6]، ولِمن رجع عن مَقصَدِهِ بالخَيبَةِ أو بما لا غناء عنده [7].

والسَّهم ألافوَق:المَكسور الفُوق ، وهو مَدخل الوتَر،والناصل:الذي لا نَصلَ لهُ[8]،قال الميداني:الناصل: السَّهم سَقَط نَصلُه،والافوَق الَّذي انكسَر فوقه[9]،وشبَّهَهُم بالسِّهام المَكسورة الفوق،المنزوعة النَّصل،لعدم الانتفاع بهم في الحَربِ ،كما لا ينتَفِع بالسَّهمِ الموصوف[10]، وكنَّى بإغلاق كلّ مِنهم بابَــه - عند سَماعِهم بقدوم طَلائع جيش الشام بعد استفهامٍ دالٍّ على التَّوبيخ – بقوله: فيَنحَجرون:أي يستَتِرون في بيوتِهم جبنا،كما يتَستر الضَبّةُ في حِجرها،والضّبع في وجاره" [11] ، وإنَّما وقعَ التشبيهُ على الضبّة مُبالغةً في وصفِهم بالجّبن والفرار "[12].

وللامعان في التَّوبيخ والذمّ جاء بمفردةِ (الفَوز) – مع أن لا فوزَ بهم – على سَبيلِ المجاز " مِن باب إطلاق اسم احد الضِدَّين على الأخر " [13] ويحمل بينَ طَيَّاتهَ استهزاءً يعود بنا إلى قولِهِ تعالى: (فبَشِّرهُم بعذابٍ أليم) [1]، وكـــــــــذلك باســـــــــتجلابٍ صـــــــــيغة التَّفضـــــــــيل بالـــــــــذمِّ (الاخيب) ، أي اشَدّ خَيبَة ، وهو الحِرمان[2]

وهذا القول فيهِ حشدٌ لفنون بلاغيَّةٍ عَديدةٍ،إذ جمع النَصَّانُ فنوناً من البلاغةِ ،كالتَّشبيهِ،والاستعارةِ، والكنايةِ،والحَصر،والتَّوكيد.

أما التَّشبيه فقد وقعَ في تشبيههم بانحجارِ الضبّة والضّبع وهُما تشبيهان بلاغيان،والاستعارة في قوله(ع):(مَن رمى بِكُم)وهي استعارةٌ لبعثهِ لهم إلى الحَرب للدلالة على عدمِ انبعاثهم عَن أمره[3]،فهم كالسَّهم "

---

[9] نهج البلاغة ك (٧٢).ج٣/ . وقاله بصيغة اخرى:**(واليوُم يومان:يَومٌ لك،ويَومٌ عَليك)**.نهج البلاغة ، ق (٣٩٦)،ج٣/٢٤٩

[1] شرح ابن ميثم البحراني ، ج١/٢٥٢ .

[2] نهج البلاغة،خ(٢٩) ، ج١/٧٠ .

[3] ينظر: شرح ابن ميثم البحراني،ج١/٣٤٠ .

[4] نهج البلاغة ، خ (٦٦)، ج ١/١١٣-١١٤ .

[5] مجمع الأمثال ، ج١/٢٩٥ .

[6] ينظر: شرح ابن أبى الحديد ، ج٦/٨٢ .

[7] ينظر: الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة،محمد الغروي،مؤسسة النشر الإسلامي،قم،ط١،١٤٠٧ هـ ، ص:١٧٩

[8] ينظر: شرح ابن أبي الحديد ، ج٢/٩٠ .

[9] ينظر: مجمع الأمثال ، ج١/٢٩٥ .

[10] ينظر: منهاج البراعة، الخوئي ، ج٥/١٢٣ .

[11] الوجار هو بيت الضبع . ينظر، شرح ابن أبي الحديد، ج٦/٨٢ .

[12] المكان نفسه .

[13] شرح ابن ميثم البحراني، ج١/ ٢٥٢ .

[1] آل عمران/٢١، التوبة/٣٤ ، الانشقاق/٢٤ .

[2] ينظر: منهاج البراعة ، الخوئي ،ج٤/١٦. وشرح نهج البلاغة ، ج١/ ٢٤٢ .

[3] ينظر : شرح ابن ميثم البحراني ، ج١ / ٢٥٢ .

الذي لا فوق له ولا نصل فأنَّه لا يكاد يَتجاوز عَن القوس مسافةً "[٤] ،لقد وصفهم بأردَأ أوصافِ السهم الذي يبطل معها فائدِتَه لمشابهَتِهم له في عدم الانتفاع بهم في الحرب[٥]،والكناية حين كنَّى بإغلاق كل منهم بابَه دلالةً على جبينهم،وكراهية سماعهم للحرب[٦].

والحَصر في قوله(ع):(مَن فاز بكم فقَد فازَ. . .) و(ومَن رَمى بكم فقَد رَمى . .)للدلالة على حَصر الذلَّ لكلِّ مُنتَصرٍ بهم فيمن نَصَروه[٧].

وجاء المَثَلُ ليُفصِح عن يأس الإمام من هؤلاء،وصيغة التفضيل(افعل) في (أخيَب)،جاء بموازاتِ الحالة النفسية،لما للمفردة من دلالةٍ نفسِيَّةٍ ظاهِرةٍ،وما صاحَبَها من توكيدٍ بالقَسم(واللهِ)،والذي جاء كجملةٍ اعتراضيةٍ أحسَّ الإمامُ بضرورتِها،وتجلَّى التوكيدُ في القسم(المغرور واللهِ)وفي الأداة (قَد) في قوله:(قَد فازَ، قد رَمى)

والاشتراك في الموضوع صاحَبَهُ تشابه في البناء في كلتا الخطبتين،حيث الاستفهام يصاحبه قسمٌ ويتبعهما توكيدٌ بالأداة (قَد) ثم يأتي تضمينُ غير مُباشِر للمَثَل العربي .

وفي كلتيهما بيانٌ لحاله(ع)مع هؤلاء الذين أبانَ عن صفاتِهم وساعد المثلُ في عكس خَيبةِ الإمام، ويأسهِ منهم،ليُبَين عن عاطفةٍ مُتوجِّعةٍ كان يحملها في صدره فَمَدَّت النصَّ بنَبض الحَياة .

ولهذا النوع من التضمين مساحةٌ أوسع من سابقهِ في النصوص النهجية [٨].

---

[4] المكان نفسه .

[5] المكان نفسه .

[6] المصدر السابق ، ج١/٣٤١ .

[7] المكان نفسه .

[8] ينظر مثلا قوله(ع) :((**لَو كان يُطاع لِقَصير أمـــرُ**)) .

نهج البلاغة،خ(٣٤) ، ج١/٨١ .

وقوله(ع) : ((**ما سَمَّر سميرٌ وما أمَّ نجمٌ في السماءِ نَجما**)) .

نهج البلاغة ، خ (٢٢)، ج٢/١٠ .

وقوله(ع) : ((**الَهمُّ نصفَ الهَـــــرَم**)) .

نهج البلاغة ، خ (١٤٣)،ج٣/٨٥ .

وقوله(ع) : ((**لِـ كُلِّ أمرٍ عاقِبةٌ حلوةٌ أومـُـ ـــرَّة**)) .

نهج البلاغة،خ (١٥١)، ج٣/١٩ .

وقوله(ع) : ((**فُربَّما اخطأ البَصيرُ قَصدَه وأهابَ الأعمى رُشدَه**)) .

نهج البلاغة ، ك (٣١) ، ج٣/٦٢ .

الفَصلُ الثَانِي
وَظِيفَةُ التَّضمِين

المَبحَثُ الأوَّل :الوَظِيفةُ الدَّلالِيَّة.
المبحَثُ الثَانيالوَظِيفةُ الفَنيَّة.

مَدخَل.

الموروثُ الأدبي العربي- مِن شِعر ومَثَلٍ- بمثابة رَحِم دلالي زاخر يَرفد النصوصَ بولادات دلالية تَتَفجر عناصرُهُ،وتتوزّع فيه بوصفها رَصِيداً مَعنَوياً كامِناً .

سيدور هذا الفصل حول محورين يُوصلان إلى التَّعرف على توظيفٍ التضمين في المُستَوَيَين الدلالي،والفني،فالنص – بما يحتويه من بنى صغيرة – هو لفظٌ ومعنى،أداةٌ وفكرةٌ،شَكلٌ ومضمونٌ ومِن ثَم قد يُؤدي وظيفةً تنبع من معانيهِ،وأفكارِهِ،ومضامينِهِ لتصبّ في فضاءاتٍ دلاليةٍ رحبة مُتنوِّعه'أو قد يؤدي وظيفةً فنيَّةً تَتولد من ألفاظه'وادواته'وشكله ٠

من الصعوبةِ بمكان الفصل بين هذين النوعين من التوظيف،وإدراجهما تحت عناوين مُستقله بهما وهذا لايعني استقلالها في هذه الوظيفة اوتلك دونَما علاقةٍ أو سبَب يربطها ببعضِها لتُوصِل في نهايةِ الامر إلى عطاءاتٍ دلالية فنيةٍ مُوَحّدة،تحمل في طيّاتها طاقةً دلاليةً بأبهى صورة[١].

هذا ما نجده في النص النهجي'' فالنصّ في النهج ليس قطعة بلاغيه ذات جمالٍ مُجرَّد،بل هو وظيفة متقنة،انّه ثمرة التزاوج الطبيعي بين البلاغة والأفكار والذي تترتّب عليه إنجاب أفكارٍ لُغويَّةٍ جديدةٍ واستخدامات لغوية وبيانية جديدة '' [٢]،

لولا معرفة الإمام بالقيمة الوظيفية للأشعار والأمثال ما استخدمها في كلامه وكتبه ومواعظه ، والذي زاد في نجاح توظيفها مقدرته الفذَّة في نسجها بسياق كلامهِ ، والوصول إلى غايةِ عطاءاتِها الدلاليّة والفنيّة .

المبحَثُ الأوَّل : التَّوظيفُ الدَّلالي.

قد تتعدّد مُسيمَّات الوظائف الدلالية للشعر،والمَثَل في النص النهجي،وتَتَشَعب،غير أنَّها تتوحد مع مشتركاتٍ تسعى إلى اختزال تلك التشعبات،وحين سعى الإمام إلى مثل هذا التوظيف إنما أراد ألا فادة ممّا يتضمنه الشعر،والمثل من طاقه تعبيريه،وقدرة إيحائية مرتبطة بوجدان المتلقي،ووعيه، ممّا يستدعي إثارة ،وتفعيلا للدلالات المختزلة ،ومن ابرز أنواع هذا التوظيف:

أولا – دلالة البَيان و التَوضِيح .

للتوظيفِ البياني وجهان، تمثَّلا في إبراز المعاني، والانتقال بها من مستوى إلى آخر، أكثر منه وُضوحاً للمتلقي،وهو ما يتعلق بالمحتوى الدلالي،وفي إبرازِ المعاني من خلال فَنَّي التشخيص والتجسيد- كما سيتَّضِح(١) - والمار عِبر التوظيف الاستعاري،وهو ما يَتعلَّق بالتوظيف الفني،ولكلّ منهما مَوضعه الخاص .

وثَمّة تداخل آخر في مُسمّى هذا النوع من التوظيف ،والذي يتوضّح في(الإيحاء)الدال دون التصريح به،وبدلالاته الإيحائية هذه يوصل المتلقي إلى ساحة الفَهم والبيان والتوضيح،وخصوصا فيما يتعلق بالمَثَل،فهو " يوحي دون أن يصرح " (٢) .

---

[1] باعتبار((إنّ للتضمين الفني وظيفة هي في الغالب لتطوير المعنى،أو الحدث))
دير الملاك، ص:٢٢٨.
أو باعتباره حاملا لوظائف عدة.
ينظر:النص والتناص،ص:١٧٥-٢٠٨.

[2] سلطة الحق،ص:٢٨٦.

[1] ينظر: الباب الثاني، الفصل الثاني، ص: ١٨٩-١٩١.

[2] الإشارة الجمالية في المثل القرآني، د.عشتار داود محمد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠٥م،ص:٣٨.

لقد أبانَ الإمامُ عمَّا يجيش في صدرهِ حين وَجَد قدرةً فائقةً للتعبيرِ عن واقعه المَرير، وتجربته المُؤلمة التي وافقت شطراً من الشعر ضَمَّنَه في جوابٍ لِمَن سأله: كيفَ دفعكُم قومُكُم عَن هذا المَقامِ وأنتُم أحقّ بهِ ؟ فقال(ع): ((...فإنّها كانَت اثرةً شَحّت عليها نفوس قومٍ ، وسَخَت عَنها نفوسُ آخرين ، والحكمُ اللهُ ، والمعود إليه يومَ القِيامةِ ،**ودَع عَنكَ نَهباً صِيحَ في حَجَراتِهِ** وهلُمَّ الخطبَ في ابن أبى سفيان ، فلقد أضحكني الدهرُ بعد إبكائهِ ، ولا غرو والله فيا له خطباً يَستفرغ العجَبَ ، ويكثر الأوَد...))(٣).

ضَمّن الإمامُ خطبتَه شَطراً من بيتٍ لامرييءِ القَيس[١]، أراد به بيان ما هو عليه من زاويَتَين ، الأولي: دَع عنكَ مامضى مِن أمرِ الخلافةِ ، وهلُم إلى مانحن فيه مِن أمرِ معاوية [٢]، فجعل (هلُم الخطب في ابن أبى سفيان) مُتَمِّماً ، وبَديلاً عن عَجزِ البيت((ولكن حديثاً ما حديث الرَّواحِلِ))[٣].
والثانية أراد أنَّه اصبح في حالٍ هي اشدّ،وامَرّ مِمّا كان فيه،والدالّ على ذلك قرائنٌ عديدةٌ،منها تشبيه الأمر بالخَطب،وهو الحادث الجَلَل[٤]،وعنى به الأحوال التي أدَّت إلى أن صار معاويةُ مُنازعاً في الرِّياسةِ،قائماً عند كثيرٍ من الناس،صالِحاً لان يقع في مقابلته،وان يكون نِدّا له[٥].
وللتوكيد على فداحةِ ذلك الخطب قال (فلقَد أضحَكني الدهر بعد إبكائِهِ) و(لا غَرو واللهِ): أي ولا عَجَبَ واللهِ[٦]،لذلك هو خَطب يستفرغُ العجَبَ ويُكثر الأوَد: أي العَوَج [٧] ، وهو تعبيرٌ استعاريٌّ دال .
إنَّ المعنى المُكتَنِز في شَطرِ البيت بِفِعلِ ما يحمله بين طيَّا تهِ من قصّة أصبحت مثَلاً فيما بعد'وهي قصّة الشاعر –امرئ القيس- حين نزلَ على خالد بن سَدوس بن إصبع الهَمَداني'فأغارَت بنو جديلة عَليهِ'فذَهَبوا بأبِلِه'فلمّا أتى اِمرأ القيس الخَبرَ ذَكرَ ذلك لجارهِ'فقال لهُ: اعطِني رواحلكَ ألحَق عليها القومَ

---

(3) نهج البلاغة،خ(١٥٧)،ج٢/٧٩-٨٠.
(1)
والبيت هو: **وَدَع عَنكَ نَهباً صيحَ فِي حَجَراتِهِ ولكن حَديثاً ما حديث الرَّواحِلِ.**
ديوان امرئ القيس، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت،(د.ت)، ص:٣١٢.
وذكر ابن أبى الحديد البيت كاملا،واستطرد قائلا:((وامَّا البيت فهو لامرئ القيس بن حَجَر الكندي،ورُوِيَ أنَّ أمير المؤمنين لم يستشهد إلّا بصدره فَقط)).
شرح ابن ابي الحديد،ج٩/١٩٦.
وهكذا نسبه اغلب شراح النهج.
ينظر مثلا: منهاج البراعة ، ج٢/١٣٤. منهاج البراعة ، الخوئي ، ج١٠/١٦١ .
وينظر: أعلام نهج البلاغة ، ج١/١٥٤ .
ويرى الراوندي في تفسيره ايضا ان البيت لامرئ القيس، ولغيره .
ينظر: منهاج البراعة ، ج٢/١٣٤ .
وروى الشيرازي تتمة أخرى للبيت هي : ((**وهات حديثاً ما حَديث الرَّواحِلِ**)).
ينظر: توضيح نهج البلاغة ، ج٢/٤٤٨ .
وروى الخوئي في شرحه أن في بعض النسخ قد ذكر مصراع البيت ، ثم استدرك قائلا: " والظاهر هُو سَهوٌ مِن النُسّاخ، وانَّه لم يَتمثَّل إلّا بصدر البيت "
منهاج البراعة ، ج١٠/١٦١ .
(2) ينظر: شرح ابن أبى الحديد ، ج٩/١٩٨.
(3) ينظر: المكان نفسه .
وينظر: منهاج البراعة ، الخوئي ،ج١٠/١٦١ .
(4) لسان العرب، مادة(خطب) .
(5) ينظر: شرح ابن أبى الحديد،ج٩/١٩٩.
(6) المكان نفسه.
(7) ينظر: المكان نفسه.

’فأرِدّ عليكَ اِبِلَك’فذهَب فِي إثرِهِم حَتّى أدركَهُم’فقال: يابَني جديلة،أغَرتُم على اِبلِ جاري !فقالوا:ما هو لك بِجارٍ، قال:بَلى والله وهذهِ رواحلُهُ،قالوا: كذلِك ! قال: نَعَم فرجَعوا إليه فأنزَلوه عَنهن ،وذهَبوا بهن وبالإبِلِ،تَحوَّل بَعدَها امرؤُ القيس، ونزل عَلى جاريَة بن مرّة بن حَنبل آخي بَني ثَعل ، فأجارَه وأكرَمهُ،فقال يمدحه بأبياتٍ منها هذا البيت[1]،فصار البيتُ مَثَلا يُضرَب لِمَن ذهبَ من مالهِ شيءٌ ،ثُمَّ ذهبَ ما هو أجَلّ مِنه[2] .

لاشكَّ أنَّ التضمينَ الجزئي لشطرٍ من البيتين انطوى على فِكرةٍ مُماثلةٍ لما أراد الامام قوله،فافاد منها للتعبير عن تجربتهِ،وبَيَّنها بصورةٍ مُوجَزةٍ واضِحَةٍ اشدّ الوضوح،بفعلِ الإشارة إلى قِصَّةٍ كثر شيوعُها حتَّى أصبحت مَثَلا بينَ الناس.

عند الرجوع إلى السياق يتَّضح سَبب استحضار هذا الشطر دون سِواه،إنَّما كانَ للاشتراكِ في الدلالة المُعَبِّرة عَن معاناة كلّ من الإمامِ والشَّاعِر.

ووظف قول الأعشى: **(شَتّانَ ما يَومَي علي كُورها وَيومُ حَيَّانَ أخي جابِر)**[3].

في الخطبة الشَقشَقِيَّة حيث قال:((فصَبَرتُ وفي العَين قَذىً،وفي الحَلقِ شَجاً،أرى تُراثي نَهباً،حَتَّى مَضَى الأوَّلُ لسبيلهِ فأدلى بها إلى فلانٍ بَعدَه))[4] ثمَّ تَمثَّل بالبيتِ،لاستكمال بَيان حالهِ(ع) .

من المعلوم أنَّ للشعر الجاهلي قِدرةٌ على شَحن النصوص المُستَضِيفه لها بالدَّلالاتِ فيما لو روعِيَ فيها السياق،والاتِّساق مع المعنى العام،فيكون اكثر تأثيرا في المتلقين،وهذا ما أدركه الإمام وأحسن استخدامه،لاسيّما إذا تذكرنا ما للشعر الجاهلي من أثرٍ في النفوس من هنا ندرك بيان المعنى واتِّضاحه بفعل هذا التوظيف الناجح والكاشف للدلاله النص العميقة .

كذلك الأمر حين ضمَّن المثلَ العربي:((فعِندَ الصَّباح يَحمد القومُ السَّرى))[5] في خطبةٍ وعظيّةٍ طويلةٍ[6]، مُستَشهدا بذكرِ الأنبياء ونَبذِهِم لزخرف الدنيا’وطلبهم للآخرة ’كالنبي المصطفى(ص وآله) ، وموسى وداود(عليهما السلام)حتى وصل إلى هذا المَثَل الَّذي أدّى به وظيفةً إبداعِيَّةَ أدَّاها في التَّضمين

ثانِياً : دَلالةُ التَهديدِ وَ الوَعيد .

يتحقّق ذلك حين تُفصح التضميناتُ عن غضبهِ،فيؤدي التضمين وظيفةً اسقاطيَّةً مُوحية’تفجر طاقات دلالية مخزونة في ذهن المتلقي، لتعكس ذلك الغضب كقوله(ع)في كتاب بعثه الى معاويه ((... وذكَرتَ انَّهُ ليس لي ولأصحابي عندك إلاّ السَّيفُ؛ فلقَد أضحَكتَ بعد استِعبار! مَتى ألفَيتَ بَني عبد المُطَّلب عن الأعداءِ ناكلِين، وبالسَّيفِ مُخَوَّفِين ؟ لَبِّث قَليلا يَلحق الهَيجا حَمَل’فسيَطلِبُك مَن تَطلُب ...))[1].

---

[1] ينظر: مجمع الأمثال،ص:٩٤.
ينظر: شرح ابن آبى الحديد ، ج١٩٦/٩-١٩٧.
[2] ينظر: مجمع الأمثال ، ج٢٦٨/١.
ينظر: جمهرة الأمثال ، ج٤٥٢/١.
ينظر: النهاية في غريب الأثر،ج٣٤٣/١.
[3] ديوان الأعشى ، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت،١٩٦٨م، ص:١٩٢.
[4] نهج البلاغة،خ(٣)،ج٢٦/١.
[5] نهج البلاغة ،خ(٥٥٥)،ج٧٦/٢.
ينظر: جمهرة خطب العرب،ج١٣٨/١.
ينظر: الباب الثاني، الفصل الأول، ص،١٧٧.
[6] ينظر: نهج البلاغة ،خ (١٥٥)، ج ٧٠/٢-٧٦.
[1] المصدر السابق ، ك(٢٨)،ج٣٩/٣.

حيث وقع التضمين في القول:(لَبِّث قَليلا يَلحق الهَيجا حَمَل) وهو شطرٌ من البيت :

لَبِّث قَليلا يَلحَق الهَيجا حَمَل ما أحسَن الموتِ إذا الموتُ نَزَل

وقِيل أصلُه أنَّ مالكَ بن زهير تَوعَّد (حَمل بن بدر)[٢] فقال حمل : لبّث قليلاً يلحق الهيجا حَمَل فأرسل مَثَلا يُضرَب للوعيدِ بالحربِ وقِيل أ صله أنَّ مالكَ بن زهير تَوعَّد (حَمَل بن يدر) فقال حَمل: لَبِّث... ... البيت، ثم أتى وقتلَ مالكاً ،فظفر أخوه قيس بن زهير به وبأخيهِ حذيفه فقتلهما[٣].

لقد أستحضره الأمام بعد سؤالين على سبيل ألاستذكار وألاستغراب أراد بهما نَفي الخوفِ عن بني عبد المطلب مِن الأعداء والسيف ،فجاء التضمينُ توظيفاً دلاليّاً أراد به تَهديدَ معاويه ووعيده بالانتظار قَليلاً حتى يحضر الامام بجيشهِ ،وهو الذي سَيطلب معاوية "فسوف يطلبُكَ مَن تطلب" وبمجرد ذكر ألشطر الدّال على المَثَل وقصَّتِهِ نُدرك مقدارَ التَّهديدِ والوَعيد ،والذي يُعزّز ذلك قولُه"فسيطلبك مَن تَطلِب" ،وهو وعيدٌ بالسَّير الشَّديد إليه[٤].

وبهذا أجاد الامام توظيف شطر البيت،حتى أنَّ المتلقي يُدرك قَصده بمجرد قراءة الشطر،لاسِيَّما بعد أن جعله يبدو وكأنَّه من سياق الكلام ،مِن خلال أذابَتِهِ في كلامهِ ،فبدى الشطرُ وكأنّه وحدةٌ مُتجانسةٌ مع كلامه(ع)،واصبح بمثابةِ بناء هيكلي ذي نسيجٍ متساوق .

كذلك في قوله(ع) في جواب قوم سألوه عن عقابِ مَن أجلبَ على عثمان بَعدما بُويِع: ((يا أخوتاه أنّي لستُ أجهلُ ما تَعلمون وسَأمسِكُ ألامرَ ما أستَمسَك واذا لم أجِد بُدّاً ، فآخِرُ الدَّواءِ الكَيُّ))[١]،و(آخر الدّواء الكَي) أوّل مَن قاله لقمانُ بن عاد ، واصبح فيما بعد مَثَلا يُضرب فِيمَن يَستعمِل في أوَّل ما يَجب استعماله فِي آخِرهِ وفِي أعمال المخاشَنَةِ مع العدو إذا لم يَجِد مَعَهُ الّلين والمُداراة[٢].

مُستهل جوابه: "يا أخوتاه أنّي لست أجهلُ ما تعلمون" لا يُوحي بتهديدٍ أو وعيد مالم نُكمِل قراءة النص الذي يَصل ذروتَه في قوله(ع):(...وسأمسِكُ الأمرَ ما استمسك ،وإذا لم أجد بُدّا فَآخر الدواء الكي)،والانتهاء بآخر الدواء الكي تُسفِر عن حَلّ صارم وسريع يتَوضَّح بحرف العطف "الفاء" الذي لا يترك فسحةً زمنيةً بين ما يسبقه،وما يلحقه،إذ لا تَواني ولا توقف إذا لم يكن بدّ من ذلك .

وبعد الانتهاء من سَماع جوابه(ع) تظل دلالةُ المَثَل عالقةً ولاصِقةً،ومُدوّيةً في ذهن المتلقي، فيتصور من خلالهِ جِدِّيَّة الوعيد .

النص هنا ليس مُجرد بناء لغوي ذي دلاله موضوعية بقدر ما يشكل دفقة شعورية تُوحي بالكثير إن جاء في سياقٍ مُناسبٍ ،وتضمينه للمثل (آخر ألداء الكي)، في هذا السياق يمثل رغبة حقيقيَّةً لما يَعتري قلبَه من هؤلاء الذين حَمل كلامُه(ع) تهديداً حقيقيّا لهم لا مُوارَبة فيه ، وله من ذلك غير مثال[٣] .

ثالِثاً:دلالةُ التوبيخِ .

---

[2] ونسبه صاحب اللسان إلى ((**حمل**)) أيضا.
ينظر: لسان العرب ، ج١١/١٨٢.
ونسبه كثير من الشراح إلى(حمل).
ينظر مثلا: منهاج البراعة ، الراوندي ،ج٣/٨٢. ومنهاج البراعة ، الخوئي،ج١٩/١٠٠. و أعلام النهج ،ج١/٢٤٣

[3] ينظر: جمهرة الأمثال ، ج٢/٢٠٦.
ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ، ج٢/٣٥٥.

[4] ينظر: المكان نفسه.

[1] نهج البلاغة، خ(١٦٣) ،ج٢/٩٩.

[2] ينظر: مجمع الأمثال ، ج١/٢٩٢.
و: جمهرة الأمثال ، ج١/٩٧
و: المستقصى في أمثال العرب ، ١٩٨٢، ج١/٥..

[3] ينظر: قوله(ع) : ((**إنَّ غداً مِن اليومِ قَرِيب**))، نهج البلاغة،خ(١٥٢)،ج٢/٦٨،خ(١٨٣)،ج٢/١٥١.

كثيرا ما مُلِئ قلبه(ع) باللّوعةِ والحزن'وكثيرا ما تَرجَم أحزانَه إلى آهاتٍ عبر آلية التضمين، فَيستشعرها المتلقي غَضَبا تارةً ، أو حِزناً تارةً أخرى ، وقد يترجمها توبيخاً- لِمَن يستحقه- إذا كان ألامر يتعلق بحقوق العباد ، ونصرة الحق على الباطل ، ولا تأخذه في ذلك لومةُ لائم ما دام الأمر واقعا بين الحق والباطل ولا يهمّه كثرة الناس حوله أو تفرقهم عنه ، لأنّ طريق الحق قليل سالكوه

لقد بدأ بهذا الأمر مع أقرب الناس إليه'كالذي فعله مع ابن عمّه عبد الله بن عباس[٤] حين كان والياً على البصرة،ومِمّا جاء في وعظِه له من تضمين قوله(ع): ((أمّا بَعد، فأنّي كُنتُ اشركتُكَ في أمانَتي،وجعلتُكَ شِعاري وبطانتي؛ولم يَكُن رجلٌ مِن أهلي أوثَقَ مِنكَ في نَفسي لِمُواساتي ومُؤازَرَتي،وأداءِ الأمانةِ إليَّ؛ فَلمّا رأيتَ الزمانَ على ابنِ عَمِّكَ قَد كَلِب،والعَدُوُّ قَد حَرِب ، وأمانَة النَّاس قَد خَزِيَت، وهذه الأمَّة قَد فَنَكَت وَشَغَرت ؛ قَلَبتَ لابنِ عَمِّكَ ظَهرَ المِجَنّ،ففارَقتَهُ مع المُفارقِين،وخَذَلتَهُ مع الخاذِلين،وخُنتَهُ معَ الخائِنين فَلا ابن عَمِّكَ آسَيت،ولا الأمانة أدَّيت...))[١] .

قوله(ع): (ضَربت لأبنِ عمِّك ظَهر المِجَنّ) يُضرب مثلًا لِمَن يكون مع أخيه فيتغَيَّر عليه ويصير خَصماً لهُ ،ولِمَن يصير حرباً ،بعد كونه سلما[٢] وأصله إنَّ الرجلَ إذا كان سِلما لأخيه يكون بطن تِرسِهِ إليه فأذا فارقَه وصار حَربا له يَقلِب له ظَهرَ تِرسِهِ ليدفع بهِ عَن نَفسهِ ما يَلقاه مِن شَرّ، فجعلَ ذلك كنايةً عن العداوةِ بعد الصَّداقَةِ(٣) بعد أن(كَلب)الزمنُ: أي اشتَدَّ ، و(حَرب)العدو: أي استأسَدَ ، وأمانَةُ الناس قَد خَزِيَت: أي افتَضَحت خيانَتُها ، وبعد أن (فَنَكَت وشَغَرت) الأمة ،و(فَنَكت)، من (فَنَكت الجاريةُ):إذا صارَت ماجِنَة ، وهو تصويرٌ استعاريٌّ جميل ، يُظهر فسادَ الأمة التي(شَغَرت): أي خَلَت من الخير[٤] قلبت لأبنِ عَمِّك ظَهر المِجَنِّ : أظهرت له العداوةَ ؟ .

بعد هذا التقديم المصور لواقع الأمة ، وحال الإمام معهم ،نَستشعِر عظم وقع الحدث عليه ، إذ أتت الخيانةُ في خِضَم أحداثٍ تكالبَت ، وترافقَت ؛ اشترك فيها الزمنُ، والعدوُّ، والامةُ ، ولا بأس في ذلك كُلّه ، إلاّ أنَّ ما اوجع الإمام منها خذلان اقرب الناس إليه ، والمُطالب بالمُواساة ، والنِّصرة ،(ولم يَكن في أهلي رَجلٌ أوثَقَ مِنكَ في نفسي لمُواساتي ومُؤازَرَتي ، واداءَ الأمانةِ أليّ)،ولم يقتصر الأمرُ على المفارقة والخذلان فقط،إنَّما تعداهما إلى سرقة أموالَ الناس،كما هو واضح في قوله(ع): ((واختَطَفتَ ما قَدرتَ عليه مِن أموالِهم المَصونَةِ لأراملهم وأيتامِهم،اختطاف الذِّئبِ الأزَلّ دامية المَعزى الكَسيرة))[٥]

والصوره ألتشبيهية تُفصِح عن حَنَق الإمام وغَضَبه من هذه الخيانة الظالمة ، فالذئب الأزلّ: الخفيف الوركَين كِنايةٌ عن شِدّة عَدوِهِ ، وسرعة وَثبِهِ على مَعزى دامية،وهي كِنايةٌ عن ضعفها[٦] ،فنلمحُ طِباقاً معنوياً يكشفُ لنا غَلَبة الذِّئبِ ، وقوَّتهِ ، وضعف المَعزى ، وانكسارها ، وهما استعارتان ظاهرتان،تَحملان من الدلالةِ الكثير، وإذا كانت نهايةُ النصّ الأول تكشف عن توبيخ الإمام للمُخاطب ، فانَّ مقدمتَه تكشف عن شَكواه وتظلمه ، وبذلك كان وقعُ التوبيخ اشَدّ ومعناه آكَد .

والتضمين مَحل الشاهد مِن شِعرٍ يَنسَب إلى(مَعَن بن اوس) حيث قال :

قَلَبت لهُ ظهرَ المِجَنِّ فَلم أدُم على ذاك إلاّ رَيثَما أتحــوّل [٧]

---

[4] وإن كان الكتابُ وُضِع في الأصل تحت عنوان(ومِن كتابٍ له إلى بعض عمَّاله)، غير أنَّ المشهور انَّه كَتَبهُ لابن عمِّه(عبد الله بن عباس)، لوجود قرائن استدلوا بها لاثبات هذا القول كقوله(ع):((**قلبتَ لابن عَمِّكَ ظَهر المِجَنِّ**)) و ((**لأبنِ عمِّكَ آسَيت**))، وذهب البعض انه موجه لعبيد الله بن عباس.
ينظر: شرح ابن أبى الحديد،ج١٦/١٣٤.
ينظر: شرح ابن ميثم البحراني،ج٢/٤٠٨.

[1] نهج البلاغة، ك(٤١)،ج٣/٧٢-٧٣.

[2] ينظر: منهاج البراع ، الراوندي ، ج٣ /١٣٦ .

[3] ينظر: شرح ابن ميثم البحراني،ج٢/٤٠٩-٤١٠.
ويرى ابن الأثير أن القول: (**قَلبت لهُ ظَهرَ المِجَنّ**)، كناية عن تغير المودة.
ينظر: المثل السائر،ج٣/٧٧.

[4] ينظر: شرح ابن أبى الحديد،ج١٦/١٣٣.

[5] نهج البلاغة، ك(٤١)،ج٣/٤١٠.

[6] شرح ابن أبى الحديد ، ج١٦/١٣٣-١٣٤.

[7] المستقصى من أمثال العرب، ج٢/١٩٨.

وكذلك في قوله(ع):((أصبَحتُ واللهِ لا أُصَدِّقُ قولكم،ولا اطمَعُ في نَصرِكُم،ولا أُوعِدُ العدوَّ بِكُم،ما بالُكُم! ما دواؤُكم!ما طِبُّكُم!القومُ رِجالٌ أمثالُكُم! أقولاً بغيرِ عِلمٍ؟ وغَفلةً مِن غَيرِ وَرَعٍ ؟وطمَعا فِي غَيرِ حَقٍّ))[1].

في نَسقِ استفهامٍ استنكاري أعرَبَ الأمامُ عن استيائِهِ،وغضبِهِ ، بعد يأسه مِن نِصرَةِ أصحابه، وتقاعسهم عن حقِّهم،واستيلاء جند معاوية على كثيرٍ من بلادِ المسلمين،حتَّى أنَّه(ع)أقسمَ على ذلك باللهِ(أصبحتُ واللِه ...)،وفي ثنايا هذا الاستِياءِ و الغَضَب وَقَع توظيفٌ للتضمين الواقع في قوله(ع):(ما بالُكُم ! ما دواؤُكُم! ما طِبكُم!ألقومُ رِجالٌ أمثالكم!)،هو تضمين يعود بنا الى قول الشاعر الجاهلي (الشَرَّاخ بن يَعمر الكِنانِي):

القومُ أمثالُكُم لَمْ هُــم شَعَرٌ فِي الرَّأس لا يُنشَرُونَ قُتِلُوا[2]

وهو توظيفٌ ناجح لما كان شائعاً عند العرب قبل الإسلام ، إنّ المَلِك مُحاطٌ بهالةٍ مُقدَّسَةٍ حاكها الناسُ في مخيلاتِهم ، وخَوفُهُم من السِّحرِ والغَيبيَّاتِ والآلهة التي كانوا يَعبدونها ، وانّ دماءَ هؤلاء الملوك ليست كسائِرِ الدِّماء[3]، فهي تشفي من الجنون'وألحقوا بها جُملةً من المُعتَقداتِ، وتَرتَّبَ على ذلك اعتقادُ أمرٍ عَظِيم ؛ وهو أنَّ الملوكَ لا يُقتلون بسهولةٍ ، وفي يوم(ذي قار) "عندما قتَلَ فارسٌ بكريٌّ أحدَ أبناءِ ملوك فارس ألتَفَت إلى الجيش صائِحاً: "يا قوم انَّهُم يَموتون "[4]، وكأنَّه حَطَّم الأسطورةَ بِذلِك.

والذي أفاد دلالة التوبيخ فيه هو وجود سلسلة الاستفهام الإنكاري :(ما بالُكُم ؟،ما دواؤُكُم ؟ ما طبكُم ؟).

رابِعاً :دَلالةُ الوعظِ و النُصحِ و الإرشَادِ .

لعلَّ هذا التوظيف الدلالي مِن أشَدِّ التوظيفاتِ الدلالية بروزاً،واكثرها حضوراً في كلامِ الإمام، وكتبِهِ،وحكمِهِ،فأخذت مساحةً واسعةً في النَّص النهجي،وقد يكون المُبَرر لذلك كله هو انَّه(ع)كانَ حريصاً أشد الحرص على القيام بذلك لأنَّه إمامُ الامَّةِ وخليفتُها في زمانٍ كثرت فيه الفِتنُ وتداخلت فيه الأمور فكان لهم مَناراً ، وفَناراً في هذا البحر المُظلم مِن الفِتَن .

من ذلك قوله واعظا ابنه الحسن(عليهما السلام): ((رُوَيداً يَسفِر الظَّلامُ كأن قَد وَرَدَت الأضغانُ،يُوشِكُ مَن أسرَع أن يَلحَق ..))[1] .

في كلمات مُوجزه ، دالَّة، طرح الإمام معنىً كبيراً، مُكثفا، كاشِفاً عن نفسِهِ في تصوير بياني، جعل ما ضمّنه من مَثَلٍ ، هو،((رُوَيداً يَسفرُ الظَّلامُ))[2]،والذي يُضرَب للأمَلِ بعد اليأس،وقد اصبحَ مُحوَراً لهذا التصوير، ودلالةً توكيديَّةً من خلال استحضار المصدر(رُويدا)،ليُوصِل المتلقي – وباطمئنان – إلى أنَّ الظلامَ – وهو استعارة للشدّة– لابدّ أن يزول، مَهما طالت مُدّ تُه ،فَضلاً عن التقريب في الزَّمن ،والحامِلِ مَعَهُ فُسحَةً كَبيرةً مِنَ الامل .

" والاظعان: جمع ظعينه،وهو الهَودَج تركب فيه المرأة،عَبّر بهِ عن المُسافرين في طريق الدنيا إلى الآخرة،كأنَّ حالَهم أن وَرِدُوا على غايةِ سَيرِهِم "[3]،وما أسرع ما سيكون ذلك،والذي سيلحق

---

[1] نهج البلاغة،خ(٢٨)،ج٧١/١.
[2] شرح ديوان الحماسة،التبريزي ، ج١٢/١.
وذكر ابن أبى الحديد في شرحه مثل هذه العلاقة بين القولين
ينظر: شرح ابن أبى الحديد ، ج٩٠/٢.
[3] ينظر: الأسطورة والرمز في الأدب الجاهلي، د. عادل جاسم البياتي، ص :١١٥.
[4] شرح ديوان أبى تمام للتبريزي ، ج٢٠٨/١.
[1] نهج البلاغة،ك(٣١)،ج٥٦/٣.
[2] مجمع الأمثال،ج٢١٤/٢.
[3] شرح ابن أبى الحديد،ج٥٦/٣.

بالركبِ هو مَن أسرع خُطاه،كنايةٌ عن التَخفّف من الذنوب،وزخرف الدنيا،فَمَن كان مُثقَلا بالذَّنوبِ لا يكون مِمَّن سَيلحق بالركبِ .

إنَّ معرفة مَن وقع عليه الخطاب وهو الحسن (ع) ـ تعين في فهم وإدراك مقدار العظة،وعظمتها، والسياق هو الآخر يساعد في إدراك التبادل بين المعاني الموضوعية والمعاني العاطفية،والانفعالية[٤].

وثَمّة قول له يندرج تحت هذا التوظيف حيث قال واعظا: ((وأنعِم الفِكرَ فِيما جاءَكَ عَلى لسانِ النَّبيِّ الأمي ، صَلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّم مِمّا لا بُدَّ مِنه ، ولا مَحيصَ عنه وخالِف مَن خالف ذلك إلى غَيرِهِ ، ودَعهُ وما رَضِيَ لنَفسِهِ ، وضَع فَخرَكَ واحطِط كِبرَك ، واذكُر قَدرَك ؛ فأنَّ عَليه مَمَرَّكَ ؛ وكما تَدين تُدان وكما تَزرَع تَحصِد ، وكَما قَدَّمتَ اليوم تَقدِم عَليهِ غَداً ، فأمهد لقَدَمِكَ ، وقَدِّم ليومِكَ ، فالحَذَر الحَذَر أيُّها المُستَمِع والجَدّ الجَدّ أيُّها الغافل **" ولا يُنَبِّئُكَ مِثلُ خَبير** "))[٥].

نسجَ النصَّ في جمل انشائيَّةٍ فعليَّةٍ يتقدّمها في الغالب فعلُ الآمر(أنعِم ، خالِف ، دَعهُ، ضَع ، احطِط ، اذكر ،....) ثم استحضر مَثَلين مشهورين ليُنَبِّه بهما[٦]، وهما قوله(ع):(كما تَدين تُدان) و(كما تَزرع تَحصِد) ، وقد وقعت فيها الاستعارةُ في الدين والزراعة،والحصد [٧].

وعزّز نصحه وارشاده بأسلوب التوكيد اللفظي(فالحَذر الحَذر) و(الجَد الجَد)،ثم جاء التعزيز باقتباس قولِهِ تعالى: " ولآينبئك مثل خبير"[١]، فتعاضد التضمينُ و الاقتباسُ في حَشد الدلالة الوعظية التي بلغت درجة التحذير.

وله أيضا قوله واعظا:((تَكلَّموا تُعرَفوا فانّ المرءَ مَخبوءٌ تَحتَ لِسانِه))[٢]،وهذا مِمّا يعودُ بنا إلى قول(زهير بن أبي سلمى):

لِسانُ الفَتى نِصفٌ فُؤادُهُ فَلَم يبقَ إلاّ صورةُ ألَلَّحمِ والدَّمِ[٣]

وله شواهد أخرى لِمثلِ هذا النوع من التَّوظيف في ساحةِ النصّ النهجي ، استجلب فيها الماضي فحقق به ومضاتٍ واسعة الدلالة من خلال علاقات تناصّية تضمينية ، كما في إحضاره لاحد أبيات لَبيد في كلام له (ع) : ((ما خَير بخيرٍ بعدَهُ النار، وما شَرّ بشرٍّ بعدَه الجَنَّة ، وكُلّ نعيمٍ دونَ الجَنَّة فهو مَحقور ، وكلُّ بَلاءٍ دونَ النَّار عافِية)) (٤) .

---

(4) ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان، ترجمة د. كمال محمد بشر،مكتبة الشباب المنيرة، ط،١٠مصر، ١٩٨٦، م ، ص:٦٤.

(5) نهج البلاغة،خ(١٤٩)،ج٢/٥٦.

(6) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني،ج١/٦٢٥.
وقولهم:((**كَما تَدين تُدان**))،يضرب في الحث على فعل الخير.
ينظر: مجمع الأمثال،ج٢/١٦٢،١٥٥.
ونسبه بعضهم ليزيد بن الصعق
ينظر: جمهرة الأمثال،ج٢/١٦٨.

(7) شرح ابن ميثم البحراني،ج١/٦٢٥.

(1) سورة فاطر/١٤.

(2) نهج البلاغة، ق(١٤٩)،ج٣/١٨٩، ق(٣٩٢)،ج٣/٢٤٨.

(3) ديوان زهير بن أبى سلمى ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) ، ص :٨٩ .

(4) وهو قول لبيد : **ألا كُلُّ شَيءٍ ماخَلا اللهَ باطِلُ وكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالة زائِلُ.**
ديوان لبيد ، ص، :١٤٥.
ينظر: نهج البلاغة ، ح(٣٨٧)،ج٣/٢٤٧.

(5) وفي تضمين قول الشاعر الهذلي**والنَّفسُ راغِبةً إذا رغَّبتَها وإذا تُرَدُّ إلى قَليلٍ تَقنَعُ.**
ديوان الهذليين ، القسم الأول ، ص : ٣ .
نهج البلاغة ، ك(٥٦) ، ج٣/١٢٥ .

(6) وتضمين قول الشاعر: **اعلّمه الرماية كلَّ يومٍ فلَمّا اشتَدَّ ساعدُهُ رَماني**
نهج البلاغة، ك(٢٨)،ج٣/٣٤ .
ينظر: شرح ابن أبى الحديد ، ج١٥/١٤٧ .
ينظر: منهاج البراعة ، الراوندي ،ج٣/٧١ .

و تضمين قول الشاعر أبى دُؤَيب الهُذَلي في قولِه(ع):((واعلم انَّكَ إن لَم تَردَع نفسَكَ عن كثير مِمّا تُحب مَخافةَ مَكروهٍ سَمَت بكَ الأهواءُ إلى كثيرٍ مِن الضَّرَر)) (٥) .
وتضمين قول أحدهم في قوله(ع) لمعاوية: ((فكنت في ذلك كناقلِ التَّمر إلى هَجَر، أو داعي مُسَدِّدهِ إلى النِّضال)) (٦)

خامِساً :دَلالةُ الإقناع، و الإفهَامِ .

ولرُبَّما تفضي دلالةُ التضمين إلى الإقناع ، وحَثّ المتلقي لأمرٍ ما واقناعِهِ بقرينةٍ عقليَّةٍ مع تهيئة مناخ نفسي مصاحب داعم للفكرة والدليل ، إذ لم يكن الهدف العقلي غائباً عند الإمام ، وكثيرا ما أعتمد المنهج العقلي في الحديث عن العقائد من؛ توحيدٍ ، ونُبوَّةٍ ، ومَعادٍ وغيرها كثير حتى يصل الأمر إلى حديثِهِ عن الحقِّ والباطل .
فالشاهد الشعري قد يكونُ دليلا،والمثل مَقروناً بالحِجَّةِ(١) وفي اسلوبٍ شطري ضِمنَ معنىً قام على الإقناع بما قدَّمه وصولا إلى نتيجةٍ حتميَّةٍ،فقال(ع): ((مَن كَرُمَت عليهِ نَفسُه هانَت عَليهِ شَهَوته))(٢)،لقد بدأ من حيث انتهى حاتم الطائي:

فأنَّكَ إن أعطَيتَ بَطنَكَ سُؤلَهُ وفَرجَكَ نالا مُنتَهى النِّمّ اجمَعا(٣)

مِن أوضح مَصاديق الشهوة؛ البطن والفرج،واشارته(عليه السلام) بالاسمِ العام شاملٌ لكلِّ مصاديقها والمفردتان(كَرُمَت،هانَت) تُوحِيان بذلك التنازع بين النَّفس والشَّهوةِ .
ومن المَثَل السائر،والمَضروب فيمن يحمل شيئاً إلى مَن هو في غِنىً عَنه أقام الحِجَّة على معاوية في جوابه له حين نصحهُ بما هو في حاجةٍ له فشَبَّهَهُ بِمَن يَحمل التَّمرَ إلى هَجَر فقال(ع): ((فلقد خبّأ لنا الدَّهرُ مِنك عَجَباً إذ طَفقتَ تُخبرُنا بِبَلاءِ الله تعالى عِندَنا ونِعمَته علينا فِي نَبيِّنا،فَكُنتَ في ذلك كَناقل التَّمر إلى هَجَر أو داعي مُسَدِّده إلى النِّضال...)(٤) .
محاولة لإفهامهِ واقناع الآخرين، إنَّ حديث معا ويه في بيان نعمةِ الله على الناس في بَعث النبي المصطفى(ص واله)،فيرى(ع)إن ذلك من عجائب الدهر وانَّ معا ويه في عملهَ هذا كَمَن ينقل التمرَ إلى(هَجَر)،وهي مدينةٌ اشتَهَرت في كِثرةِ تمورها ،وهو كناية عن العمل الذي لا طائلَ من ورائهِ،وجاء به(ع) كعاملٍ من عوامل الإقناع النفسي للسامع، وجاء به(ع) ليُحَقّق هذه الغاية ، ووقع الأمُر في اختيارهِ وتوجيههِ وفقَ منظومةٍ نفسيَّةٍ تستند إلى شيوع المعنى،ومعرفة المَغزى للاستدلال على ما ُريد بيانه .

---

(1) نقد الشعر، قدامة بن جعفر ت(٣٣٧) هـ، ص :٥٧.
ويرى السيوطي أن في ضرب المثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة.
ينظر: الإتقان في علوم القران،ج٣٩/٤.
(2) نهج البلاغة، ق(٤٤٩)،ج٢٦٠/٣.
(3) ديوان حاتم الطائي، ص :١٧.
ينظر: شرح حكم نهج البلاغة ، ص :١٧٩.
(4) نهج البلاغة، ك(٢٨)،ج٣٤/٣.

وبالاضافة للإقناع والإفهام يتَحقَّق أمرٌ آخر،حين يكون التَّضمينُ وسيلةٌ – بالاضافةِ لما تقدم – للتفريغ النفسي،كما في قولهِ حين بَرَّأ نفسَه مِمّا تَّهمَه بهِ معا ويه في قتلِ الخليفة عثمان بن عفَّان، فأفلَحَ في ذلك أيّما فلاح،إذ قال: ((وماُكنتُ لأعتَذِرَ مِن أنّي كُنتُ انقم عليهِ أحداثاً فأن كان الذنبُ إليهِ إرشادي وهِدايتي له،فربّ ملوم لا ذنب له،وقد يستفيد الظنة المتنصّح))[1]

وصل الأمر إلي أن يقدم نصحه وارشاده للخليفة من قِبَلهِ حَتّى أُسِيءَ بهِ الظَنُّ،فلم يَجِد بُدّاً من استحضار هذا البيت الذي ينطبق تمام الانطباق على حالِه.

المبحَثُ الثَانِي :الوَظيفةُ الفنّية :

ليس التضمين بأقلّ مساحة من الاقتباس،ويمثل هذا المبحث الملمح الفني ـ بانواعه ـ للتضمين الذي تَتّكيء النصوص عليه فيتَجلى بسماتٍ فنيَّةٍ لاتقلُّ أهميَّةً عن الروافد الدلالية في النصّ

ومثلما كان للتضمين دور في العطاء الدلالي، كان له دور في التو ظيف الفني،والذي تمثّل بمستوياتٍ عديدةٍ منها :

أوَّلا:ألمستوى البَلاغِي :

---

[1] نهج البلاغة، ك(٢٨)،ج٣/٣٩.

ينظر: الباب الأول ، الفصل الأول،ص:١٦٤.

تنوّع التوظيف الفني في هذا الجانب البلاغي ، لاسيّما فيما يتعلق بالمجاز مِن تشبيهٍ،واستعارةٍ، وكنايةٍ ، علما أنَّ البلاغة لم تكن مَقصودةً لذاتِها بِقَدَرِ ما كانت تُمَثِّل سليقةً طَوعِيَّةً، فِطريَّةً للإمام ،وأبرز تلك التوظيفات البلاغية :

أ: رفدُ الصُورةِ البيانيةِ في النَّص .

لقد مَثَّل التشبيه ركيزةً من ركائز هذا التوظيف ، ومن خلال الركون إلى هذا الفن البلاغي توضَّحت كثيرٌ من المعاني ، بصورة مُعبِّرة ، كقوله لما أراد تصوير حزنه ، وألمه مِمّا أصابه من نكوص أصحابه عن نصرته ، وتخلفهم عن حقهم ، وتخليهم عنه .

صوَّر مالا يُمكِن تصويره لولا هذا التشبيه في قوله(ع):((أ شهُودٌ كغِيَّاب،وعَبيدٌ كأرباب،أتلو عليكُم الحِكَم فَتَنفِروا مِنها،وأعَظكم بالمَوعِظةِ فتَتَفَّرقون عَنها،وأحثّكم عَلى جِهادِ أهلِ البغي فما آتي على أخرِ القول حَتّى أراكم مُتفَرِّقين أيادي سَبَأ،ترجعون إلى مَجالِسِكُم وتَتَخادَعون عن مَواعِظِكمُ))(١).

وصفهم بالكبر والتّيه(٢) بأسلوبٍ إنشائيٍّ استفهاميٍّ استنكاريٍّ ساخر برفقة أسلوبٍ بيانيٍّ تشبيهيٍّ شَبَهَهُم بالغِيَّاب،على الرغم من حِضورهِم ، وبالا رباب مع كَونِهم عَبيداً ، فشَكَّلت الالفاظُ (شُهود، غِياب)،(عَبيد،أرباب) فَنّاً طِباقيّاً مُتَمِّماً للصورةِ التشبيهيَّةِ،وامتزجا ليَرسُما صورةً لتناقضات هؤلاء، وتبدلهم من حالٍ إلى حال ووَجه الشَبَه أنَّ الفائدةَ في شاهدِ الموعظة دون الغائِب عنها هي سماعُها والانتفاعُ بها،وامَّا الثانية فلأنَّهم رَعِيَّة مِن شأنِهم التَعبُّد لأوامر أمرائِهم،ثم أنَّهم لتعززهم وشموخهم كِبَراً وعَدم طاعَتِهم كالأرباب الذين مِن شأنهم أن يأمروا ولا يأتَمِروا،ثُمَّ وَبَّخَهُم بنفارهم عَمّا يتلو عليهم من الحِكَمِ وتفرّقهم عن مَواعِظهِ البالغة[1]،وهم بعد نفورهم مِمّا يقول،وتفرقهم عن حقهم،إنّما تَفَرّقوا كأيادي سَبأ .

إنّها صورةٌ تشبيهيه ، تضمّنت دلالةً اشارية للمثل المعروف بقِصَّتِه بين الناس آنذاك ، ووظفها (ع) لبيان تفرق القوم ، أو للدعاء عليهم[2] ،هي صوره قامت على التشبيه البليغ وتقديره: (كقوم سَبَأ) ، وهناك توظيف مُماثِل لمَثَلٍ عربي شاعَ ذِكرُه في موضع آخر من مَواضع النهج[3] .

أمّا الأسلوب الاستعاري فقد وُظِّف توظيفاً ناجِحاً في الإفصاح عَمّا يَجول في فكر الأمام، بصور نكاد نراها ،وما كان لها لتَظهر لولا هذا التوظيف،وكثيراً ما كانت الاستعارة في دراسات السابقين ومُؤلَّفاتِهم كاشفةً عَمّا يدور في النفوس من آمال،ومَحبَّةٍ،أو بغض،أو عرض لقضايا اجتماعيه وهُموم نفسيه[4].

وكذلك قوله(ع)لأصحابه في بعض أيّام صفين يحثّهم على قتال الأعداء الذين كَمِنَ الشَّيطانُ في عسكرهِم :((...وامشُوا ألي المَوتِ مَشياً سُجُحا ،وعليكُم بِهذا السَّوادِ الأعظَم ، والرِّواقِ المُطنِب فأضربوا ثَبجَهُ ، فأنَّ الشَّيطانَ كامِنٌ في كِسرهِ وقد قَدَّمَ للوثبَةِ يَداً وأخّر للنكوص رجلا ، فصَمداً صَمداً ، حتَّى ينجلي لكُم عمودُ الحَقّ " **وانتم ألا علون**" ، واللهُ مَعَكُم ولن يَتِرَكُم أعمالَكُم))[5].

---

(1) نهج البلاغة،خ(٩٣)،ج١/١٨٨.
(2) شرح ابن أبى الحديد،ج٧/٦١.
(1) شرح ابن ميثم البحراني،ج١/٤٧٧.
(2) يرى الغروي انَّه دعاءٌ عليهم،ثم يستدرك فيقول " ولكن ظهورها في تشبيهِ تفرِّق أصحابهِ عند خطابه(ع)بتفرق سبأ يمنع الدعاء اللّهم إلّا أن يعم المعنيين بالاشتراك " .
ينظر: الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، ص:٧٦.
(3) في قوله (ع) مشبها نصح معاوية له بـ((**ناقل التَّمر إلى هَجَر**)) .
نهج البلاغة، ك(٢٨)،ج٣/٣٤.
(4) في الأدب والبيان، د. محمد بركات، ص :١٠٥ .
(5) نهج البلاغة ،خ(٦٣)، ج١/١١١-١١٢.

وصايا عديدة وجَّهَها لجندهِ مُستَحضِرا فيها تصويراً دقيقاً بآليَّةٍ بيانِيّهٍ كاشفةٍ للمعاني،ومُجَسّدةً لها في المفردة(الشيطان)،هي تعبيرٌ استعاريٌّ دالٌ على ضَلالَة جيش الأعداء وغِوايتهم.

وقعت الاستعارةُ التصريحيةُ في هذه المفردةِ المضغوطةِ بالدَّلالاتِ لمعاوية بجامع الضَّلالة والغِواية للناس في كلّ[٦] لذلك أوصاهم(ع) بضَربِ(ثَبَجهِ)أي وسطه[٧]،والهاء تعود إلى الرِّواق، فالشيطان أي معاوية كامِنٌ في وَسطه .

ولِحثّ الجُند على قِتال الشيطان وحزبه،رسمَ لهم صورةَ تَردّدِه وخوفهِ،وأظهرها باستحضار استعارةٍ تمثيلية في ألمَثَل الَّذي اصبح يُضرَب للمُتَردِّد في أمرٍ ما،وهو قوله(ع):(لقد قَدَّم للوَثْبَةِ يداً وأخَّر للنكوص رِجلا)،ويكون (تقديم يَدهُ للوَثبةِ كنايةعن تزيينه لأصحابِ معاوية الحرب والمَعصية،وتأخيرُ الرجل للنكوص كنايةٌ عن تهيئَتِهِ للفرار إذا التقى الجَمعان كما حكى الله سبحانه عنه (فلَمَّا تَرائَت الفئتان نَكصَ على عَقِبَيهِ وقال انِّي بريءٌ مِنكم) [١]،قال ابنُ الأثير،بل هو مَثَلٌ بالصميم يُقال على كلِّ مَن شَاكَلَهُ في الجُّبن إن جاء الحَدَّ،والإقبالُ على الدنيا ما وجَد إليها سَبيلًا وهو من صفاتِ الأنذال[٢].

نجح الإمام(ع)في هذا الاستبدال المجازي ذي القدرة على وضع المتلقي أمام صورةٍ فنيَّةٍ مُتحَرِّكَةٍ ،تنبض بالحياةِ حتَّى يكاد يَراها،فكان تحريكها للنفس أقوى وهذا ما ابتغاه (ع)في نصِّهِ،وبذا اصبح النصُّ ذا قيمةٍ دلاليةٍ بمَعرَضٍ حَسَنٍ يشِدُّ السامعَ باعتماده الركائز المعرفية عند المتلقي،فكان التضمين بمثابة إحالة سريعةٍ،تكفي الإشارةُ إليها لتكتمل الصورةُ فيتصوَّرها المُتلقي كيفما يشاء للوصول به إلى حقيقةٍ واحدةٍ وهي التردد والخوف في صفوفِ العدو،وهنا تَجلَّت وظيفةُ التَّضمين البلاغي توظيفا يُفَجِّر الوعيَ المخزون في الذَّاكِرةِ .

ولعب التوظيفُ البلاغي دوره من خلال الطباق في المفردات:(خَير،شَر)،(الجَنَّة،النَّار)،(نَعيم بَلاء) ، في قوله(ع)الذي سَبَق ذكره في هذا الفصل[٣].

وجاء بأنزياحٍ جميلٍ آخر في قوله(ع):((مَعاشِرَ المُسلمين استَشعِروا الخَشيَة،وتجلبِبُوا السَّكينة ،وعَضّوا عَلى النَواجِذِ فأنَّه أنبَى للسُّيُوفِ عَن الهَام،واكمِلُوا اللّامَة وقَلقِلُوا السُّيُوفَ فِي أغمادِهَا قَبل سَلِّها والحِظُوا الخَزَر،واطعِنُوا الشَّزَر، ونافِحُوا بالظُّبا،وَصِلُوا السّيوفَ بالخُطا))[٤]

إنَّ استشعارَ الخشيَةِ،وتَجلبُبَ السَكينَةِ استعارتان مُجَسِّمَتان للخَشيَةِ والسَّكينةِ،وإظهارهما بمظاهر اللبوس' للدلالة على ضرورة التحلي بهما في مثل هذه الساعة من الحرب،وقوله(ع):(وصلوا السُّيوف بالخُطا)،هو أمرٌ بوصل السَّيف بالخُطا لتَدارك قصر السَّيف،أو التردد،لانَّ الزحفَ في الحَربِ إلى

---

(6) يرى ابنُ أبي الحديد انَّه(ع) ربما أراد بالشيطان إبليس، أو ربما أراد بهِ معاوية،والثاني هو الأقرب لوجود قرينةٍ تُؤيِّده، وهي(**قَد قَدّم للوثبَةِ يَدا**))، والى القول الثاني ذهبَ كثيرٌ منَ الشُّراح.
ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج١٣٧/٥.
ينظر: شرح ابن ميثم البحراني، ج٣٣٥/١-٣٣٦.
ينظر: منهاج البراعة ، الراوندي ،ج٢٩٢/٢ .
ينظر: منهاج البراعة ، الخوئي ،ج٢٧/٥ .
توضيح نهج البلاغة ، ج٢٦٣/٢.
وقد يكون المراد به - الشيطان- عمرو بن العاص .
ينظر: منهاج البراعة ، الخوئي ،ج٢٧/٥ .

(7) لسان العرب، مادة (ثبج)
ينظر: شرح ابن أبي الحديد،ج١٣٧/٥.

(1) شرح ابن ميثم البحراني،ج٣٣٦/١.

(2) ينظر: المثل السائر ، ج٧٣/٣.

(3) ينظر: الباب الثاني ، الفصل الثاني، ص : ١٩٣ .

(4) نهج البلاغة ،ح(٦٣) ، ج١١٠/١-١١١.

العَدو والتقَّدم إليه خطوات في حال المُكافَحَةِ يَكسر تَوهُّمَهُ الضَّعف،ويُلقي في قلبهِ الرُّعبَ ويُداخِلهُ الرَّهبة[٥]،وذلك مِن قول الشاعر:

وإذا قَصُرَت أسيافُنا كانَ وَصلُها خُطانا إلى أعدائِنا فَنُضَارِبُ[١]

أو قول الشاعر:

نَصِل السيوفَ إذا قَصُرنَ بِخُطونا يَوماً ونَلحقُها إذا لَم تَلحَق[٢]

أو من قول الشاعر(بشربن عبد الرحمن بن كَعب):

وإذا السيوفُ قَصرنَ أكملها لَنا حَتَّى تَنالَ بها ألعَدوَّ خُطانا [٣]

ولهذه الاستعارة أثرها في رسم صورةٍ بيانيَّةٍ تُمَكِن المُتلقي مِن تصورها،وإدراكِها ،إذ كلما كانت الصورةُ ابسط اكتسبَت أهميتَها "والصورة الفنية تَكتَسِب عنصرَ الاهميَّةِ بِقَدرِ ما تَتَميَّز بالوضوح والبساطةِ وبالألفةِ "[٤] .

وقد وردت في هذا المعنى أشعارٌ كثيرةٌ ذكرها ابنُ أبى الحديد في شرحهِ،وفي غيرِ واحد من كتبِ الأدب[٥].

ومِمّا ضَمّنه بأسلوبٍ كِنائيٍّ،ما جاء في قوله(ع)في كتابٍ وجَّهَهُ لأبن عمه(عبد الله بن عباس): (قَلبتَ لأبن عمِّكَ ظَهرَ المِجَنِّ)،كما مرَّ في موضعٍ سابقٍ في هذا الباب[٦]

ب:القدرةٌ عَلى التَجسِيم والتَشخِيص .

للشعرِ والمَثَلِ دورهما في استجلاءِ المعاني وابرازها في تجلّياتٍ ماديَّةٍ تَمثَّلت في تجسيمِ ما دَقَّ وخَفِيَ،وتشخيص الجمادات غير الحَيَّة ،فالشعر ساحةٌ يتزاحم فيها هذان الفنان،وللمثل –أيضا – " شأنٌ ليس بالخَفِي في إبراز خَبيَّاتِ المعاني،ورفع الأستار عَن الحَقائق حتى تُريكَ المُتَخَيَّل في صورةِ المُحَقّق والمُتَوَهَّم في معرض المُتَيَقّن والغائب كأنَّهُ مُشاهَد" [٧]،وهذا هو صميم فن التجسيم .

والغايةُ في ضَرب الأمثال عند الزركشي ت(٧٩٤)هي تشبيهُ الخَفي بالجَّلي والشَّاهد بالغائِب[١]،وبذلك تصور الحياة تصويراً دَقيقاً [٢].

---

(5) شرح ابن ميثم البحراني ، ج٣٣٥/١.

(1) نسب البيت إلى الاخنس بن شهاب، كما في خزانة الأدب، ونسبه صاحب (الأشباه والنظائر) إلى قيس بن الخطيم.
ينظر: خزانة الأدب ،ج٢٤/٣.
ينظر: الأشباه والنظائر، ج١٢٠/١.
ينظر: شرح ابن أبى الحديد ، ج١٣٤/٥.
ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ، ج١٢٠/١.
وأورده أبو تمام في حماسته بصيغة **(وإن قَصُرت أسيافُنا)**.
ينظر: شرح الحماسة، للتبريزي ، ج٤٨٨/١.

(2) نسبَهُ صاحبُ (الكامل في الأدب) إلى كعبِ بن مالك.
ينظر: الكامل في الأدب ،ج١١٤/١.
ينظر: شرح ابن أبى الحديد ، ج١٣٤/٥-١٣٦.
ونسبه التبريزي إلى (كعب بن مالك) أيضا ، ولكن برواية:
نَصل السُيوف إذا قَصـُرنَ بخطونا قُدماً فنلحقها إذا لـَم تَلحَق
شرح حماسة أبى تمام ، ج٨٤/١.

(3) حماسة أبي تمام،شرح التبريزي ، ج٤٨/١.

(4) دراسات في صور القرآن ، ص:٧.

(5) شرح ابن أبى الحديد ، ج١٣٤/٥-١٣٦.
ينظر: خزانة الأدب ، ج٢٤/٣.
ينظر: ألبيان والتبيين ، ج٢٦/٣.

(6) ينظر: الباب الثاني ، الفصل الأول ، ص :١٧١.

(7) تفسير الكشاف ، ج٧٢/١.

(1) ينظر: البرهان في علوم القران ، ج٤٨٨/١.

وبِفَنَّي التجسيمِ والتشخيص تَتَكشَّف العلاقةُ بين ما هو مُتخيَّل وما هو واقع ، حينئذ تتوفر للمتلقي فرصةُالتخيل لما لا يُمكِن تخيله ، ورسمهِ بصُوَرٍ يمكن إدراكها ، وبفضلِ ما تقدّم كان للنص النهجي القدرةُ على بثِّ طاقةٍ توصيليَّةٍ تشدُّ المتلقي ، وتستوقفَه طويلا، فهو- النصّ- ليس قطعة بلاغية ذات جمالٍ مُجرَّد،بل ذو وظيفةٍ مُتقَنة[٣].

من ذلك قولُه(ع): ((ولقَد شَهِدَنا فِي عَسكَرِنا هذا أقوامٌ في أصلابِ الرِّجالِ وأرحامِ النساءِ سيرعف بهم الزَّمانُ ، ويقوى بهم الإيمانُ))[٤]، لقد وُظِّفَ التجسيمُ وأُخرِجَ الزمانُ بيهئةٍ آدميَّةٍ ، مُتَحرِّكة تَتَراءى أمام المُتلقي ، قدّم لها بفنٍّ مجازي عقلي باعتبار ما يكون إذ أنَّ أنصارَه هؤلاء لم يُولَدوا بعد بقرينة انّهم (في أصلابِ الرجال ، وأرحامِ النساء) ، وانّما نَسَبَ وجودَهم إلى الزمان لانّه من الأسباب المُعدّة لقوابلِ وجودِهِم[٥]، ودار التوظيفُ التَّضميني لقولِ الشاعر :

. **وما رَعَفَ الزمانُ بمثل عَمرُو وَلا تَلد النِّساءُ لَهُ ضَريبا** [٦]

يبدو أنّ استعارةَ المفردة (يَرعَف) تحمل دلالة الولادة بقرينةِ(يَرعَف بهم)،ولم يَقل (يَرعفهُم) وبهِ دلالاتٌ عديدة ، منها كثرة هذا الولادات ، وتدفّقها ، والذي عزز هذه الدلالة فعل الرعاف المُتَعارف عليه بكثرتِهِ،وترادفِهِ في حالِ حصولِهِ،كان التضمين بمنزلةِ التَّصوير والتَّشكيل لمعنى خفي ودقيق .

وكذلك صوَّر لنا النفسَ بهيئةِ فَرسٍ جامحٍ يجب الإمساك بلجامِهِ ، وردعهِ طَلَباً للسلامة ، والامان في وصيةٍ له (ع) لشريح ابن هانيء: ((... وأعلم أنّكَ أن لم تردَع نفسَك عَن كثيرٍ مِمّا تُحِب مَخافة مَكروهٍ سَمَت بكَ الأهواءُ إلى كثيرٍ مِنَ الضَّرَر))[٧].

إن لم تردعها سَمت بك أهواؤُها إلى كثيرٍ من الضَّرر ، والدالّ على ذلك التجسيم للنفس هو القول (تَردع نفسَك) ، والتي تُحيل إلى دلالات ، لعَلّ من أبرزها تَخيل النفس بصورةِ فَرَسٍ جامحٍ لابُدَّ من رَدعِهِ ـ مَنعه بقوَّةٍ ـ والتَّمَكن مِنه،وإلّا فسيقودنا إلى كثيرٍ مِن الضَّرر،فالنَّفسُ راغِبَةٌ إذا ما رغَّبتَها وإذا رُدَّت إلى قليلٍ تَقنَع،فالتضمين وما صاحبه مِن تَجسيم يُحِيلُ إلى مَعانٍ خارجَةٍ عن النَّهي من حيث البنية،وحاضرة من حيث المعنى،وتَعود بهِ إلى اشاراتٍ دالَّةٍ تَعود عليه بصورةٍ مُتحَرِّكَة ، ولمّا كان سياقِ النص وعظِياً فقد جاء مُتكامِلا في تأديته للتوظيف،والمعنى في بنيةٍ مُنسجِمةٍ،وتعالق الإبداع عند الإمام مع ما ضمّنه على مستوى التناص،وهذا ـ قد ـ يُبدي لنا إعجاب الإمام(ع) بما ضَمّنه، ويدل على سعة معرفتِهِ،وحفظِه،وكثرة مَخزونهِ الشعري لثقافةِ عصرهِ،وبإعادةِ صياغَتِهِ لَمَّا جاءَ بانزياحٍ جميلٍ ليُخرج المعنى من السكونِ إلى الحركةِ،فارتقى به إلى أدبيةٍ فنيَّةٍ عالية .

ومن خطبة له(ع):((فالله الله عِبادَ الله فأن الدُّنيا ماضيةٌ بكُم عَلى سَنَنٍ ، وانتُم والساعةُ في قَرَنٍ ، وكأنَّها قَد جاءت بأشراطِها ، وأزفَت بإفراطِها ، ووقفَت بكُم على صِرا طِها ؛ وكأنَّها قد أشرَفَت بزلزالِها ، وأناخَت بكَلاكِلِها ، وانصَرمَت الدُّنيا بأهلِها ، وأخرجَتهُم من حضنِها فكانَت كيومٍ مضى أو شهرٍ انقضى ..)) [١] .

يلتقي المتلقي بشريطٍ تصويري اعتمَد فَنَّ التشبيه،والاستعارة،بعد تمهيد كنائي مُوضحا قرب الساعة (وانتُم والساعة في قَرَن)،وقدّم لذلك كله تحذير عِبر آلية التوكيد اللفظـي:(فالله الله عـباد الله).

ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني ، ص:٨٢،٥٥.

ينظر: مفاهيم القران ، ص:٤٣.

[2] المجلة في الأمثال لأبي عبيدة (معمر بن المثنى)، د. حاكم حبيب الكريطي، مجلة اللغة العربية وآدابها،جامعة الكوفة،ع(١)السنة الاولى،٢٠٠١م ، ص:٦٤.

[3] ينظر: سلطة الحق ، ص :٢٨٦.

[4] نهج البلاغة ، خ(١١) ، ج١/٣٩-٤٠.

[5] ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ، ج١/١٩١.

[6] ينظر: الباب الأول ، الفصل الأول ، ص :١٧٢.

[7] نهج البلاغة ، ك(٥٦) ، ج٣/١٢٤-١٢٥.

[1] المصدر السابق ، خ(١٨٥)،ج٢/١٥٥.

يلمح المتلقي اعتمادا للنص على قوله تعالى:(إذا زُلزلت الأرضُ زلزالها،واخرَجَت الأرضُ أثقالها)(٢)،والذي يُعزّز هذا الزعم وجود بعض المفردات،والبناء والموسيقى،وتشابه الفاصلة .

ومع التجسيم في استعارة لفظ الكَلا كِل لأهوالِ الساعة الثقيلة ، ووصف الاناخة لهجومها بتلك الأهوال على الناس(٣) ، واعتَبرت مُرشِّحة لوجودِ ما يُلائِم " المُستعار منه " وهو(أناخَت) ،وتَعزّزت دلالاتُها بوجودِ صيغةِ الجمع(كَلا كِلِها)"،باعتبار تَعدّد أهوالها الثقيلة النازلة بهم"(٤) ويعود بنا هذا التجسيمُ إلى قول امرئ القيس،مُشبِّها كثرة همومه وقساوتها:

لَيلٍ كَموجِ البَحر أرخى سُدُولَهُ عَليّ بأنواعِ الهُمُومِ ليَبتَلي

فقُلتُ لهُ لمّا تَمطّى بِصلبِهِ وأردَفَ أعجازاً وناءَ بكَلكَل (٥) .

،

وحيث استمد الإمام(ع) صورته من الناقة،إدراكاً منه لما تشكله من وجوٍ مَلحوظ في حياة العرب في الجاهلية والإسلام،ولِما لها من منزلةٍ خاصَّةٍ في نَفَس العَرب، فنجد حضورها في الشعر العربي حضورا كبيرا(٦)،وبفضل هذا التجسيم المُرتَكز على صورة النَّاقه وثقلها،يُدرك المُتلقّي مَدى عَظَمَةِ أثقال أهوال الساعة،فكان وسيلة إيضاح لأمر خَفِي دقِيق .

ثانِياً : المستَوى الموسِيقي :

يقوم النصّ أحيانا على إبداعيةِ التشكيلِ الموسيقي الذي منَحه جماليةً وتأثيراً يُعضِّد دلالتَه ومعناه،فالدور الموسيقي هو أحد عناصر الأسلوب الفني(١) .

وتوضيح ذلك عند عرض المعاني في صُورٍ تستند إلى حَشدٍ موسيقيٍّ يتناسب والمعنى،ويتواشج معه،فتدل بذلك على ابتكاريَّةٍ توليديَّةٍ عند المُبدع ،والمُتلقي يدرك الأثرَ الدلالي للمفردات من خلال سماعه لها،ومن ثم يدرك معنى النصّ العام،إذ أنَّ وضعَ الحرفِ،أو الكلمةِ أو الجملةِ على نحوٍ محدود إنَّما يكون لمزايا ومَلامح فنية تأتى في مَقدَّمَتِها الموسيقى .

عند النظر إلى السياق الداخلي(اللغوي) ندرك علاقة الكلمة،أو التركيب من خلال موقعها في النص ،وعلاقتها بما يسبقها،من هنا نجد تغييرا طفيفا فيما يُضمِّنَه لمناسبةِ السِّياق المُوسيقي كما في قوله(ع): ((... فَلِكلِّ اجَلٍ كِتاب،ولِكلِّ غَيبَةٍ إيّاب،فاستمعوه مِن رَبَّانيكُم،واحضروه قلوبَكُم))(٢) اعتمد الإمام الفاصلة الموسيقية المسجوعة في نَسَقٍ موسيقي أذاب فيه ما ضمّنه ليصبَح جزءاً من النص لايمكن رفعه،(لِكلِّ أجَلٍ كِتاب)و(لِكلِّ غَيبَةٍ إيّاب) جُملتان مُتوازنَتان مَسجوعتان،اردفهما بجُمَلٍ مَسجوعَةٍ مُتناغِمَةٍ، أضفَت جميعُها بُعدا موسيقيا مُؤثّرا يشد السامعَ ويُغريه بالاستماع إلى مزيد . والمدُّ في (كتابٍ،إيّاب) يُوحي بالسعة،والفُسحةِ،وبالتالي يحتاج المتلقي بُرهة من الانتظار لما يُفصح عن ذلك الكتاب،وما وراء ذلك الإياب،لم يكن تَضميناً مُباشِراً كما هو ظاهر- لقول عبيد بن الابرص:"وكلُّ ذي غيبَةٍ يَؤوب "(٣)،وبذلك تَغيَّر المَعنى بتغيّر المَبنى،حديث الشاعر عن ذي الغيبة الذي سيئوب ما عدا غائب الموت،وحديث الإمام(ع)عن كلّ ذي غيبةٍ،وأراد بها غيبة الموت،وحديثه هذا دعوةٌ ضِمنيَّةٌ للاستعداد لتلك الأوبَةِ،إنَّها دعوةٌ لإحضار القلوب قَبل أن يَهتف داعي الموت. وبذا يكون(ع) قَد استَرجَع التجربة القديمة لما ضَمّنه،وأعاد ترتيبَها في حلَّةٍ جديدةٍ تَتَلاءَم مع البناء السياقي في تركيبٍ بِنائيٍّ مُوَحَّد .

وفي خطبةٍ قالها بعد التحكيم اثر معركةِ صفين:((أمَّا بَعد فأنَّ مَعصِية النَّاصحِ الشَّفيق العالِمِ المُجَرَّب تُورث الحَيرَةَ،وتُعقِب النَّدامة وقد كُنتُ أمَرتُكُم في هذهِ الحكومةِ أمري، ونَخَلتُ لكُم مخزونَ

---

(2) سورة الزلزلة /١-٢. .

(3) ينظر:شرح ابن ميثم البحراني ، ج٢/٢١٥.

(4) المكان نفسه.

(5) ديوان امرئ القيس ، ص:٤٢ .

(6) لقد وصفها طرفة بن العبد في معلقته في اكثر من (٢٨) بيت.
ينظر: شرح القصائد العشر،الخطيب التبريزي، تحقيق فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط٣،بيروت، ١٩٧٩، ص :١٠٢-١٢٤.

(1) ينظر: في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط١٩٧٧،٥م ، ص :٨٩-٩٨.

(2) نهج البلاغة ، خ(١٠٤) ، ج١/٢٠٨.

(3) **وكُلّ ذي غيبَةٍ يَؤوب وغائبُ المَوتِ لا يَؤوبُ**. ديوان عبيد بن الأبرص، ص : ٢٦.

رأيي لوكان يُطاع لقصيرٍ أمرُ فأبَيتُم علىّ إباء المُخالِفين الجُناة،والمُنابِذين العُصاة،حَتّى ارتابَ الناصحُ بنصحِه وَضنَّ الزّندُ بِقَدحِهِ))(٤).
لو كان يُطاع لقصيرٍ أمُر تضمينٌ ظاهر(٥)،ومثّل فاصِلًا موسيقيًّا بينَ الأسجاع السابقة،واللّاحقة له نظرا لما مَهّد لذلك،وما يَستَتبِعَهُ من مَعانٍ استدعَت مَعَها تَغييرا مُوسِيقيًّا مُصاحِباً لتغيِّر المعنى في سِياقُ الكلام ، والمفردات(الحَسرَة ، النَّدامة)،(أمرِي ، رَأيي)،تشابهت أسجاعُها وتُلِيَت بأخرى مثل (جُفاة ، عُصاة)،(نِصحه ، قَدحَه) ، وتوسَّط بين هذا التَكتّل السَجعي تضمينٌ(لو كان يُطاع لقصيرٍ أمرُ) ، فشكّل واسطةٌ صوتية بين المتجانسات الصوتية التي انتظمت وِفقَ تشكيلاتٍ معنوية مُتجَانِسة، فالحَسرة والنَّدامة تحققا لانّ القوم لم يطيعوه(ع) وهو الناصح المشفق،والعالم المجرب .

وبعد أن قدّم لهم مَنخولَ رأيه ـ وهي استعارة للفظ (النخل) لاستخلاص أسَدِّ آرائِهِ، وأجودها لهم [١] ـ وعَصَوه، وسيكون مصيرهم كمصير أصحاب قَصير حين لم يأخذوا بنصحه .

كنّى(ع)عن حالهِ مع قومهِ بحالِ قصير ـ مَورد الشاهد ـ لتَشابه تجربتهِ (ع) مع تجربة قصير بِقِصَّتهِ المعروفة حين نَصَح قومَه ، فلم يأخذوا بنصحهِ ، حتى دفعوا ثمنَ مَعصِيته حياتهُـــم[٢] ، والتي أصبحت مَثلاً فيما بعد ، وبتضمين هذا المَثل حَمَّل الأمامُ النصَّ لُغةً اشاريّةً ، رَمزيّةً مُكثّفة .
وتعاقب الصفات للقوم(المُخالِفين الجُناة)،و(المُنابِذين العُصاة) ندرك نوعاً من أنواع التوكيد ،ومُسحةً من الذمِّ الصريح لهم .
وقولُه (ع) : (ضنَّ الزِّندُ بِقَدحهِ) ، مَثَلٌ يُضرَب لمن يبخل بفوائدِهِ إذا لم يجد لها قابلًا عارفا بحقّها ، أولم يتمكن من إفادَتِها ، فان المُشير إذا اتُّهم ، واستُغِشّ ، أو خُطِّئ في رأيهِ ، ربّما لا يَنقدح له بعد ذلك رأي صالحٌ لِحكم الغضبِ عليه من جهة مُخالفتِهِ وعَدم قبول رأيهِ[٣]، فالتضمين هنا ليس بكاشفٍ للمعنى فقط بِقَدر ما هو كاشفٌ لحزنِ الإمام ، ولوعَتهِ ، وهذا ما يُعَزّز اللّغة الاشاريّة ، والرمزيّة المُكثّفة.

ويتناسقٍ موسيقي آخر ورد في جُملتَين مُتوازنَتَين قال (ع) : ((المَنِيَّةُ ولا الدَنِيَّةُ ، والتقَلّل ولا التَوسّل))[١]، وأضفى التشديدُ في المفردات: (المنيّة ، دَنيّة ، تَقلّل ، تَوَسّل) إيقاعا يُسهم في رَفدِ ذلك التناسق ، فنَتجَ عن ذلك كله إيقاعا عذبا ، تشكل بتتابُعٍ مُتَّصِلٍ للأصوات المُنسَجِمَة. جُملتان اسميَّتان تُوحِيان بثَبات حقيقتهما، وتحمِلان أمرَين مُتقابِلين فالمَنيّة : (الموت)خيرُ من الدّنيّة

---

(4) نهج البلاغة،خ(٣٤) ، ج٨١/١.
(5) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ، ج٢٧٣/١
(1) ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ، ج٢٧٣/١.
(2) ينظر: الباب الثاني، الفصل الأول ، ص :١٨١
(3) شرح ابن ميثم البحراني ، ج٢٧٤/١.
(1) نهج البلاغة ، خ(٣٩٦)،ج٢٤٨/٣.

(العار) ، أي: أختار الموتَ على العار،[٢]، و(الدَنيّة)هي الخَسيسَة من الأمرِ تُرتَكب في طَلَب الدنيا ، وكثيرٌ من الكِرام يختارون الموتَ على ذلك[٣] .

وادَّى الجناسُ دورا بارزاً في توليف هذا التجانس الصوتي الناتج عن تضمين قول(اوس بن حارث) والذي سار مَثَلًا بينَ الناس[٤]،وبذلك ادخلَ التجربة القديمة للمَثَل، وأعاد تشكيلَها في سياقٍ مُلائِمٍ لها، إذ أنّ وضعَ الحرف ، أو الكلمة ، أو الجملة على نحوٍ ما ، إنَّما يكون لِمَلمَحٍ فَنّي تأتي في مُقدِّمَتِّها الموسيقي

---

[2] ينظر: مجمع الأمثال ، ج٣٠٣/٢.

[3] ينظر: شرح ابن ميثم البحراني ، ج٦٢٧/٢.

[4] ينظر: جمهرة الأمثال ، ج٢٥٣/٢، ومجمع الأمثال ، ج٣٠٣/٢.

ونَسَبَهُ صاحب الأغاني إلى (**هانئ ابن أبى مسعود**)، أو إلى(**هانئ بن قبيصة الشيباني**)، مُحَرِّضاً يوم (**ذي قار**)، كما نَسبَهُ إليه صاحبُ الجَّمهرة في مَوضعٍ آخر من كتابه.

ينظر: الأغاني ، ج٢٤/ ٦٨.

ينظر: جمهرة الأمثال ، ج١/ ٣٧.

ونَسَبَ صاحبُ جمهرةِ خطب العرب هذا القولَ إلى (دُريد بن زَيد)، فِي وَصِيّةٍ له لبَنِيه.

ينظر: جمهرة خطب العرب ، ج١٢٥/١.

الفَصلُ الثَالِث
خَصائِصُ التَضمِين

المبحَثُ الأوَّل:ألخَصائِصُ الدَّلالِيَّة.

المبحَثُ ألثَّانِي:الخَصَائِصُ الفنِّيَّة.

مَدخَل :

تمّيز التضمينُ بخصائص عَديدَة ، تَنوّعت في مزاياها وتَعدَّدت في مُسمَّياتِها ،غير أنّها بَرزت في مُسَمَّيَين بارزين ، وتَوزّعَت بينهما ، وهما ، (**الخَصائِص الدَّلاليّة**) و(**الخَصائِص الفَنيَّة**) ، ولكلّ منهما أقسامُه ، وشواهدُه التي تَدلُّ عليه ، وتشير إليه ، قد تشترك – في كثيرٍ من الأحيان – في قواسم مُشتركَة لكنَّها تنصهرُ أخيراً في بَوتَقَةِ التضمين ، سواء أكانت أشعاراً أم أمثالًا ، فتُظهر لنا نَصّاً ذا دلالةٍ ، وجماليَّةٍ فنّية تُرافِقه .

ولا بُدّ من الاعتراف بادئ ذي بدء أنّ النصَّ النهجي قد تَطغى فيه خِصّيصةٌ دلاليةٌ ، أو فنّيةٌ ما عند التضمين لكنها تبقى ليسَت الوحيدة الفاعلة في ساحَتهِ ، وقد بَرهن النصُّ النَّهجي عَن جداراتٍ اسلوبية مُميزة[1].

---

[1] يرى عزيز السيد جاسم أنَّ النصَّ عند الإمام(ع)"يُولَد مُتكامِلا في تأدِيَتِهِ الوظيفيةَ الخاصَّة بِهِ رغم أنَّهُ يُبرهِن – في حالات ثانية – عَن جَداراتٍ أسلوبيَّةٍ " .

سلطة الحق،ص:٢٨٦ .

والتضمين يجعل للنصّ الحاضِن لـه المقدرة على مَنح المُتلقي قراءةً جَديدة ، فيُفضي بـه إلى فضاءاتٍ دلاليّةٍ ، وتَجلّياتٍ جَماليَّةٍ تُمكّنهُ مِن سَبرِ غَوره ، وان كانَ الأمرُ يحتاج إلى شيءٍ من التدقيق واِعمال الفكر.

إنَّ التوزيعَ الخصائصي للتضمين ظلَّ مُوزّعا بين دلالي وفنّي كسابقهِ في الاقتباس في ضوءِ مَنهَجيَّةٍ ضاغِطةٍ نحو هذا التوزيع ، لذلك سَيدور الفصلُ حول هذين المحورين .

المبحَثُ الأوَّل : الخَصائصُ الدَّلاليَّة

وتمثّلت في جملةٍ من الخَصائِص التي تَتَعلق بالجانبِ الدلالي وعطاءاتِهِ،وهي:

أوَّلا :التنوعُ الدَّلالي بِـ تَنوّع أسالِيبِ التَضمِين وَأشكالِه .

يَتَنوَّع العطاءِ الدلالي للتضمين تَبَعاً لتَنوّع أساليبهِ وأشكالهِ وسَيَّان في ذلك تَضمين الشعر أو المَثَل، ويَتأتّى ذلك كلّه من تَنوعات كثيرةٍ، لَعلّ من ابرز مَصاديقِها ما يلي :

أ- تَنوُّع دَلالة الشِّعر بتَنوّع أساليب تَضمِينه .

لقد عمد الإمام(ع)إلى أنواعٍ من التّضمين الشعري على وفق مطلبيَّةٍ دلاليَّةٍ مَقصودة،إذ نراه يُضَمّن شطراً من بيتٍ تارةً أو بيتا كامِلاً أخرى،ولا بدّ من وجود دَواعٍ استَدعَت استحضار هذا النوع من التضمين دون سِواه،ويتبين هذا في تَتَبع دلالة كل نوع منها،والوقوف عندها والنظر إليها والمقارنة بينها،وهي :

١-التَضمِينُ الجزئي للشعر وَ دَلالتُه فِي النَّص .

ليسَ منَ المَعقول بمكانٍ أن يَتُم هذا النوع من التضمين لشطرٍ من بيتٍ دون قَصدِيَّةٍ مَرجُوَّة ، كالذي حَصل حين ضَمَّن ثلاثة أشطارٍ من ثلاثةِ أبياتٍ في كتابٍ له (ع) بَعث بهِ جَوابا إلى معاوية بن ابي سفيان[1]، تضميناتٌ تَنوّعت دلالتُها بينَ(التَّوبيخ ودَفع الشُّبهة والتَّهديد)على التوالي وفقَ السياق الذي ورد فيه كلٌّ منها .

جاء تضمينُه(ع)الشطر الأوَّل مُوظّفاً في موردِ بيانهِ أنَّ الأمر لا يتعلق بكَ – يا معاوية – (**فَتِلكَ شَكاةٌ ظاهِرٌ عنكَ عارُها**))[2].

وتضمينه(ع)للشطر الثاني(**وَقد يَستفيدُ الظنَّةُ المُتَنَصِّح**)في سياقٍ مَهَّد لمثل هذا الردِّ،ودفع الشبه التي أوردها معاويةُ في كتابه .

والشطرُ الثالث(**لبِّث قَليلاً يَلحَق الهَيجا حَمَل**)لا يَخفى ما فيه من تهديدٍ ووعيدٍ ظاهِرَين دونَ الحاجةِ إلى الرجوع لسياقه الذي ورد فيه .

وعلى العكس من ذلك تَماماً حين نرى التضمينَ الشطري مُوصِلا إلى دلالةٍ بالتضافر مع ما جاوره من السياق،كما في تَضمينِه شطرِ لامرئ القيس:(**وَدَع عَنكَ نَهباً صِيحَ في حَجَواتِهِ**)كما مَرّ في موضعٍ سابِقٍ[3].

---

[1] نهج البلاغة،ك(٢٨)،ج٣/٣٧-٣٩.

[2] ينظر :الباب الثاني ، الفصل الأول ، ص : ١٥٥-١٦٣.

ويرى التستري في شرحه أنّ التضمين جاء للاحتجاج أو الدفاع .

ينظر:بهج الصباغة، التستري،ج١٣/٢١٠ .

[3] ينظر:الباب الثاني،الفصل الأول ، ص:١٨٥.

يتَوضح مِمّا تَقدَّم انَّه(ع)إنما يأتي بمثل هذا التضمين في كتبهِ – في الأغلب – أولاً،وفي مخاطبة عدوَّهِ ثانيا،ومُعربـاً عـن سـخطِهِ فـي تـوبيخ،أو تهديـد،أو تَبـرم ثالِثـا،وفي حديثـهِ مـع أعدائـهِ عنـد التـوبيخ والتهديـد كأنه(ع)يَكتفي بالدَّلالةِ المُركَّزة للشطر،للوصول إلى ما يَبتغِيه من معانٍ بأوجز صورةٍ،وأقلِّ قدرٍ من الكلمات.

في الأغلبِ الأعم لم يكن حَديثاً مَع مَن يُحِب مِن أنصارهِ،أو أتباعهِ فالزجر والتهديد والوعيد تَقرعُ القلوبَ والأجسادَ قبل أن تَقرع الأسماع .

٢- تَضمِينُ ألبَيتِ ألشِّعري ألكامِل وَأثَرُه فِي ألدَلالَةِ النَّص .

وردَ التضمينُ المباشر الكامل للبيت الشعري في النصِّ النَّهجي في مواضع مُتفَرِّقَةٍ[1]،وإذا كان تضمين الاشطار قد ورد في اغلبهِ في كتب الإمام(ع)فأن تضمينَ البيت جاء أكثرُهُ في خطبهِ(ع)،وبذلك يختلف الدافعُ النفسي والدلالي لها ،من ذلك ما جاء في خطبتهِ(الشَقشَقِيَّة)حيث ضَمَّن قولَ الأعشى :

شَتّانَ ما يَومَي عَلى كُورها ويَومُ حَيّانَ أخي جابِـر [2]

وقد جاء به مُعبِّرا عن شَكواه التي أسقطَها في تضمينه لقول الشاعر لمَّا وجده مُناسِباً للمُقارَنَةِ بين خلافَتهِ وخلافة مَن سَبَقَهُ،واختلاف الحال في كل.

وهكذا الأمرُ حين ضَمَّن بيتاً أخر حين توائَرت عليه الأخبارُ باستيلاءِ أصحاب معاوية على اليمن،وهو قول الشاعر :

لَعمرُ أبيكَ الخَير ياعَمروُ إنَّني عَلى وَضَرٍ مِن ذا الإناءِ قَليل [3]

لقد أورده ليُعَبِّر به عَن حزنه في سياقٍ داعمٍ لمثل هذا التعبير،والتضمين حتَّى يَصلُ بنا أخيراً إلى التمنِّي ،فيستحضر بيتاً أخر هو:

هُالِكَ لو دَعَوتَ ، أتاكَ مِنهُم فَوارِسُ مِثلُ أرمِيَةِ الحَمِيمِ [4]

يجد المتلقي نفسَه إزاء تَضمينات لأبياتٍ في الخَطب فقط وفي مَوردِ الشَّكوى،والتَّمَنِّي،والحِزن،في كلامٍ معَ الأصحابِ والأنصار .

وعند المقارَنةِ بين النوعين يبرز التفاوتُ الدلالي في سياق المقال تَبَعاً لاختلاف مُقتضى الحال ، وكلاهما لا يخرج عن محوريه النصوص الدلالية التي استضافَتها ، إذ لم تكن بمعزَلٍ عنها في كلا النوعين .

إنَّ النصَّ النهجي عِبرَ التضمينات الشعرية يَكشفُ عن ذَوقِ الإمام (ع) في اختيار الشعر العربي ، كما إنَّها كشفت عن مَعرفتهِ الدقيقة بمعاني الأشعار، وقبل هذا وذاك كان مُفصِحاً عن حزنه ، ولوعته ، وأملـه (ع)، انّهُ تعبيرٌ عن إخفاءِ كلَّ ذلك ، وإفصاحاً للأمل ، وما زال ذلك كلّه مُستَمِراً في نصوصه(ع) ، فكأنّما الإخفاء والإفصاح مُتلازمان ، وكانت الإحالاتُ التضمينية مُتوافِقَةً تَماما مع المعاني التي أرادها(ع)في كلامهِ فأعطت الدلالة المَطلوبة ، والمَرجُوَّة.

ثانياً: التَّراكُم التَضمِيني وأثَرَهُ في دَلالَةِ النَّص .

---

[1] لم يَدخل الاستشهادُ الشعري في دائرةِ التضمين لاسبابٍ تَقَدَّم بيانُها،وقد وَرَدت في بعضِ خُطبِهِ،وكتبِهِ(ع) في أماكنَ مُتفرِّقةٍ مِنِ النَّهج.

ينظر:الباب الثاني،الفصل الأول، ص:١٦٥ .

[2] نهج البلاغة،خ(٣)،ج١/٢٦.

[3] نهج البلاغة،خ(٢٤)،ج١/٦٠ .

[4] نهج البلاغة،خ(٢٤)،ج١/٦١ .

ونقصد بالتراكم التضميني تواجد تضمينات عديدة في نصٍّ واحدٍ،وهو من الأساليب الفاعِلة في الأثر الدلالي ، ويأتي هذا الحشدُ التضميني في النصّ بغية شَحن الموقف والتأثير في المُتَلقي، فيغدو صيغةً نَصِّيَّةً شديدة التكثيف .

وعندها ينفتح النصّ على باحةِ التأويل المُتعدد بتعدد التضمينات ، ويصبح فاعلا بمقدار فاعلية تسخيرها ، أو مقترباتها أو بما تُوحي بهِ من دلالات .

تداخل كلامه(ع)مع تضمينات كثيرةٍ دُفعةً واحِدةً كما يتَّضِح لنا في إحدى خطبه[1]،لإحساسِهِ(ع)بالحاجة إلى دَفقٍ دلالي،لكي يُوصِل المُتَلقي إلى دلالةٍ ما، فيَدعَهُ يتفاعل مع الحَدَث،وجَسامَتِهِ[2]،وللتعبير عن شِدَّةِ بَرمِهِ، وغضبهِ مِمّا حَدث،فبدأ بالنفي والشرط:(ما هيَ إلّا الكوفة أقبِضها وأبسطها،إن لم تَكوني إلّا أنتِ تهب أعاصيرُكِ فَقبَّحَك الُله)،ثم استحضر قول الشاعر:

لَعمرُ أبيكَ الخَير يا عَمروُ إنَّني عَلى وَضَرٍ مِن ذا الإناء قَليل [3]

لقد عبّر به عَمَّا هو فيه فجاء التضمينُ:(إنّني عَلى وَضَرٍ مِن ذا الإناءِ قَليل)وافِياً في التعبير عن ذلك، والإشارة إليه ، تداخل نصُّهُ مع هذا الحشد التضميني ،ويلحظ فيه تراكم تناصّي بحيث سَمَح لتداخل النصوص والخروج بها إلى دلالةٍ جَديدةٍ مَقصودةٍ .

بعد استعراضهِ لما حَلَّ من عَبَث جنود معاوية،وقَتلك(بسر بن ابي ارطاة)استحضر تَضمينا آخر مُتَمِّماً، ومعَبِّراً عَمّا يَتَمناه بعد تقاعس أنصارهِ فقال:(أما والله لودَدتُ أنَّ لي بكم ألفَ فارس مِن بَني فَرس بن غنم:

هُالِكَ،لو دَعَوتَ،أتاكَ مِنهُمُ فوارسُ مثل أرمِيَةِ الحَمِيم [1]

كلّ من التضمينات يعطي مساحةً دلاليَّة معينه،فتلتحم أخيرا في فضاءِ النص .

وحين أراد(ع)أن يَبعثَ بجواب على كتاب بَعثَ به معاوية إليه،أوردَ حشدا من التضمينات،(كناقل التَّمر إلى هَجَر،داعي مُسَدِّدهِ إلى النِّضال،لَقَد حَنَّ قدحٌ ليس مِنها،وتلك شِكاةٌ ظاهرٌ عنكَ عارُها،فَربَّ مَلومٍ لا ذنبَ له ،وقد يَستفيد الظِّنَّةَ المُتَنَصِّحُ،لبّث قَليلًا يَلحق الهَيجا حَمَل)[2]،وهذه كلها تضمينات انتثرت بين سطور الكتاب لكي تُفصِح عن رغبَتهِ(ع)في دفع ما اتَّهمه به معاوية،وبعد ما تَبَيَّن المَقصدُ الدلالي لها في مواضع سابقة[3]،يتوضح هنا الدافع وراء هذا الاستحضار الحاشد،إذ أدّى تَوالِيها إلى برز دَلالاتٍ مُتَعَدَّدة مُتحَرِّكة استطاع الإمام بها أن يجعل مُتلَقّيه أمام إطلالةٍ نابضَةٍ تزخر بالأخيلة،والصُّوَر .

وجاور هذه التضمينات بعضُ الاقتباسات ،تَمثَّلت باستحضار خَمس آيات استحضارا مُباشراً وزَّعه بين ثنايا كتابه(ع)[4]،فأصبح كلوحَةٍ مُوشاة بالكثير من الاستحضارات التَّضمينية والاقتباسية مِمّا جَعَله يَزخَر بالإحالات الدالة المُكَثَّفة.

وتراءى مثل هذا الحشد للتضمينات في وصِيَّةٍ منه لولده الحسن(عليهما السلام)في مواضع عديدة مثل قوله(ع):((... إذا كانَ الرِّفقُ خُرقاً كان الخُرقُ رِفقاً،ربّما كان الدواءُ داءً والداءُ دواءً،ورُبَّما نَصحَ غير الناصح وغَشَّ المُستَنصَحُ،وإيّاكَ واتِّكالَكَ على المُنى فأنَّها بَضائِعُ المَوتى،والعَقلُ حِفظُ التَّجارب،وخيرُ ما جَرَّبت ما وعَظَك،بادِر الفُرصَةَ قَبل أن تكون غُصَّة،ليسَ كلُّ طالبٍ يُصيب،ولا كلُّ غائِبٍ يَؤوب،ومِنَ الفَساد إضاعةُ الزَّاد

---

(1) نهج البلاغة،خ(٢٤)،ج١/٥٩-٦٢ .

(2) تواترت الأخبارُ باستيلاء جند معاوية بقيادة(بسر بن أبى ارطاة)على اليمن،وطَردِعاملِ ها والَعَبثِبأمنِ ها ينظر:الباب الثاني،الفصل الأول، ص:١٦٦.

(3) نهج البلاغة،خ(٢٤)،ج١/٦٠ .

(1) المصدر السابق،ج١/٦١ .

(2) نهج البلاغة،ك(٢٨)،ج٣/٣٤-٤٠ .

(3) ينظر:الباب الثاني، الفصل الأول، ص:١٥٦، والفصل الثاني ، ص ،١٧٧ .

(4) سورة الأنفال/٧٥،آل عمران/٦٨،الأحزاب/١٨،هود/٨٨،هود/٨٣،على التوالي .

ومَفسدةِ المَعاد،ولكلِّ أمر عاقبةٌ،سَوف يأتِيكَ ما قُدِّرَ لكَ،التاجرُ مُخاطر،ورُبَّ يَسيرٍ أنمَى مِن كَثير،ولا خَيرَ في مُعينٍ مَهين،ولا في صَديقٍ ظَنين،ساهِلِ الدَهرَ ما ذَلَّ قُعودُهُ ..))[٥].

وهذا الكلام " قد اشتمل على أمثالٍ كثيرةٍ حَكيمَةٍ "[٦]،وقد فصّلَ شُراح النَّهج مَوارد تِلك التضمينات[٧] في هذا المقطع،والوصية عموما[٨].

إنَّ مُقتضى الحال هو الذي استدعى ذلك الرصف من الأمثال في كلام الإمام للوصول إلى نَتائج تجارب السابقين فيَضعها أمام ولده للاتِّعاظِ بِها .

لقد أفصح هذا التراكم التضميني المقصود عن فيض دلالي مكثف حاول(ع)استنزاله في ما قلّ ودلّ من الألفاظ .

ثالثا : التَّكثِيفُ الدَّلالِي للضّمين وأثَرُهُفِي النَّص .

ونشهد من خصائِص الضمين حضور الدلالة المُكَّثف،عندما يَستدعِي بضع كَلماتٍ تمنح النصَّ معنىً كبيراً لما تَكتَنِزَه من معانٍ كثيرة.

إنَّ الطابعَ الاختزالي المُكثف للشعر والمَثَل ساعد في تعزيز هذا التكثيف الدلالي،لا سيَّما حين يكونا حاملين للإيحاء والإشارة عند ارتباطهما بقصةٍ ما تُوحي بذلك .

إنّ شدّة الاختزال في الشعر والمَثل جعلتهما يَنفتِحان على مساحاتٍ واسعةٍ من التأويل تتَّسع في الدلالة كلما ضاقت عباراتُهُما .

ومن خلال هذه الخِصِّيصة نرى النصوصَ تستهدف الاقتصار والاختصار في صياغةِ المعاني،ورسم الصُوَر .

من ذلك إشارتهِ إلى قِصَّة(قَوم سَبأ)وتفرقهم في البلاد بَعد تداعي سَدّ مَأرب في إشارةٍ دالّةٍ وقعت في تضمين(أيادي سبأ)في قولهِ لأصحابه:((وأحثّكم على جهادِ أهل الغَي فما آتِي على آخر القَول حَتَّى أراكم مُتَفَرِّقين أيادي سبأ))[١].

و(**أيادي سبأ**)مَثَلٌ يُضرَب للمُتفرِّقين اقتِراناً بما يُصاحِبَه من قصّة مَعروفةٍ،فأصبح النصُّ بفعل الاشاريَّةِ التضمينية ذا طابع اختزالي تَكثيفي والتكثيف وان كان إيجازا في اللفظِ إلاّ انَّه يقود إلى غِنى المَعنى .

أو حين المَحَ إلى معنىً كبير في الإشارة إلى(قَصِير)وما عُرِفَ مِن أمرهِ مع قومهِ حين أمرَهم فلم يطيعوه،وما حَلَّ بهم بعد ذلك،فقال(ع):((... ونَحلتُ لكُم مَخزونَ رأيي،لو كَان يُطاع لِقَصِير أمرُ))[٢]،في إشارةٍ دالّةٍ إلى قِصَّةٍ مَعروفَةٍ،ولمحة تدلّ على معناها .

أو كما في تضمينِهِ للمَثَل((**آخِر الدَّاء الكَي**))[٣]،حين خَتم به كتاباً بعثه جواباً لمن سألهُ عِقابَ من أجلَب على عثمان بَعدما بُويع .

لقد تمثَّلت الكثافة الدلالية في تِلك التَّضمينات التي جَعَلت النصوصَ تَزخَرُ بالبُؤَر الدَّلالية التي صَنَعها التلميحُ، ولخصتها الإشارةُ بكلماتٍ دالّاتٍ لا تحتاج سوى وقفة قصيرة لنرى قصدَ الإمامِ(ع)وغايَتَه.

وهذه الإشارات والتلميحات تَمنح النصوصَ مفاتيحَ لمعانٍ مَركوزَة في ذهن المُتَلَقّي،وتمثل التكثيف الدلالي في الأمثال المُوَظّفة للنَصح والإرشاد،حتَّى غَدت النصوص كفضاءاتٍ مُتَعَدَّدَةِ المعاني .

---

[5] نهج البلاغة،ك(٣١)،ج٣/٥٨-٥٩ .

[6] شرح ابن ابي الحديد، ج١٦/٧٦ .

[7] ينظر:المصدر السابق ، ج١٦/٧٦ -٨١ .

[8] مثل قوله (ع):((**رُوَيداً يَسفر الظَّلام**))،و((**ليسَ كُل مَن رَمى أصاب**))،و((**سَل عَن الرَّفيق قبلَ الطَريق**)).

ينظر:نهج البلاغة،ج٣/٦٢،٥٦ .

[1] نهج البلاغة،خ(٩٣)،ج١/١٨٨ .

[2] المصدر السابق،خ(٣٤)،ج١/٨١ .

[3] المصدر السابق،خ(١٦٤)،ج٢/٩٩ .

والنصوص هنا تقوم على استدعاءِ قِصّة أو حادِثَةٍ تقذف بدلالاتها في النص فيغدو حِزمةً من المعاني الدائرة في فَلَك المَعنى العام للنص .

لم يقتصر التكثيفُ على المَثَل دون الشِّعر في النص النهجي،ومن مصاديق ذلك تضمينه لأشعارٍ عديدة كما مَرّ من نماذج،لا سِيَّما في تِلك التي بَثَّها(ع)كإشارات دالّةٍ،ولمحاتٍ مُعَبِّرة،عن المعاني الشعرية التي ذاعَت وانتَشَرَت كأمثالٍ بينَ الناس كقوله(ع):((فلَما رأيتَ الزَّمانَ على ابنِ عَمِّكَ قَد كَلِب،والعَدوَّ قَد حَرِب،وأمانَةَ النَّاس قَد خَزِيَت،وهذه الأمّة قد فَنَكَت وشَغَرَت قَلَبتَ لابنِ عَمِّكَ ظَهر المِجَنّ ، فَفارَقتَهُ معَ المُفارِقِين))[1].

ترادفت الأحداثُ وتَتابَعَت سَويَّة – بدلالةِ حرف العطف الواو – في جُملٍ مِوصولةٍ،رسَمَت صُوَرا للزمان الذي كَلِب والعَدو الذي حَرِب في زمانٍ خَرِبَت فيه أمانةُ الناس،لِنَصِلَ إلى ألمِ الإمام(ع)من هذه الخيانة التي حَوَت ذلك كلَّه،من الكَلَبِ والحِرابَةِ والفَنَك والتَفَرّق [2]،والخلو من الخير [3]، نحسُّ حِينئِذٍ بحرقةِ الحَدث في قلبِ الإمام(ع) .

وقوله(ع):(قَلَبتَ لابنِ عَمِّكَ ظَهرَ المِجَنّ)مَثَلٌ يُضرَب لِمَن يُخالِف ما عُهِدَ فِيهِ [4]،ويَحمِل بينَ طيّاتهِ دلالةً بفعل الإحالة إلى ما يَستَتبِعَهُ من ظِلال معنوية مُختَزلة مُستَمَدة مِن الجوِّ العام للنص والسياق الذي جاء فيه فَعبَّر عن واقعٍ مَرير بصورةٍ غير مُباشرةٍ،نَستَشعرها مِن السِّياق الذي وَرَدَ فيه التضمين .

رابِعاً : تَغَيُّر دَلالَة التَضمين بِ تَغيّر مَواقِعِهِ فِي النَّص .

تَعدّد الدَّلالةِ وتَغَيّرها وظيفة هامّة من وظائفِ الكلمات،بَل هي هَدفٌ رئيسٌ لأيِّ نشاطٍ لغوي[1] .

النصُّ عبارةٌ عَن " جُمَلٍ متتابعة "[2]،تَتَغيّر معانيهُ بتغَيِّر مواقعِها،وإذا كانت الكلمات تلتزم معانيها المعجمية في النص،فأن التغيير في مواقعِها في بنية النص يفتحُ المجالَ أمام احتمالاتٍ دلاليّةٍ جَديدة – قد – تُفهَم من خلال السياق .

وتغير مواقع التضمينات في سياق نصوص النهج قادر على تنويع العطاء الدلالي فيها،وأصبحت تمثل خصيصة من خصائص التضمين في كلام الإمام(ع)،فنراه في اثناء النص تارة *، وأخرى في نهايته يختم بها نصوصه.

---

[1] نهج البلاغة، ك(٤١)،ج٣/٧٢ .

[2] شغرت الأمة: تفرقت .

ينظر:شرح ابن ميثم البحراني،ج٢/٤٠٩ .

[3] ويرى ابنُ ابي الحديد في شرحه: " شَغَرت الأمَّةُ : خَلَت مِنَ الخَير " .

شرح ابن ابي الحديد،ج١٦/١٣٣ .

[4] نهج البلاغة،ج٣/٧٣ .

ينظر:الباب الثاني، الفصل الأول ، ص:١٧١ .

[1] عناصر الإبداع في شعر ابن زيدون،د.فوزي خضر،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،الكويت، ٢٠٠٤م،ص:١٠٧.

[2] اللغة والسياق،ص:٢١٨ .

أ- دَلالةُ التَضمِينِ الواقِعِ في اثناء النَّص .

كَثُر هذا النوع من التَّضمين في خطب الإمام،أو كتبهِ ليكونَ جِزءً لا يَتَجزّأ من سَرد النصّ وبنيَتهِ،إذ يبقى النصُّ غير مُكتَمل البناء والمعنى عند رفعهِ من النص .

لقد استطاع(ع)أن يُوجِد علاقةً وثيقةً بين ما ضَمّنه والنصوص التي استضافت تلك التضمينات حين يتداخلان عِبر التضمين،فتتحرك المعاني المُضمَّنة كإشاراتٍ كاشِفَةٍ عن المعنى العام للنص بما تحمله من معانٍ سانِدة له،عندئذ يصبح النصُّ نسيجاً مُتداخِلاً تدور المعاني فيه حول محورٍ دَلاليٍّ مَقصود .

من الصعوبةِ بمكان فهم المُراد من ذلك كلِّه دون الاستعانة باللوازمِ التي تساعدنا في تكوينِ فكرةٍ عامَّةٍ عند تداخل النصوص وامتزاجها [٣]،أو دون الاستعانةِ بالسياق لانَّ " السياق وحد هو الذي يساعدنا على إدراك التبادل بين المعاني الموضوعية والمعاني العاطفية والانتقالية "[٤]،وَسِيّان في ذلك بين تضمين الشعر،أو المَثَل،فكلاهما يأتي مُتمِّماً لمعنى السياق النَصِّي .

عند النظر في تضمين الاشطار الثلاثة [٥] في أحدى خِطبه نَجد أنّها أتَت ضِمن سِياقٍ سَرديٍّ دال،فالشطر الأول جاء بعد قوله: ((وزَعَمتَ إنّي لكلّ الخلفاء حَسَدت،وعَلى كلّهم بَغَيت فأن يَكن ذلكَ كذلِك فليس الجناية عليك فيكون العذرُ إليك**وتِلكَ شَكاةٌ ظَاهِرٌ عنكَ عارُها** وقلت:إني كنت أُقادُ كما يُقاد الجملُ المخشوش حَتَّى أُبايع)) [١] .

والثاني في سياق قوله:(وما كُنتُ لاعتَذر مِن أنّي كُنتُ أنقِمُ عَليهِ أحداثاً،فأن كانَ الذَّنبُ إليه إرشادي وهِدايَتي لَهُ فَرُبَّ مَلومٍ لا ذَنبَ لهُ**وقَد يَستَفِيد الظِّنَّةُ المُتَنَصِّح**،وما أردتُ إلّا الإصلاحَ ما استطعتُ[٢].

والثالث ورد في السياق:((وذكَرتَ انَّه ليسَ لي ولأصحابي عندَك إلّا السيفُ ، فلَقَد أضحَكتَ بَعد استِعبار ،مَتى أَلفَيتَ بَني عَبد المُطَّلِب عَن الأعداءِ ناكِلين،وبالسَّيفِ مُخَوَّفين**لَبِّث قَليلاً يَلحَق الهَيجا حَمَل** فسيطلبك مَن تَطلب ويَقرُبُ مِنكَ ما تَستَبعِد))[٣].

الشطر الأول ارتبط! بما قبله بحرفِ العطف،وكأنَّه(ع)قد وحَّدَ بينه وما سبقه بهذا الحرف الذي جاء من أصلِ الشطر ومَبناه،(ليس الجنايةُ عليك فيكون العذرُ إليك وتِلكَ شَكاةٌ ظاهرٌ عنكَ عارُها) ثم وصله بما بعده بحرف عطف أخر وهو الواو:(وقلت)،فيدرك المتلقي الاشتراك بين المعطوف والمعطوف عليه بالزمان دون وجودِ فاصِلةٍ زَمَنِيَّةٍ بينهما ،وكذلك الثاني حِينَ تَمَّمَ به كلامَه(ع):(فَرُبَّ مَلومٍ لا ذَنبَ لَهُ)،(وقد يستفِيد الظِّنَّة المُتَنَصّح)،حيث وصَلَ بحرف العطف(الواو) ،أما الثالث فقد ارتبط بما قبله ومُتَمِّماً لمَعناه،(مَتى وجَدتَ بَني عبدِ المُطَّلب عَنِ الأعداء ناكِلين وبالسَّيفِ مُخَوَّفين لَبِّث قَليلًا ... .

ونجح(ع)أيّما نجاح في ضَمِّ ما ضَمَّنَهُ من شطرٍ شعريٍّ آخر وجَعَلهُ فاعِلاً في إظهارِ المعنى وإتمامِه، ومُساهِماً في استكمال بنية النص السردية ، حين تعلق ما بعده بما سَبقَه بحرفِ عطف هو من بنية الشطر، حتى بدا النصُّ نسيجاً واحِداً ؛ في قوله(ع):((فأنَّها كانَت أثرةٌ شَحَّت عَليها نُفوسُ قومٍ ، وسَخَت عَنها نُفوسُ آخرين ، والحَكَمُ اللّه والمَعُوُد إليهِ يومَ القِيامَةِ : **وَدَع عَنكَ نَهباً صِيحَ فِي حَجَواتِهِ** ، وهَلُمَّ الخَطب في ابن ابي سُفيان ، فلقد

---

* ليس هنالك تضمينات بدأ بها(ع)خطَبه أو كتَبه،واقتصر على النوعين الأخريين فقط والقول:(في اثناء النص)نقصد بهِ ما ليس في بدايتهِوليس في نهايتِهِ،وقد يقترب من وسطِ النَّص أو يبتعد عنه قُيلاً أو كثيراً .

[3] والمقصود بذلك لازمة السياق،أو المقام،أو المقال،أو غيرِها من الـّلوازِم .

[4] دور الكلمة من اللغة،ص:٦٤.

[5] ينظر:الباب الثاني، الفصل الثالث ، المبحث الأول، ص: ١٦٣-١٦٤.

[1] نهج البلاغة، ك(٢٨)،ج٣/٣٧ .

[2] المصدر السابق،ج٣/٣٩ .

[3] المكان نفسه.

أضحَكَني الدهرُ بعد إبكائِهِ ، ولا غَروَ واللهِ فيالَهُ خَطباً يَستفرِغُ العَجَب ويُكثِر الأوَد ، حاولَ القومُ إطفاءَ نور اللِه مِن مِصباحِهِ وسَدَّ فَوارهِ مِن يَنبوعِهِ)) [٤].

والمُلاحظ في تضمينهِ للأشطار إنَّها في اغلبها جاءت لتَشتَرك في السياق السردي لكلامه(ع)

وتجلّى الأمرُ بصورةٍ أوضَح في التَّضمين غير المُباشر بنَوعَيه القَريب والبَعيد في كثيرٍ من المَواضِع[٥].

ولتضمين المَثَل دورُه في رسم المعاني وإتمامِها في سياق النص ودور إبداعي في تشكيلِهِ حين يَستَحضِره الإمام(ع)من حافظتِهِ وخزينهِ الثقافي،فهو قوي الحضور في ذاكرتهِ(ع) .

وعند العودةِ إلى السياق نجده يشي بمِثل هذه الخِصِّيصة،فالسياق هو " المَرجع الذي يُحال إليه المُتلقي كي يَتمكّن من إدراك مادّة القول ويكون لفظاً أو قابلاً للشرح اللفظي "[١].

ومِن مصاديق ذلك تضمينه للمَثَل(لو كان يُطاع لقَصِير أمرُ)في قوله(ع):((وقد كُنتُ أمرتُكم في هذه الحكومةِ أمري،ونَخَلتُ لكُم مَّخزونَ رأيي **لو كان يُطاع لقَصير أمرُ** فأبَيتُم عليَّ إباءَ المُخالِفين الجُناة)[٢].

نجد بين الجملتين(نَخلتُ لكُم مخزونَ رأيي)و(لو كان يُطاع لقَصير أمرُ) كمال اتصال،باعتبار انَّ الثانية جاءت لبيان الأولى فتَركَ الوَصلَ بينهما .

ومن قوله(ع)لأصحابه في بعض أيام صفين:((... فأنّ الشيطانَ كامِنٌ في كِسرِهِ،قد قَدَّم للوَثبةِ يَداً،وأخَّر للنكوص رِجلا،فصَمداً صَمداً حتَّى يَنجلي لكُم الحق)) [٣].

أعطى المَثَلُ صورةَ لذلك الشَّيطان المُترَدِّد،فحاله أشبَه بمَن يُقدِّم يَداً للغَدر،ويُؤَخِّر رجلاً للنكوص،فلو رفع التضمينَ لم يَتَوضَّح كمون الشيطان وصورتِهِ التي تُوهِن العزمَ في نفوس أصحابهِ(ع)في صِفِّين .

أو حين جعل المَثَل(رمى بأفوق ناصِل) في بنية قوله(ع):(المَغرورُ واللهِ مَن غَرَرتُمُوه،ومَن فازَ بكُم واللهِ فَقَد فَاز بالسَّهمِ الأخيَب،ومَن رَمى بكُم بأفوقَ ناصِل)[٤].

وكذلك في قوله مُضمّناً حَشداً مِن الأمثلةِ لتَكون بمثابةِ لبنات أساسِيَّة في بناء كتاب له (ع) بعثه إلى معاوية ، فضمّن الأمثال:((**كناقل التمر إلى هجر**))[٥]، ((**داعي مسدّده إلى النضال**))[٦]، ((**لقد حنّ قدح ليس منها**))[٧]، وجعلها في جملة كلامه.

وبعد بيان ما تقَدّم لابُدَّ من القول أنَّ الشِّعر والمَثَل بوصفِهما جِنسَين أدبيَّين عند تَضمينَهُما في نصٍّ ما يبقيان مُرتَبِطَين بسياق ذلك النص،مع الإحالةِ إلى سياقاتٍ خارجِيَّةٍ مَقصودة .

ب- دَلالَةُ التَضمين الواقِع في نَهايةِ النَّص .

---

(4) نهج البلاغة،خ(١٥٧)،ج٢/٧٩-٨١ .

(5) ينظر:أنواع التضمين في نهج البلاغة،الباب الأول،الفصل الأول،ص: ١٦٨-١٧٣.

(1) الخطيئة والتكفير، ص:٣ .

(2) نهج البلاغة، خ(٣٤)،ج١/٨١ .

(3) نهج البلاغة، خ(٦٣)،ج١/١١١ .

(4) المصدر السابق، خ(٢٨)،ج١/٧٠ .

(5) المصدر السابق، ك(٢٨)،ج٣/٣٤ .

(6) المكان نفسه.

(7) المكان نفسه.

لقد كانت التضمينات السابقة – بين ثنايا النص – جزءاً من البناء الدلالي فيه،وكذلك الأمر حين يتغير موقعُها فتصبح في أواخر النصوص .

من ذلك قوله(ع)في خطبةٍ له لمّا وقَع في سمعه(ع)من أخبارِ سَيِّئَةٍ ، ودخول جند معاوية اليمن وطرد عامِليه عُبيد الله بن عباس وسَعيد بن نمران ، وتثاقل أنصاره عن ردِّهِم خَتَم مُخاطِباً أصحابَه((أما واللهِ لودَدتُ أنَّ لي بِكُم ألفَ فارسٍ من بَني فَراس بن غَنم

هُالِكَ لو دَعَوت،أتاكَ مِنهُمُ فَ وارسُ مِثل أرمِيةِ الحَميمِ))[1]

وكأنَّه(ع)بهذا التضمين لخَّص كلامَه كلَّه في أُمنِيَةٍ عَبَّر عَنها بقول الشاعر،بما يعرف بالإسقاط النفسي حيث وجدَه مُعبِّراً أصدقَ تعبيرٍ عَمَّا يختلج قلبَه،بِغَضِّ النَظَرِ عن خصوصية مَوقفِ كُلٍّ مِنهُما .

وقد يُوصِل المُتلقي إلى نتيجةٍ يُريد إيصالَه إليها،كَما في خطبتِهِ التي دعا فيها - بعد حمدِ اللهِ وتَنزيهِهِ عن الصفات – إلى الاقتداء بالرسل والسَّير في هَديهم،والاستشهاد بحال المُصطفى(ص وآله)في الدنيا،ونبذه لزخرُفِها،فهو (ص وآله):(لم يضَع حَجَراً عَلى حَجَر حَتّى مَضَى لسَبيلِهِ،وأجابَ داعِيَ ربّه،فما أعظم مِنَّة اللهِ عندَنا حينَ أنعمَ عَلينا بهِ سَلَفاً نَتَّبِعَهُ وقائِداً نَطأ عَقِبَه،واللهِ لقد رقَّعتُ مِدرَعَتي هَذه حَتَّى استَحيَيتُ مَن راقِعِها، ولقد قال لي قائلٌ:ألا تَنبُذُها عَنك؟ فقلتُ:اعزُب عَنّي،فعِندَ الصَّباحِ يَحمَدُ القومُ السُّرى) [2].

نَطأ عَقِبَه:أي نَتَّبِع خَطوَه ونَسير بهَديهِ،والعَقِب بِفتحٍ فَكَسرٍ هو مُؤخَّر القَدَم،مُبالَغة في الإتباع والسِّلوك على الطريقةِ،نقفو أثرَه خُطوةً خُطوة، حَتَّى كأنَّنا نَطأ مؤخَّر قَدَمه [3].

واختَتَم إحدى خطبه بالتضمين:((**عِندَ الصَّباحِ يَحمَدُ القَومُ السُّرَى**)) [4]، فَلَخَّصَت الخطبةُ بهذا المَثَل الذي عَنى : إن فَعَلتُم ذلك كُلَّه فسَيكون حالكُم كَمَن اتعَبَ نفسَه في السَّير ليلاً، وعند ذلك سَيلقى ثمرةَ جهدِهِ بعد حين .

ومِثلُهُ حِين خَتَم كلامَه بالمَثَل " **آخِر الدواء الكَي** " في جوابِهِ لِمن سَألَهُ مِن أصحابِهِ في معاقَبَةِ مَن أجلَبَ عَلى عثمان، فقال(ع):((... إنَّ الناسَ مِن هذا الأمر – إذا حُرِّك – عَلى أُمور:فرقَةٌ تَرى ما تَرَون، وفرقَةٌ تَرى ما لا تَرَون،وفرقَةٌ لا تَرى هذا ولا ذاك فاصبِروا حَتَّى يَهدأ الناسُ،وتقَع القلوبُ مَواقِعَها ، وتُوخَذ الحقوقُ مُسمِحَةً فأهَدأُوا عنّي،وانظُروا ماذا يأتيكُم بهِ أمري،ولا تَفعَلوا فَعلَةً تُضَعضِعُ قُوَّةً وتُسقِطُ مُنَّةً،وتُورِثُ وهناً و ذِلَّةً،وسَأمسكُ الأمرَ ما استَمسَكَ،وإذا لَم أجِد بُدّاً فَآخِرُ الدَّواءِ الكَيُّ)) [1].

بعد بيانِ اختلاف الأمَّةِ في ذلك أوضَح أنَّ الأمرَ سيؤول إلى ما أرادوا عندما يأتي أمرُهُ بذلك،وسيمسك الأمر ما استَمسَك،وإذا لم يكن بُدٌّ مِن ذلك فأن آخر الدواء الكَي،وهو قولٌ يَحمِلُ جَواباً عَمّا سَألوه،ولو لم يَقُل سِوى ذلك لَفُهِمَ الجوابُ،مِن هُنا نَجِد دلالة التَّلخيص والاختزال فيما ضَمَّنه في أواخر النُّصوص .

---

[1] نهج البلاغة، خ(٢٤)،ج١/٦١.

[2] المصدر السابق،خ(١٥٥)،ج٢/٧٦.

[3] ينظر: شرح نهج البلاغة ، محمد عبده ، ج٢/٧٦.

[4] المصدر السابق،خ(١٥٥)،ج٢/٧٦.

[1] المصدر السابق،خ(١٦٣)،ج٢/٩٨-٩٩ .

المَبحَثُ الثَّانِي: الخَصائِصُ الفَنِّيَّةُ .

إنَّ الجانبَ الفني هو الذي يزيد من روحية النص ، ويمدّهُ بالأخيلةِ والإلهام،بل هو الحد الفاصل بين اللغة المِعيارية واللغة الأدبية .

والنص النهجي – باعتباره نَصّا أدبيا مُتعالياً – تميّز بخصائص فنِّيَّة عَديدة،وقد انعكس هذا الأمر على ما ضَمَّنه من شِعرٍ أو مَثَل،إذ اصطبغا – عِبر آليةِ التضمين – بهذه ألخصائص، تخطّت به حدود التشبيه والاستعارة والكناية وأدخَلَتهُ في فَضاءاتٍ من المُستَوَيات الفَنِّيَّة المُختلفة كالمستوى الصوتي والمستوى البلاغي .

وفي ضوء ذلك نجد الخصائص الفنية هذه تَوزّعت بين تِلكَ المستويات،وانضَوَت تحت أقسامِها .

أوَّلا:المستَوى الصَوتِي .

وألتوظيفُ الصوتي في التضمين لـه دورٌ أساس في رسمِ بعضٍ من الخصائص المُميزة لـه،وتنتج من اختيار مفرداتٍ دونَ سواها في تراكيبَ مُنسَجِمة مَع بعضها،وفي سياقٍ مُلائِم لها،وهذا ما سوف يُسلِّط الضوءَ عليه في هذا الجانب .

أ- التلاؤُم الصَّوتي بَين التَّضمين و النَّص الحَاضِن لَهُ .

إنَّ الإتيانَ بتضمينٍ ما لم يَكُن بمِعزَلٍ عن بناء النصّ الحاضِن لـه،في دلالتِهِ،أو موسيقاه،فالشعر أو المَثَل حين يُستَحضَران لا يُؤتى بهما مُجرَّدين،أو مَنزوعَين عن سياق النص .

يتحقق التلاؤُم الصوتي من عَدمِ وجود تنافر بين حروف مُفردات التَّضمين والسياق الوارد فيه، وبفضلِهِ يغدو التضمينُ جزءاً من البناء الموسيقي للنصّ،ولا يُمكِن التفريق بَينهُما لولا هذه الفروقات الجَلِيّة بين الأجناس الأدبية المُجتمعة في النصِّ ،وتمثَّلت هذه الخِصِّيصَةُ الفنيّة في مَوردَين هما:

١- تَطويع ألَتضمين لِيَتَلاءَم مَع مُوسِيقَى ألنَّص الحاضِن .

من ذلك قوله(ع):((اللّهُم إنِّي قد مَلَلتُهُم وسَئِمتُهم وسَئموني،فأبدِلني بهم خَيراً مِنهُم وأبدِلهُم بي شَرّاً مِنِّي، اللّهم مُث قلوبَهُم كما يُماث المِلحُ في الماء،أما والله لوَدَدْتُ أنّ لِي بِكُم ألفَ فارس مِن بَني فراس بن غَنَم
هُالِكَ لو دَعوتَ أتاكَ مِنهُمُ فوارسُ مِثلُ أرمِيَةِ الحَميم))[١]

إذ يجد المتلقي تَواجِداً مُتَمَيِّزاً لحرف الميم،في المفردات:(مَللتهم،سَئمتهم،سَئموني،بهم،مِنهُم،أبدِلهُم،مِنِّي، مُث،قُلوبَهُم،يُماث،المِلح،المَاء،أما،بِكُم،مِنِّي)،وعند التَمَعُّن فيما ضَمَّنه(ع)مِن شِعرٍ نجده بَيتاً طافِحاً بحرفِ الميم هو الأخر،وتَمثَّل في المفردات:(مِنهُم،مِثل،أرمِيَةِ،حَمِيم)،فأصبح بفعلِ هذا التساوق وكأنّه قطعةٌ مِن النّص، ولا فرقَ بينهما،سوى الوزن والقافية .

وبهذا التلاؤم بين مُفرداتِ التضمين والنصّ يَتحقَّق إيقاعٌ موسيقيٌّ لانَّ " الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبَع من التَّوافق الموسيقي بين الكلماتِ ودلالاتِها أو بين الكلماتِ بِبَعضِها هو المُوصِل إلى الإيقاع المُوسيقي "[٢].

ومثل هذا في قوله(ع)في كتابٍ له بعثَ بهِ جَواباً إلى معاوية:((وزَعَمتَ إنّي لكلِّ الخُلفاءِ حَسَدت،وعلى كُلِّهم بَغَيت! فأن يَكُن ذلكَ كذلِكَ فليسَ الجِنايةُ عَليك فيكون العِذر إليك،وتِلك شَكاةٌ ظاهِرٌ عَنكَ عارُها))[٣].

حيث وافَقَ الشَّطرُ المُضَمَّن المَقطعَ الذي استَضافَه في حضورِ حَرف الكاف الظاهر في مُفرداتِ النصّ : (كُل ، كُلهم ، يَكُن ، ذلِك ، كَذلِك ، عَليكَ ، يَكون ، إليكَ).

يَستشِف المُتلقّي للنص هنا تَلاؤُماً صوتِيَّاً قائِماً على اختيار مُفرداتِ سارت والنص وفق نَسَقٍ موسيقِيٍّ يرفد المعنى بلَمحَة فنية لا تَقلُّ تأثيراً عن الدلالة فيه .

ومن كتابٍ له(ع)لأبي موسى الأشعري ، عامله على الكوفة ، وقد بَلَغهُ عنه تَثبيطَ النـاسَ عن الخروج إليه لما نَدبَهُم لحربَ أصحاب الجمل:((... أمّا بَعد فَقَد بَلَغَني عَنك قَولٌ هو لكَ وعَليك ، فإذا قَدِمَ عليك رَسولي فأرفَع ذَيلك وأشدُد مِئزَرَك ، وأخرُج مِن جُحرَك ، وأندُب مِن مَعَك ، فأن حقَّقتَ فأنفُذ ، وان تَفشّلت فأبعُد،وايمُ اللهِ لتُؤتَيَنّ مِن حيث أنت ، ولا تُترَك حَتّى يُخلط زُبدُكَ بخاثِرِكَ ، وذائِبُكَ بجامِدِكَ ، وحتّى تُعجَل في قِعدَتِك ، وتَحذَر مَن أمامِكَ، كَحَذَرِكَ من خَلفَك...)) [١].

---

[1] نهج البلاغة ، خ(٢٤)،ج١/٦١ .

[2] قضايا الشعرفي النقد العربي، د. إبراهيم عبد الرحمن محمد ، دار صادر ، بيروت ، ص : ٣٦ .

[3] نهج البلاغة ، ك(٢٨)،ج٣/٣٧ .

[1] المصدر السابق ، ك(٦٣)ج٣/١٣٣ .

وقع التضمينُ في المَثَل [٢] (**لا يَدري أيَخثر أم يذِيب**) بعد صياغتِهِ بما يُوافِق النصّ الذي شَكّل الكاف نهايةَ سَجَعِيَّةٍ لكثيرٍ من عباراتِهِ ومُفرداتِهِ(عَنكَ ، لَكَ ، عَليكَ ، ذيلك ،مِئزَرَك، جُحرَك ، مَعَك ، تَترُك ، قعدَتَك ، أمامَك ، حِذرَك ، خَلفَك) .

فأورده(ع)بصيغةٍ لفظِيَّةٍ تناسب موسيقى النص فقال مُعيداً صياغَتَه:(ولا تترَك حَتَّى يُخلَط زُبدك بخاثِرِك ، وذائِبُكَ بجامِدِك) ، ومعنى هذا المثل: " لتَفسُدَنّ حالُك ولتُخَلّطَنّ ، ولَيَضرِبَنّ ما هُو الآن مُنتظِم من أمرك "[٣]، أو كما يرى ابنُ ميثم البحراني في شرحِه إنَّهُما مَثَلان " كَنَّى بهما عَن خَليطِ أحوالِهِ الصَّافِيةِ بالتَّكدير، كَعِزَّتِه بذِلَّتِهِ ، وسرورِهِ بِغَمِّهِ ، وسهولَةِ أمرِهِ بصعوبَتِهِ...)[٤].

والإتيان به – أو بهما – بهذه الهيئة إنَّما هو حِرصٌ منهُ(ع)على ملاءمة الألفاظ والجَري بهِ في ميدان موسيقى النَّص،إذ لمّا كانَ الكتابُ مُوَجَّهاً بصيغةِ الخطاب المُباشِر عبر الضَّمير المُتَّصِل(الكاف)،تراها ستحضر هذا المَثَل وفق هذه الخطابية المُباشِرة،والمُؤَثِّرة.

٢ـ أثَرُ النَّص الحاضِنِ بِـ موُسيقى التَّضمِين .

ويجري إسهامُ ما ضَمَّن في موسيقى النصّ حين يكون جزءاً من بنائه الموسيقي ، إذ يَتمَثَّل ذلك في مَعلَمَين واضِحَين ؛ فتارةً يشتركُ في بناء هندسةِ موسيقِيَّةٍ مُتوازنَةٍ ، وأخرى يشترك في تشكيل موسيقى النصِّ كالجناس مَثَلا .

من المَعلَم الأوَّل قولُهُ(ع):((أينَ تَذهَب بِكُم المذاهِبُ وتَتيهُ بِكُم الغَياهبُ ، وتَخدَعُكُم الكَواذِبُ ؟ ومن أينَ تُؤتَون وأنَّى تُؤفَكون فَلِكُلِّ أجَلٍ كِتاب ، ولِكُلِّ غَيبَةٍ إيّاب ، فأستَمِعوه مِن رَبَّانِيكُم وأحضُرُوه قلوبَكُم واستَيقِضُوا إن هَتَفَ بِكُم ، وليَصدُق رائدٌ أهلَه ، وليَجتَمِع شَملَه ، وليُحضِر ذِهنَه ، فلقد فلقَ لكم الأمَر فَلقَ الخَرزَةِ وقَرَفَه قَرفَ الصَّمغَةِ ، فَعِند ذلك أخذ الباطِلُ مأخَذَهُ وركَبَ الجَّهلُ مَراكِبَه))[١].

وقع التضمين في قوله(ع):(**لكلِّ غَيبةٍ إيّاب**) و(**ليَصدق رائدٌ أهلَه**)،وعند إمعان النظر في بنية النص نجده مُوزَّعاً بين جُمَلٍ مَسجوعَةٍ مُتوازنَةٍ،فالثلاث الأولى اشترَكَت بسَجَعٍ واحدٍ:(مَذاهب،غَياهِب،كَواذِب)،ثم بجُملَتَين مَسجوعتين انتهتا بالمفردتين:(توتون،تؤفكون)،تتبعهما جملتان مَسجوعَتان مُتوازنَتان:(لكلّ أجَلٍ كِتاب ولكلّ غَيبةٍ إيّاب)،ثم ثلاثة أُخر تَنتَهي بالمفردات:(أهلَه،شَمله،ذِهنَه)،وهكذا يسير النصُّ على مِثل هذه الوتيرة .

وبذا شكّلت التضمينات جِزءاً لا يَتَجزَّأ من بناءٍ موسيقى النص،من خلال ذلك الاتّزان،والتناسب ليمثل مَظهراً إيقاعِيَّاً يَنسَجِم و سياقَ النصّ الصوتي .

وقد اخذ الاستفهامُ الاستنكاري والتقديم – لكلِّ أجلٍ كِتاب ولِكلّ غَيبَة إيّاب – والتوكيدات المُتَنَوّعة دورها في توحيدِ النص وتلوين دلالاتِهِ .

وتكرر إسهامُ مثل هذا التضمين في رسم موسيقى النصّ في قوله عند وصفهِ آل البيت(عليهم السلام):((فيهم كرائمُ القرآن ، وهُم كُنوزُ الرَّحمن إن نَطقوا صَدَقوا ، وإن صَمَتوا لم يُسبَقوا،فليَصدُق رائدٌ أهلَه ، وليحضر عقله ، وليَكُن مِن أبناءِ الآخِرَةِ فأنَّه مِنها قَدِم ، واليها يَنقَلِب ..))[٢] ، مثّل التّضمينُ هنا مَلمَحاً موسيقِيَّاً جَميلًا تَوحَّد مع معنى النص وألفاظه .

---

[2] ينظر : مجمع الأمثال ، ج٢/٢٨١ .

وينظر: جمهرة الأمثال ، ج١/١١٠ .

[3] شرح ابن ابي الحديد ، ١٧/١٩٠ .

[4] شرح ابن ميثم البحراني ، ج٢/٤٧٥ .

[1] نهج البلاغة ، خ(١٠٤)،ج١/٢٠٨ .

[2]المصدر السابق ،خ(١٥٠)،ج٢/٥٨.

وتمثّل المَعلمُ الثاني في تِلك التضمينات التي شكّلت واسطةً بين مجموعاتٍ سَجعية مُتلوِّنةٍ ، لتكون بمثابةِ استراحاتٍ ، أو مُنطلقات بين تلك المجموعات ، كقوله(ع) في كتابٍ له بعثَ بهِ إلى ابن عَمّه عبد الله بن عباس مُعاتِباً:((... فلمّا رأيتَ الزَّمانَ على ابن عمّكَ قَد كَلِب ، والعَدوَّ قَد حَرب ، وأمانةَ النَّاس قد خَزيَت ، وهذه الأمة قد فَنَكَت وشَغَرت ، قَلبتَ لابن عَمِّك ظهرَ المِجَنّ ، ففارَقتَهُ مع المُفارِقين ، وخَذَلتَه مَع المُخاذِلين وخُنتَهُ مع الخَائِنين ، فلا ابنَ عمّكَ آسيت ، ولا الأمانة أدَّيت...)) [٣].

جاء التّضمين لمعنى قول معن بن أوس :

قَلَّ بتُ لَ هُظَ هرَ المِجَنِّفَلَ م أدُم عَلى ذاكَ إلّا يَتَ ما أتحَوَّلُ [١]

ومثّل واسطةً بينَ الجُمَل المَسجوعة:(كَلِب،حَرب)،(خَزيَت،شَغَرت)والأخرى بعد التضمين هي: (مُفارِقين،خاذِلين،خائِنين)،(آسَيت،أدَّيت)،وكأنّ التضمين نقلةٌ موسيقيَّةٌ مِن نقلات مُتَشابِهات لتُعطِي تَنويعاً لها،وتَلويناً مع ما بها مِن تَوازنٍ وانسِجام .

وكذلك قوله(ع)لأصحابهِ بعد التحكيم مُذكّراً ومُوبِّخاً:((... أما بَعدُ فأنّ مَعصية النَّاصِح الشّفيق العالِم المُجَرِّب تُورث الحَيرةَ،وتُعقِب النَّدامة،وقد كُنتُ أمَرتُكم هذه الحكومَة أمري،ونَخَلتُ لكُم مَخزون رأيي لو كان يُطاع لقَصيرٍ أمرُ،فأبَيتُم عليّ إباء المُخالِفِين الجُّناة والمُنابِذين العُصاة،حَتّى ارتابَ النَّاصِحُ بنَصحِه،وضَنَّ الزّندُ بقَدحِهِ)) [٢].

اذ جاء التضمين:(**لو كان يُطاع لقصيرٍ أمرُ**)كواسطةِ العقدِ بَينَ الأسجاع:(حَيرة،نَدامة)،(أمري،رَأيي)و (الجُناة،العُصاة)،(نَصحَهُ،قَدحَهُ)التي خَلَقَت انسِجاماً صوتيّاً في النَّص .

ب- تَغيُّر مُوسِيقى التَضمِين تَبَعاً لتَغَيّر ألمعَنِي .

تَتَغيَّر التَضمينات بِتغير موضوع النصّ المُستَضيف،فَتَشتدّ ألفاظُهُ حيثما كان النصُّ في مَعرض الزَّجر والتَّهديد والوَعيد،وتَنساب هادئة عند النَّصح والمَوعَظة والتَّذكير،ترتفع بقوتِهِ وتنخفضُ هامسةً بفتورِهِ،أو قد تكون قوّةً ثمَّ يرتَد إلى هدوءٍ ثم يعود بها إلى سِيرتِها الأولى حين يَتَغيَّر النصُّ بمواضعِهِ بين صيغة وأخرى .

وتلك واحدةٌ من الخصائص الفنية للتضمين،والمتلقي هنا يتمتع بِتنَوّعِ موسيقى النَّص،مثلما يتمتع بتنوّع مَعانيه ، وينتج عن ذلك أيضاً تواشجٌ بين طبيعةِ التعبير الأدبي ونظامهِ الصوتي فتكمل بذلك أدبية النص .

في جوابٍ شديدِ الوقع بعث به إلى معاوية يردّ فيه على ما اتّهمَهُ بهِ مِن حَسَدٍ للخلفاء،وتحامل عليهم قال :((... وزعَمتَ إنّي لِكُلِّ الخُلَفاءِ حَسَدت،وعلى كُلّهم بَغَيت فأن يَكُن كَذلِك فليسَ الجِنايةُ عليكَ فيكون العِذرُ إليك **وتِلكَ شَكاةٌ ظاهِرٌ عَنكَ عارُها**)) [٣].

استحضر تضميناً لشطرٍ من بيتٍ يُشاكِل حِدَّة الرَدِّ ويُسايرَهُ فيها،ويزداد التصعيد قُوّةً فيما استدعاه من تضمينٍ لاحِق حين وصل إلى التهديد له في ذلك الردِّ فقال(ع):((وذكَرتَ انَّه ليس لي ولأصحابي عِندَكَ إلّا السيف، فلَقَد أضحَكتَ بعد استِعبار مَتى ألفيتَ بَني عبدِ المُطَّلب عن الأعداء ناكِلِين ، وبالسيفِ مُخَوّفين**لَبِّث قَليلاً يلحَق الهَيجا حَمَل**)) [٤].

بازدياد الحروف الانفجارية الشديدة المُعربة عن الغَضب وعَدَم الرِّضا ، ازداد مثلها فيما ضَمّنه(ع) حيث(الباء ، والحاء ، والقاف ، والجيم ، والتاء) والتي تُوحي بالشِدَّة والقُوَّة ، لأنّه في مَقام الردِّ والاستنكار والوَعيد .

ولمّا كان النصُّ – في اغلبه – تَكَوَّن مِن جُمَلٍ قَصيرَةٍ جاء التضمينُ لشطرِ البيت مُتَلائِماً مَع السياق، وجاء مُعَبّرا عن حالةٍ شُعوريَّةٍ قَوِيَّةٍ،وهذا التراكم الصوتي المُتلائِم يُمثّلُ انعِكاساً للسياق الوارد فيه، وأسهمت نبراتُها في كَشفِ صورة المعنى للمتلقي .

---

[3] المصدر السابق ، ك(٤١)،ج٣/٧٢-٧٣ .

[1] المستقصى في أمثال العرب ، ج٢/١٩٨ .

[2] نهج البلاغة ، خ(٢٤)،ج١/٨١ .

[3] نهج البلاغة ، ك(٢٨)،ج٣/٣٧ .

[4] المصدر السابق ، ج٣/٣٩ .

إيقاع النص يُساوق المعنى ويُسايرُه ، فهو مثله مُتلاحقٌ سريعٌ ، كلُّ ما فيه مُتَحرِّك ، والإيقاع اللفظي يكشف عن هذه الصَّيحة القَويّة وجاء ما ضَمّنه داعِماً لهُ في الشِدَّة والقُوّة .

فالشطر في حروفهِ وإيقاعهِ ونبرتهِ حازمٌ شديدٌ وكأنه – بوزنهِ الرجزي – قِيلَ في ساحةِ حَرب وقتال ،وقد زاد في سرعة النصّ وصَخَبهِ فتثير في نفس المتلقي هِزّةً ورَهبةً،وتَوجّس حتَّى نكاد نتقطَّع ذُعراً وخَوفاً بهذه المُوسيقى القارعة للقلبِ قبل السمع .

تلاءَمَ النصُّ والتّضمينُ في تصوير مَشهَدٍ مُرَوِّع يأخذ في نَفس المُتَلقي مَأخذَه،وبتَوحد إيقاعُ النص ومعناه،فأضحيا قِطعَةً واحِدةً،وهكذا الأمر في تضمين مَعنى قول الأعشى :

تَبيتُونَ في المَشتَى مِلاءَ بُطونُكم وجَاراتُكُم غَرثَى يَبِتنَ خَمائِصا [1]

في كتابٍ له (ع) بعثَهُ إلى عاملهِ على البصرة لمّا بلغه انَّه دُعِيَ إلى وَليمَةِ قَومٍ من أهلِها فمضى إليها فدعاه للاقتداء بهِ بنبرةٍ منَ الزَّجرِ والعِتاب الشَّديد:(... ولكِن هيهات أن يَغلبَني هَواي،ويقودني جَشَعي إلى تَخيّر الأطعِمَةِ ولعلَّ بالحجازِ أو اليَمامَة مَن لا طمعَ له في القرص ولا عَهدَ له بالشَّبَع أو أبيتُ مِبطاناً وحَولي بُطونٌ غَرثَى وأكبادٌ حَرَّى ...)[2]، (فالباء، والتاء ، والطاء ، والراء) تُفصِح عن مِقدار غَضَبه وعدم رضاه عَمّا سَمعهُ عن تلكَ الوليمة .

المفرداتُ(غَرثى ، حَرَّى) تنسجم مع مفردات النصّ(هَيهات ، هَواي) وغيرها من المفردات ، من حيث انتهائِها بأصواتِ المَد الطَّويلةِ ذات النَّغمةِ العالية ، والدالّة على وَفرةِ الموسيقى ورخامَتِها والتي ترتبط بالدُّعاءِ والخضوع[3].

وبجَوٍّ يَلفّه الحِزنُ والألَمُ قدَّم لكلامِهِ بقول الشاعر :

لَعمرُ أبيكَ الخَير ياعَمروُإنّني عَلَى وَضَرٍ مِن ذا الإناء قَليل

ليأتي كلامُه بعد ذلك على وتيرةٍ مِن الحزن والألَم فيقول:(أُنبئتُ بُسراً قد أطَّلَعَ اليَمن وانِّي واللِه لأظنّ أنَّ هؤلاءِ القوم سَيُدالُون مِنكُم باجتِماعِهم على باطِلِهم،وتَفَرُّقُكُم عَن حَقِّكُم ...)[1].

ويتراءى التلاؤُم هنا فيما ضُمِّن والنصّ هو ذلك الطباق في(اجتماعِهم،تفرقهم)،(باطِهم،حَقكم)الذي يبدو مُنسجِما مع الإيقاع في البيت المُضَمَّن، فالإيقاع يُعدُّ سِمةً مِن سِمات اللغةِ العربية[2]،وإذا كان اشدّ بُروزاً في الشِّعر،فأنَّه يَتحقَّق بفعلِ السَجَع والجِّناس والطِّباق والمُوازَنة وسواها من الوسائل الموسيقية[3]،فالتماثل بين مُفرداتِ التركيب أحدى السِّمات الأسلوبية للإيقاع الصَّوتي[4].

---

[1] ديوان الأعشى ، ص:١٩٣ .

[2] نهج البلاغة ، ك(٤٥)،ج٣/٨٠ .

[3] ينظر:الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم،د.عبد الواحد المنصوري،رسالة ماجستير،كلية الآداب،جامعة البصرة، ١٩٩م، ص :١٥٢ .

[1] نهج البلاغة ، خ(٢٤)،ج١/٦٠ .

[2] ينظر:فقه اللغة العربية ، ص:٣٥ .

[3] ينظر:الأسس الجمالية في خطبة الجهاد للإمام علي(ع)، د.فليح كريم خضير، مجلة الطليعة الأدبية،ع"٣"،بغداد، ص :١٠١ .

[4] ينظر:الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني،د.عواطف كنوش،رسالة دكتوراه،كلية الآداب،جامعة البصرة،١٩٩م،ص:٩٠ .

ثَانِياً : المُستوَى البَلاغِي .

عند دخول الشِّعر أو المَثَل في ساحةِ النصّ النهجي بالتضمين يجلبان مَعهُما خصائصَهُما فيصطبغ بهما،فيعكسان مالَهُما من صُوَرٍ اعتمدت الانزياحَ ،والمُتَحقّق بالتَّجسيمِ ، والتَّشخيص وما يُرافقهُما من صور بَيانيَّةٍ تَتَلون بِتَلوّن فنون البيان من استعارةٍ ، وكنايةٍ ، وتشبيه .

وهما بما يَحملانَهُ من انزياحٍ وإيجازٍ وأصابةٍ مُباشَرةٍ للمعنى إنَّما يُسهمان في رَفدِ صور النص،أو يجعلانه عاكِساً لألوانِ الطَّيفِ البياني لهما.

إنَّهما يَشتَركان في خِصالٍ ثلاث، هي:إيجاز المعنى،وإصابةِ المعنى وحُسنِ التَّشبيه[1]،وهذا مِمّا يُوصِل إلى بيانِ الصورة التي تُعَدّ مِن ابرز عَناصرِ الجَّمال في العَمَل الأدبي .

وإذا كانَ الشعرُ حامِلاً لفنون بلاغيَّةٍ عديدةٍ،فأنَّ البلاغيين حَصَروا الأمثال في المَجازات التَّمثيلية عَلى وَجهِ الخصوص[2].

وحين تَخلَّلَ الشعر والمَثَل خطبَ الإمام(ع)ورسائلِهِ ومواعظِهِ أسهَمَت في استكمالِ رسمِ صورةٍ بيانِيَّةٍ وما استتبعها مِن تجسيمٍ أو تشخيصٍ،وهذا ما تَوزّعت مَحاورُ هذا الجانب بَينَ ثناياه .

أ-التَضمين وأثَرهُ في رَفد النَّص بالتَجسِيم و التَشخِيص .

من المعلوم أنَّ البحثَ البلاغي عند التعامل مع النص الأدبي يَتقصَّى الصُّور البيانية والقِيَم الجمالية التي تُرافقها،ولم يكن التضمين بِبَعيدٍ من هذا الدور الذي تَمظهر في فَنّي التَّجسيمِ والتَّشخيص اللذين يُعدّان من ابرزِ الخَصائص الفنية البلاغية .

لقد جسّم الزمانَ وأظهره بهيئةٍ آدميَّةٍ المح بها الاستخدام الاستعاري بقرينةِ إحدى خصائصِها(يَرعَف)، التي تُظهر أطرافَه،وتَشي بها والسِّين تحمل دلالةً مُستقبليَّةً تحمل التفاؤلَ والأملَ،فقال(ع):((... ولَقَد شَهِدَنا في عسكَرِنا هذا أقوامٌ في أصلابِ الرِّجال وأرحامِ النِّساء،سَيرعف بهم الزمانُ،ويَقوى بهم الإيمانُ))[3].

---

[1] وان عُدَّت هذه الخصال مِلّميُ مثّل العمق البلاغي للَمثَلِ،والتي أضافَ لها إبراهيُمإلنظ ّ ام ت (٢٢٣هـ) جَودةَ الكناية .

ينظر: المزهر، السيوطي،ج١/٤٦١ .

مجمع الأمثال ، ج١/٦ .

الصورة الفنية في المثل القرآني ، ص:٥٤ – ٥٥ .

[2] ينظر: الأمثال في القرآن ، ص : ١٢٧ .

[3] نهج البلاغة ، خ(١١)،ج١/٤٠ .

والصورةُ هُنا تُوحي للسامع بالكثيرِ من المَعاني،لاعتمادِها الفنَّ الاستعاري القادر على التَّجسيم لكلّ ما هو مَعنوي،والانتقال مِن المعاني الحَرفِيَّة اللغوية للمُفرَدات إلى المعاني المجازية .

وبفضلِ هذا التجسيم حَدث الانزياحُ وهو أفضل حالات التصوير الفنَّي في الإبداع [1]،ومن خلاله تنتقل المفرداتُ من معانيها الحقيقية إلى معانيها المَجازية الجديدة لتُعطي مَعنىً جديداً ودلالةً جديدةً لصور ذهنية تُدرَك من خلال التصور المادي للحواس .

وكذلك لما جسّم النفسَ الإنسانية وأخرجَها من عالمِ المعنويات إلى عالمِ الوجود المادي بفعل الانزياح المُتَحقّق بالفعل(أردَع)في صورتِهِ النَصِّية(تَردَع)،وكأنّ النفسَ فرسٌ جامِحٌ يحتاج إلى ردعٍ حتى لا يُورد صاحِبَه مَوارد الهَلَكَةِ فقال مُوصِياً(شريح بن هاني)لمَّا جَعَله على مُقدّمتهِ إلى الشام:((.. وأعلم انَّكَ إن لم تردَع نفسَك عَن كثيرٍ مِمّا تُحِب مَخافَةَ مَكروهٍ سَمَت بِكَ الأهواءُ إلى كَثيرٍ مِنَ الضَّرَر))[2].

وحين تصور المعاني بهيئةِ الأشخاص تكون أثبت في الأذهان لِمَقدرة المُتلقي الاستعانة بحواسِّهِ في تصوِّرها .

ومنَ المُتعارَف عليه عند البلاغيين والنقاد ارتباط فَنَّي التجسيم والتشخيص بِفنّ الاستعارة،وقد نجد شيئاً من ذلك في الكنايةِ،كما في قوله(ع)مُعاتِباً ابنَ عمِّه(عبدَ الله بن عباس):((قَلبتَ لابنِ عَمِّكَ ظَهر المِجَنّ،ففارَقتَهُ معَ المُفارِقِين))[3].

إنَّ المُتَلقي ليكاد يَرى صورةً تكشِفُ عن عمق الدلالةِ في النصِّ فيصل – دون معاناةٍ – إلى المعنى الحقيقي الكامِن بين مفرداتِ النص،واستطاع(ع)أن يَجعَلها تَمتَدّ وتَتَوسَّع لتُعَبِّر عن المَعنى العام للنصّ، لقد جعلها – من خلال الكناية – عِنواناً لكتابهِ(ع)وان لم تَكن فِي مُقدَّمةِ النص .

وفي قوله:(**رُبَّ قولٍ أنفَذ مِن صَول**) يرسم لنا صورةً مُجسَّمةً لذلك القول النافذ وكأنه سهمٌ أو شعاعٌ يخترق ألاجساد،ولهُ القِدرةُ على الإيذاءِ والإيلامِ فيأتي التصويرُ رافداً لإظهارِ المَعنى بأوضَحِ صورةٍ .

ب- حَلّ الشِّعر ونَثره عِبرَ آليَّة التَّضمِين .

حلُّ الشعر ونثرهِ مصطلحٌ بلاغيٌّ كثر تداوله في المُصنَّفاتِ البلاغية القديمة والحديثة [1]،ومن خصائص التضمين عند الإمام(ع)تطويع ما ضَمّنه من شعرٍ في خطبهِ،وكتبِهِ،ومواعظِهِ،والسير بها في تيارِ النصوص لتكون عَوناً للوصول بها إلى غايةٍ مَرجُوّةٍ .

---

[1] ينظر: الصورة الفنية في كلام الإمام علي، ص :١٦٥.

[2] نهج البلاغة، ك(٥٦)،ج١٢٥/٣.

[3] نهج البلاغة، ك(٤١)،ج٧٣/٣.

[1] ينظر:الصناعتين ، ص : ٢١٦.

وينظر:المثل السائر،ج٧٨/١.

وينظر:المصطلحات البلاغية، وتطورها،مادة(حل) و(حل الأشعار)ج٤٥٧/٢ – ٤٦٢.

وينظر:مصطلحات بلاغية، د. بدوي طبانة،مادة(حل) .

وحلّ الشعر: نقُضُونقيضُه العَقد،وهو نظُم الشّعر،وقد بَحث(ابن منقذ) هذين المصطلحين في بابٍ واحدٍ من كتابهِ

ويستدعي ذلك تغيّراً في تركيب البنية الشعرية بعيداً عن النَظمِ والقَوافي،والإتيان بها بما يُناسب السياق الذي وردت فيه،ليكون استدعاءً مَرناً آخذاً به إلى التماسكِ في نسيج الألفاظ،وتعلق بعضها ببعض ومناسبة السابق للّاحق في البنيةِ والمعنى .

ويُعَد هذا اللون من التضمين – في كثيرٍ منه – تَضميناً اشاريّاً يُحيل المُتلقي إلى منارات دلاليَّةٍ مُكثَّفة،لا سِيَّما حين يكون تَضميناً لما شاعَ من أشعارٍ بين الناس آنذاك .

إنَّ دواعي المَقال،ومُقتضى الحال هُما الدافع إلى ذلك كلّه والحاثّ إليه،ليَكشف مِن خلال إعادة صياغتِها بما يَتَلاءَم وسياق النص النهجي ويجعلها تَتَناغم مع ما جاورَها من مُفرداتٍ،وجُملٍ،وتراكيبَ فَتُوصِل المتلقي إلى المعنى المقصود .

واستطاع الإمام(ع)– بما يَمتلك مِن مقدرة فنيَّةٍ – نَثرَ كَثيرٍ من الأشعارِ عند تضمينها في كلامهِ، وكتبهِ حتَّى غَدَت مِن بُنى سياقِها ، وبذلك يكون غير خارجٍ عَمّا اشترطَهُ البلاغيون في نَثر النَّظم .

وتوزَّعت مصاديقُ هذه الخِصِّيصةُ بينَ النِّصوص النَّهجية ولم تَنحصر في لونٍ واحدٍ من نصوصِهِ دون سواها .

من ذلك قوله(ع):((**سَيرعَف بهم الزَّمانُ**))[1]،وقوله(ع):((ما بالُكم ما دواؤُكم؟ما خطبُكُم!القومُ رجالٌ مِثلكم))[2]،وقولُه(ع):((وصِلوا السيوفَ بالخُطى))[3]،وقوله:((فَلِكلّ أجَل كِتاب،ولِكُلّ غَيبَةٍ إيّاب))[4]،وقولُه(ع):((وانَّ الفارَّ لغَير مَزيدٍ مِن عُمره))[5]،وكلها مِمّا جاء في خطبهِ .

(البديع في نقد الشعر)،وعرَّفهما بقوله: " إنَّ الحلَّ والعَقد هو ما يتفاضَلُ فيه الشعراءُ ،والكُتّابُ،وهو آن يأخذ لفظاً مَنثوراً فينظمه أو شعراًفينثره ويدُ طارِحَه العطاءُ فيما بينَهمُ " وتابعه في ذلك ابن الأثير وأبو هلال العسكري، وابن أبى الإصبع المصري ، والقز ويني ، وتبعه شراح التلخيص ، وان كان أبو هلال العسكري قسمه على أربعة أضرب ، وأشترط القزويني في ذلك شرطين .

للتفصيل في ذلك ينظر:البديع في نقد الشعر، ص:٢٥٩ ، المثل السائر،ج١/٧٧ ،الصناعتين، ص:٢١٦،تحرير التحبير، ص:٤٣٩،الإيضاح،ص :٤٢٥،التلخيص ، ص:٤٢٦، معجم المصطلحات البلاغية،ج٢/٤٥٧-٤٦٢،وقد عده القز ويني (حل الشعر) من فنون الاقتباس.

ينظر:الإيضاح،ج١/٣٨٦ .

[1] نهج البلاغة،خ(١١)،١/٤٠ ،هو من قول الشاعر: **و ماعَفَ الزمانُ بمثلِ عمرو ولا تَدَ للنَّاءُ لهُ ضَريبا**

[2] نهج البلاغة،خ(٢٨)،ج١/٧١ . هو من قول الشاعر: **القوُم أمثالُكم لهم شَعَرٌ في الرَّسلِا يُ نشَرون إن قُتلُوا**
شرح ديوان الحماسة، التبريزي ، ج١/١٤٦.

[3] نهج البلاغة،خ(٦٣)ج١/١١١،هو من قول الشاعر: **وان قَصَرت أسيافُنا كان وصلُها خُطانا الى أعدائِ نا فَنُضارِبُ**
حماسة أبى تمام، شرح التبريزي ، ج١/٤٨٨. .

[4] نهج البلاغة ، خ(١٠٤)،ج١/٢٠٨،هو من قول الشاعر:**وكلُّ ذي غَيبةٍ َ ُوبُ وغائبُ للمَوتِ لا َ يُوب**
ديوان عبيد بن الأبرص،ص:١٣ .

[5] نهج البلاغة ، خ(١٢٠)،ج٢/٦، هو من قول الشاعر: **قد َ َم المستاخرون في الوَهَل**
إذا السيوف عُرِّيت من الدَ َل
إنَّ الفِرارَ لا يُ زيدُ في الأجَل
لم ينسبه ُصاحبُ الحماسةِ إلى أحد.
ينظر:حماسة أبى تمام،شرح التبريزي ، ج١/٤٦٦.

ومن مصاديق ذلك كله في كتبهِ(ع)نجد قولهِ(ع):((فكنتَ فِي ذلك كَناقِلِ التَّمرِ إلى هَجَر))[٦]،وكذلك ما جاء في كتاب آخر:((قلبتَ لابنِ عَمِّكَ ظَهرِ المِجَنّ))[٧]،وقولهِ(ع):((أو أبيتُ مِبطاناً وحولي بُطون غَرثى،وأكبادٌ حَرّى))[٨]،وقولهِ(ع):((وأعلم انَّك إن لَم تَردَع نفسَكَ عَن كَثيرٍ ممّا تُحب مَخافةَ مَكروهٍ سَمَت بكَ الأهوا إلى كثيرٍ مِنَ الضَّرَرِ))[٩].

ومن مَصاديق ذلك في حِكَمهِ ومواعظِهِ قولُه(ع):((لا تَظنَّنَ بكَلِمَةٍ خَرجَت مِن أحَدٍ سوءً وأنتَ تَجِد لَها في الخَيرِ مُحتَمَل))[١]،وقولُه(ع):((لا تَجعَلَنَّ ذَرب لِسانِكَ عَلى مَن أنطقَكَ ولا بَلاغَة قولِكَ عَلى مَن سَدَّدَكَ))[٢]،وقولُه(ع):((مَن كَرُمَت عَليهِ نَفسُهُ هانَت عَليهِ شَهواتُهُ))[٣].

وفي ما مَرَّ من أمثلةٍ نجد أنَّ كثيراً من هذا التضمين وردَ في مقام النصح والإرشاد ووافَق اغلبها السياقَ الذي وردت فيه،وإنها لم تقتصر على نوعٍ واحدٍ من نصوص النهج .

ج- تَغيُّر الأسلِيب البَلاغيَّة فِي التَّضمين بَين الخَبر والإنشَاء .

الخبرُ والإنشاء مَظهران من مظاهر التَّوزيع البلاغي،ولكلٍّ منهما أقسامُه وأغراضُه التي يَخرجُ إليها حقيقة ومجازا[٤].

وقد توزّعت التضمينات بينهما بما يتطلبه السياق،قد يقوم الإمام(ع)بتحويل أحدهما إلى الآخر تَبَعاً للمقصدية الدلالية،وعند الوقوف عند التضمينات الشعرية يتضح المَيل إلى النوع الأول وان كان هناك حضور للنوع الثاني إلاّ انَّه اقلّ بكثيرٍ من سابقهِ .

في تضمين الاشطار الثلاثة يتضح الأسلوب الخبري في اثنين منهما،وفي الثالث فقط ورد الأسلوب الإنشائي،إذ جاءت الأخبار في الأشطر:((وقد يَستفيد الظِّنَّة المُتَنَصِّحُ))[٥]،وهو خبرٌ خرجَ إلى غَرضٍ أصلي وهو(فائدةُ الخبر)،أُنزل فيه المخاطَب – وهو معاوية – مَنزلة الجاهل بالخَبر،فأفاده بالحكم الذي تضمَّنهُ الكلام

وفي الشطر الثاني:((وتِلك شَكاةٌ ظاهرٌ عنكَ عارُها))[٦]،وهو خبرٌ خرج إلى غَرضٍ مجازيٍّ وهو التوبيخ .

---

(6) نهج البلاغة، ك(٢٨)،ج٣/٣٤، هو من قولِ الشاعر: **فانَّك واستبضاعك الشِّعر نَحوَنا كَمستبضِعٍ تَمراً إلىارضِ خَيبَرا**
حماسة أبى تمام،شرح التبريزي،ج٢/٨٥٦.

(7) نهج البلاغة،ك(٤١)،ج٣/٧٢، هو من قولِ الشاعر: **قَلبتُلهُ ظَهرَ المِجَنِّ فَلم أُدم على ذاك إلاّ رَيثَما أتَحَوّلُ**
المستقصى في أمثال العرب،ج٢/١٩٨ .

(8) نهج البلاغة، ك(٤١)،ج٣/٨٠.،هو من قول الشاعر: **تبَيتُونَ في المَشتى مِلاءَ بطونُكُم وجاراتُكُم غَرثى يَبِتن خَمائِصا**
ديوان الأعشى، ص: ١٩٣ .

(9) نهج البلاغة، ك(٥٦)،ج٣/١٢٥.قال الشاعر: **والنَّفسُ راغِبَةٌ إذا رغَّبتَها وإذا تُرُدُّ إلى قَليلٍ تقنَعُ**
ديوان الهذليين ، القسم الأول، ص :٣ .

(1) نهج البلاغة،خ(٣٦٠)،ج٣/٢٣٨،هو من قول الشاعر**:إذا ما بَدَت مِن صاحبٍ لَكَ زَلّةٌ فَكُن أنتَ مُختاراً لِزلَّتِهِ عُذرا**
ديوان الحماسة،ج٢/١٦.

(2) نهج البلاغة،خ(٤١١)،ج٣/٢٥١،هو من قول الشاعر**:وكَم عَلّمتهُ نَظمَ القَوافِي فَلَمّا قالَ قافِيَةً هَجاني**
محاضرة الأدباء،ج١/٤٦.

(3) نهج البلاغة،خ(٤٤٩)،ج٣/٢٦٠.،هو من قول الشاعر**:فأنَّك إن أعطيتَ بَطنَكَ سُؤلَهُ وفَرجَكَ نالا مُنتهَى الذَّمِّ أجمعا**
ديوان حاتم الطائي،ص:١٧ .

(4) باعتبار أنَّ الكلاَم مِن وِجهةِ نَظَرٍ بلاغِيَّةٍ، أما خَبر أو إنشاء.
ينظر:معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،مادة(إنشاء)،ومادة (خبر)ج١/٣٣٢-٣٣٤،ج٢/٤٦٤-٤٧٢ .

(5) نهج البلاغة ، ك(٢٨)،ج٣/٣٩ .

(6) المصدر السابق ، ك(٢٨)،ج٣/٣٧ .

واقتصر الأسلوبُ الإنشائي على الشطر الثالث وهو:((لبِّث قَليلاً يلحق الهيجا حَمَل))[٧]،وهو إنشاءٌ خرجَ إلى غرضٍ مجازي وهو الوعيد .

وعند التَمعّن في تضمين الأبيات الأربعة الكاملة،يظهر توزّعها بالتساوي بين الخبر والإنشاء،فالخبر في البيتين:((**شَتلّ ما يَومي على كورها**))[١]،والأخر:((**هُالِكَ لو دعَوتَ أتاكَ مِنهُمُ**))[٢]،وهما خبران خرجا إلى غَرضَين مَجازيَين هما؛(التَحسّر)في الأول،و(التَشَكّي)في الثاني،والمُوصِل إلى هذين المَعنَيَين سِياقُ الكلام الذي وردا فيه .

وتمثّل الأسلوبُ الإنشائي في البَيتين الأخرَيَين وهُما:((**لَعمر أبيكَ يا عمرو إنَّني**))[٣]،و((**وَدَع عَنكَ نَهباً صِيحَ في عَرَصاتِهِ**))[٤]،فالأول لوجود صيغة القسم(لعمر أبيك)،والثاني لوجود فعل الأمر(دَع)والأول مع انه أسلوب إنشائي إلّا انَّه خرج إلى غرضٍ مجازيٍّ وهو الخبر،والأخر خَرجَ للتشكي .

وفي التضمينات غير المباشرة – القريبة والبعيدة – للأشعار والأمثال يَظهر الأسلوبُ الخبري طافِحاً في النصوص،كما في قوله(ع):((كنا قِلِ التَّمرِ إلى هَجَر))[٥]،و((أو داعي مُسدِّده إلى النِّضال))[٦]،و((رُبَّ قَولٍ أنفذ مِن صَول))[٧]،و((لِكلِّ غَيبَةٍ إيّاب ولكُلِّ اجَلٍ كِتاب))[٨].

وحتى الإنشاء قد يخرج به(ع)إلى الخبر،كما في قوله(ع):((سَيرعَف بهم الزَّمانُ))[٩]،وهو من قول الشاعر : (وَما رَعَفَ الزمانُ بمثل عَمرٍو) إنشاء غير طلبي تحقق بفعل النفي(ما)،وقد خرج إلى الأخبار لكن الإمام(ع) جاء به خَبراً صِرفاً يدل على التفاؤُل والأمل المُتحَقّق بفعل(حرف السين) الدالّ على الأستقبال .

هذا مع وجود الإنشاء في مواضع أخرى وان كانَت أقل،كما في قوله(ع):(لا تظنَّنَ بكلمةٍ خَرجَت من أحدٍ سُوءاً)[١٠]،وهو في الأصل من أسلوبٍ خَبري مَرَّ ذكرُهُ[١١]،ومثلُهُ قوله:((لِدوا للمَوتِ))[١٢]،وهو من أصلٍ خبريٍّ أيضاً .

ولرُبَّما يأتي كثرة الأسلوب الخبري في كلامه(ع)من طبيعةِ ذلك الكلام الذي هُو في معظمه بيانٌ، وكشفٌ عن أمورٍ كثيرةٍ استدعت الشرحَ والوَعظَ .

وحين لخَّص(الحُوفي)الصفاتَ التعبيرية للإمام(ع)ذهَب إلى أنَّ الصَيَغ الإنشائية هي الأكثر في كلامهِ فقال:" كثرة الصِّيغ الإنشائية وهي الأمرُ والنَهي والاستِفهام والتَرجِّي والتَمنّي والنِّداء والقَسَم والتَعجُّب وهي أقوى من الصيغ الخبرية تَحديداً لنشاطِ السامعين،وأشدّ تَنبيهاً وأكثر إيقاظاً،وأدعى إلى مطالبتهم بالمشاركةِ في القَول وفي الحكم،وهي في الوقتِ نفسه أدقّ في تصوير مَشاعر الخَطيب،وأفكارِهِ،ولابُدَّ من أساليب مُتغايرة تُفصِحُ عنها "[١].

---

[7] المصدر السابق ، ك(٢٨)،ج٣/٣٩ .

[1] المصدر السابق ، خ(٣)ج١/٢٦ .

[2] المصدر السابق ، خ(٢٤)ج١/٦١ .

[3] نهج البلاغة، خ(٢٤)ج١/٦٠ .

[4] المصدر السابق ، خ(١٥٧)،ج٢/٧٩.

[5] المصدر السابق ، ك(٢٨)ج٣/٣٤ .

[6] المكان نفسه .

[7] المصدر نفسه ، خ(٣٩٤)ج٣/٢٤٨ .

[8] المصدر السابق ، خ(١٠٤)ج١/٢٠٨ .

[9] المصدر السابق ، خ(١١)ج١/٣٩ .

[10] المصدر السابق ، خ(٣٦٠)ج٣/٢٣٨ .

[11] ينظر: الصفحات السابقة.

[12] نهج البلاغة ، خ(١٣٢)، ج٣/١٨٣ .

[1] ينظر: بلاغة الإمام علي ، دار المعارف ،١٩٨٧ ، ط٢، ص :١٩ .

نعم يصح رأيُهُ في عموم كلام الإمام(ع)غير انَّه – قد – لا يكون كذلك في مَواردِ التضمين كما هو ظاهر .

المصادر والمراجع :

*القرآن الكريم .

*الاتجاه العقلي في التفسير عند المعتزلة،د. ناصر حامد أبو زيد،دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت، ١٩٨٢م.

*الإتقان في علوم القران،جلال الدين السيوطي ت(٩١١) هـ،مطبعة مصطفى الحلبي ، ط٣،مصر، ١٩٥١م.

*أحكام القرآن،أبو بكر احمد بن علي الجصاص ت(٣٧٠)هـ،دار الكتب العلمية،١٤١٥هـ .

*أدونيس منتحلا ، كاظم جهاد ، ط٢ ، مطبعة مد بولي ، ١٩٩٣م.

*أساس البلاغة،عمر بن احمد الزمخشري ت(٥٣٨) هـ،تحقيق عبد ألرحيم محمود ، منشورات دار المعرفة للطباعة ، بيروت ،١٩٧٩ م.

*أساليب البيان في القران،سيد جعفر الحسيني، مؤسسة الطباعة والنشر، ط٢ ، قم ، ١٤١٣، هـ.

*الإشارة الجمالية في ألمثل القرآني، د. عشتار داود محمد، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، ٢٠٠٥م.

*الأشباه والنظائر في النحو ، جلال الدين السيوطي، تحقيق د.عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة لبنان ،١٩٨٥م .

*أصول ألخطاب ألنقدي ألجديد،تزفتان تودوروف وآخرون، ترجمة أحمد ألمديني ،دار ألشؤون ألثقافية ،بغداد ،١٩٨٧م .

*الأضداد في اللغة ، محمد حسين آل ياسين ، مطبعة المعارف، ط١ ، بغداد، ١٩٧٤م.

*أعلام نهج البلاغة،المحقق علي بن ناصر خسرو ، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، طهران ، ١٣٦٦هـ.ش.

*الأغاني،أبو الفرج الأصفهاني ت(٣٥٦) هـ،تحقيق سمير جابر،دار الفكر، بيروت ، ط٢، (د.ت).

*الاقتباس من ألقرآن ألكريم ، أبو منصور ألثعالبي ت(٤٢٩)هـ ،تحقيق د. ابتسام مرهون الصفار، دار ألحرية ، بغداد ،١٩٧٥م .

*الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ، جورج جرداق ،منشورات ذوي القربى، ط٢،قم ، ١٤٢٤هـ.

*الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، الشيخ محمد الغروي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ،١٤٠٧هـ.

* انفتاح ألنص ألرّوائي ،سعد بن يقطين ،المركز ألثقافي ألعربي ،ألدار ألبيضاء ،١٩٩٥م .

*الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القز ويني ت(٧٣٩) هـ ، تحقيق د. علي بو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، ط٢ ، بيروت ،١٩٩١م.

*بحار الأنوار ، محمد باقر المجلسي ت(١١١١)هـ ، مؤسسة الوفاء ، ط٢، بيروت ،١٩٨٣م.

*بحوث لغوية ، د. احمد مطلوب، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٧م.

*البحث النحوي عند الأصوليين ، د. مصطفى جمال الدين ، دار الرشيد ، بغداد ،١٩٨٠م.

*البداية والنهاية ، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ت(٧٧٤)هـ، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي،بيروت،١٤٠٨هـ .
*البرهان في علوم القران، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت(٧٩٤) هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ،١٩٨٨م .
*بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، الشيخ محمد تقي التستري ، دار أمير كبير، بيروت، ١٩٧٨م.
*بلاغة الإمام علي ، احمد الحوفي ، ط٢، دار المعارف ،١٩٨٧ م.
*بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د. منير سلطان ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٨م .
*بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،٢٠٠٠م .
*البلاغة والأسلوبية ، يوسف أبو العدوس ، المكتبة الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ،١٩٩٩م .
*بنية اللغة الشعرية ، جان كوهين ، ترجمة محمد الولي، ومحمد العمري ، منشورات دار توبقال ، المغرب ،١٩٨٦ م .
*البيان والتبيين،أبو عثمان بحر الجاحظ ت(٢٥٥) هـ تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة المدى ، القاهرة ،١٩٨٥م .
*تاج العروس في جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ت(١٢٠٥)هـ، تحقيق عبد الكريم الغرباوي ، (د.ت).
*التبيان في تفسير القرآن،أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت(٤٦٠)هـ،تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، مطبعة الإعلام الإسلامي ، قم ،١٤٠٩هـ .
*تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص) ، د. محمد مفتاح ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٨٥م.
*تداخل النصوص في الرواية العربية ، عبد الرحمن حماد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧م.
*التصوير الفني في القران ، سيد قطب ، دار المعارف ، مصر ،١٩٦٣م .
*التطبيق الصوتي ، د. عبدة الراجحي ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، (د.ت).
*التفسير البنائي للقران الكريم ، د.محمود البستاني ، مؤسسة الأستانة الرضوية، قم ، ١٤٢٢هـ .
*تفسير جامع الجوامع ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ،١٤١٨هـ .
*التفسير البياني ، د. عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، مصر، ط٨ ، (د.ت).
*تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن،عبد الرحمن بن محمد الثعالبي ت(٨٧٥)هـ،تحقيق د.عبد الفتاح أبو سلمة ، وزملاؤ هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٨١٤هـ.
*تفسير الجلالين ، جلال الدين السيوطي ت(٩١١)هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) .

*تفسير القرآن الكريم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ت(٧٧٤)هـ، دار المعرفة ، بيروت ،(د.ت) .
*التلخيص في علوم البلاغة ، جلال الدين القزويني، شرح وضبط عبد الرحمن البرقوقي ، دار ومكتبة الهلال، ط٢، بيروت ،١٩٩٣م.
*التناص مع الشعر الغربي، د. عبد الواحد لؤلؤة ، مجلة الأقلام، ع(١٠،١١،١٢) ، بغداد ،١٩٩٤م .
*توضيح نهج البلاغة ، السيد محمد الحسيني الشيرازي ، دار تراث الشيعة ، (د.ت) .
*التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الروؤف المناوي ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر العربي ، دمشق ،١٤١٠هـ .
*ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥م.
*جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت(٣١٠)هـ، تحقيق صدقي جميل العطار ، دار الفكر، بيروت ،١٤١٥ هـ .
*الجامع الصغير ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ت(٩١٧)هـ ، دار الفكر ، بيروت، (د.ت).
*الجامع لاحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي ت(٦٧١)هـ ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت، ١٤٠٥هـ .
*جمالية الخبر والإنشاء ، د. حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب ، دمشق ، ٢٠٠٥م.
*جمالية المفردة القرآنية ، د. احمد يا سوف ، دار الكتبي ، ط٢، سورية ، ١٩٩٩م .
*جمهرة الأمثال ، أبو الهلال العسكري ت(٣٩٥) هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعبد المجيد قطماش ، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٩٨٨م .
*حسن التوسل إلى صناعة الترسل،شهاب الدين محمود الحلبي ت(٧٥٢) هـ ،تحقيق كرم عثمان موسى ، دار الرشيد بغداد ،١٩٨٠م .
*خزانة الأدب، تقي الدين الحموي ت(٨٣٧) هـ ،تحقيق عصام شعيتو، دار الهلال، بيروت،١٩٨٧م.
*الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ت(٣٩٢) هـ ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٥٢م.
*الخطيئة والتكفير، د.عبد الله الغذامي ،النادي الأدبي الثقافي ، جدة،المملكة العربية السعودية،١٩٨٥م.
*الدر المنثور، جلال الدين السيوطي ت(٩١١)هـ، مطبعة الفتح،جدة،المملكة العربية السعودية،١٣٥٦
*دراسات في نهج البلاغة، الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، الدار الإسلامية ، بيروت ،١٩٨١م .
*دراسات فنية في صور القرآن ، د.محمود البستاني ، مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد ،١٤٢١هـ .
*دروس في علم الأصول ، السيد محمد باقر الصدر ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، (د.ت).

*دير الملاك(دراسة نقدية للظواهر الفنية للشعر العراقي المعاصر)، د.محسن اطيمش ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ،١٩٨٢م.
*الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ، د.حامد كاظم عباس ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ٢٠٠٤م.
*دلائل الإعجاز،عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ت(٤٧١) هـ ، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
*روائع البيان في خطاب الامام ، د. رمضان عبد الهادي ، دار احياء التراث العربي ، ط٢، بيروت ، ٢٠٠٢م .
*زاد المسير في علم التفسير ،أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي ت(٥٩٧)هـ ، تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ .
*ديوان أبى تمام،شرح الخطيب التبريزي،تحقيق محمد عبدة عزام،دار المعارف، ط٢،مصر،١٩٦٩م.
*ديوان الأعشى الأكبر(ميمون بن قيس)،تحقيق عبد الرحمن ألمصطاوي،دار المعرفة،بيروت،٢٠٠٥م.
*ديوان امرئ القيس ، تحقيق حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، (د.ت) .
*ديوان حاتم الطائي ، دار صادر ،بيروت ،١٩٨١م .
*ديوان زهير بن ابي سلمى ، تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ،بيروت ،(د.ت) .
*ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق د. سعدي الضناوي ، دار الكتاب العربي ، ط٢، بيروت ، ١٩٩٧م .
*ديوان عبيد بن الابرص ، دار صادر، بيروت ، (د.ت) .
*ديوان لبيد بن ربيعة ، شرح الطوسي ، تحقيق د. حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت ، ١٩٩٦م .
*ديوان الهذليين ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب صادرة عن الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٥م .
*دور الكلمة في اللغة،ستيفن اولمان،ترجمة،د. كمال محمد بشير،مكتبة الشباب، ط١٠،القاهرة،١٩٨٦م.
*سؤالات نافع بن الأزرق ت(٦٥)هـ ، إلى عبد الله بن عباس ت(٦٨)هـ ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٨م .
*السرقات الأدبية ، د. بدوي طبانة ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٣.١٩٧٤م .
*سلطة الحق ، السيد عزيز جاسم ، مكتبة الانتشار العربي ، بيروت ،١٩٩٧م .
*السلم وقضايا الحرب في نهج البلاغة ، الشيج محمد مهدي شمس الدين ، الدار الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨١م .
*سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني ت(٢٧٥)هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر، بيروت ، (د.ت).
*سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي ت(٢٧٩)هـ ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار

الفكر ، بيروت ،١٤٠٣ هـ.
*السنن الكبرى ، أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي ت(٣٠٣)هـ ، تحقيق د. عبد الغفار سليمان ، و سيد كسروي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩١م.
*سنن الدارمي ، عبد الله بهرام الدارمي ت(٢٥٥)هـ ، مطبعة الاعتدال ، دمشق ، (د.ت).
*السيمائية وفلسفة اللغة ، امبرتو ايكو ، ترجمة د. احمد الصمعي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٥م.
*سنن النسائي ، احمد بن شعيب النسائي ت(٣٠٣)هـ ، دار الفكر العربي ، بيروت ،١٩٣٠م.
*شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، أبو زكريا يحيى بن محمد التبريزي ت(٥٠٢) هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،٢٠٠٠م.
*شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزي ، تحقيق فخر الدين قباوة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ط٣ ، بيروت ، ١٩٧٩م.
*شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد(رؤية اعتزالية عن الإمام علي)،جواد كاظم منشد،منشورات ذوي القربى ، قم ،١٣٧٤هـ .
*شرح نهج البلاغة ، ابن أبى الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الساقية للعلوم ،بيروت ، ٢٠٠١م.
*شرح نهج البلاغة ، كمال الدين ميثم بن علي البحراني ت(٦٧٩)هـ ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٢م.
*شرح نهج البلاغة ، السيد عباس علي الموسوي،دار الرسول، والمحجة البيضاء،بيروت ،١٤١٨ هـ
*الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية ، ابن فارس ت(٣٩٥) هـ ، تحقيق ، مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة ، بيروت ،١٩٦٤ م.
*صبح الأعشى في صناعة الانشا ، احمد بن علي القلقشندي ت(٨٢١) هـ ، تحقيق يوسف علي طويل ، دار الفكر، دمشق ،١٩٨٧ م .
*صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ت(٢٥٦)هـ ،دار الفكر، بيروت ،عن طبعة بالأوفست صادرة عن دار الطباعة العامرة ، استانبول ،١٩٨١م.
*صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ت(٢٦١)هـ،دار الفكر ، بيروت ، (د.ت).
*الصناعتين ، أبو هلال العسكري ت(٣٩٥) هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي البجاوي ، مطابع عيسى البابي ، مصر، (د.ت).
*الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د.جابر عصفور، دار الثقافة ،١٩٧٤م .
*طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ت(٢٣١) هـ ، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة ، (د.ت).
*ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب،محمد بنيس،دار التنوير للطباعة والنشر، ط٢، بيروت ،١٩٨٥م.

*علم الدلالة ، احمد مختار، مكتبة العروبة ، الكويت ،١٩٨٢م .
*علم الدلالة ، ستيفن ، ترجمة انطوان ابو زيد ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨٦م .
*علم النص ، جوليا كرستيفا ، ترجمة فريد الزاهي ، دار توبقال ، المغرب ،١٩٩١م .
*علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، سعيد حسن بحيري ، الشركة المصرية العالمية للنصر، القاهرة ، ١٩٩٧م.
*العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ت(٤٥٦) هـ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل، ط٤، بيروت ، ١٩٧٢م .
*عناصر الإبداع الفني في شعر احمد مطر ، كمال أحمد غنيم ، مطبعة ستارة ،طهران،٢٠٠٤هـ .
*غريب الحديث ، عبد الله بن سلام بن قتيبة الدينوري ت(٢٧٦)هـ ،تحقيق د. عبد الله الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .
*غريب الحديث ، القاسم بن سلام الهروي ت(٢٢٤)هـ ، تحقيق محمد عبد المعيد خان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٦هـ.
*فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت(١٢٥٠)هـ ، عالم الكتب ، بيروت ،(د.ت) .
*فن الاستعارة ، د. احمد عبد السيد الصاوي ، الهيئة المصرية العامة ، مصر ، ١٩٧٩ م .
*الفن ومذاهبه في الشعر، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، (د.ت).
*في أصول الخطاب النقدي الجديد ، مجموعة مؤلفين ، ترجمة احمد المديني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧م .
*في البلاغة العربية ، د. رجاء عيد ، دار غريب للطباعة ، مصر، ط٢، (د.ت).
*في البنية الإيقاعية للشعر العربي ، د. كمال أبو ديب ، ط٢، دار العلم للملايين، ١٩٨١م .
*في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط٥ ، بيروت ،١٩٧٧م.
* في ظلال القران ، سيد قطب ، دار المعارف ، ط٣٥، القاهرة ،٢٠٠٥م.
*القاموس المحيط،مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ت(٨١٧) هـ ، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣
*قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، مكتبة النهضة ، بغداد ،١٩٦٥م .
*قضايا في النقد الأدبي ، د. إبراهيم عبد الرحمن محمد ، دار صادر ، بيروت ،(د.ت).
*الكافي ، الشيخ الكليني ت(٣٢٩)هـ ، تحقيق علي اكبر غفاري ، مطبعة الحيدري ، ط٣ ، طهران ، ١٣٨٨هـ.
*الكامل في الأدب ، المبرد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٩٦٤م.
*الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه ت(١٨٠)هـ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ،ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ،١٩٨٣م .
*كنز العمال ، المتقي الهندي ت(٩٧٥)هـ ، تحقيق بكري حياني ، وصفوت السقا ، مؤسسة الرسالة،

بيروت ، (د.ت).
*لذة النص ، رولان بارت ، ترجمة فؤاد صفاء والحسي شيحان ، دارتوبقال للنشر ، المغرب،١٩٨٨م
*لسان العرب،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت(٧١١)هـ،دار صادر ، لبنان ، (د.ت).
*اللغة العليا ، جان كوهن ، ترجمة احمد درويش ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
*اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة عباس صادق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧م.
*اللمع في العربية ، أبو الفتح بن جني ت( ) هـ ، تحقيق احمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، منشورات الرفاعي ، ط٢، الرياض ، ١٩٨٣.
*ما هو النقد ، بول هير فادي ، ترجمة سلامة حجاوي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،١٩٨٩م .
*المبدأ الحواري ، تزفتيات تودوروف، ترجمة فخري صالح،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،١٩٩٢.
*المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ضياء الدين بن الأثير ت(٦٢٢)هـ ،تحقيق د. احمد الحوفي، و د.بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي ، ط٢ الرياض ، ١٩٨٣م.
*محاضرات في الصوت والمعنى ، رومان جاكوبسن ، ترجمة حسن ناظم وزميله ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، (د.ت).
*محاولة في تعريف الشعر الحديث ، أدونيس ، مجلة شعر ، ع(١) ،١٩٥٩م .
*مجمع الأمثال ، أبو الفضل احمد بن محمد الميداني، النيسابوري ت(٥١٨) هـ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرة ، بيروت ، ط٢، (د.ت).
*مجمع البيان في تفسير القران ، ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت(٥٦٠)هـ ، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ،١٤١٥هـ .
*مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين الهيثمي ت(٨٠٧)هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٨٨ *المختلف والمؤتلف ، الامدي ، مكتبة القدسي ، ط٢، القاهرة ، ١٩٨٢م .
*المدخل إلى علم الدلالة ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،١٩٨٠م.
*مدخل الى جامع النص ، جيرار جينيت ، ترجمة عبد الرحمن أيوب ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب، ١٩٨٦م.
*المعجم الوسيط ،ابراهيم مصطفى و زملاؤه ،مؤسسة دار الدعوة ،استانبول ،١٩٨٩م .
*المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد جاد المولى واخرون، دار الجيل ، ودار الفكر ، بيروت ، (د.ت).
*مستدرك الحاكم ، محمد بن محمد الحاكم النيسابوري ت(٤٠٥)هـ ، تحقيق د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ.
*مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، المحقق النوري الطبرسي(١٣٢٠)هـ،مؤسسة آل البيت(ع)

لاحياء التراث ، ١٤٠٨هـ .
*مسند ابن الجعد ،علي ابن الجعد الجوهري ، تحقيق أبى القاسم بن محمد ، وعامر احمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت).
*مسند احمد ، الإمام احمد بن حنبل ت(٢٤١)هـ ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت).
*مسند الشهاب ، محمد ابن سلامة القضاعي ت(٤٥٤)هـ ، تحقيق عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة،بيروت،١٩٨٥.
*المصطلح النقدي ، د. عبد السلام المسدي ، مطبعة كويتب ، تونس ،١٩٩٤م .
*مطالب السؤل في مناقب ال الرسول،كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة الشافعي ت(٦٥٢) هـ، النجف الاشرف،(د.ت).
*معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ،عبد الرحيم بن احمد العباسي ت(٩٦٣) هـ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٤٧م .
*المعجم الكبير، سليمان بن احمد بن أيوب الطبراني ت(٣٦٠)هـ ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، دار إحياء التراث العربي ، (د.ت).
*المعجم الأوسط ،سليمان بن احمد بن أيوب الطبراني ت(٣٦٠)هـ ، تحقيق إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، (د.ت).
*معجم المصطلحات البلاغية ، وتطورها، د. احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٨٣.
*معجم البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، دار الجيل ، لبنان ،١٩٨٧م .
*المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، ، منشورات ذوي القربى، ط٣ ، قم ،٢٠٠٤م.
*المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة،محمد دشتي ، وكاظم محمدي ، مؤسسة انتشارات مشهور، قم لمشرفة ، (د.ت).
*مغني اللبيب عن كتب الاعاريب،ابن هشام الأنصاري ت(٦٧١)هـ ، تحقيق د. مازن المبارك ، دار الفكر، ط٦، بيروت ، ١٩٨٥م .
*مفاهيم القران(دراسة الأمثال والأقسام في القران الكريم)الشيخ محمد جعفر السبحاني ، مطبعة اعتماد قم ،١٤٢٥هـ .
*مفتاح العلوم ، أبو يعقوب بن أبى بكر بن علي السكاكي ت(٦٢٦) هـ ، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م.
*مفردات ألفاظ القران ، الراغب الأصفهاني ت(٤٢٥) هـ ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم، ط٣، دمشق ،١٩٨٣م.
*من الأدب والبيان ، د. محمد بركات ، حمدي ابو علي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان،١٩٨٤م

*مناقب علي ابن أبى طالب ، علي بن محمد الشافعي ابن المغازلي ت(٤٨٣) هـ ، تحقيق محمد باقر البهبوري ، المكتبة الإسلامية ، طهران ، ١٣٩٤هـ .
*من بلاغة القران ، د. احمد احمد بدوي ، دار النهضة ، ط٣، القاهرة ، ١٩٥٠م.
*من كنوز القران ، محمد السيد الداوودي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٣م .
*منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ،قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي ، مكتبة آية الله المرعشي العامة ، قم ،١٤٠٦ هـ .
*منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي ، المكتبة الإسلامية ،ط٤ ، طهران ، ١٤٠٥ هـ .
*الميزان في تفسير القرآن ، العلامة ، السيد محمد الحسين الطباطبائي ت(١٤٠٢)هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، (د.ت) .
*نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، احمد بن محمد المعري ت(١٠٤١) هـ ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ،١٩٨٦ م .
*نفحات الولاية ، ناصر مكارم الشيرازي ، مطبعة سليمان زادة ، قم ،١٩٩٥م .
*النص الغائب(تجليات التناص في الشعر العربي) ، محمد عزام ، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،٢٠٠١م .
*نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، صلاح عبد الباقي الخالدي ، مركز الشهاب ، الجزائر، (د.ت).
*نقد الشعر في المنظور النفسي ، د. ابراهيم ريكان ، دار الشوؤن الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٩.
*نهاية الإرب في معرفة الأدب ،شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري ، دار الكتب القاهرة ، ١٩٢٩م.
*نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي ت(٦٠٦) هـ ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، ود. محمد بركات حمدي ، دار الفكر للنشر، عمان ،١٩٨٥ م .
*النهاية في غريب الأثر ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق طاهر احمد الزاوي ، المكتبة العلمية ، ط٢، بيروت ،١٩٧٩ م .
*نهج البلاغة ، شرح محمد عبدة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د.ت).
*النهاية في غريب الحديث ، ابن الأثير ت(٦٠٦)هـ ، تحقيق طاهر احمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، مؤسسة اسماعيليان ، ط٤ ، قم ،١٣٦٤ هـ .
*نماذج في النقد الأدبي وتحليل النصوص ، ايليا حاوي ، دار الكتاب اللبناني، ط٣، لبنان ، ١٩٦٩م.
*وسائل الشيعة،الحر العاملي ت(١١٠٤)هـ ،مؤسسة آل البيت(ع)لاحياء التراث، ط٢،قم ،١٤١٤ هـ
*ينابيع المودة لذوي القربى ، الشيخ سليمان بن إبراهيم الحنفي ت(١٢٩٤)هـ ، تحقيق سيد علي

جمال اشرف الحسيني ، مطبعة أسوة ، طهران ، (د.ت) .

البحوث والمقالات :

*آيات الابتلاء، د. حامد عبد الهادي حسن ، مجلة دراسات إسلامية ، ع(١١)، بغداد ، ١٤٢٣هـ .

*الأسس الجمالية في خطبة الجهاد للإمام علي(ع)،د.فليح كريم خضير،مجلة الطليعة الأدبية ع(٣)،بغداد.

*أسلوب التوكيد في سورة فصلت،هادي عبد علي هو يدي،مجلة القادسية ، مجلد(٢) ،ع(٣) ،٢٠٠٢م.

* الألفاظ القرآنية في نهج البلاغة،السيد محمد جعفر الحكيم، مجلة النجف الاشرف ، النجف ،١٩٧٦م.

* التعالق النصي في ألخطاب ألشعري،د. يوسف اسماعيل ، مجلة ألتراث ألعربي، ع(٨٩) ، ٢٠٠٣م.

*تناص الشكل في الر سم الحديث ، كاظم وير ، مجلة الموقف الثقافي،ع (٢٩)، دار الشؤون ، بغداد ،٢٠٠٠م.

*التناص مع الشعر الغربي، د. عبد الواحد لؤلؤة ، مجلة الأقلام ، بغداد ، ع(١٢،١١،١٠) ،١٩٩٤م.

*التناص واشاريات العمل الأدبي ، صبري حافظ ، مجلة ألف ، ع (٤) ، لسنة ١٩٨٤م .

*جمالية ألنص ، د.عبد الملك مرتاض ، جريدة الرياض ، ع(١٢٨٧٩)السنة ٣٩ ،١٤٢٤هـ ، المملكة العربية السعودية.

*حد اللغة بين المعيارية والاستعمال، د. عبد السلام المسدي ، مجلة الأقلام ،ع(٥) ، السنة العاشرة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٥م .

*الصورة الفنية في كلام الإمام علي ، د. خالد محمد محي الدين البرادعي ، مجلة المنهاج،ع(٥)، السنة الثانية ، ١٩٩٧م .

*الليث والخراف المهضومة ، دراسة في بلاغة التناص الأدبي ، د.شجاع العاني ، الموقف الثقافي ،

ع(١٧) لسنة ١٩٨٩م .

*المجلة في المثال ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، د. حاكم حبيب الكريطي ، مجلة اللغة العربية وآدابها ،ع(١)السنة الأولى ، ٢٠٠٠م ، جامعة الكوفة.

*المثل في القران الكريم ، منير القاضي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج(٧)،ا لأعداد(٣٠-٣٥)، ١٩٦٠م .

*المثل في نهج البلاغة ،عبد الهادي الفضلي ، مجلة رسالة الإسلام ، جامعة أصول الدين ،١٩٧٨ م .

*مدارات النص المغلق (من غرابة المفردة إلى تغريب النص) ،عبد العزيز إبراهيم،الموقف الثقافي، ع(٢٩)، دار الشؤون ، بغداد ، ٢٠٠٠م .

*مشكلة التناص في النقد الأدبي المعاصر ، محمد أد يوات ، مجلة الاقلام ، ع(٤)، بغداد ، لسنة ١٩٩٥.

* ألنص وألتأويل ،بول ديكور،ترجمة منصف عبد الحق،مجلة العرب والفكر العالمي ،ع(٣)،١٩٨٨م.

*النص والتناص ، د. رجاء عيد ، مجلة علامات ،ع (١٨) ، مجلد (٥) ، لسنة ١٩٩٥م .

*النصوص الأدبية بين السرقة والاقتباس ،غانم محمود ، مجلة آفاق عربية ، ع(٣) ، السنة الثامنة عشر، بغداد.

*وجه الشاهد النحوي في نهج البلاغة ،عبد الواحد خلف وساك،كلية التربية ، ميسان ، بحث مخطوط

الرسائل الجامعية:

*الأدوات البيانية في خطب الحرب في نهج البلاغة ، نجلاء عبد الحسين الغزال،رسالة ماجستير، جامعة الكوفة ، كلية الآداب، ٢٠٠٢م.

*الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني ، د. عواطف كنوش ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ،١٩٩٥ م.

*أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، د. قيس إسماعيل الالوسي ، بغداد ،١٩٨٨ م.

*أساليب الطلب في نهج البلاغة ، عدوية عبد الجبار كريم الشرع ، رسالة ماجستير ، جامعة بابل، ٢٠٠٠م .

*اسلوب التوكيد في نهج البلاغة ، اصيل محمد كاظم ، رسالة ماجستير ، جامعة القادسية ، كلية التربية ، ٢٠٠٢م .

*الإيقاع ، أنماطه ودلالاته في لغة القران الكريم ، د. عبد الواحد المنصوري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩م .

*التناص في شعر محمود درويش ،حازم هاشم منخي ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة، كلية التربية ، ٢٠٠٥م .

*خصائص الجملة العربية في نهج البلاغة ،سميرداود سلمان ، رسالة دكتوراه ، جامعة البصرة ، كلية الاداب ،٢٠٠٣ م.